مكتبة 996

جُمان

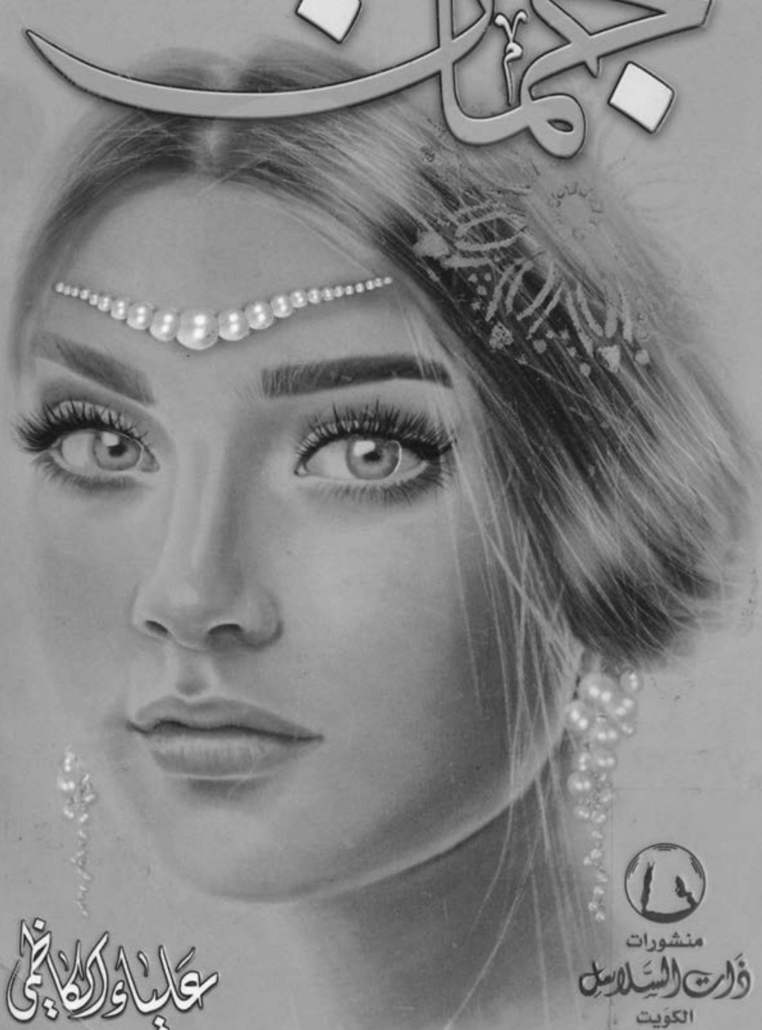

علياء الكاظمي

منشورات
ذات السلاسل
الكويت

مكتبة | 996
سُر مَن قرأ

جُمان

للتواصل مع الكاتبة

alyaa_story@yahoo.com

@alyaa_story

لوحة الغلاف للفنانة

آثار الأنصاري

@tinywomen

جُمان

مكتبة | 996
سُر مَن قرأ

علياء فاضل الكاظمي

منشورات
ذات السلاسل
الكويت

813.9538 الكاظمي، علياء .

جمان : مجموعة قصصية / علياء الكاظمي .- ط. 9. .- الكويت : ذات السلاسل للنشر، 2015

517 ص. ؛ 24 سم.

1. القصص العربية -الكويت 2. الأدب العربي - الكويت

أ-العنوان

ردمك : 978-99966-81-60-8

رقم الإيداع : 435 / 2015

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الحادية عشرة

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨م

مكتبة
t.me/t_pdf

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع

منشورات
ذات السلاسل
الكويت

الناشر: ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع
E-mail: ths@thatalsalasil.com.kw
Web site:www.thatalsalasil.com.kw

الكويت - ص.ب: 12041 الشامية 71651
تلفون: 22466266/55 (965+)
فاكس: 22438304 (965+)

@THATALSALASIL
@THATALSALASIL
thatalsalasilbookstore

مقدمة

مكتبة
t.me/t_pdf

بعد النجاح الجميل الذي حققته روايتي الأولى «ويبقى الأمل ينبض في القلوب» وجدت نفسي وأنا أكتب عملي التالي أكثر خوفاً وأكثر حرصاً ليأتي هذا العمل مميزاً بحيث أحقق به نجاحاً جديداً يضاف إلى رصيدي الأدبي.

بدايةً كانت فكرتي أن أقوم بإصدار كتاب يحتوي رواية واحدة طويلة وفعلاً كتبت رواية «حنين وأشواق» لكن وجدت نفسي في يوم آخر أبدأ بكتابة رواية «الضرير» وهي الرواية التي تم نشرها في مجلة اليقظة على شكل حلقات وحققت نجاحاً كبيراً.

ثم جاءني طلب خاص من «مركز إشراق للفتيات» يطلبون مني كتابة رواية خاصة عن عمر المراهقة، فكتبت قصة غالية التي نفّذت كعمل سينمائي بعنوان «زينة البنات».

عندها تغيرت فكرتي بخصوص كتابي الثاني فرأيت أن أصدر كتاباً يحتوي هذه المجموعة من القصص بعد أن أضفت لها قصة «عندما تعود الأفراح» وهي الرواية الأقرب إلى نفسي لأنني شعرت وأنا أكتبها باندماج رهيب وعشت فيها بعمق وتركيز مما أعطاها رونقاً خاصاً وإحساساً صادقاً كما لو أنني عشت مع أبطالها واختبرت معاناتهم، وأخيراً أصل إلى رواية «جمان» وهي

الرواية التي سُمي الكتاب باسمها، وهي الرواية التي تعكس نفسية المرأة الخليجية وما يفرضه الزواج عليها من قيود.. لقد بذلت مجهوداً كبيراً في سبيل إصدار هذا العمل، والذي أرجو أن ينال إعجاب القراء الأحباء واستحسانهم.. والآن أترككم مع رواياتي ونبضاتي التي تتردد بين أيديكم وشكراً.

علياء الكاظمي

الإهداء

إلى صديقة عمري ورفيقة دربي

إلى حبيبتي وحلمي..

أختي بثينة.

حنين
وأشواق

حنين وأشواق

■■ ١ ■■

استلقت أشواق في سريرها وسط غرفتها المظلمة استعداداً للنوم.. كانت تعلم أن النوم سوف يجافيها هذه الليلة وتعلم أن أمامها ليلاً أرقاً طويلاً لا تملك أن تختصر ساعاته الطويلة حتى يطلع النهار، إن غداً سيكون يوم زفافها.. لذلك لن يغمض لها جفن هذه الليلة، ليلتها الأخيرة في بيتها.. هل حقا تعتبر هذا البيت الذي عاشت فيه طفولتها وشبابها بيتها؟.. قطعاً لا، إنها لا تشعر بالانتماء الى هذا البيت بل تعيش فيه كالغريبة.. تنهدت أشواق بحرقة عندما وصلت إلى هذا الحد من تفكيرها، إن زواجها غدا ليس الزواج الأول لها، بل سيكون زواجها الثاني، شتان بين هذه الليلة والليلة السعيدة التي قضتها قبيل زواجها الأول.. مازالت تذكر فرحتها ونبضات قلبها التي كانت ترقص طرباً وفرحاً قبل زواجها الأول.. وانسابت الدموع على خدي أشواق ودفنت وجهها في وسادتها.. وأخذت تسترجع قصتها في خيالها.. كأنها شريط سينمائي يمر أمام عينيها.

إنها تبدأ ذكرياتها دائماً عند صورة محددة.. صورة تقض مضجعها وتؤلمها كلما خطرت لها.. كانت تلك صورتها وهي في السادسة من عمرها.. طفلة صغيرة شعرها مجعد متماوج بني اللون ينتشر على كتفيها بلا ترتيب وهي ترتدي ثوباً قصيرا

للنوم وتضم دميتها إلى صدرها بقوة كأنها ترغب في إدخالها بين ضلوعها.. طفلة واقفة في أعلى السلم والرعب يشلها وهي تسمع والديها يتشاجران، كان شجارهما الدائم عنيفاً دامياً صاخباً، يملأ الليل خوفاً ورهبة، كانت ركبتاها بالكاد تقويان على حملها فتضم دميتها وتبتهل إلى الله أن يصمت والداها ويكفا عن الشجار.. لكن سرعان ما تسمع الشجار وقد تحول إلى صراخ وعويل عندما يبدأ والدها بضرب والدتها.. وعند هذه اللحظة بالذات تسمع خطوات خلفها إنها تعرف هذه الخطوات.. إنها خطوات أختها الكبرى حنين.. كانت حنين في العاشرة آنذاك تكبرها بأربع سنوات وهي تختلف عنها تماماً.. إن حنين طفلة قوية قاسية وصلبة تقترب من أشواق فتشدها إلى غرفتهما المشتركة، وتضمها إلى صدرها بقوة وتأمرها أن تنام، وفعلاً ما أن تطلب منها حنين النوم حتى تغط في سبات عميق.. ليت حنين تأمرها بالنوم الآن.. حتى تهرب من ذكرياتها البعيدة المحفورة داخلها.

لكن هيهات.. الليل طويل ولا تملك خلاله إلا استرجاع ذكرياتها.. هكذا كانت طفولتها بين أب عصبي المزاج.. صاحب علاقات نسائية لا تنتهي.. وبين أم متمردة لا تغض الطرف عن تصرفات زوجها والد ابنتيها.. وأخيراً جاءت تلك الليلة التي انتهى فيها كل ذلك.. كانت ليلة كالليالي السابقة لكن عندما بدأ الأب يضرب أمها صرخت الأم في وجهه: لم أعد أحتمل.. طلقني.. لو كانت لديك ذرة رجولة وكرامة طلقني..

ساد الصمت بعدها، صمت أكثر صخباً وضجيجاً من الكلام..

نطق الأب بعدها.. اذهبي.. اخرجي من حياتي.. أنت طالق!

وهكذا انفصل والداها ولأول مرة تقف حنين وراء أشواق صامتة جزعة لا تشدها إلى غرفتها ولا تأمرها أن تنام.

مازالت أشواق تذكر ذلك النهار الذي تلى تلك الليلة الأخيرة.. حزمت الأم أغراضها ودخلت على ابنتيها وتذكر أشواق نفسها وقد ارتمت على صدر أمها تبكي وترجوها ألا تتركها وحدها.. أما حنين فقد ظلت صامتة متماسكة.. وتحدثت الأم قالت إنها ستغادر هذا البيت وأنها ستعيش في منزل أهلها وأنها ستتركهما مع أبيهما، هكذا ببساطة تخلت عنهما وتذكر أمها وهي تقول لحنين: انتبهي لنفسك ولأختك.. إنها أمانة في عنقك.. واتصلا بي إن احتجتما لشيء.. وخرجت الأم بعد أن أبعدت أشواق عن صدرها، أبعدتها بالقوة وقد أمسكتا بها حنين والخادمة.. مازالت الدموع تنهمر على خديها بمرارة وألم كلما تذكرت ذلك الموقف الحزين.

وفعلاً اعتنت حنين بالجميع.. أصبحت أماً لها وهي لاتزال بعد في العاشرة.. تذاكر معها دروسها وتسهر عليها وقت المرض، وتستمع إلى مشاكلها وكانت أشواق تطلب من حنين أن تتصل لها على أمهما فهي صغيرة لا تعرف رقم والدتها.. لكن حنين تتهرب من الاتصال بالأم وتجد دائماً مئات الأعذار كي لا تتصل.. وأحياناً تحت إلحاح أشواق كانت تمسك سماعة الهاتف وتدعي أنها تطلب أمها ثم تغلق الخط وتقول لأشواق إن أمهما نائمة أو خارجة أو مشغولة.. أما الأم فلم يخطر على بالها أن تسأل عنهما سوى في مناسبات متباعدة ولم تأتي لزيارتهما

أبداً.. كأنها لفرط كراهيتها وحقدها على والدهما أصبحت لا تطيق ابنتيها ثمرتا زواجها الفاشل.

ومضى عام كامل وبلغت أشواق السابعة وفي أحد الأيام دق جرس الباب وإذا بالأم آتية لزيارتهما.. ارتمت أشواق على صدرها تعانقها وتبكي وتشم رائحتها التي أوحشتها كثيراً وبكت الأم معها، أما حنين فقد وقفت بعيداً وتبادلت سلاماً بارداً مع أمها.. لم تقترب منها.

كان والدهما في ذلك الوقت في عمله، جلست الأم وبدأت تسأل عن أحوالهما وأشواق جالسة على ركبتيها وقد رمت برأسها على صدرها.. وأخيراً صرحت الأم بسبب هذه الزيارة المفاجئة.. إن الأم سوف تتزوج قريباً ورأت أن عليها إبلاغ ابنتيها، سوف تتزوج ابن عمها الذي طالما رغب فيها قبل زواجها من أبيهما، لم تشعر أشواق بالارتياح لذلك الخبر وسألت أمها ببراءة: هل تأخذيني لأعيش معك ومع زوجك الجديد؟

فارتبكت الأم وقالت: تستطيعين زيارتي وقتما تشائين.

وخرجت الأم يومها وقد ازدادت ملامح حنين قساوة وألماً، وعندما عاد الأب يومها وأخبرتاه بالخبر الجديد، انهال بالشتائم والسباب على والدتهما ونعتها بأبشع الألفاظ ولأول مرة رأت أشواق أباها وهو يعاقر الخمر وكرهت منظره وتحمد الله أنها لم تره في ذلك الموقف بعد ذلك.. كان أبوهما رجلاً غير مسؤول.. وكثيراً ما كانت النساء يتصلن به على المنزل ويحادثهن الأب علناً أمام ابنتيه، دون مراعاة لشعورهما وصغر سنهما..

إن أشواق تهاب أباها لكنها تحبه ربما لأنه يعاملها بلطف ولين كونها ابنته الصغرى.

ومرت الأيام وكبرت الفتاتان أصبحت حنين في الثانية والعشرين وأشواق في الثامنة عشرة من عمرها.. وخلال تلك السنوات كانت أشواق تزور أمها خلسة دون علم أبيها، وحنين تعلم بذلك لكنها لا تأتي معها، إن والدتها أنجبت ثلاثة أبناء جدد من زوجها الجديد.. ولدين وبنتا.. ورغم زيارات أشواق المتباعدة لأمها إلا أنها كانت تحس أن زوج أمها غير راض عن هذه الزيارات وكأنه يكره وجودها.. كان جافاً قاسياً معها لم يرحم شوقها واحتياجها إلى أمها ومع الوقت بدأت الأم تتهرب من اتصالاتها وبالكاد تسمح لها بزيارتها.. وتباعدت هذه الزيارات حتى أصبحت لا تتعدى المرتين كل عام وقت الأعياد.

وعندما بلغت أشواق الثامنة عشرة، خطبت أختها حنين.. خطبها ابن الجيران الذي أحبته حنين منذ الطفولة.. اسمه كريم.. شاب رائع وسيم يكبر أختها بأربع سنوات.. أحبها ودعمها منذ صغرها، إنّ كريم هو الواحة الخضراء في حياة حنين الجافة.. أصبح لها بمثابة الأم والأب ومصدر الحنان الوحيد في حياتها.. وقد درس كريم طب الأسنان وتخرجت حنين من أحد المعاهد ولم تعمل حسب رغبة كريم الذي ما إن تخرج وأصبح طبيباً حتى أتاها خاطباً.

وفي تلك الفترة دخل الفرح بيتهم بعد أن هجرهم فترة طويلة.. فقد وافق الأب بسهولة عل زواج حنين وكريم فهو جارهم ويعرف عنه كل الخير، بالإضافة إلى أنه ميسور الحال ووحيد والديه،

كما أنه طبيب وأمامه مستقبل لامع. وتولّت أشواق إبلاغ أمها بخبر خطبة حنين، فقد تجاهلتها حنين تماماً ولم تكلف نفسها إبلاغها، إنها تعتبر أمها أمرأة غريبة عنها ولا تملك حق التدخل في حياتها أو معرفة ما يجري لها من أمور.

ثم تزوجت حنين وانتقلت إلى السكن في منزل مستقل اشتراه زوجها حال زواجهما، ورغم أن منزل حنين يقع في نفس المنطقة التي يقع فيها منزل والدها إلا أن أشواق شعرت وكأن حنين بعدت عنها مئات الأميال.. وشعرت أشواق بالضياع بعد خروج حنين من المنزل.. فقد كانت بمثابة الأم لها، كانت المسؤولة عن كل فرد يعيش في المنزل.. تشرف على نظافة البيت والطعام وتهتم بها وبوالدها، إنها أساس البيت وأهم فرد فيه، وشعر الأب كذلك بالفراغ الذي تركته حنين خلفها.. فراغ لم تستطع أشواق أن تسده رغم محاولاتها الدائمة أن تصبح كأختها لكنها لا تملك شخصية حنين وحسن تدبيرها، حتى الخدم في المنزل شعروا بالأسى عندما رحلت.. وعندما استقرت حنين في حياتها الجديدة بدأت تأتي إلى المنزل كل صباح بعد أن يخرج كريم إلى عمله في المستشفى وعادت تشرف على نظام البيت وتعطي التعليمات للخدم ثم تعود للاهتمام ببيتها وزوجها.. ومع الوقت اعتاد الجميع على هذا النمط الجديد من الحياة.

وفي تلك المرحلة جد شيء في حياة أشواق.. شيء غيّر حياتها إلى الأبد.. لقد وقت في الحب.. أحبت طارق.

كانت قد دخلت الجامعة وفي سنتها الدراسية الأولى عرفت طارق.. زميل لها في الكلية نفسها، يدرس المحاسبة في سنته

الثالثة ويكبرها بعامين ولديه أخت في نفس سنها ودفعتها.. اسمها مروة، ومنذ وقعت عينا أشواق عليه وهو يرافق أخته شعرت بانجذاب عميق نحوه.. إنه وسيم أسمر البشرة عيناه واسعتان عميقتان سوادهما حالك. وكان طويلا.. طويلا جدا وهي تشعر كلما رأته أنها ترغب في أن تتعلق بعنقه وهي الفتاة الرقيقة القصيرة القامة.

وأحبته من كل قلبها، أحبت رجولته واهتمامه بأخته ورعايته لها، ووجدت أشواق نفسها تتقرب من أخته.. ومع الوقت أصبحت صديقة لها.. لم يكن لأشواق صديقات، كانت مكتفية بوجود أختها في حياتها، ربما بسبب خجلها وحيائها فهي ذات طبيعة هادئة وتميل إلى العزلة والانطواء، لذلك لم تكن علاقتها بزميلاتها تتعدى إطار الزمالة أبداً في جميع المراحل الدراسية التي مرت بها.

لكنها أحبت مروة ليس فقط لأنها أحبت طارق لكنها وجدت مروة تقاربها في الطباع والهدوء.. ووجدت لديها الكثير من الصفات الجميلة التي أحبتها ومع الوقت ازدادت صداقتهما متانة، ومضت السنة الدراسية الأولى، وخلال تلك السنة أنجبت حنين ابنتها البكر أريج، وفرحت العائلة بها أشد الفرح، وعندما ولدت حنين زارتها والدتها في المستشفى رغم أن حنين لم تدعها لحضور عقد قرانها ولم تبلغها بأمر زواجها بنفسها بل فعلت أشواق ذلك رغم اعتراض حنين وقتها، وعندما دخلت الأم عليهما قفزت أشواق تعانقها لكن حنين عاملتها ببرود كالمعتاد، وكانت أشواق تتوقع أن تتحسن معاملتها لأمها فقد أصبحت الآن أماً أيضاً لكن ذلك لم يحصل.

وبدأ العام الدراسي الثاني وأصبح طارق في السنة النهائية.. وخلال هذا العام بدأت أشواق تذاكر دروسها مع مروة ودعتها مروة إلى بيتها وتذكر أشواق كيف قضت وقتاً طويلاً في انتقاء ملابسها، لقد ارتدت يومها أجمل ثيابها وبدت جميلة جداً.. إنها ليست باهرة الجمال لكنها جذابة هادئة الملامح جمالها مريح تحب العين أن تتأمله، وجهها بيضاوي رقيق وبشرتها بيضاء صافية كالبلور النقي وعيناها مستديرتان جميلتان تبدوان لامعتين وكأن دموعها على وشك أن تنهمر، وأنفها صغير جداً، مرفوع الطرف وتزين ذقنها شامة داكنة زادتها جاذبية وملاحة.

كانت أشواق قصيرة القامة نوعاً ما لكن جسدها متناسق صغير، وقد تركت شعرها البني الناعم مفروقا من الوسط بحيث ينسدل على كتفيها برقة ونعومة.. إنها فتاة مميزة، لا يمل المرء من النظر إليها.

وذهبت أشواق إلى منزل مروة.. إنه منزل فخم جميل أفخم من منزلها.. واستقبلتها مروة وهي سعيدة وعرّفتها على أمها، إن أمها رائعة أنيقة وجميلة، وبدأت الفتاتان في المذاكرة لكن أشواق كانت متوترة وكلما سمعت وقع خطوات خارج غرفة مروة تخيلت أن طارق سيدخل، وكانت فكرة دخوله عليهما تدغدغ أعصابها وتحرك مشاعرها، لم تستطع التركيز في المذاكرة أبداً.

وأخيراً حان وقت العشاء واستأذنتها مروة لدقائق وتركت باب غرفتها مفتوحاً وفجأة وبدون مقدمات دخل طارق الغرفة ووقف أمام أشواق.. اهتزت رموشها فوق عينيها واحمرت وجنتاها

خجلاً وسلم طارق عليها ثم أخبرها أنه معجب بها وأنه ينتظر منذ زمن الفرصة المناسبة كي يبوح لها بمشاعره.. وأنه ينوي التقدم لخطبتها بعد تخرجه هذا العام، وفرحت أشواق.. شعرت أنها ملكت الدنيا وأن سعادتها تفوق الوصف.. لا تريد من الدنيا شيئاً سوى أن تتزوج طارق وتنعم بقربه وحبه.. وهكذا عاشت أجمل أوقات حياتها في تلك الفترة.

تنهدت أشواق وقامت من فراشها وأطلت من الشباك.. نظرت إلى السماء نحو القمر.. لطالما شبهها طارق بالقمر، وعادت تجري وراء ذكرياتها.. لقد صارحت أختها بحبها وصارحت مروة بحبها أيضاً وأخبرتها مروة أن أمها قد أعجبت بها وأحبتها كثيراً.

وجاء اليوم الموعود وتخرج طارق وحافظ على وعده وأتاها خاطباً بعد أن عمل مع أبيه في شركته الخاصة، وفرح أبيها بطارق إنه من عائلة مرموقة ووالده ثري ناجح وابنته سعيدة تكاد تطير من الفرح.

وصممت أم طارق على أن تقيم فرحاً ضخماً لابنها، فطارق هو بكرها وتصغره مروة وأخت أخرى في العاشرة من عمرها آنذاك، إنه ولدها الوحيد وأول فرحتها، وصممت أشواق على دعوة والدتها على زفافها بل أصرت على أن تحضر يوم خطبتها الرسمية أيضاً رغم اعتراض حنين على كل ذلك لكن أشواق تريد أمها، إنها لا تتخيل نفسها تتزوج دون دعوتها.. وفعلاً تم لها ما أرادت وأقيم عرسها في أفخم فنادق الكويت، كان عرساً رائعاً بدت فيه أشواق كالملاك بثوبها الجميل الغالي الذي صمم

والدها على شرائه لها رغم غلاء ثمنه.. وبدت حنين متعبة يوم الفرح فهي حامل للمرة الثانية وفي آخر شهور الحمل، وحضرت أمها العرس كما أرادت أشواق.. إن كل شيء حولها كامل جميل.. أجمل مما تخيلت وأروع مما تمنت.. وتحقق حلمها وتزوجت طارق.. تنهدت أشواق بحرقة وهي تتذكر سعادتها بطارق، كان رائعاً جميلاً ويحبها بل يعشقها.. تتذكر نفسها كلما أراد الخروج من المنزل وهي تجري وراءه وتتعلق في عنقه وتمطره بقبلاتها وتتذكر نفسها تنام وهما يسهران لمتابعة التلفاز فيحملها بين ذراعيه كطفلة مدللة صغيرة إلى غرفتها، إن سعادتها كاملة لا ينقصها شيء، ومر عامان وتخرجت أشواق وعملت سريعاً في أحد البنوك.. وكانت أختها قد أنجبت بعد عرسها مباشرة ابنتها الثانية هبة، وكثيراً ما لمحت حنين إلى أشواق أنها تأخرت في الحمل، فقد مضى عامان على زواجها وهي لم تنجب، لم تكن أشواق مستعجلة على الحمل وكذلك كان طارق، كان كلاهما سعيداً لدرجة أنهما لم يشعرا أن الوقت قد حان للتفكير في مسألة الأطفال.

وتحت إلحاح حنين ذهبت أشواق إلى الطبيب لعمل الفحوصات اللازمة، وجاءت جميع نتائجها إيجابية، إنها سليمة لا يوجد ما يمنعها من الإنجاب وأخبرت طارق بالأمر ووعدها وهو يضمها إلى صدره أنه سيجري الفحوصات اللازمة ليتأكدا من سلامته هو أيضاً، ووقعت الطامة الكبرى.. إن طارق عقيم.. إنه عقيم تماما لا أمل له في الإنجاب.. جاءت تلك النتيجة لتطيح بأشواق وسعادتها واستقرارها وشعرت وقتها أن عالمها ينهار.. جاءها

طارق وعيناه محمرتان.. لم يبك أمامها لكن عينيه كانتا بلون الدم وهو يخبرها أنه عقيم، واتسعت عيناها برعب وهو يخبرها أنه لا أمل له في الإنجاب.. يا إلهي إن طارق يخيرها بين البقاء معه بلا أولاد وبين الطلاق، هذا حقها الشرعي عليه، وهي تعرف ذلك.. وانسابت الدموع بغزارة على خدي أشواق.. مازالت دموعها تنهمر كلما تذكرت تلك الليلة المشؤومة التي صارحها فيها طارق بعقمه، مازالت تذكر حيرتها، كانت وقتها قد أكملت الثانية والعشرين من العمر، إنها تحب طارق وتعشقه وتهواه، لكنها تريد أن تكون أماً، إن غريزة الأمومة داخلها قوية.. إن قلبها يمتلأ حناناً وغبطة كلما تخيلت نفسها أماً.. هل يكفي حبها لطارق لتعويضها عن رغبتها في الأمومة؟ إنها لا تعرف وقد طلبت من طارق ألا يكلمها في هذا الموضوع.. موضوع بقائهما معاً أو افتراقهما إلا إذا طلبت منه ذلك لكن طارق تغير.. لم يعد رقيقاً عطوفاً كما كان، لقد أثرت الصدمة عليه، أصبح جافاً قاسياً سريع الغضب.. وأصبح يصرخ في وجهها بدون سبب.. وتحمّلت تغيره، فهي تعلم ما يعانيه.. لكنه تمادى.. وذات يوم كانت جالسة تتابع مسلسلاً تلفزيونياً وعاد طارق في المساء من الخارج وجلس بعيداً عنها.. لم يعد يقترب منها إلا نادراً، لازال يعاني صدمته، وفجأة أثناء المسلسل عُرض مشهداً عن سيدة زوجها لا ينجب وكيف أنها تعاني الحرمان، لم تدرك أشواق نفسها إلا وطارق واقفاً أمامها يصرخ بأعلى صوته ويتهمها أنها تعايره بعجزه وأنها لا تحترمه وكلام كثير جارح قاس.. لم تستطع حتى الدفاع عن نفسها وفجأة وهو يصرخ رفع كفه وهوى به على خدها

بكل قوة لدرجة أنها وقعت من مقعدها على الأرض عند قدميه، في تلك اللحظة تذكرت أشواق أباها وأمها، تذكرت طفولتها ووقوفها أعلى الدرج وهي مرعوبة وأباها يضرب أمها، فقامت مسرعة من الأرض وبدأت تجري من أمام طارق، بدا لها طارق في تلك اللحظة مخيفاً كريهاً، مختلفاً عن ذلك الرجل الرقيق المحب الذي عشقته وأحبته من كل قلبها، وجرى طارق وراءها، لم يتركها تفلت من بين يديه، لم يكن يعي ما يفعل فقد أعماه اليأس والغضب ولم يدري بنفسه وهو ينهال على أشواق بالضرب المبرح ورفعت أشواق ذراعيها فوق رأسها لتتقي ضرباته، إنها لا تعرف كيف تدافع عن نفسها، وهي تصرخ، تصرخ من الخوف والألم، وفجأة صرخت قائلة: كفى يا طارق.. طلقني.. طلقني أرجوك لا أريدك لا أريد العيش معك، توقف طارق عن ضربها وابتعد عنها خطوتين وبقي مشدوها، لقد هدأ غضبه فجأة وأدرك فداحة ما أقدم عليه، وصمت فترة طويلة وبقي واقفاً ينظر إليها وخيط من الدم يسيل من شفتيها.. نظر إليها طويلاً كأنه يودعها.. وخرج من المنزل، واتصلت وهي تصرخ وتشد شعرها بأختها حنين.. وجاءت حنين وساعدتها على توضيب أغراضها، إنها ستغادر المنزل يجب أن يشعر طارق أنه ارتكب جريمة في حقها عندما اعتدى عليها بالضرب بدون سبب. وفي اليوم التالي وهي في منزل أبيها وصلتها ورقة طلاقها.. لقد طلقها طارق سريعاً.. طلقها الرجل الذي أحبته وسعدت معه، وخسرت حبها الأول، ومرضت أشواق بعد طلاقها لفترة طويلة.. وشعرت باكتئاب فظيع وزارتها والدة طارق ومروة وبكت أشواق

بحرقة على صدرهما، لقد عرفتا بعلة طارق وأنه لا أمل له في الإنجاب وعرفتا أنه ضربها وظلمها وأخبرتاها أنه مريض مثلها يكاد لا يتوقف عن البكاء.. وكأنه يحتضر.. وأعلنت هي لهما أنها لاتزال تحبه وترغب في العودة إليها وتفضله على الأولاد.

لكن طارق رفض تضحيتها وأرسل مروة تقول لها إنه يحبها وسيحبها إلى الأبد لكنه لن يظلمها معه ويتمنى لها حياة سعيدة ويعتذر عن كل ما ألحقه بها من أذى.

تنبهت أشواق على نفسها وقد ارتفع نشيجها وتمالكت نفسها.. لقد مضى على طلاقها أربعة أعوام.. إنها الآن في السادسة والعشرين من عمرها.. اقتربت أشواق من مرآتها ونظرت إلى نفسها.. هل تغيرت؟ نعم لقد تغيرت بعض الشيء.. لقد زاد وزنها قليلاً عن السابق وقد أضافت خصلاً شقراء مصبوغة في شعرها البني.. وبدا في عينيها حزن عميق.. لقد تزوج طارق العام الماضي من ابنة خالته المطلقة التي أنجبت من طليقها طفلين.. والطفلان يعيشان معهما، مازالت مروة صديقتها وهي التي أخبرتها بهذه التفاصيل.. لقد بكت كثيراً يوم عرفت بزواجه والأمر الذي زاد من ألمها وحزنها أن أحداً لم يتقدم لخطبتها أبداً منذ طلاقها.. لا تعرف لماذا لم يتقدم لها أحد لطالما تساءلت، إنها لاتزال شابة وجميلة وهي موظفة ناجحة في البنك الذي تعمل فيه وهي تريد أن تنسى طارق.. تشعر بحاجتها إلى رجل في حياتها.. تريد أن تجرب حظها مرة أخرى.

وأخيراً تقدم لها عبدالرحمن، إنه أرمل في الأربعين من عمره، توفيت زوجته إثر مرض عضال منذ عامين، ولديه ابنة في

الخامسة عشرة من عمرها اسمها نوال.. وابن في العاشرة اسمه خالد وهو رجل يشغل منصباً حكومياً مرموقاً وهو ثري.. بل فاحش الثراء ولديه بيت جميل في منطقة راقية، وقد تقدم لها بناء على توصية من بعض أقاربها، وفرح والدها بهذا العريس.. وأخذ يقنعها بالموافقة، إنه رجل ناضج وسبق له الإنجاب، وهو غني وكريم وسوف يدللها.. وكذلك حنين تحمست له كثيرا، وأخذت تقنعها بمقابلته.. وفعلاً وافقت على مقابلته ولمَ لا توافق؟ إنها غير مرتبطة ولم يتقدم لها أحد وقد لا يتقدم إليها أحد.. كانت يائسة.

والتقت بعبدالرحمن للمرة الأولى.. إنه وسيم، طويل القامة يكاد يقارب طارق زوجها السابق في طوله، وهو حنطي البشرة عريض المنكبين، وقد انتشرت بعض الشعيرات البيضاء في شعره الكثيف، وجلست هي أمامه، وبدا أنه معجب بها، وسألها عن عملها وحدثها عن أولاده، أخبرها أنه بحاجة إلى زوجة تهتم بأولاده وتعيد ترتيب حياته، وتسد الفراغ الذي تركته زوجته المرحومة، وشعرت أشواق أن عبدالرحمن ينظر إلى زواجه منها كصفقة مسبقة الشروط فها هو يوضح لها دوافعه للزواج بها وهي دوافع عملية لا أثر للعاطفة فيها، ما معنى أن يقول لها إنه يريد منها أن تسد الفراغ الذي تركته زوجته إلى آخر هذا الكلام؟ ولم ترتح أشواق إليه، شعرت به رجل بلا عاطفة، وهي التي تحركها عواطفها دائماً، شعرت أنه على العكس منها لكنها لم ترد أن ترفضه تريد أن تجلس معه أكثر وأن تعرفه أكثر، وعندما سألها والدها عن رأيها بعد المقابلة، أخبرته أنها تريد مقابلته ثانية

حتى تتخذ قرارها، وفعلاً قابلته للمرة الثانية في منزل أختها حنين، وفي هذا اللقاء كانت أشواق أكثر جرأة مع عبدالرحمن، فأخبرته بصراحة عن زواجها الأول وكيف طُلقت وأخبرته أنه يوم يقوم بضربها فإن ذلك اليوم سيكون اليوم الأخير بينهما، وأخبرته أنها ترغب في الإنجاب ولن تكتفي بولديه بل تريد أولادا لها، أولادها هي، واشترطت عليه أن تبقى في عملها، إنها تحب عملها وتشعر بأهميتها وكيانها خلال إنجازاتها المهنية، ولا تريد التخلي عن كل ذلك، ووافق عبدالرحمن على طلباتها وتم تحديد موعد عقد القران والزفاف، وجاء هذا الموعد سريعاً، إنه غداً، غداً ستصبح زوجة من جديد.. نظرت أشواق إلى الساعة بجوار سريرها، إنها الخامسة صباحاً.. وارتمت فوق سريرها، فقد شعرت بالتعب، وغفت عيناها.

■■ 2 ■■

تقلبت حنين في سريرها الوثير، إنها لم تستطع النوم، لم يغمض لها جفن، ونظرت إلى الساعة بجوار سريرها فإذا هي الخامسة صباحاً، إن اليوم هو يوم زواج أختها أشواق وهي قلقة، إنها تحب أختها، تحبها كابنتها، لطالما اعتبرت أشواق ابنتها، ولطالما أحبتها بعنف.. إنها أحب إليها من نفسها، منذ طفولتها وهي تشعر أن أشواق أمانة في عنقها، وأنها رغم صغر سنها مسؤولة عنها، مسكينة أشواق، لم تكن محظوظة في حبها الأول وزواجها من طارق.. لقد احتاجت الكثير من الوقت لتخطي أزمتها، إنها قلقة عليها، صحيح أنها أقنعتها بالموافقة على الزواج من عبدالرحمن لكنها تشعر أنه مختلف تماماً عن أختها، إنه يبدو رجلاً عملياً.. جافاً، وأختها كتلة من المشاعر والعواطف، ترى هل ستسعد معه؟ وتنبهت حنين إلى كريم وهو يتحرك في نومه بجوارها، وانحنت تقبله وهو نائم على رأسه، كم تحبه، إنه مصدر سعادتها وطمأنينة قلبها، إنها لم تعرف السعادة إلا معه، مازالت تذكر نفسها في طفولتها وهي تنظر إليه من نافذة غرفتها وهو يلعب مع صبية الحي الذي يقطنونه، كان أوسمهم، وأكثرهم خشونة، كانت تشعر أنه يعيش في داخلها، وأحبته بكل إحساسها، بكل حرمانها ووحدتها، وتذكر نفسها عندما تزورهم والدته للاطمئنان عليها وعلى أختها بعد أن هجرتهم والدتها، إن والدته حنونة طيبة، وكريم دائماً يأتي معها، وكانت حنين تحادثه برقة، فرغم قوتها الظاهرية إلا أنها تحمل قلباً وديعاً طيباً رقيقاً،

لقد اضطرت أن تتخذ مظهر الفتاة الصارمة القاسية لتحافظ على قلبها، إنها تريد حماية نفسها من الأذى، وهي تكره الضعفاء ولا تحب أن تظهر ضعيفة ولا تريد أن يشفق عليها أحد، ولكنها تخلع قناعة القوة والصلابة أمام كريم، معه فقط تكون على طبيعتها، لطيفة، وديعة، طيبة وضعيفة، اعتادت حنين لقاء كريم في الحديقة الخلفية لبيتها، كانت حديقة جميلة التنسيق رغم صغرها وفي هذه الحديقة اعترف لها كريم بحبه لقد أحبها كريم، أحبها كما أحبته، شعر أنها فتاته، وكبرا معا، وأراد كريم دراسة الطب واختار طب الأسنان وحصل على بعثة دراسية لدراسة الطب في أمريكا، ولكنه لم يسافر إلى أمريكا بل حول بعثته إلى مصر، فمصر قريبة من الكويت، وسيكون من الأسهل عليه السفر إلى الكويت في المناسبات ورؤية حنين، لا يستطيع البعد عنها طويلاً، لا يطيق فراقها، وبكت حنين كثيراً ليلة سفره، حادثته طوال الليل كأنها تريد أن تتزود منه بكلام يكفيها فترة غيابه عنها، وسافر كريم ولم تنقطع رسائله واتصالاته عنها، لم تكن حنين متفوقة في دراستها بسبب ظروفها العائلية الغير المستقرة والمسؤولية الملقاة على عاتقها، وعندما تخرجت من الثانوية لم تكن نسبتها تؤهلها لدخول الجامعة، فدرست في أحد المعاهد ولم تعمل، لم يكن كريم يريدها أن تعمل، إنه يريدها له وحده، يريدها زوجة متفرغة له ولبيته وقد انتظرته حتى أنهى دراسته وأنهت هي دراستها المتواضعة وبعد أن بدأ العمل تقدم إلى خطبتها وتم زواجهما كما حلمت.

لم يكن حفل زواجهما كبيراً بل كان حفلاً عائليا على نطاق

ضيق اقتصر على المقربين، ولم تكن أمها ضمن المدعوين إلى الحفل فهي لم تغفر لأمها يوماً، ولم تحترمها أبداً، تلك المرأة الأنانية المجردة من المشاعر، إنها لم تحافظ على بيتها ولم تكف عن الشجار مع زوجها، لم تحاول إصلاحه بل اكتفت باستفزازه والتصادم معه حتى بدأ يفقد صوابه بسبب تصرفاتها معه ومحاصرتها له ومحاسبتها له على كل هفواته، لم تكن حنين تلوم أباها على ضربه لها كانت تشعر أن والدتها تستحق الضرب... وأحبت حنين أباها، إنه رجل وسيم طيب القلب ورقيق المشاعر كل ما في الأمر أن والدتها لم تكن ذكية لتغييره واجتذابه إلى حياة العائلة بعد أن عاش شبابه لاهيا مستهتراً، وعندما انفصل والداها صدمت واهتزت من الداخل، لم تتخيل يوماً أنهما سينفصلان، كان الانفصال أبعد من خيالها وهي في العاشرة من العمر، ووجدت نفسها المسؤولة عن أختها وأبيها بعد أن تخلت والدتها الأنانية عنهم، ومازالت حنين تذكر أباها وهو يبكي يوم عرف بزواج والدتها، لقد أشفقت عليه وها هو بقي بلا زواج بعد أن طلق أمها لأجل أن يحافظ على ابنتيه من مجازفة الزواج بامرأة قد لا تحبهما، وقد تحول حياتهما إلى جحيم وتحركت حنين في فراشها وتنبه كريم من نومه وقال:

ـ ألم تنامي؟

والتفتت حنين نحوه وقالت:

ـ لم يغمض لي جفن البارحة.

كريم: لماذا حبيبتي؟ ياه إنها السادسة صباحاً... لا بد أنك قلقة على أختك؟

حنين: بصراحة نعم، اليوم عقد قرانها وأشعر بالخوف.. إن عبدالرحمن يكبرها بأربعة عشر عاماً وهو فرق كبير في العمر، لا أعرف يا كريم أظن أننا استعجلنا بالموافقة.

واعتدل كريم في جلسته وقال: لا تقلقي إنه رجل معروف وأخلاقه عالية وصدقيني فرق العمر في صالحها، سيحتويها بحنانه ويدللها.

حنين: وماذا عن أولاده؟ لماذا لم يحضرهما لمقابلتها حتى الآن؟

كريم: ستراهما اليوم وقت الزفاف، اهدئي الآن وحاولي النوم، لا أريد أن تظهري متعبة أمام أشواق إنها بحاجة إلى دعمك وتشجيعك هيا يا حنين اخلدي إلى النوم واطردي هذه الوساوس عنك، وضمها إلى صدره بحب وحنان وهو يربت على ظهرها... وشعرت حنين بالأمان إن كريم هو مصدر الطمأنينة في حياتها.

ونهضت في العاشرة صباحاً وهي تشعر بصداع يثقل رأسها، واضطرت لأخذ قرصين لتهدئة صداعها، وبعد أن اغتسلت وارتدت ملابسها واطمأنت على ابنتيها خرجت إلى منزل والدها... دخلت حنين المنزل بمفتاحها الخاص فوجدت أباها جالساً إلى مائدة الإفطار.. تقدمت منه وقالت وهي تبتسم: ما هذا النشاط يا أبا حنين... رد أبوها ضاحكاً: ماذا أفعل.. أمامي تجهيزات كثيرة لزواج أختك، لولا أنني مضطر لما صحوت الآن أبداً.

ثم أردف الأب: تعالي اجلسي تناولي إفطارك معي تبدين متعبة؟

جلست حنين بجوار والدها وتناولت إفطارها معه، ولم تصارحه بأفكارها ومخاوفها حول زواج أشواق إنه أرق من أن يحتمل الشكوى ولا تريد أن تثقل عليه، كانت تحبه لدرجة أنها لا تحب أن تقلقه بأي أمر، وفي الحادية عشرة صعدت حنين لإيقاظ أشواق، دخلت غرفتها وتقول: أيتها العروس الكسولة انهضي أول مرة أرى عروساً تنام حتى هذا الوقت... ردت أشواق وهي تفرك عينيها من آثار النوم: يبدو أنني أهرب من الواقع، تجاهلت حنين المغزى من ردها وقالت: هيا حبيبتي انهضي لتتناولي فطورك ثم نذهب إلى صالون التجميل هيا.

وتناولت أشواق فطورها، لم تلتق بوالدها كان قد خرج من المنزل، وذهبت الأختان إلى صالون التجميل لإعداد العروس لهذا اليوم، وعادتا إلى المنزل في الرابعة عصراً بقيت ساعاتان على عقد القران، فقد تم الاتفاق على عقد القران في السادسة ثم ستذهب في السابعة مع زوجها للعشاء في أحد المطاعم الفاخرة ومن ثم تنتقل إلى بيته، لن تكون هنالك حفلة فهو الزواج الثاني لكليهما، وكل منهما لا يريد الاحتفال تركت حنين أختها في غرفتها لترتدي ثوبها ونزلت لتشرف على بعض الترتيبات، وقد ارتدت حنين ثوباً أنيقاً أحضرته معها هذا الصباح وتركته في غرفتها القديمة. كانت حنين طويلة القامة ممتلئة الجسد أنفها طويل بعض الشيء وعيناها جميلتان واسعتان بنيتان، تبرز أسنانها بروزاً خفيفاً، إنها مليحة الوجه لكن وجهها يوحي بالقسوة،

ربما بسبب ملامحها أو بسبب ظروفها وطفولتها القاسية لكن وجهها لا يوحي لمن يراها أنه أمام شخصية لطيفة.

وبقيت أشواق وحدها وفتحت دولابها وأخرجت ثوبها، إنه ثوب سكري اللون، أنيق وجميل وقامت بارتدائه إنه ضيق يضم جسدها ويلتف حوله وله ذيل قصير.. وبدت فاتنة كأن الله تعالى مدها بالجمال والفتنة ليخفف عنها حزنها وخوفها... وكان مكياجها بسيطاً هادئاً طبيعياً لم تحب أبداً المبالغة في زينتها، وقد رفعت شعرها بالكامل إلى أعلى فلم تترك أي خصلة حرة من شعرها ووضعت تاجاً صغيراً أنيقاً فوق رأسها.. بدت كأميرة جميلة، بدت كعروس البحر في ثوبها الضيق الجميل لقد اشترت هذا الثوب من أحد المحلات المعروفة، وهو غالي الثمن اشترته من راتبها ولم تطلب ثمنه من أبيها، خجلت أن تفعل فقد اشترى لها سابقاً ثوب زفافها الأول، أحست أنها لا تملك الحق بمطالبته بتجهيزها هذه المرة.

تنهدت أشواق ووقفت تحدق بصورتها أمام مرآتها ثم جلست لترتدي حذاءها، إنه حذاء زواجها الأول وهو غالي الثمن، لم تر داعياً لشراء حذاء جديد إنه يلائم ثوبها الجديد وهي لم ترتده منذ زواجها ثم إنه مجرد حذاء من سيلاحظه؟ ودخلت حنين إليها وشهقت... يا إلهي تبدين رائعة هتفت بها، ووصل والدهما ودخل غرفة أشواق وبهر بها أيضاً وتقدم منها بخطوات مرتبكة وقبل رأسها ثم ضمها إليه بهدوء حتى لا يفسد زينتها وأبعدها عنه ونظر في عينيها وقال: مبروك يا ابنتي سأبقى وحيداً من جديد، هذه سنة الحياة.

ردت أشواق: لن تكون وحدك سنزورك دائماً وترقرت الدموع في عينيها فصرخت بها حنين: ممنوع البكاء.. لا تفسدي مكياج عينيك.

ووصل عبدالرحمن واستقبله الأب مع كريم زوج حنين ووالده وحضر عبدالرحمن وحده دون أولاده ودون أحد من أهله.. وأخيراً عقد القران.. أصبحت أشواق زوجته ونزلت أشواق إليه وأختها خلفها تعدل ذيل ثوبها ووقف عبدالرحمن لها، لقد بهره جمالها، لم يلحظ أنها جميلة لهذا الحد، لقد تفاجأ بها وقبل رأسها وقال: مبروك يا عروسة، ردت هي: الله يبارك فيك.. شكراً.. وساد صمت طويل، ليس بينهما مواضيع مشتركة، ثم همس لها بحياء: تبدين رائعة، وابتسمت له بود.

وقالت حنين: هل تحب الصعود إلى غرفة أشواق حتى يحين موعد العشاء؟

وكرهت أشواق فكرة حنين وردت بسرعة: غرفتي في فوضى عارمة! فضحك عبدالرحمن وقال: لا بأس فأنا لم أعد غريباً عنك! وصعدا معاً إلى غرفتها.

وجاء وقت العشاء وغيرت أشواق ثوبها وارتدت ثوباً رسمياً واسع الأطراف سماوي اللون وعبدالرحمن جالس على سريرها لقد أسعدها أنه أطرى جمالها ربما تكون حياتهما سعيدة هكذا قالت في نفسها ستعطيه فرصة وستحاول أن تحبه.. وخرجا معاً ووضعت حقائبها في سيارته فهي ستذهب إلى بيته بعد العشاء.. وبكى والدها في وداعها، انهمرت دموعه بصمت وهو يضمها إليه

وانهمرت دموعها هي أيضاً، أما حنين فقد كانت قوية كالعادة وقبلتها بهدوء وهي خارجة وفي السيارة أخرجت أشواق هاتفها النقال واتصلت برقم والدتها ... رن جرس الهاتف فرد زوج أمها فقالت: مساء الخير أنا أشواق، هل أمي موجودة؟

رد الصوت عليها وقد بدا أكثر جفاء: لحظة وردت عليها أمها: أهلا أشواق كيف حالك؟

أشواق: أهلا أمي، أردت فقط إعلامك أنني تزوجت اليوم، لقد عقد قراني عصراً، وأنا الآن في الطريق إلى منزل زوجي.. لم يكن هناك احتفال فقط عقدنا القران بوجود زوجي وأبي والشهود كريم ووالده.

صمتت الأم برهة وكأنها صدمت وردت: ألف مبروك يا ابنتي، أتمنى لك السعادة ردت أشواق بانكسار: شكراً وأقفلت الخط! لم تخبرها أي تفاصيل عن زوجها بل لم تذكر لها اسمه، ماذا يهم؟ ستعرف من الناس ربما! كما تعرف أخبار أي إنسان غريب عنها.. لا يهم فقد اعتادت على ذلك.

للمرة الأولى تتجاهل هي أمها، ربما لأنها لم تكن متحمسة لهذا الزواج من الأساس، ووصلا إلى المطعم الفاخر وجلسا إلى طاولة مميزة وقد وضعت لهما إدارة المطعم باقة كبيرة من الزهور كتب عليها ألف مبروك، كان عبدالرحمن يبدو أكبر من عمره وبدت أشواق بجواره بقامتها القصيرة كأنها ابنته لا عروسه، وخلال العشاء حدثها عبدالرحمن عن أبنائه أخبرها عن طباعهما وأنهما تقبلا خبر زواجه بصمت، وأخبرها أن نوال

ابنته قد بكت.. لكنه طمأنها أن زوجته ستكون أما لها وتساءلت أشواق في نفسها كيف ستكون أما لفتاة في الخامسة عشرة وهي مازالت في السادسة والعشرين؟!

وانتهى العشاء وذهبا إلى منزله إنه منزل فخم جميل ذو حديقة كبيرة ودخلا البهو ووجدت أمامها نافورة كبيرة رائعة، وقد وضع بجوارها مرآة مذهبة كبيرة أضفت رونقاً خاصاً للمكان وأعجبتها هذه المرآة كثيراً... إن المنزل كبير وفي الطابق الأرضي صالة استقبال واسعة أثاثها ذهبي فاخر، وغرفة طعام ومطبخ كبير أشبه بمطابخ الفنادق.. وقادها عبدالرحمن إلى الطابق الأول لتجد نفسها في صالة المعيشة، كانت الأرضية من الخشب وبدت الصالة مريحة بمقاعدها الوثيرة وبها تلفاز كبير جداً كأنه شاشة سينمائية، وفي هذا الطابق تقع غرف الأولاد.. غرفة مع حمامها الخاص لنوال وأخرى لخالد، وقادها بعد ذلك إلى الطابق الثاني حيث يقع جناحهما الخاص، إنه جناح فخم جميل بأرضيته الرخامية البيضاء.. ويحتوي على صالة خاصة وتلفاز مشابه للتلفاز بالأسفل، وكان أثاث الغرفة عنابي اللون.. ونظرت إلى غرفة التبديل، كان الخدم قد أحضروا حقائبها من السيارة ونقلوها إلى غرفة التبديل الكبيرة المليئة بالدواليب والأدراج، ثم دخلت إلى مخدعها لترى سريرها إنه سرير من خشب الصاج الأصلي الفاخر المليء بالنقوش الجميلة المحفورة فيه، واقترب منها عبدالرحمن وهمس في أذنها، إنه سرير جديد تم وضعه هنا هذا الصباح.. وارتاحت أشواق لهذا التصريح، لم تكن تحب فكرة نومها في سرير زوجته المتوفاة.

وطُرق باب غرفتهما إنهما ولداه جاءا لإلقاء التحية.. كانت نوال فتاة نحيفة شعرها لافت للنظر فهو طويل يصل إلى أسفل ظهرها لونه أسود داكن ويبدو ناعماً لامعاً، وجهها نحيف، وعيناها متسعتان، لم تكن جميلة فقد كانت نحيفة جداً أكثر مما يجب!.

وبدت نوال متحفظة في سلامها، لم تقترب من أشواق ولم تصافحها اكتفت أن همست بصوت حزين بارد: مبروك..

وابتسمت أشواق في وجهها ابتسامة كبيرة وردت عليها بحرارة: شكراً يا حبيبتي، وتقدم خالد للسلام عليها وأحبته أشواق منذ وقعت عيناها عليه، كان مبتسماً والشقاوة تطل من عينيه الجميلتين، إنه صبي جميل في العاشرة من عمره حنطي البشرة كأبيه شعره أشقر داكن وعيناه بنيتان واسعتان، وهو لطيف جداً وبدا سعيداً بوجود أشواق وتقدم يقبلها وقال لها ببساطة وبراءة: إنك جميلة وصغيرة وضحكت أشواق وهي تقبله: أنت أيضاً جميل.. واستأذن الأب ليجلس في مكتبه وخرجت نوال من الغرفة وبقي خالد معها وهي تفرغ حقائبها ولم يكف عن الكلام حدثها عن مدرسته وأصدقائه وعن هواياته وحبه لكرة القدم وأشواق سعيدة به وكانت تضحك لحكاياته.. ثم قفز فجأة وخرج من الغرفة وعاد بعد برهة قصيرة وقال: انظري هذه صورة أمي.. وظهر الاهتمام على وجه أشواق ونظرت إلى الصورة كانت أمهما جميلة رائعة بيضاء البشرة شعرها أشقر داكن كشعر خالد، عيناها بنيتان داكنتان وقد بدت رشيقة جميلة في الصورة، لا بد أن خسارتها كانت مؤلمة.. هكذا فكرت أشواق ثم التفتت إلى خالد وقالت: رحمها الله إن أمك جميلة رائعة.

قال خالد: وأنت أيضاً.. هل أناديك ماما؟ ضحكت أشواق وقالت... لي الشرف في ذلك.

وصعد الأب ثانية.. كانت أشواق منهمكة في ترتيب أغراضها فقال لخالد: هيا يا خالد اخرج من هنا واذهب للنوم الساعة قاربت منتصف الليل ونريد أن نرتاح وامتثل خالد لأمر أبيه وخرج من الغرفة بعد أن طبع قبلاته على خدي أشواق... ونامت أشواق في سريرها الجديد.

3

مضى أسبوع على زواج أشواق... وحان وقت عودتها إلى العمل فقد انتهت إجازتها ولم تر داعياً لتمديدها... إن حياتها في بيتها الجديد مختلفة كلياً عن حياتها السابقة، إنها تشعر بالمسؤولية وبدأت تشرف على الخدم والمنزل منذ يومها الأول.. وحاولت قدر الإمكان الاقتداء بحنين التي لم تكف أشواق عن الاتصال بها واستشارتها بكل ما يتعلق بشؤون المنزل والأولاد.

إن خالد في المدرسة الابتدائية ونوال في المرحلة الثانوية وكانت نوال شديدة الجفاء مع أشواق ولم تكن تتحدث إليها إلا نادرا، وفي إحدى الأمسيات تجرأت أشواق وطرقت باب غرفتها وصدمت نوال بها وبدت غير مرتاحة لهذه المبادرة، فاضطرت أشواق إلى أن تنسحب من غرفتها بعد أن أحست بعدم رغبة نوال بتبادل الحديث معها، وقد احتارت أشواق كيف تعاملها وكيف يمكن أن تكسب ودها فنصحتها حنين أن تداوم على التردد إليها حتى تكسبها، وأكدت لها أنه مع الوقت ستكسر حاجز الصمت والجفاء بودها وحنانها معها، الأمر الآخر الذي أثار قلق أشواق هو طبيعة علاقتها بزوجها.. كان زوجها يصل إلى البيت في الثالثة عصراً وبعد أن يغتسل ويبدل ثيابه يتناول الغداء معها، فالأولاد يتناولون غداءهما في الثانية تماماً، وبعد الغداء يذهب عبدالرحمن للنوم، لم تعتد أشواق أن تنام فترة الظهيرة فكانت تجلس مع خالد تذاكر له دروسه، ويستيقظ عبدالرحمن في السادسة فيصلي صلاة المغرب ثم يخرج فلديه

عملاً تجارياً خاصاً يديره عصراً بعد ساعات دوامه الحكومي، ويعود في العاشرة والنصف ليلاً ويتناول العشاء ثم يجالسها قليلاً في غرفتهما ويخلد للنوم.. صحيح أنه لم يضايقها يوماً لكنها لم تكن تجد الوقت الكافي للجلوس معه، لم يكن لديه وقت يخصصه لها، تحكي له ويحكي لها.. كان دائماً جافاً... وحاولت إقناعه باصطحابها إلى العشاء أو الغداء خارج المنزل.. إن هذا الأسبوع هو الأول لزواجهما لكنه كان مشغولاً يعتذر لها بالعمل والإرهاق.. وشعرت بنفسها تضيع خلال حياتها الجديدة إن عبدالرحمن يعاملها وكأنها زوجته منذ سنين لم يسألها يوماً عن خصوصياتها، ماذا تحب وماذا تكره، أكلتها المفضلة أو لونها المفضل.. شعرت أنه لا يعرف شيئاً عنها.. بعكس زوجها الأول طارق الذي كان يعرف كل فكرة تجول في نفسها وكأنه توأم لروحها... كانت أشواق تطرد طارق من تفكيرها كلما خطر لها إنها لا تريد مقارنته بزوجها الجديد، لا تريد ذلك أبداً.

لذلك بعد انقضاء إجازتها وجدت أن العودة لعملها ستكون أفضل لها، ستعود إلى مكانها الذي تجد فيه نفسها وذاتها.

كان كريم يعمل طبيباً للأسنان في المستشفى المجاور لكلية الطب، وكان أيضاً يعطي محاضرات عملية لطلبة طب الأسنان في العيادات الخارجية ويشرف على تدريبهم، إنه طبيب ناجح مشهور وجميع الطلبة يحبونه، ربما لأنه لطيف حلو المعشر وربما لأنه وسيم وذكي فهو محبوب من الكل وفي فترة ما خطط كريم لافتتاح عيادة خاصة به.. لقد حظي بسمعة طيبة خلال عمله، وجاء الوقت للاهتمام بمستقبله الخاص، إنه يريد عيادة يعمل فيها بدوام كامل ويتفرغ لها تفرغاً تاماً.. وفعلاً وجد شقة جميلة في منطقة مليئة بالعيادات الطبية للتخصصات المختلفة، وبدأ بتجهيزها وكانت حنين سعيدة لأجله وقامت معه باختيار ديكور وأثاث العيادة الجديدة التي ما إن جهزت حتى قدم كريم استقالته من عمله وسط ذهول زملائه وأسفهم لفراقه وفي الوقت نفسه فرحتهم لأجله وتمنياتهم القلبية له بالتوفيق والنجاح في عمله الخاص، ووظف كريم سكرتيرة له، إنها امرأة متزوجة وهي شابة لبقة أحبتها حنين وارتاحت لها اسمها هناء، وافتتح كريم عيادته، ومع الوقت أصبحت مواعيده دائماً محجوزة نظراً لكثرة الزبائن الذين أولوه ثقتهم وكان هو كفؤا لتلك الثقة، إن كريم يعطي عمله اهتماماً كبيراً وهو يعمل بحب وإخلاص وعاد إخلاصه بالعمل عليه بسمعة طيبة فاقت سمعته أيام عمله بالمستشفى وامتلأت عيادته بالمرضى وذاع صيته حتى أن بعض المرضى أتوا إليه من دول مجاورة بناء على ما سمعوه عنه من إتقانه لعمله وذكائه.

ومضى على افتتاح عيادته عامل كامل.. وفي أحد الأيام أبلغته هناء أن هناك مريضة تصر على رؤيته دون موعد مسبق، وقد حاولت هناء إفهامها أن ذلك مستحيل فجدوله حافل لهذا اليوم.. لكن المريضة بدأت بالبكاء من شدة الألم، فاضطرت هناء لإبلاغه، كان كريم قد انتهى للتو من مريضته السابقة وينتظر وصول مريضه الجديد، ونظر إلى ساعته مازال هنالك وقت حتى يصل مريضه الجديد فالتفت إلى هناء وقال: حسنا دعيها تدخل، قد أصف لها بعض المسكنات على أن تعود للعلاج في الغد حسب جدول المواعيد، وفعلاً دخلت عليه المريضة.. إن اسمها شهد، كانت شهد شابة صغيرة في الثالثة والعشرين من عمرها، وهي جميلة جمالاً تعجز العين عن تجاهله.. كانت شقراء شعرها فاتح اللون ويصل إلى أسفل أذنيها، وعيناها واسعتان خضراوان، وهي طويلة القامة بشرتها بيضاء مشربة بلون وردي جميل، ولفت جمالها نظر كريم فتعاطف معها، كانت تبدو متألمة ورقدت على كرسي الفحص وفتحت فمها الصغير، إن لديها ضرساً قد تمكن السوس من نخره تماماً ووصل الضرر إلى العصب.

وقال كريم: ياه يبدو أنك انتظرت طويلاً قبل أن تقرري مراجعة طبيب الأسنان، ردت شهد بخجل: أخاف من طبيب الأسنان، فابتسم كريم وقال: لماذا الخوف؟ نحن لا نعض هنا وضحكت شهد.. وضحك معها ووصف لها نوعاً قوياً من المسكنات وأعطاها موعداً في الغد حتى يبدأ علاجها..

وجاءت شهد إلى موعدها في اليوم التالي، وبدت أجمل من

المرة السابقة فقد هدأت آلامها وبدا وجهها أكثر هدوءاً وجمالاً، وسألها كريم عن حالها ثم بدأ بالعلاج، وأخذت تراقبه وهو يعمل، إنه وسيم ويبدو شاباً جداً وأصابعه رائعة تتحرك برشاقة وخفة وهو يمسك أدوات العمل، والتقت عيناها بعينيه مراراً وهو يعمل وشعرت أنها تغوص في هاتين العينين، وانتهى كريم من عمله ونهضت تودعه، كان لديها ضرس آخر يحتاج إلى علاج بالإضافة إلى حاجتها لمتابعة حال ضرسها المريض، فأعطاها موعداً بعد أسبوع، وخرجت شهد من العيادة وهي مشغولة البال لقد أعجبها كريم كثيراً، تحس بانجذاب قوي نحوه ووصلت إلى منزلها ودخلت إلى الصالة المزدحمة بأصوات إخوتها الصغار.. واتجهت مباشرة إلى غرفتها ونظرت إلى السقف وهي تفكر، كانت شهد من عائلة فقيرة والدها موظف حكومي بسيط ودخله بالكاد يكفي أسرته الكبيرة خاصة أنه تلقى تعليماً بسيطاً لم يؤهله للارتقاء في عمله، والدتها امرأة مكافحة أنجبت سبع بنات، لطالما أرادت ولدا لكن أتت البنات تباعاً، ولم يأت الولد أبداً.. كان الأجدر بها أن تتوقف عن المحاولة لا أن تنجب كل هؤلاء الأطفال خاصة في ظل ظروف زوجها وفقره، هكذا كانت شهد تفكر، وكانت شهد هي الابنة الرابعة في ترتيبها بين أخواتها.. أختها الكبرى متزوجة لكن أختيها اللتين تكبرانها لم تتزوجا، إحداهما في السابعة والعشرين والأخرى في الخامسة والعشرين أما أخواتها الأصغر منها فإحداهن في الثامنة عشرة وواحدة في السابعة عشرة والصغرى في الرابعة عشرة... كن جميعا شقراوات لكنهن لسن على نفس الدرجة من الجمال.. إن

شهد وأختها الكبرى هما الأجمل.. وامتازت شهد عن أخواتها جميعاً بتفوقها الدراسي، إنها متفوقة في الدراسة منذ صغرها، دائماً تنال أعلى الدرجات ووالدها فخور بها، وقد تخرجت منذ شهور قليلة من كلية الهندسة ومازالت تبحث عن وظيفة، تريد وظيفة محترمة في مكان مرموق، إنها بحاجة إلى راتب مغر، تريد أن تعوض نفسها الحرمان الذي عاشت فيه طوال حياتها... ورغم أن ملابسها رخيصة الثمن لكن شهد تملك ذوقاً جميلاً فكانت تستطيع انتقاء قطع مميزة تظهر أغلى من قيمتها الحقيقية.. إن أختها التي تكبرها مباشرة جامعية مثلها أما أختها الكبرى فتحمل فقط الشهادة الثانوية، فقد تزوجت صغيرة وشغلها الزواج والإنجاب عن إكمال دراستها، ولطالما حلمت شهد بالزواج، لقد تقدم لخطبتها كثيرون.. لكنها لا تريد إلا رجلاً ثرياً ميسور الحال، تريد أن تعيش وتتمتع بمباهج الحياة إنها تعلم أنها جميلة وتقدر قيمة هذا الجمال الباهر الذي توجها الله تعالى به، وهي تريد أن تعطي هذا الجمال لرجل يستحقها، رجل يستطيع إسعادها.. ومن وجهة نظرها أن المال يجلب السعادة.. لطالما تخيلت نفسها مرتدية أفخر الثياب.. وكثيراً ما دخلت محلات المجوهرات الشهيرة وتصنعت الثراء، إن الماس حقا يليق بها، وكانت ترتدي المجوهرات مدعية أنها تجربها وأحبت شهد صورتها المنعكسة في المرآة والماس يتلألأ حولها ويضفي عليها هالة من الفخامة والجاه، لكنها لا تملك ثمنه فتخلعه من يدها وأذنيها وتعيده إلى البائع مدعية أنها ستفكر فيه أو ستحضر لاحقاً مع أمها لتأخذ رأيها فيما ستشتريه، وكثيراً أيضاً

كانت تدخل محال الماركات العالمية وكان قلبها يكاد ينخلع وهي تجرب الشنط والأحذية الباهظة الثمن وتمنت كثيراً أن تحظى بالمال للشراء من هذه المحال، لكن ذلك ليس بمقدورها، إن مصروفها زهيد... وفي الجامعة كانت تشعر بالنقص وهي ترى زميلاتها يختلن بثيابهن وحقائبهن الغالية، لكنها كانت الأجمل بينهن بلا شك، ولها الحظ الأوفر من نظرات المعجبين، ولم تكن شهد تظهر غيرتها ونقصها بل كانت تضع قناع الفتاة اللطيفة الواثقة من نفسها وذوقها.. وكان مصدر ألمها الأكبر أنها لا تملك سيارة لإيصالها، إن أختيها لم يشتريا سيارة إلا بعد أن عملتا وراتبهما يكاد لا يسد احتياجاتهما بسبب قسط سيارتيهما الذي يكاد يلتهم راتبيهما، وخلال دراستها كانت إحدى أختيها تقوم بإيصالها مبكراً إلى الجامعة قبل موعد المحاضرات حتى لا تتأخر عن عملها.. وعندما تسألها زميلاتها لم لا تقود بنفسها كانت ترد بدلع وغنج أنها تخاف القيادة، ووطدت شهد علاقتها بزميلة لها تسكن في نفس منطقة سكنها حتى تأتي معها إلى الجامعة في سيارتها الخاصة، وبعد التخرج ابتعدت تدريجيا عنها، لم تعد بحاجة إليها، ولم تحبها أبداً لتحتفظ بصداقتها بعد التخرج واليوم عندما ذهبت إلى الدكتور كريم صرفت مبلغاً كبيراً أجر زيارته، لقد أعطتها والدتها المال من مدخراتها القليلة وقد اضطرت للجوء إلى هذا الطبيب المشهور بعد أن تفاقم ألم أسنانها ولم تستفد من علاج الأسنان المجاني في المستوصف الحكومي القريب من بيتها، لكن علاجها سيطول لديه وهي لا تملك المال للمتابعة معه، تنهدت وهي تتذكر أنامله الرشيقة

تعبث بأسنانها.. إنه حقاً وسيم وبدا أنه بهر بجمالها، إنها معتادة على انبهار الجميع، لم يعد ذلك يطربها فهي تعرف قدر نفسها لكن هذه المرة هي أيضاً بهرت بالدكتور كريم، للمرة الأولى يلفت نظرها رجل، صحيح أنها تعرضت للكثير من المعاكسات لكن أحداً لم يلفت نظرها، فهذه هي المرة الأولى التي تعجب برجل ما! إنه رائع وسيم وبالتأكيد هو ثري، ليته يتقدم لخطبتها.. لعله متزوج! ترى كم عمره؟ يبدو في الثلاثين.. وانقبض قلبها وهي تفكر باحتمال كونه متزوجاً... كيف تتأكد! ستسأل سكرتيرته في موعدها القادم..

بقي أسبوع حتى تراه ثانية، ماذا سترتدي وكيف ستدفع ثمن أتعابه؟ ستستلف من أختها التي تكبرها المال وسوف تبحث بين ثيابها عن شيء مناسب، وابتسمت في نفسها برضا وترقب.. إن قلبها يخفق لمجرد فكرة لقائه، لقد أعجبها بحق... ومر الأسبوع وجاء يوم اللقاء وارتدت شهد قميصاً ضيقاً بلون البرتقال وسرحت شعرها بأن فرقته من جانب رأسها وثبتته خلف أذنيها، إن أذنيها صغيرتان جداً، كأذني طفلة صغيرة وكحلت عينيها الخضراوين بكحل أسود ثقيل فبرز لون عينيها بوضوح، واستغنت عن أحمر الشفاه، لن يصمد خلال علاج ضرسها وشدت نفسا عميقاً وأوصلتها أختها التي تكبرها مباشرة إلى العيادة، كان اسمها سلمى وهي جذابة الشكل وهي الأقرب إلى شهد من باقي أخواتها، سألتها سلمى خلال الطريق: ما كل هذه الزينة، تبدين متحمسة لطبيب الأسنان، ما الخطب؟

ردت شهد: أبداً.. لكنني شعرت بالزهق وأنا أنتظر الموعد

فتزينت على هذا النحو.

صمتت سلمى ولم تعلق، لم يبد أنها اقتنعت بهذا العذر لكنها فضلت السكوت ووصلت شهد أخيراً وقلبها يخفق، ودخلت العيادة وحدها على أن تتصل بأختها من تلفون العيادة عندما تنتهي لتقلها إلى البيت، وجلست في قاعة الانتظار.. وابتسمت في وجهها السكرتيرة ببرود، ونهضت شهد من مقعدها واقتربت من مكتب هناء... ثم قالت: لقد تحسنت حالتي كثيراً إن الدكتور كريم رائع.

ردت هناء: إنه يتقن عمله.

شهد: العيادة مزدحمة دائماً.. أتساءل إن كان لديه الوقت للاهتمام بحياته الخاصة.

هناء: بالتأكيد، إنه يعرف كيف ينظم وقته.

شهد: هل لديه أولاد؟

هناء: لديه ابنتان.

وانقبض قلب شهد.. وقالت: وزوجته طبيبة؟

ردت هناء: لا لكنها سيدة رائعة، ثم أردفت كأنها تغيظ شهد: والدكتور يعشقها، فقد تزوجها عن حب، أحبها منذ الصغر، لقد أحست هناء أن شهد تميل إلى الدكتور فأرادت أن تضع النقاط على الحروف، لذلك استرسلت في حديثها عن حياة الدكتور الشخصية وهو ما كانت ترفض الخوض فيه مدعية عدم المعرفة، لكنها هذه المرة شعرت أن شهد تشكل خطورة على

الدكتور وأسرته إن حاولت التمادي في التقرب منه فهي شابة رائعة الجمال، طاغية الأنوثة ولعل الحقائق التي ذكرتها لها تكفي لصدها عنه.

وقرع الدكتور جرساً ليأذن بدخول المريض التالي، ودخلت شهد واستقبلها كريم بحفاوة وهو يسألها بلهفة عن حالها، وتمددت أمامه على مقعد الفحص وشعرت برغبة في البكاء.. إنها معجبة به حتى النخاع... تكاد تجن به إعجاباً ولهفة، لكنه متزوج لا فائدة...

وبدأ عمله وانتهى بعد ساعة من الوقت واعتدلت شهد في جلستها... وجلس على مكتبه يصف لها بعض الأدوية وسألها: أخبريني يا شهد.. هل تعملين؟

شهد: لا يا دكتور تخرجت من مدة قصيرة ومازل أبحث عن وظيفة جيدة.

كريم: ما هي شهادتك؟

شهد: هندسة كمبيوتر، وللعلم لقد تخرجت بامتياز مع مرتبة الشرف.

رد كريم وقد ظهر الاهتمام على وجهه: لدي صديق يمتلك شركة خاصة أظن تخصصك مطلوب لديه ما رأيك أن أتوسط لك للعمل عنده؟

شهد: أتمنى ذلك يا دكتور.

كريم: حسناً جهزي أوراقك وسوف أكلمه من أجلك وأعلمك

بالموعد، بل سآتي معك بنفسي لأوصي عليك. سأعطيك رقم هاتفي النقال، اتصلي بي غداً مساء حتى أعلمك بما تم.

ردت شهد بفرحة: حسنا.. أشكرك كثيراً يا دكتور كريم.

كريم: لم أفعل شيئاً حتى الآن يستحق الشكر، توظفي أولاً ثم اشكريني كما يحلو لك.

وضحكت شهد بسعادة وخرجت تتصل بأختها لتنقلها إلى المنزل.

5

جلست حنين مع أختها أشواق في أحد المطاعم تتناولان طعام الإفطار، كان اليوم السبت وهو عطلة البنوك ويوم إجازة أشواق الأسبوعية، فانتهزت الفرصة لملاقاة أختها والحديث معها.

حنين: لدي أخبار جديدة..

أشواق: خير؟

حنين: أنا حامل..

تركت أشواق الملعقة من يدها وقالت: مرة أخرى يا حنين؟

حنين: أريد ولداً..

أشواق: ألم تتفقي مع كريم على تأجيل الإنجاب أكثر من ذلك؟

حنين: اتفقنا لكنني قررت المحاولة من جديد.. أنا في الثلاثين الآن وإن لم أنجب الولد الآن متى سأنجبه؟

أشواق: مازلت شابة.

حنين: ماذا عنك؟ أليس هناك شيء في الطريق؟

أشواق: لا ولم أعد أهتم.. وما أهمية أن يكون هناك طفل بيننا وأنا من الأساس لا أكاد أراه، كما أننا تقريباً لا نتحادث، هل أنجب طفلاً لأتولى تربيته وحدي.

حنين: لا تقولي ذلك زوجك مشغول بعمله لا تظلميه.

أشواق: أنا أظلمه؟ مضت ستة شهور على زواجنا.. إنني أقضي وقتاً مع ابنه خالد أكثر من الوقت الذي أقضيه معه، دائما مشغول خارج البيت وحتى أثناء وجوده في البيت يسرح بعيداً يفكر في العمل، إنه بلا إحساس، لوح ثلج، تصوري حتى أنه لا يلاحظ ما ارتديه، أشعر بالملل والزهق من هذه الحياة الجافة.

حنين: اهدئي يا أشواق.. ماذا حدث لك؟.. حياتك تحسدك عليها الكثيرات.. إنك تعيشين في قصر، يحيط بك الخدم والحشم وزوجك مشغول بعمله وهو لم يقصر معك.

أشواق: لا يهمني المال.. أريد زوجا أحيا بقربه، أحس بحبه واهتمامه، زوجا يعرف ما يجول في نفسي، أذكر أنني عندما كنت متزوجة من طارق كان يحس بما أريد دون أن أتكلم.

حنين: ماذا تقولين؟ هل جننت! إياك والمقارنة.. إن كل رجل يختلف عن الآخر ولا يجوز لك التفكير بطارق وأنت على ذمة رجل غيره.. يا إلهي لم أعرف يوماً مازلت تفكرين بطارق وتذكرينه.

أشواق: لم أجد من ينسيني إياه حتى الآن..

ردت حنين بصرامة: اسمعي إن ما تقولينه جائر وخطأ كبير أن تقارني بين الرجلين.. طارق أصبح من الماضي، وقد تزوج بأخرى وأنت الآن أيضاً زوجة لرجل آخر.. اطرديه من تفكيرك وحاولي أن تبدئي حياة جديدة مع زوجك، احمدي الله أن عوضك بزوج مثل عبدالرحمن، وأنصحك بإنجاب طفل منه حتى

ترتبطي به أكثر وتشغلي عقلك بتربيته بدلاً من هذه الترهات التي تفكرين بها.

صمتت أشواق ولم ترد.. إن حياتها حقاً باردة.. إن عبدالرحمن تزوجها كخادمة لأولاده ومدبرة لمنزله، هكذا تحس.. لقد رجته مراراً أن يخرجا معاً.. أن يقضيا بعض الوقت مع بعضهما، لكن لا فائدة إنه دائماً يجد مئات الأعذار كي يتهرب منها.. إن علاقتهما الزوجية في تدهور مستمر، إنه لا يسعى إلى إرضائها ولا يهمه إشباع عواطفها.. يتحدثان عن مصروف البيت وعن الأولاد.. لا يوجد موضوع آخر مشترك بينهما.. إن خالد هو الوحيد الذي يشغل وقت فراغها، أما نوال فهي مازالت جافة وقاسية معها، إنها لا تسمح لها حتى بدخول غرفتها، وقد حاولت ثانية التسامر معها، دخلت حجرتها فاتسعت عينا نوال غضبا وتركت الحجرة وخرجت مدعية أنها ترغب في مشاهدة التلفاز، وأُحرجت أشواق من تصرفها، وفهمت أن نوال لا ترغب بصحبتها. إنها تغار منها بالتأكيد.. لا ترى مبرراً لتصرفاتها سوى الغيرة، إنها تتجاهل وجودها تماماً وحتى عندما تحاول سؤالها عن المدرسة ترد عليها باقتضاب وبرود يثيران أعصابها.. ومع الوقت أصبحت أشواق تعاملها بالمثل، كانت تقول لنفسها: لم عليها أن تتحملها، ولأجل ماذا؟ إذا كانت تتصرف هكذا فهي أيضاً ستفعل مثلها، إنها ليست بحاجة إليها، تلك الطفلة الغبية المدللة. وهكذا اتخذت أشواق موقفاً سلبياً من نوال.. بل وتعمدت تجاهلها واحتقارها.. لن تنزل إلى مستواها.. وليست في حاجة إليها.

أما عبدالرحمن فقد لاحظ الفتور بين زوجته وابنته لكنه لم

يسع لتقريب بينهما .. كيف يقرب بينهما؟ إن الأجدر به أن يقرب نفسه من زوجته أولا حتى يستطيع السيطرة على الوضع بينهما بالمقابل.

انزوت نوال في ركن بعيد في ساحة المدرسة بعيداً عن زميلاتها، إنها تحب الجلوس وحدها.. مضى زمن منذ قضت وقتها في الفسحة في اللهو مع صديقاتها.. منذ توفيت والدتها وهي حزينة متألمة، كانت في الثالثة عشرة آنذاك وكانت صدمتها كبيرة عليها.. كم افتقدت أمها، تلك الأم الحنونة الجميلة الرائعة، لقد بكتها كثيراً واشتاقت إليها كثيراً بل ودعت الله كثيراً أن يلحقها بها سريعاً.

وعندما قرر والدها الزواج بعد عامين من وفاة أمها، لم تستطع نوال منعه أو حتى لومه، إن البيت بحاجة إلى امرأة تديره، ولو أنها تمنت أن يبقى أبوها بلا زواج إخلاصاً لذكرى أمها، لكن هل يخلص الرجال لذكرى زوجاتهن الراحلات؟ لا تظن ذلك! قد تخلص المرأة لذكرى زوجها لكن الرجل من النادر أن يبقى بلا زواج إن توفيت زوجته، تلك الحقيقة أدركتها نوال رغم صغر سنها، وعندما تزوج والدها من أشواق لم ترتح نوال إليها، ربما لأنها في الأساس لم تتقبل فكرة زواجه ورغم محاولات أشواق التقرب منها في البداية إلا أن نوال ازدادت نفوراً منها بعدأن بدأت بتجاهلها.

إنها تشعر بوحدة قاتلة حتى أخوها خالد التصق بزوجة أبيها وأصبح يجالسها أكثر مما يجالس أخته، ربما وجد لديها الحنان الذي افتقده. تقدمت هدى من نوال.. كانت هدى زميلة لها..

عُرفت بأنها فتاة مشاغبة وأنها ابنة عائلة كبيرة شهيرة بنفوذها ومركزها الاجتماعي المرموق، كما عُرفت هدى بحسنها، فهي تبدو أكبر من عمرها وكأنها في الثامنة عشرة رغم أنها في سن نوال لم تتعد الخامسة عشرة، ولم تكن هدى صديقة مقربة من نوال، كانت علاقتهما لا تتعدى الزمالة بحكم وجودهما في ثانوية واحدة.

وقالت هدى بلهجة آمرة لنوال: أريد التحدث معك في موضوع خاص.

ردت نوال بارتباك: خير.. ماذا تريدين مني؟

هدى: سأدخل في صلب الموضوع.. بصراحة أنا أقوم ببيع حبوب للتخسيس إلى الطالبات والإدارة تشك بي منذ مدة، وبما أنك فتاة هادئة وسجلك نظيف فإنني أرغب بتوظيفك لدي، ما رأيك أن تحتفظي بالحبوب لديك وتقومي بتسليمها إلى الطالبات حسب تعليماتي وسأعطيك نسبة من الأرباح؟

ردت نوال وقد شعرت بالزهو لاختيار هدى لها وتملكها روح المغامرة: هذه الحبوب هل هي مخدرات أم حبوب تخسيس؟

ردت هدى: قلت لك حبوب تخسيس، أمي تستوردها من تايلاند وتبيعها إلى صديقاتها والنتائج مذهلة.

نوال: لماذا وثقت بي يا هدى، ألا تخشين أن أشي بك عند الناظرة؟

هدى: إن فعلت فإنني سأناصبك العداء وسأحول وجودك في

المدرسة إلى جحيم، لن تنجي من مكائدي صدقيني.

صمتت نوال تفكر.. لم لا تساعدها؟. ستحصل على المال، صحيح أن والدها لم يقصر معها يوماً، لكنها تتوق إلى تجربة هذا الشعور بالتحدي والمغامرة، تريد أن تجازف وأن تحس بالحماس والإثارة في حياتها الموحشة.

فقالت: حسناً أنا موافقة.

وابتسمت هدى ابتسامة ماكرة وقالت: حسنا سوف أزورك في المنزل وسنتفق على التفاصيل.

ودق الجرس إيذاناً ببدء الحصص من جديد.

وصلت شهد إلى مقر عملها الجديد باكراً قبل وصول بقية الموظفين، لقد تم تعيينها في شركة السيد حامد صديق الدكتور كريم، مازالت ذكرى لقائها الأول به حاضرة في ذهنها، لقد تعينت بسرعة قياسية، كانت قد اتصلت بكريم فأخبرها أنه حادث صديقه بشأنها واتفقا على الغد كي تتم المقابلة الشخصية، وأخذت منه عنوان الشركة، وأوصلتها أختها إلى هناك وعندما دخلت وجدت كريم أمامها، لقد جاء بنفسه ليدخل معها ويوصي حامد عليها، وفرحت بوجوده وشد ذلك من عزيمتها فبدت واثقة من نفسها ومن قدراتها.. ولم ترتح شهد كثيراً لصاحب الشركة، شعرت به متملقاً منافقاً ولم ترتح إلى نظراته لكن الوظيفة المغرية التي عرضها عليها تستحق أن تغض النظر عن سماجته، كما أنها لن تعمل معه بشكل مباشر، بل سيكون مديرها رجلاً آخر ظهرت الطيبة على محياه عندما استدعاه حامد ليختبرها ويتعرف عليها.

لقد مضى أسبوع على هذه الأحداث وقد اتصلت البارحة بكريم لتشكره ولتعلمه أنها ستبدأ العمل في الغد، وها هي اليوم تبدأ عملها بعد طول انتظار، ياه كم فرح أهلها وقد أخبرتهم أن دكتور الأسنان هو من توسط لها وأمطروه بالدعوات والأمنيات الطيبة.

وبدأ الموظفون بالتوافد إلى الدوام وضجت الشركة بالحركة المستمرة وجلست إحدى الموظفات لتدرب شهد على نظام العمل.

وفي الساعة الواحدة ظهراً استدعاها السيد حامد إلى مكتبه.. وذهبت إليه وهي منقبضة الصدر، ماذا يريد منها، لكنها عندما دخلت انشرح صدرها كادت تطير فرحاً وهي ترى كريم بشحمه ولحمه أمامها.

قال كريم: جئت أطمئن على الموظفة المثالية في يومها الأول، وبعد حديث قصير معه عادت شهد إلى عملها.

فقال حامد محدثاً كريم: ما الحكاية يا دكتور؟ هل أوقعت بك الفتاة؟

كريم: حرام عليك يا حامد، فتاة محتاجة وقد ساعدتها.

حامد: يبدو الأمر أكثر من ذلك هيا اعترف، إنها تعجبك صحيح.

كريم: إنها جميلة.. لكنني متزوج وأحب زوجتي، صدقني لا شيء هناك سوى أنني متعاطف معها كما أنني مخلص لبيتي وعائلتي.

فقال حامد بصوت كالفحيح: سنرى كم سيدوم إخلاصك المزعوم يا كريم.

وخرج كريم من الشركة ووصل إلى المنزل وتفاجأ عند دخوله بحنين وهي تبكي بكاء مرا، جزع وقال: ما الأمر؟

ردت حنين بانفعال: كنت عند الطبيب اليوم، وأخبرني أن المولود القادم بنت.

ضحك كريم وقال: لقد أرعبتني بحق، ولِمَ البكاء.. بنت أو ولد لا فرق لدي.

ردت حنين وقد ارتفع صوت نشيجها: أريد ولدا يا كريم.. ولد يحمل اسمك، لا تنكر أنك أيضاً تريد الولد.

رد كريم: أنت تريدين وأنا أريد والله يفعل ما يريد، احمدي الله على نعمته هناك أشخاص حرموا نعمة الإنجاب ويحلمون بظفر هذه البنت التي في أحشائك، وصمتت حنين لكنها لم تستطع السيطرة على مشاعرها، إنها محبطة، لقد سيطر عليها هاجس إنجاب الولد لدرجة أنها فقدت اتزانها وعندما خرج كريم إلى عيادته مساء.. سيطرت عليها الأفكار فخطر لها أن تجهض نفسها! لم لا تتخل عن الجنين، ووقفت على مقعد عال وقفزت.. وظلت تقفز مراراً حتى شعرت بألم شديد في ظهرها وأحست بالإعياء وأخيراً استلقت على ظهرها وآلامها تشتد وشعرت ببدء نزيف ينذر بالخطر، وفجأة أحست بالخوف، كيف فعلت ذلك! وتملكها الندم والجزع واتصلت بكريم وأخبرته أنها تعاني ألما وتقلصات في بطنها وظهرها وجاءها كريم مسرعاً ونقلت حنين إلى المستشفى، ووقف كريم قلقا خارج غرفة الفحص إنه متأكد أن حنين حاولت إجهاض نفسها، وكانت هذه الفكرة تثير غضبه إلى أشد درجة لكنه تمالك نفسه نظراً لحالتها، فأمسك هاتفه النقال واتصل بأشواق وأخبرها أن تأتي إلى المستشفى وخرج الطبيب وصافح كريم واستدعاه إلى مكتبه باحترام فكلاهما يزاول مهنة الطب وقال له: بصراحة يا دكتور كريم، أظن أن زوجتك قد حاولت إسقاط حملها، لقد عاينتها هذا الصباح وتحت إلحاحها أخبرتها بجنس المولود القادم، وما إن علمت أنها تنتظر بنتاً حتى بكت وانهارت ولم ينفع كلامي لها بخطأ ما

تفعله، حالتها صباحاً لم تنذر بإمكانية حدوث مضاعفات لها، لقد حاولت إسقاط الحمل بالتأكيد وهذا مؤسف جداً، على العموم الجنين بخير واستطعنا وقف النزيف وحالتها مستقرة نوعاً ما، لكنها ستبقى في المستشفى إلى حين أقرر خروجها.

وتنفس كريم الصعداء.. الحمد لله لقد أنقذ الله طفلته الجديدة.. وشد على يد الطبيب مصافحاً وشكره على جهوده.

ووصلت أشواق ومنذ رآها كريم انفجر غضبه وأخبرها بما فعلته أختها، وحاولت تهدئته رغم أنها أيضاً كانت غاضبة مثله ولم تجد عذراً لفعلة أختها، ودخلا الغرفة إلى حنين وتقدمت أشواق تضمها.

وركزت حنين عينيها على وجه كريم الغاضب فقال كريم بصوت قوي واضح: اسمعي، أقسم بالله إن حدث شيئا للمولودة القادمة فإن ذلك سيكون آخر يوم بيننا.. مفهوم؟ وخرج من الغرفة وصفق بابها أمام ذهول الأختين.. إنها المرة الأولى التي ينطق فيها كريم كلمات ترمز إلى الإنفصال.

عادت حنين إلى منزلها بعد خروجها من المستشفى، لم يزرها كريم بعد ذلك اليوم الذي هددها فيه، كانت تشعر بغصة كلما تذكرت غضبه منها، وقد عرف والدها بما فعلته ولامها أشد اللوم، وهو من أوصلها اليوم إلى بيتها بل وأوصاها بالاعتذار من زوجها ومراضاته، وبمجرد دخولها المنزل اندفعت ابنتاها نحوها.. إن أريج في السابعة من عمرها وهبة في الخامسة، وضمتهما حنين بحب وشوق ودموعها تجري على خديها، لقد غابت عنهما ثلاثة أيام بدت كالدهر بالنسبة لها.. لطالما كانت حنين أماً حانية، إنها تعشق طفلتيها ولطالما كانت ضعيفة أمامهما.. إنها تعوض فيهما حرمانها هي من أمها، فكانت تغدق عليهما الحب والحنان والتدليل، إن محاولتها إجهاض نفسها بسبب رغبتها الجامحة في إنجاب ولد يحمل اسم زوجها وليس لأنها لا تحب البنات، مجرد اندفاع في لحظة يأس وقد ندمت عليه أشد الندم، وصعدت حنين إلى غرفتها وطفلتاها تقفزان حولها وتحكيان لها عن أحوالهما خلال فترة غيابها.. وبدأت حنين بتغيير ملابسها وجلست تنتظر كريم.

ووصل كريم في الواحدة ظهراً ودخل الغرفة فتفاجأ بوجود حنين التي بادرته قائلة: كريم....، لدي كلام أريد قوله إليك، أولا أريد الاعتراف بالخطأ الذي اقترفته بحق نفسي وحقك عندما حاولت الإجهاض.. لقد كنت يائسة ولم أكن أعي فداحة جرمي وقتها، أنا آسفة ونادمة واستغفرت الله كثيراً على فعلتي، وأعدك

أنني لن أكررها ما حييت.

صمتت قليلا ثم قامت واقفة واقتربت منه حتى أصبحت بمواجهته تماماً وقالت: كريم، كيف هنت عليك أن تتركني في المستشفى دون أن تسأل عني؟ لم تقسُ علي هكذا أبدا من قبل؟

كريم: لقد أغضبني تصرفك حقاً.

حنين: انظر إلي.. كيف استطعت الصبر عني؟

ونظر كريم في عينيها.. وخفق قلبه بعنف.. إنها حبه الكبير.. حب العمر كله.. وفتح ذراعيه وضمها إليه وقبل رأسها وأخفت وجهها في صدره تحتمي به من ضعفها ودموعها.

كان كل من يعرف نوال يلحظ التغيير الكبير الذي طرأ عليها، لقد تغيرت إلى النقيض تماماً، أصبحت إنسانة أخرى، بدت نوال أكثر جرأة في تصرفاتها، لم تعد تلك الفتاة الهادئة الحزينة المنطوية على نفسها، أصبحت مشاغبة صاخبة جريئة وتقضي معظم وقتها على الهاتف تحادث هدى، أصبحت لا تفترق عنها، ففي الوقت الذي لا تكون فيه معها كانت تحادثها باستمرار وكأنها توأم لها، وتغيرت طريقة لبس نوال.. بدأت تهتم باختيار الملابس التي تظهر صباها وأنوثتها المتفتحة، وبدأت تستخدم مساحيق التجميل ولم يعجب ذلك أباها.. ولم يحب أن يكلمها فطلب من أشواق أن تفعل، وفعلاً حاولت التلميح لها بذلك لكن نوال ردت عليها بوقاحة لدرجة أن أشواق تمنت لو استطاعت صفعها وتحطيم رأسها لتحسن الأدب معها.

كانت نوال قد أصبحت وسيطة لبيع حبوب التخسيس للطالبات ومعظمهن يشترين أيضاً لقريباتهن من خارج المدرسة. إن الطلبات لا تكف والربح يتصاعد وهدى لم تقصر مع نوال في شيء، إنها تغدق عليها بالمال وذلك غير الهدايا القيمة التي تهديها لها بعد كل عملية ضخمة، فالهدية تأتي حسب حجم طلبية البيع، ولم يشك أحد بنوال، فهي لم تظهر التغيير الذي طرأ عليها وعلى شخصيتها في المدرسة بل استمرت بتمثيل دور الفتاة الانطوائية الهادئة التي لا حول لها ولا قوة ولم تكن هدى تجالسها أبداً في المدرسة كي لا يكتشف أحد صداقتهما خاصة

أن هدى مراقبة والعين عليها من قبل إدارة المدرسة.. لكنهما تلتقيان يومياً للمذاكرة والاتفاق على صفقات البيع سواء في منزل نوال أو في منزل هدى الذي اعتادت نوال زيارته، وكانت أم هدى تسافر كل شهرين إلى تايلاند لاستيراد البضائع والحبوب، وعرفت الأم أن نوال شريكة ومساعدة لهدى فاختصتها بسوار جميل يحمل اسمها صنع خصيصا لها وفرحت نوال بهذه الهدية ولم تعد تخلعها من معصمها أبداً.

ومع الوقت بدأت نوال تهمل دروسها تماماً فعقلها مشغول بالبيع ولم تعد تجد في نفسها ميلاً للدراسة، فتدهور مستواها الدراسي بشكل ملحوظ وحذرتها مدرساتها من هذا الانحدار، إنها في المرحلة الثانوية ومدرستها تطبق نظام المقررات بحيث تؤثر جميع درجاتها في كافة المراحل الدراسية على معدل تخرجها وانخفض معدلها في ذلك الفصل، وعندما حان وقت اجتماع أولياء الأمور لم تعط دعوة الاجتماع إلى والدها الذي اعتاد الذهاب لسؤال المدرسات عنها بل مزقت الدعوة بلا مبالاة ورمت بها في سلة المهملات.

ولم تكن أشواق ترتاح إلى هدى، فهي تسلم عليها بوقاحة واستهتار، لكن أشواق قررت أن تتجاهل نوال تماماً كما قررت عدم التدخل في شؤونها وخصوصياتها فكانت ترد على هدى بأسلوب أكثر وقاحة وأكثر استهتاراً كأنها تتحداها.

ـ لقد اشتقت إليه.

جلست شهد مقابل سلمى أختها وهي تحكي لها عن الدكتور كريم، كانت ليلة باردة من فصل الشتاء.. والمطر يهطل بغزارة خارج المنزل وبقيت الأختان تتسامران قبل النوم، وفجأة وجدت شهد نفسها تصارح أختها بإعجابها بالدكتور كريم، وصدمت سلمى، ولامتها كثيراً، إنه متزوج وتزوج زوجته عن حب وله منها ابنتان.. أي حب هذا الذي ينبني على تعاسة آخرين.. لكن شهد لم تقتنع بكلام أختها، أحست أنها هي الضحية وليست زوجة كريم وأخذت تدافع عن نفسها قائلة: ما ذنبي إن وقعت في حبه وهو متزوج.. إنه القلب وما يهوى، قلبي ليس في يدي.

واستمرتا في النقاش بلا فائدة وأخيراً خلدت سلمى إلى النوم وبقيت شهد تفكر وحدها.. لم تر كريم منذ توظفت.. لقد مضى على عملها في الشركة شهرين وهي سعيدة في عملها وقد تفوقت بشهادة الجميع، ومنذ الشهر الأول اشترت سيارة فخمة رائعة حمراء اللون بالتقسيط، إنها تملك راتباً الآن.. وقد أنفقت ما تبقى من راتبها على شراء الملابس، إنها تكاد لا تكتفي، تريد أن تعوض النقص والحرمان اللذين عاشتهما طويلاً.

ولم تعرف شيئاً عن كريم طوال تلك المدة، لم يأت إلى الشركة ولم يسأل عنها ولم تجد هي عذراً للاتصال به.. يبدو أنها لا تعني له أكثر من فتاة قام بخدمتها ومساعدتها حتى تعمل، لا يكنّ

لها شيئاً خاصاً، لكنها تشعر بغريزتها أن كريم يميل إليها، فقط ينقصه التشجيع، سوف تشجعه.. ماذا تريد منه؟ إنها تريده أن يتزوجها.. لم لا؟ إن الشرع حلل له الزواج، ولن تكون آخر من تتزوج من رجل متزوج، وهو وسيم، ثري، ناجح وهي تحبه.. وفكرت شهد كيف يمكنها اقتحام حياته من جديد.. وعندما جاء الصباح ذهبت إلى عملها وعيناها على ساعتها تنظر إليها بين حين وحين وعندما جاء موعد بدء دوام العيادة اتصلت وردت عليها هناء فطلبت منها شهد أن تحدد لها موعداً لتنظيف أسنانها.. إنها تملك المال الآن فلتقم بالتنظيف إنها حجة ملائمة حتى تراه من جديد وفعلاً أعطتها هناء موعداً في الغد.

وفي اليوم التالي بدت شهد مميزة بثوبها الأخضر الفاتح الطويل الملتصق على جسدها المتناسق والمشابه للون عينيها الجميلتين، وقد ظهرت ساقاها من فتحات طويلة على جوانب الثوب.. ساقان متناسقتان كأشعة الشمس.. وقد اكتفت بزينة عينيها كالسابق ودخلت على كريم.. وكاد يشهق لفرط جمالها، وهب لها واقفاً وهو يمد يده مصافحاً، لم يكن معتاداً على مصافحة النساء من زبائنه، لكنه وجد نفسه يمد يده نحو شهد ليحتضن أصابعها الرشيقة في يده.. وترك يدها بعد أن ضغط عليها وسألها عن عملها وأحوالها.. وتمددت شهد أمامه وفتحت فمها ليقوم بعمله، وعادت عيناهما تلتقيان وغاصت هي في عينيه، ووضعت في عينيها نظرة جديدة، إنها تدعوه إليها بلا شك، نظرة كلها تشجيع ورغبة وحب وانتهى كريم.. وبقيت هي على حالها لم تعتدل في جلستها وبقي هو جالس على الكرسي

بجوارها .. ومدت شهد يدها واحتضنت يده وهمست: كريم، لقد اشتقت إليك.. لم أطق صبراً حتى أراك.

واقترب كريم من وجهها وأنفاسه تصطدم بأنفاسها.. ولم يدرك نفسه إلا عندما دخلت ممرضته المساعدة لتقطع عليهما هذه اللحظة ليوقّع ورقة ما، وصرفها كريم، وعاد إلى شهد.. عاد إليها بلهفة وانهارت حصونه المنيعة.

مكتبة
t.me/t_pdf

كان عبدالرحمن جالساً في الصالة عندما نزلت أشواق من الطابق العلوي وهي بكامل أناقتها لتقف أمامه مباشرة وهي تسأله:

ألن تأتي معي؟

فأجاب: إلى أين؟

استفزها جوابه فعادت تقول بحدة:

إلى أختي في المستشفى، أخبرتك منذ الصباح أنها ولدت وأريدك أن تأتي معي لزيارتها.

عبدالرحمن: كيف أزور امرأة في المستشفى؟ أزورها في البيت بعد أن ترتاح.

قالت أشواق بعصبية: أنت لست غريباً، بما أنك زوجي أريدك أن تشارك عائلتي مناسباتها.

واستمرت المناقشة ولم يذهب عبدالرحمن معها وخرجت أشواق وهي تكاد تنفجر من الغيظ، ووصلت المستشفى حيث وضعت حنين طفلتها الثالثة، وقبل أن تدخل الغرفة رسمت على شفتيها ابتسامة مصطنعة، ودخلت لتجد أختها في السرير تتناول عشاءها، وابنتاها تلعبان وقالت لها: مساء الخير، أنت وحدك؟

ردت حنين: كريم هنا، ذهب ليطل على المولودة الجديدة. وفي تلك اللحظة دخل كريم، كانت أشواق قد التقت به صباحاً

عندما ولدت الطفلة الجديدة، كم بدا سعيداً وقتها، وقال كريم ووجهه يشع من الفرح: لقد اخترت لها اسما.

ابتسمت حنين وقالت: ما هو؟

كريم: سأسميها غالية.. إنها ابنتي الصغيرة الغالية.

ومدت حنين يدها له فتناولها بيده وجلس على حافة السرير، ودخل الأب الغرفة وقامت أشواق تعانقه وهي تقول: أصبحت جداً للمرة الثالثة يا عجوز.

فرد الأب: وأريد أن أصبح جداً للمرة الرابعة على شرط أن يكون الحفيد من أولادك أنت.

وصمتت أشواق.. لقد مر عام على زواجها ولم تحمل، وبصراحة إنها لا تهتم، لم تفكر بمراجعة الطبيب، إنها تريد أن تكون أما لكنها ليست متحمسة لحقيقة أن يكون عبدالرحمن أبا لأولادها.

■■12■■

دخلت سكرتيرة القسم مكتب أشواق وقالت: صباح الخير، المدير يريدك.. هاتفك مشغول منذ الصباح.

أشواق: الهاتف معطل جار إصلاحه الآن، أنا قادمة.

واتجهت أشواق نحو مكتب مديرها، إنه تكن له كل تقدير واحترام، فهو رجل محترم، وقد وثق فيها كثيراً فكان لها النصيب الأكبر من التقدير والاهتمام بسبب نشاطها وذكائها وإخلاصها في العمل.

طرقت الباب ودخلت وبعد أن تبادلا التحية قال لها: هناك موظف جديد حديث التخرج تم تعيينه في قسمنا.. درجاته عالية، ووالده رجل أعمال معروف كما أن حساباته وتسهيلاته جميعها في بنكنا.. أريد منك تدريبه بنفسك وتعليمه أسس العمل، وهذه توصية خاصة مني.

أشواق: سأفعل ما بوسعي.. ما اسمه؟

المدير: اسمه باسل.. سيأتي قريباً وسوف أرسله إلى مكتبك مع السكرتيرة.

وبعد أن تناقشا قليلاً في أمره، عادت أشواق إلى مكتبها وانهمكت في عملها، وبعد ساعة جاءت السكرتيرة لتقدم لها باسل.. كان باسل في الثانية والعشرين من عمره.. متوسط الطول.. أبيض البشرة، شعره مرتب مصفف بعناية ويبدو مرتبكا وخجولاً.. وألقى التحية على أشواق وعرفها بنفسه وتركتهما

السكرتيرة معاً.. وابتسمت أشواق وأشارت إليه بالجلوس وأخذت تتجاذب معه أطراف الحديث عن دراسته وكليته وأخيراً عرّفته بطبيعة عمل القسم وبدأت تشرح له خطوات العمل بتأن وهو يكتب الملاحظات ويسألها عن ما يستعصي عليه فهمه، بدا لها ذكياً، فأسئلته دقيقة وقد أعجبها ذلك.. وبعد فترة قالت له: لقد مضت علينا ساعتان ونحن نعمل، ما رأيك باستراحة؟

فقال: حسناً.

وطلبت له ولها فنجانين من القهوة، وساد صمت.. وأخيراً سألها: كم سنة عملت هنا؟

أجابت: خمس سنوات.

رد باسل: صحيح! تبدين حديثة التخرج.

ضحكت أشواق وقالت: لا.. كم تعطني من العمر؟

باسل: تبدين في الرابعة والعشرين على الأكثر.

ضحكت أشواق وقالت: يا ريت.. أنا في السابعة والعشرين.

باسل: أنت متزوجة؟

أشواق: نعم.

باسل: وأنا خاطب.. سأتزوج قريباً.

أشواق: صحيح؟

باسل: إنها زميلتي في الجامعة.. أحببنا بعضنا من العام الأول وخطبتها قبل التخرج.. اسمها إيمان.

أشواق: ألف مبروك.. أتمنى لكما التوفيق.. وعادا إلى العمل.

جلس كريم متململا في الصالة وهو ينتظر على أحر من الجمر.. وأخيراً دخل عليه الرجل الذي كان في انتظاره.

وبدأ كريم بالكلام بثبات: سيدي.. يشرفني أن أتقدم إليك لطلب يد ابنتك شهد.. وكلي أمل بقبول سيادتك، وبدأ كريم يشرح ظروفه التي سبق وشرحتها شهد إلى عائلتها.

كانت قد قضت الأيام السابقة في عراك مستمر مع عائلتها ليوافقوا على زواجها من كريم، لقد تطورت علاقتها به، وأصبحت له الهواء الذي يتنفسه ومنذ البداية طلبت منه الزواج وتفننت في استدراجه إليها، وفعلاً انجذب كريم إليها باندفاع، نسي حبه لزوجته ونسي بناته الثلاث، نسي كل مبادئه وانقاد وراء الصبا والجمال والفتنة، لقد حلل له الشرع الزواج وهو يريد شهد ولا يقوى على فراقها.. لكن علاقته بشهد أعمته عن الحب والعشرة التي بينه وبين حنين، وتزينت له فكرة الزواج وقد كان انشغال زوجته عنه في فترة ما بعد الولادة والاهتمام بالطفلة الصغيرة قد ترك مجالاً كبيراً له للانشغال بشهد.

ولقد لجأت شهد إلى حيلة معروفة كي يعجل في الزواج منها وهي أن هناك من تقدم لخطبتها وأن والدها موافق ويفرضه عليها.

وقد اشترط كريم أن يكون زواجهما سرياً، لا يريد أن تعلم زوجته حاليا.. واشترط على شهد تأجيل الإنجاب حتى تستقر

ظروفهما وأن تترك عملها في الشركة، وكانت شهد تحاول إقناع أبيها بجميع الحجج التي خطرت لها ولمّحت له أن أختيها اللتين تكبرانها لم تتزوجا، فمن يدريها أنها سوف تتزوج، كما أن سيل الخطاب الذين تقدموا إليها قبلاً وردتهم قد انقطع الآن، فقد عُرف عنها أنها تريد عريساً ثرياً فلم يخطبها أحد منذ تخرجها، وهي تحب كريم ومع إلحاحها وافق والداها وهما غير مقتنعين وجاء كريم يخطبها ووافق أباها على شروطه، واشترط عليه مؤخراً عالياً ليضمن ألا يتساهل في التفريط بها، فمستقبل ابنته غامض غير مضمون، إنه يزوجها كأنه يرميها في البحر، وحتى بعد أن أعطى كريم موافقته وحدد معه موعد عقد القران بقي نادماً قلقاً. وحاولت سلمى أن تثني شهد عن هذا الزواج، إنها تشفق على أسرة كريم لكن أسرته هي آخر ما يهم شهد.

واستأجر كريم شقة لتكون عش الزوجية تقع فوق عيادته تماماً مما يسهل عليه لقاء شهد.. وتزوج كريم، وشهد على العقد السيد حامد صاحب الشركة التي عملت فيها شهد سابقاً وصاحب العمارة الذي استأجر منه كريم الشقة والعيادة فكلاهما صديق حميم له ولن يبوحا بسره، وقد نظم كريم حياته الجديدة بحيث لا تشعر حنين بزواجه، كان يخرج من بيته في التاسعة تماماً كما اعتاد سابقاً إلا أنه لم يعد يتناول إفطاره مع حنين وادعى أنه يتبع ريجيماً وسيكتفي بشرب القهوة معها، فيذهب إلى شهد لتناول إفطاره ويبقى معها حتى العاشرة ثم ينزل إلى عيادته ويعمل حتى الواحدة ويغادر إلى منزله، لقد اتفق مع شهد أن تتناول غداءها عند أهلها يومياً وهو عند زوجته.. وفي الرابعة يخرج من منزله

إليه ويبقى معها حتى السادسة لم يعد يأخذ أية مواعيد قبل السادسة، وعندما ينهي عمله في التاسعة يصعد إليها ساعة أو ساعتين وإن اتصلت حنين تعذر لها ببحوث ودراسات كان يعدها حقا في السابق.

ولم تشعر حنين بشيء، شعرت ببعض التباعد في علاقتها بزوجها لكنها لم تتصور أن في حياته امرأة أخرى، فلطالما وثقت بحبه وإخلاصه لها.. إنه حب عمرها كله إنه واحتها الخضراء ورجلها الحنون، لم يخطر لها أن واحتها الخضراء غدت جرداء قاحلة وأن الرجل الحنون أصبح غادراً مخادعاً وامتلأ قلبه بالمشاعر لامرأة أخرى.

أما شهد فكانت سعيدة، فكريم أغرقها بالمال والهدايا، وشقتها تبدو كجناح من قصر أسطوري، أثاثها فخم ورائع والتحف من أغلى ما يكون وقد تفتح جمالها وبدت أكثر أنوثة وسحراً وكريم يحبها بجنون، إنه يكاد يجن أيام العطل عندما تحاصره زوجته وتجبره على الخروج معها.. وهي سعيدة بكل ذلك، لكنها كانت تأمل أن تحمل من كريم رغم اتفاقها معه على تأجيل الإنجاب.. لكنه حريص حقاً على ألا تنجب منه ولم تستطع الاعتراض فذلك شرطه منذ البداية.. وكانت تقول في نفسها إنها ستنجب منه عاجلاً أم آجلاً، لن تفسد سعادتهما، مازالا يعيشان في بحر من العسل.. ومرت ستة أشهر على زواجهما وبدأت شهد تتوق إلى متطلبات أخرى، لقد سئمت اختباءها مع كريم في المنزل، تريد الخروج معه، أن تذهب إلى المطاعم والسينما، تريد أن تتنزه معه.. إنها لا تخرج معه إلا نادراً وفي زيارات خاطفة إلى

أهلها أو إلى أحد المطاعم التي تقدم وجبات سريعة يأكلانها في السيارة، تريد أن تزهو به وتتعلق بذراعه أمام الآخرين.. وعندما جاء الصيف توسلت إليه أن تسافر معه لكن زوجته وبناته معتادات على السفر العائلي في الصيف ولم يرد كسر خواطرهن... لكنه عوضها بعد رجوعه من السفر بطقم من الماس شعرت بالزهو وهي تسمع سعره، وقد اشترى لها سيارة رائعة فخمة بعد أن سدد أقساط سيارتها السابقة بالكامل وقام ببيعها كتعويض لها عن شعر العسل وسفره بعيداً عنها في الصيف.

ومرض والد شهد في تلك الفترة وأدخل المستشفى وذهب كريم معها لزيارته، وكانت شهد تدخل ملتصقة به كأنها تصرخ في وجه الجميع إنها زوجته وأن هذا الرجل لها... وعند خروجهما وشهد تتأبط ذراعه سمع كريم صوتاً من خلفه يصيح كريم!! التفت هو ليجد أشواق في مواجهته تماماً، كانت قد جاءت لزيارة زميلة لها في العمل وضعت طفلاً في هذا المستشفى، وتفاجأت عندما شاهدت كريم أمامها متأبطاً ذراع امرأة غير أختها..

وقف كريم صامتاً لا يقوى على الكلام.. فسألته أشواق قائلة: من هذه يا كريم؟

ردت شهد هذه المرة: أنا زوجته شهد..

■■14■■

أعطى كريم المفاتيح إلى شهد لتعود إلى البيت وشد أشواق من ذراعها وجلسا في كافيتريا المستشفى، واحتاجت أشواق إلى كل تركيزها وقتها لتتحكم في أعصابها وهي تستمع إلى كريم، إنه يخبرها أنه متزوج منذ ستة شهور وأنه يحب حنين ولا يريد أن يجرحها وكلام كثير بدا لأشواق أنه بلا معنى ولا مصداقية، كيف يحب رجل امرأة ثم يتزوج غيرها إنها لا تفهم هذه الجزئية.. ولا تعرف إن كان هذا ممكناً، كل ما تعرفه أن حياة أختها ستنهار قريباً، أختها الحبيبة.. كيف ستكون ردة فعلها، وعند هذه النقطة وضعت أشواق رأسها بين كفيها وبكت.. لم تستطع مقاومة دموعها، وصمت كريم وقد أحس بوقع المأساة عليها.. وطلب منها إخبار حنين بزواجه، فرفعت رأسها وهي تكاد تبصق في وجهه، وأخبرته أنها لن تفعل ذلك، لن تكون الشخص الذي ينقل لحنين أنها طعنت من أحب الناس إليها، لا لن تفعل ذلك أبداً، إن كان هو من أقدم على خيانتها فليتحمل نتيجة أفعاله وليصارحها بما اقترف في حقها.

دخل كريم منزله ممتقع الوجه، سيضطر إلى إخبار حنين بأمر زواجه.. صعد إلى الطابق العلوي ودخل حجرة بناته، فلكل واحدة منهن حجرة منفصلة لكنهن ينمن في حجرة واحدة ليلاً لأنهن يخفن النوم وحدهن.

كنَّ جميلات كالملائكة الصغار، وانقبض قلبه وهو يفكر في مصيرهن، لم يفكر بعواقب زواجه سابقاً لكنه اليوم سيواجه العواقب..

ودخل حجرة نومه ووجد حنين في أتم زينتها تنتظره، ولم يستطع النظر في عينيها.. وهتفت به: كريم ماذا حدث؟ وجهك ممتقع، هل أنت مريض يا حبيبي؟

كريم: حنين... لدي ما أقوله لك.. أرجوك إن كنت تكنين لي ذرة من مشاعر استحلفك بها أن تستمعي إلى ما سأقول وألا تتسرعي في الحكم علي... تغير وجه حنين وتملكها القلق وكاد الخوف يشلها وهي تقول: خير ماذا حدث؟ أرجوك لقد توترت أعصابي.

كريم: تعرفين أنك حبي الأول.. وأنك عزيزة عليّ وأنك أم بناتي اللاتي لا أحب شيء في العالم أكثر منهن...

قاطعته حنين: أرجوك أخبرني ماذا حدث؟

كريم: أنا جداً آسف يا حنين.. وصدقيني إن ما حدث لن يغير

من مشاعري نحوك أو من وضعنا معاً شيئاً.. ولن أقصر معك في شيء.. أرجو أن تسامحيني بقلبك الكبير...

قالت حنين وقد أخذ منها الرعب كل مأخذ: ماذا حدث بالله عليك؟

كريم: لقد تزوجت من أخرى.. منذ ستة شهور.

إنه ظلام... ظلام حالك أسود اللون.. لا ترى من خلاله شيئاً.. ظلام اليأس والضياع.. الألم والغدر.. الخديعة والخيانة، البيت الذي انهدم والحلم الذي ضاع.. العمر الذي ذهب سدى والحب الذي أضحى وهما.. صورة الأسرة التي أصبحت سراباً.. هكذا عاشت حنين ليلتها بعد أن أبلغها كريم بخبر زواجه.. كل ما تعرفه أنها انهارت، لطمت خديها حتى أدمتهما.. شدت شعرها، ضربت نفسها، حطمت صور كريم التي تملأ غرفتها وبقي هو واقفاً يقول كلاماً يزيد النار اشتعالاً.. كلاماً جارحاً يزيد ألمها كلاماً لن تستطيع تصديقه، أي حب واحترام لديه وقد تربعت أخرى على عرش قلبه!..

واتصلت بأشواق التي أتت إليها في منتصف الليل.. أوصلها عبدالرحمن وقد اضطرت لإخباره بزواج كريم.. لم يعلق بشيء.. وباتت أشواق معها.. وبات كريم في الدور الأرضي.. لم تنم حنين، بقيت تصرخ وتبكي طوال الليل وكريم يخاف أن يصعد إليها.. لم يرها هكذا أبداً، وفي تلك اللحظات ندم على زواجه من شهد، لقد آلمه حال حنين وصحت بناته مذعورات والخدم يهدئنهن، فأمهن لا تريد رؤية أحد.. إنها ليلة لا مثيل لها.. وجاء الصباح وطلبت أشواق من كريم أن يصعد إلى حنين إنها تريد أن تراه.. وصعد وهو يرتجف ووقف أمامها كتلميذ مذنب أمام أستاذه، وقالت له وهي لا تنظر إليه وقد انهارت كلياً: تأتي إليّ بعد أسبوع لأخبرك بقراري النهائي لما سيحل بحياتنا معا.. لا

أسطيع التفكير حالياً..

قال كريم: بصوت مرتعش: حنين أنا...

حنين: أخرج الآن لا أريد أن أسمع شيئاً.

فاستدار خارجاً وهو يقول: أنا جداً آسف وخرج من البيت.. وذهب إلى شهد وصُدمت وهي تراه في هذه الحالة، وأخبرها بما جرى.. واستمعت إليه وقلبها يرقص فرحاً.. ولم تُبد له فرحها، أخيراً عرفت زوجته.. عليه أن يعدل بينهما سيبيت معها كريم أخيراً، سيقسم لياليه بالتساوي بينهما، هكذا يقول الشرع، ستظهر معه علنا وستنجب منه، ستنجب له ولدا، وداعبت مشاعرها هذه الفكرة فابتسمت برضا وسعادة في داخلها ووضعت على وجهها قناع الوجوم.

وكريم يحكي لها عن حنين ومدى تأثرها بما حدث.. وخففت عنه شهد قائلة: ليست أول من يتزوج عليها زوجها ثم أن ذلك حقك.. وأنت لن تتخلى عنها.. غدا تعتاد على الأمر.. وأخبرها أنه سيمكث معها أسبوعاً كاملاً حتى تنتهي المهلة التي طلبتها حنين للتفكير في وضعها الجديد.. وفرحت شهد بذلك.. أخيراً زوجها سيبقى معها.. أسبوعاً كاملاً لها وحدها ولم تستطع إخفاء فرحها هذه المرة.

جلست أشواق أمام باسل في مكتبها والحزن مرتسم على وجهها، لقد أصبحت صداقتهما متينة، واعتاد كلاهما الحديث عن نفسه وحياته خلال فترة الراحة من العمل، بل إن كُلا منهما عندما يجد نفسه بلا عمل يقوم بمساعدة الآخر، لقد اندمجا معاً كما لو أنهما يعرفان بعضهما من مدة طويلة، حدثته عن حياتها وعن زواجها الأول وعن طلاقها، وحدثته عن عبدالرحمن وأبنائه وعن حياتها الجافة معه، لا تعرف كيف قالت له كل ذلك، لقد شعرت أن من السهل على الإنسان أن يحكي معاناته لشخص غريب عنه، قالت له الكثير حقاً وكذلك فعل هو، حكى لها عن حبه لإيمان وخطبتهما ووصفها لها بأجمل الصفات ولم تستطع أشواق أن تنكر أنها تتضايق كلما سمعته يمتدح إيمان، تشعر أنها لا تحبها وأنها لا تستحق باسل.. كانت تؤنب نفسها لشعورها هذا.. وتحاول أن تبرر ذلك الشعور بمبررات لا معنى لها.

وها هي اليوم منهارة أمامه بسبب ما حدث لأختها، كان الدوام على وشك الانتهاء... ولم يتسن لهما الحديث مطولاً عن مشكلة أختها، وهو يعلم أنها تحب أختها كل الحب، فأحزنه أن يراها في هذه الحال دون أن يحاول مواساتها والتخفيف عنها.. فخطرت على باله فكرة وقال: عزيزتي أشواق هوني على نفسك.. الحزن لن يفيدك بشيء، أختك تحتاج إليك فكيف تقدمين لها العون والدعم وأنت في هذه الحال!

ردت أشواق بصوت حزين: ماذا أفعل ليت الأمر بيدي.

باسل: بقيت دقائق وينتهي الدوام ما رأيك أن نشرب شيئاً في المقهى المجاور للبنك؟ نستطيع التحدث هناك في الأمر..

فوافقت أشواق بلا تردد وانتهى الدوام وخرجا معاً إلى المقهى المجاور وقد ركن كل منهما سيارته في مكان قريب، وجلسا متقابلين وبدأ باسل حديثه معها، وأخذ يخبرها أنه يجب عليها التحكم في مشاعرها وأن تبدو صلبة لتشد من عزيمة أختها حتى تتخطى أزمتها.

قالت أشواق: أنت لا تتخيل حالها.. إنها تكاد لا تنام.. فأنا أبيت معها منذ أسبوع واليوم سيأتي زوجها لتبلغه قرارها.

باسل: وماذا قررت؟

أشواق: صدقني لا أعرف، إنها لا تكف عن البكاء والتفكير ولا تكاد تتحدث، لم تقل لي أي شيء، تبدو وكأنها في عالم آخر، تصور أنها لا تأكل شيئاً أحاول إقناعها بالساعات لتقبل بقضم لقمة خبز واحدة، وبناتها لا يعرفن ما حدث، أخبرتهن أن والدهن مسافر في عمل.. الوضع سيء وحزين إلى أقصى درجة..

تنهد باسل وقد أشفق على الأختين وقال: وماذا عن زوجها ألم يتصل بها؟

أشواق: لا، لقد طلبت منه أسبوعاً لتقرر مصيرهما معا واليوم موعدها معه وأنا خائفة جداً عليها.

باسل: لا تتركيها وحدها اليوم.

أشواق: بالطبع لن أفعل.

ورن هاتف باسل فنظر إلى اسم المتصل، إنها إيمان وارتبك قليلاً وقال لأشواق: إنها إيمان.. ماذا أقول لها؟

ولم ترد أشواق عليه وسكت رنين الهاتف.

■■ 18 ■■

كانت أشواق جالسة في البهو في منزل أختها عندما وصل كريم، بدا لها أنه كبر عشر سنوات، وقد نحف عن السابق، ولم ترد أشواق تحيته إليها بل نظرت إليه باحتقار وكره وقالت ببرود: تفضل حنين قادمة الآن.. وقد نبهت حنين على بناتها بعدم الخروج من غرفهن، لم يعرفن بوجود أبيهن.

وجلس كريم وقلبه مقبوض.. لقد مر الأسبوع كأنه دهر، وقد تعذب كثيراً وهو يسترجع صورة حنين عندما أخبرها خبر زواجه، حنين زوجته وأم بناته، حبه الأول، حب طفولته وصباه، لطالما خفف عنها ألمها وعذابها لم يتصور يوماً أنه سيسبب لها كل هذا الألم والعذاب، وكان حقاً خائفاً أن يصيبها مكروه، لقد اتصل خلسة بالخدم وأخبروه أنها منهارة لا تكف عن البكاء ولا تكاد تأكل أو تنام وقد أصبح هو أيضاً مثلها، ورغم وجوده قرب شهد إلا أنه لم يعد يقترب منها فهو بحاجة إلى الاختلاء بنفسه ومراجعة حساباته، كما أنه قلق بشأن قرار حنين، ماذا لو طلبت الطلاق! إنه لا يريد طلاقها، لا يريد أن يشرد بناته، ولا يريد التخلي عن حنين نفسها، لقد كانت دائماً له وحده، وحاولت شهد إخراجه من هذه الحالة، إنها لم تكن تعرف أنه سيتأثر لحال زوجته إلى هذه الدرجة، كانت تتساءل إن كان يهتم لأمرها وبمشاعرها لماذا إذن تزوج عليها! وشعرت بالقلق حيال قرار زوجته، كانت شهد تخاف أن تخيره حنين بينهما، لم تكن متأكدة أن كريم سيختارها فحاله منذ عرفت زوجته يدل على أنه لا

يزال يكن لها الكثير من المشاعر، لكن شهد أقنعت نفسها أخيراً أن كريم يشعر بتأنيب الضمير، أجل إنه يحس بالذنب لأنه تزوج على حنين وليس لأنه يحبها، وهدأت مخاوفها قليلاً لكن عندما خرج كريم للقاء حنين ليعرف قرارها لم تستطع تمالك أعصابها وخرجت إلى منزل أهلها لعل بقاءها بينهم يهديء من روعها.

نظرت حنين إلى نفسها في المرآة... ستلتقي الآن بكريم، زوجها الذي ظنته أوفى رجل في الدنيا، إنها أحياناً تتساءل إن كان زواجه عليها حقيقة أم كابوساً مفزعاً سرعان ما تستيقظ منه وتنتهي... لكنه واقع مرّ أليم تكاد تعجز عن تحمله، إن عالمها انهار من حولها يوم عرفت بزواجه، ولا تزال صدمتها كبيرة، ياه كم يبدو وجهها حزينا، إن قلبها يرق على حالها وهي تشاهد السواد تحت عينيها، كان وجهها شاحباً وكأن معالمه قد انهارت، عيناها متورمتان وقد هزلت كثيراً، كأنها شجرة انقطع عنها الماء، فجفت وتداعت، لقد واجهت واقعها بشجاعة، وعرفت ماذا ستفعل، لقد اتخذت قرارها.. إنها لا تملك الوظيفة التي ستصرف منها على نفسها، ولا تريد العودة إلى منزل أبيها، فوالدها صارحها قبل فترة أنه ينوي الزواج وسيخبر أشواق عندما يحدد الموعد.. لقد صبر طويلاً وهو وحده في البيت الآن وله كل الحق في الزواج، ثم هناك بناتها، فلديها ثلاث بنات، لا تريد أن يكن بناتاً لأم مطلقة، سيؤثر طلاقها سلباً على حياتها وهي لا تستطيع إعالتهن وحدها فحياتهن مرفهة وهي لا تستطيع توفير مطالبهن ولا حتى دفع تكاليف المدرسة الخاصة التي تدرس فيها ابنتاها أريج وهبة، ثم إن غالية صغيرة جداً كيف تشردها من بيتها، نعم لقد اتخذت قرارها.

نزلت حنين والعزم يطل من عينيها الحزينتين ورأسها مرفوع بشموخ وهي تداري ألمها وعذابها، ووجدت كريم أمامها وقد وقف

لنزولها، ووجدت أشواق أمامها مرتبكة والخوف يكاد يشلها، إنها خائفة مما سيحدث في هذه المواجهة وتتوقع أسوأ العواقب، وهمت أشواق بالخروج فأشارت لها حنين قائلة: ابقي معنا يا أشواق، أريدك معي.. فصمتت أشواق وهي تشعر بالحرج، وقالت بصوت خفيض: قد تكون بينكما أمور خاصة، ابتسمت حنين بسخرية وقالت: لا يا أشواق كل ما بيننا تعرفينه... وأريدك هنا لتسمعي قراري..

ونطق كريم للمرة الأولى وقال: أرجو أن تبقي معنا يا أشواق.

إنه يخاف أن تطلب حنين الطلاق ووقتها سيحتاج وجود أشواق لعلها تثنيها عن ذلك وتعينه على تهدئتها وتغيير رأيها.

وجلست حنين فجلس كريم وجلست أشواق بجوار أختها وساد صمت قصير ثم تكلمت حنين وقالت: أريد أن أقول كل ما في نفسي، ولا أريد أي مقاطعة حتى أنتهي.. صمتت قليلاً ثم أكملت: منذ صغري وأنا أتحمل أخطاء غيري، منذ صغري وأنا أفعل ما يريده الآخرون أو ما يضطرونني لفعله، أمي هربت من مسؤولياتها وطلبت الطلاق، ورمت بأعبائها عليّ واضطررت للقيام بهذه الأعباء وأنا طفلة صغيرة وقمت بها دون أن أختار ذلك أو أرغبه، والدي بعد طلاقه اعتمد عليّ في إدارة البيت، وأصبحت مسؤولة عن حياته وراحته، اضطرني أن أحل مكان والدتي وفعلت ما أراده لي، أشواق أرادتني أماً لها، وهذا الشيء الوحيد الذي رغبته حقاً، أن أكون أمك يا أشواق.. لم أشعر يوماً أنك عبء عليّ بل أنت ابنتي وأغلى شيء في حياتي، وانهمرت

دموع أشواق في صمت...

فأشاحت حنين بوجهها عنها ونظرت إلى كريم وقالت: أنت الرجل الذي أحببته منذ طفولتي أردتني أن أدرس تخصصاً سهلاً وأن لا أعمل وأن أبقى في بيتك لرعاية بناتك وأنا كالمعتاد مستسلمة لكل ما يريده مني الآخرون وفعلت كل ما أردته مني يا كريم، وأخلصت لك بكل جوارحي، وها أنا الآن أجني ثمرة الحب.. غدراً وخيانة..

حاول كريم الكلام فأشارت حنين بيدها وهي تقول: لم أنته بعد.. لقد اتخذت قراري يا كريم ولا أريد أعاتبك أو أن أستمع إلى دوافعك.. اتخذت قراري لأنني شخصية مضحية ولأنني أم تخاف على بناتها، سأبقى على ذمتك يا كريم..

وتنفس كريم الصعداء وكذلك فعلت أشواق، وعادت حنين تقول: سأبقى لكن ليس كزوجة لك.. فما عاد لك أي حقوق زوجية عليّ، سأبقى معك لأجل بناتنا وحياتهن، من هذه اللحظة ستقيم أنت مع زوجتك الجديدة، لا أريدك أن تنام هنا في بيتي، عش حياتك كلها معها، وعندما تريد رؤية بناتك فلك كل الحق في ذلك، تدخل وقتما تشاء ولكن ليس لك الحق في الاقتراب مني أو التدخل في شؤوني، ليس لك أي التزام بي... وقد وضبت لك جميع أغراضك ووضعتها في حقائب في الطابق العلوي، خذ ما تشاء منها والباقي سننقله إلى حجرة الضيوف التي ستكون حجرتك التي يمكنك استعمالها كيفما تشاء..

قال كريم: حنين، أرجوكِ..

حنين: أرجوك أنت، احترم رغبتي ولو لمرة واحدة، وإن كان ما قلته لا يروق لك فلا خيار لي سوى الطلاق.

فرد كريم بسرعة: لا يا حنين.. لا طلاق سيتم.. أنا موافق على كل ما تريدين.

ونهضت حنين واقفة وقالت: حسنا، تستطيع أخذ أغراضك الآن، تركته وذهبت إلى غرفتها.. وأقفلت الباب بالمفتاح ولم تبك، إن قلبها يبكي ولكن عيونها لا تبكي، ونظرت إلى نفسها في المرآة وقالت: أعاهدك يا نفسي أن أعيش لأجلكِ فقط.. أعيش فقط لأجل حنين.. فقط حنين.

جلست أشواق أمام باسل في المقهى المجاور للبنك بعد انتهاء الدوام، لقد تعودا على اللقاء بعد ساعات الدوام ليتحدثا عن حياتهما، إن أشواق تحس أن باسل هو طبيبها النفسي، أصبحت تكره العطلة الأسبوعية لأنها تحرمها من جلستها اليومية معه، أصبحا يلتقيان في المقهى يوميا لساعة كاملة، يطلبان شراباً أو حلوى ويتحادثان.. أصبحت لا تخفي عنه شيئاً في حياتها ولا يخفي عنها شيئاً في حياته.. لقد مضى على تلك المواجهة بين حنين وزوجها شهر كامل، وانتقل كريم ليعيش مع شهد وهو يمر يومياً لرؤية بناته، وقد قامت أشواق بشرح الوضع الجديد لهن بطريقة مبسطة وبكت أريج وهدأتها أشواق وأخبرتها أن لا شيء سوف يتغير لكن كل شيء في حياة أختها تغير.

قال باسل: ماذا تقصدين أن كل شيء تغير؟

أشواق: حنين تغيرت كليا، إنها تقضي وقتها بالكامل في صالونات التجميل، لقد جعلت شعرها المتماوج أملسا منسدلاً على كتفيها كالحرير، وخسرت الكثير من وزنها، أصبحت تستطيع أن تلبس ملابسي، واشتركت في ناد صحي وتمارس السباحة يومياً.

باسل: هل يصرف كريم عليها كما في السابق؟

أشواق: لقد اعتاد على تحويل مصروف البيت إلى حسابها شهرياً، ولا يزال يفعل وهي لا تحادثه أبداً، وكلما جاء لرؤية

البنات تكون خارج المنزل أو تدخل غرفتها وتقفل الباب.

باسل: لاتزال غاضبة، ثم إنها تدلل نفسها وتهتم بصحتها ولياقتها، أنا أرى أن ذلك في صالحها.

أشواق: لا أعرف يا باسل، لكنني قلقة عليها أتعلم إنها سوف تخضع غداً إلى عملية لتجميل أنفها!

باسل: حقاً! معقول! كم عمرها الآن؟

أشواق: في السنوات الأولى بعد الثلاثين..

باسل: لا تزال شابة.. مسكينة.. هل هي جميلة مثلك؟

شعرت أشواق بالخجل وباسل يطري جمالها للمرة الأولى.. وشعرت بشيء آخر، لقد أحست بالزهو وبالسعادة وقالت: في عيني هي أجمل مني.. إنها قطعة مني لا تعلم كم أحبها.

باسل: بل أعلم يا أشواق، صدقيني أعلم.

وابتسمت أشواق في وجهه، كم هو قريب منها، إنه صديقها الوحيد.. لقد أخبرته بأشياء كتمتها طويلاً في نفسها وكان لها خير منصت وخير معالج، وتذكرت عبدالرحمن وتعكر صفو نفسها وهي تذكره.. ما أبعده عنها.. إنه يكاد لا يعرف عنها شيئاً ومن الجيد أنه يحفظ اسمها! لا يعلم ماذا تحب وماذا تكره، كما يجهل الكثير من التفاصيل التي لم يكتشفها داخلها، والأكثر من ذلك إنه لا يعلم بماذا تحس أو تشعر، مجرد امرأة تزوجها لتدير بيته وتهتم بابنه خالد.. الذي لايزال ملتصقاً بها ولايزال صديقها الثاني الصغير.

21

جلست شهد في الصالة في شقتها، لقد نزل كريم للتو إلى عيادته، وتكاسلت عن رفع أطباق الفطور، فجلست على أريكتها المفضلة مقابل الشباك الذي يطل على العمارات المزدحمة في هذه المنطقة حولها حيث يتراءى لها الشارع العام، وسرحت في أفكارها..

لازالت تذكر قلقها يوم ذهب كريم لمواجهة زوجته وسماع قرارها.. لقد عادت من منزل أهلها لتجد كريم في الشقة قبلها، وقد جلس في الصالة وحقائبه أمامه، تقدمت منه والسؤال يطل من عينيها.

فقال كريم: سأعيش معك.. وسأكون لك وحدك.

اتسعت عيناها دهشة، وقالت: ماذا حدث؟

ابتسم كريم ابتسامة مسكينة وقال: لقد طردتني من حياتها، جردتني من حقوقي عليها، وها أنا الآن ليس لدي امرأة غيرك.

ابتسمت شهد ورمت نفسها في أحضانه وهي تقول: أهلا بك هنا إذن.

وقد شرح لها كريم لاحقاً كل ما قالته حنين وهي سعيدة أن كريم سيقيم معها.. كان ذلك رائعاً وأكثر مما حلمت.. إن حنين تركته لها تماماً، لها وحدها.. إنها لا تريده، ستستغل ذلك ليمحو كريم اسمها من ذاكرته، سوف تجذبه إليها وتسيطر على مشاعره، وبدت شهد دائماً في كامل زينتها، لا تفعل شيئاً سوى التزين

له، وتفننت في تحضير وجباته، وملأت البيت بالزرع الداخلي الأخضر، واشترت طيوراً، إنها تحب تغريد الكناري فوضعت طيرين متقابلين يتسامران تغريداً ويملآن الشقة مزحاً.

إنها سعيدة بوضعها الجديد.. لكن كريم يبدو غير سعيد، تحس أنه حزين، إنه يقابل كل ما تفعله بالمديح ولكنه لا يتفاعل معها ومع سعادتها وفرحها.. ثم إنه يخرج يومياً إلى العيادة ثم يعود إلى الشقة فيتناول السلطة فقط وتلح عليه أن يأكل غداءه فيأكل باقتضاب وهو ينظر إلى الساعة مراراً وما إن يحين وقت عودة بناته من المدرسة إلى البيت تجده يجري خارجاً ليتغدى معهن.

وهي خائفة أن تكون كل هذه اللهفة إلى زوجته وليست إلى بناته، إنه يقول إنها لا تحادثه، وكلما دخل إلى المنزل ووجدها قامت من أمامه ودخلت غرفتها، وأصبحت تتعمد أن لا تكون في البيت عندما يأتي.. هل يحن كريم إليها؟ هل يفتقدها؟ إنها لا تعلم وتخاف أن تسأله إنها تريده أن ينساها تماماً، لا لن تذكرها أمامه وأفضت شهد بمخاوفها إلى أختها سلمى التي أخبرتها أن ذلك طبيعي، وأن كريم عاش طوال حياته على نمط معين ومن الطبيعي أن يشعر بالارتباك عندما تغير هذا النمط، وطمأنتها أنه مع الوقت سيعتاد على حياته الجديدة وسيعتاد عليها وحدها، لكنها غير مقتنعة، تحس أن كريم يحب حنين..

انتفضت شهد من جلستها واستوت واقفة، دائماً تنتفض وهي تفكر في هذه الفرضية، لا إنه لا يحبها، لو كان يحبها ما تزوجها هي عليها، إنه مرتبك وستواصل الاعتناء به واجتذابه حتى يرتبط بها وحدها وإلى الأبد...

■■ 22 ■■

هل أنت جاد يا أبي؟

قالت أشواق هذه الكلمات بصوت يفيض بالعجب والاستنكار.

وعادت تقول: تريد الزواج بعد كل هذا العمر.

الأب: ولِمَ لا، يا ابنتي لقد أصبحت وحيداً بعد زواجك وزواج حنين، أنا في حاجة إلى زوجة تؤنسني، إنكما مشغولتان بحياتكما، وبالكاد تأتيان لزيارتي، حتى حنين منذ تزوج عليها كريم وهي لا تسأل عني بتاتا، وكلما اتصلت بها أشعر أنها في عالم آخر بعيد عني.

وسكتت أشواق، إن أباها محق، لم تستكثر عليه الزواج، إن ذلك حقه بلا شك، وقامت واحتضنت والدها وهي تهمس: ألف مبروك يا أبي أتمنى لك كل السعادة. وربت الأب على ظهرها وقبلها فوق جبينها.

نظرت حنين إلى وجهها في المرآة، لقد أصبحت المرآة صديقتها المقربة في الفترة الأخيرة، لقد تغير وجهها كثيراً عن السابق، فبعد العملية التجميلية التي أجرتها لأنفها بدت مختلفة، اختفى أنفها الطويل ليحل محله أنف صغير مرفوع الطرف أضاف نعومة ورقّة على ملامح وجهها، وظهرت عيناها أكثر جمالاً وعمقاً، وقد قصت شعرها وأسدلته بنعومة على كتفيها بعد أن قامت بتمليسه تماماً، وأضافت خصلا بنية اللون كلون عينيها إلى شعرها الجميل.. ووقفت حنين تتأمل جسدها..أصبحت تميل إلى النحافة، بدت رشيقة في ثوبها الضيق الذي يحيط جسدها ويلفه، إنها مدعوة اليوم إلى العشاء عند والدة كريم، وقد عرفت والدته بزواجه الجديد وغضبت عليه أشد الغضب واتصلت به وأسمعته مرّ الكلام ولامته أشد اللوم، هكذا أخبرت حنين بنفسها وقد سمعت والدته خبر زواجه من الناس، لم يتجرأ كريم بإخبارها ولم تعلق حينن على كلام والدته وهي تنقل إليها رفضها لما فعله ولدها، وقد أخبرت الأم كريم ألا يدخل بيتها إلا إذا طلق شهد وعاد إلى عائلته، ولأجل هذا الموقف بالذات شعرت حنين بالتقدير نحو والدة كريم، وبدأت تميل إليها، إنها حقاً بحاجة إلى الدعم والتفهم، واليوم دعتها إلى العشاء، وهو عشاء ضخم يضم نخبة كبيرة من سيدات المجتمع، وكأن أم كريم تريد أن تقول للناس إن حنين هي زوجة ابنها المشرفة التي تفتخر بها ولا تقبل غيرها في بيتها، ولأجل كل ذلك تفننت حنين في وضع زينتها واختيار ثوبها

وبدت حقاً مثيرة، نظرت إلى ساعتها، إنها السابعة مساء، يجب أن تخرج الآن والتقطت حقيبتها ونزلت الدرج، ووجدت ابنتيها أريج وهبة تتناولان العشاء، تقدمت منهما وأكدت عليهما أن تخلدا إلى النوم في الثامنة، وأوصت الخادمة على غالية الصغيرة، وفجأة فتح باب البيت ودخل كريم! إنه لم يتعود زيارتهن في هذه الساعة، وقد مضى وقت طويل منذ التقت به حنين فهي تتعمد الخروج في الوقت الذي تعوّد زيارتهن فيه، يفترض به الآن أن يكون في عيادته، والتقت عيناها بعيني كريم، رأت في عينيه نظرة انبهار وإعجاب، وعندما شاهدها هو أمامه خفق قلبه بعنف وهتف لنفسه.. ما أجملها، لم يعرف يوماً أنها على هذا القدر من الجمال، مهلاً هل غيرت أنفها! أيا كان ما غيرته فإنها امرأة مختلفة.

وقال كريم: مساء الخير.. وسمعت أريج وهبة صوته فركضتا نحوه من غرفة الطعام وانحنى يقبل ابنتيه، فانتهزت حنين الفرصة وأسرعت نحو باب الخروج، انتبه كريم لها وقال يستوقفها: حنين.. إلى أين أنت ذاهبة؟

والتفتت حنين نحوه ونظرت إليه باستعلاء وقالت: أعتقد أنه لا يحق لك أن تسألني إلى أين سأذهب..

وفتحت الباب وخرجت وقلبها يخفق بشدة، وركبت مع السائق وأمرته أن ينطلق إلى منزل والدة كريم، لقد احتاجت حنين إلى كل إرادتها وإلى كل أعصابها لتتحكم في مشاعرها وألمها وصدمتها.. وعانت كثيراً.. كثيراً جداً.. ياه كم قاست من وحدتها وغيرتها، كم عانت جرح كرامتها ونظرة الناس لها وشماتة الكثيرين بها.. كلامهم الخبيث عن غدر الرجال وعن الحب الذي

انتهى وكلامهم الجارح عن جمال زوجته الجديدة وصغر سنها... تلك الكلمات التي أدمت فؤادها وأحرقت قلبها غيرة وقهراً، لكنها ارتاحت الآن.. لقد اتخذت قراراً أن تعيش لنفسها، إنها تحب بناتها وتهتم بهن لكن ليس على حساب نفسها، ستفعل لهن كل ما تستطيع لكن ليس أكثر مما تطيق، ستعوض نفسها الوقت الذي فاتها وهي غارقة في خدمة الآخرين ومراعاتهم... وأصبحت ترد ببرود على كل من يسألها عن كريم وخبر زواجه عليها رداً ثابتاً حازماً: لقد تزوج واخترت البقاء على ذمته إكراماً لبناتي.

ولم تكن تسمح لأحد أن يتطرق إلى خصوصياتها وبعد التغيير الكبير الذي طرأ على شكلها ازدادت ثقتها في نفسها، إن كل هذا التغيير فعلته لأجل نفسها، صحيح أنها اليوم شعرت بنشوة كبيرة وهي ترى انبهار كريم بها، لكن كريم بالنسبة لها إنسان ميت، لقد مات في نظرها يوم عرفت بزواجه عليها، وهي لن تعود إليه أبداً.. زوج على الورق فقط.. بالاسم فقط..

زوج اختارت البقاء على ذمته حفاظاً على وضعها الاجتماعي ووضع بناتها، لكنها شعرت بتلك النشوة لأنها أرادته أن يعرف أنها رائعة وتملك الكثير وأنه ضيعها من يديه وأن خسارته لها كبيرة.

هل توقفت عن حب كريم؟ نعم توقفت عن حبه.. إنها لا تسمح لنفسها بالتفكير فيه. لقد سبب لها أكبر ألم ذاقته في حياتها، كل ما مرَّ بها في كفة وما فعله كريم بها في كفة أخرى، ومع تغيرها الجديد استجد أمر آخر على حياة حنين، نظرة الرجال إليها.. لاحظت تعلق عيون الرجال بها، صورتها الجديدة تجذب العيون نحوها.. لكنها لن تفكر في أي رجل ليس فقط لأنها لاتزال زوجة

كريم وعلى ذمته وليس فقط لأنها امرأة شريفة ذات مبادئ لا تحيد عنها، بل لأنها أيضاً لم تعد تثق في أي رجل.. إن كان كريم وهو حب طفولتها وصباها ووالد بناتها فعل بها ما فعل فكيف تأمن لأي رجل آخر!

ووصلت السيارة، إن بيت أسرة كريم مجاور تماماً لبيت أبيها ونزلت من السيارة والتفتت لترى أباها وهو ينزل من سيارته وامرأة تجلس بجواره، ونزل والدها وقد تفاجأ بها أمامه، تقدم نحو وقال: حنين يا للمفاجأة أتيت لرؤيتي؟

حنين: لا يا أبي، والدة كريم لديها مأدبة عشاء.

الأب: حسناً.. تعالي أعرفك على زوجتي.. لقد عقد قراننا هذا الصباح.

وصدمت حنين وقالت صارخة: أبي لِمَ لَمْ تخبرنا؟

رد الأب بإحراج: لم أجد داعياً لذلك، ثم إن كلاكما تعرفان أنني سأتزوج.

وتقدمت حنين نحو السيارة وقد نزلت زوجة أبيها ووقفت تنتظره عندها، ومدت حنين يدها إليها وقالت: مبروك.

وعرفهما الأب على بعضهما البعض.. إن اسمها وداد، وبدا اهتمامها بنفسها واضحاً.

كان ثوبها أنيقاً ضيقاً وبدت شابة وقوية الشخصية، ولم تتحادثا طويلاً، مجرد مجاملات رسمية انسحبت بعدها حنين لتدخل إلى منزل والدة كريم وهي تشعر بيد تعتصر قلبها.

جلست إيمان خطيبة باسل أمامه في أحد المقاهي الشهيرة وقد ظهر الضيق على وجهها.. كانت سمراء البشرة، سمارها فاتح لامع كأن وجهها قد غسل بالماء للتو، عيناها واسعتان ناعستان وفمها صغير مكتنز الشفتين.. كانت جذابة الشكل لكن لا يمكن أن توصف بالجمال.. لا تنفر العين من رؤياها لكن لا تلتفت العين إليها عندما تمر بها.

ومن يعرف إيمان عن قرب يدرك قوة شخصيتها.. لقد امتلكت شخصية قيادية قوية منذ صغرها.. اعتادت التحكم ببنات العائلة، هي من تختار الألعاب التي يلعبنها في التجمعات العائلية وهي من تحدد الأدوار التي يقوم بها كل من حولها، وكان الأطفال يتجمعون حولها ويسعون إلى كسب ودها ورضاها، واستطاعت إيمان دائماً أن تحصل على ما تريد، فلديها قوة إقناع كبيرة ولذلك درست التسويق.

وقد بدأت العمل منذ وقت قصير في إحدى الشركات ورغم قصر الفترة التي عملت فيها إلا أن مديرها سعيد ومبهور بنتائج عملها وسرعة بديهتها، قد لا تلتفت نحو إيمان إن مرت بك مصادفة، لكنك إن جالستها لن تنسى أثرها في نفسك أبداً.. ومدت إيمان يدها لتفك شعرها الطويل الذي رفعته بالكامل فوق رأسها، فانسدل شعرها على ظهرها.. إنها تحب أن تفعل هذه الحركة لتلفت الأنظار إلى نفسها، فقد حباها الله بشعر رائع

كث لامع تحسدها عليه الكثيرات، فكانت تشعر بالسعادة عندما تفكه على هذا النحو أمام الناس فيصعب عليهم تحويل نظرهم عنها.. وتحدثت إيمان قائلة في تهكم وقد قاطعت حديث باسل:

ماذا جرى يا باسل نحن هنا لنتحدث عن أنفسنا ومخططاتنا أم لنتحدث عن زميلتك في العمل ومشاكلها العائلية..!

تلعثم باسل وارتبك.. إنه لم يشعر بنفسه وهو يتحدث عن أشواق فمنذ جلسا وهو يحدثها عن أشواق ومشكلة أختها وقلقها عليها، حقا لم ينتبه إلى ذلك فصمت محرجاً لا يدري ماذا يقول، لقد أحست إيمان بذكائها أن باسل متأثر بزميلته في العمل إلى حد كبير، فهو كثيراً ما يتكلم عنها ودائماً ينقل لها أخباراً جديدة عنها، أخباراً قد تكون تافهة لكنه يعرف عنها الكثير بل إنه أهداها ساعة في أحد الأيام وأعجبتها الساعة كثيراً فقال لها إنه رأى أشواق ترتدي مثلها فراقت له واشترى لها واحدة! وبدأت إيمان تغار من أشواق مع الوقت وأصبحت تُلمِّح إلى باسل بعدم رضاها عن علاقة الصداقة القوية التي تجمعه بهذه الزميلة في العمل، لكن باسل لم يهتم بتلميحاتها وظل على حاله..

وقالت إيمان تقطع الصمت: اسمع يا باسل لقد استقر كل منا أخيراً، وتوظف كلانا في الوظيفة التي حلم بها.. لا أرى داعياً لتأجيل زواجنا أكثر من ذلك.

باسل: تعرفين يا إيمان أنني أنتظر هذا اليوم أكثر منك.

إيمان: إذن ليتصل أهلك وليحددوا موعد عقد القران، لنبدأ بعدها في تجهيز شقتنا ثم نسافر إلى أوروبا، وطبعاً سنقيم حفلاً

كبيراً احتفالاً بتتويج حبنا الكبير بالزواج.. أخبرني يا باسل.. ألا زلت تحبني؟!

قال باسل بانفعال: طبعاً يا إيمان، أمازلت تسألين؟!

إيمان: لنعقد قراننا إذن وفي أسرع وقت.

باسل: كما تريدين.. اليوم أحادث أهلي إن شاء الله.

وابتسمت إيمان برضا وسعادة.. ستتزوج من باسل بسرعة، لن تترك المجال لأشواق أو لغيرها بالتأثير على حبيبها، ستكون زوجته والمرأة الوحيدة في حياته.

وفي اليوم التالي وقفت أشواق عند مكتب باسل لتلقي عليه تحية الصباح.. بدت متألقة أنيقة في ذلك الصباح.. وابتسمت ابتسامة كبيرة وهي تقول: تبدو منفعلاً يا باسل.. أخبرني ماذا لديك؟

لقد أصبحت تعرفه جيداً وتستطيع قراءة ملامحه بسهولة.

قال باسل: لدي أخبار جديدة.. أخبار سعيدة..

أشواق: خير إن شاء الله؟!

باسل: سيعقد قراننا أنا وإيمان الخميس المقبل.

واهتزت رموش أشواق فوق عينيها، وكادت تفقد توازنها، فسندت نفسها على باب المكتب وقالت بصوت مرتعش: حقاً؟ متى قررتما ذلك؟

باسل: ما بك يا أشواق، تبدين مضطربة؟

أشواق: لا شيء، لا تشغل بالك.. فقد تفاجأت بالخبر السعيد.

باسل: لقد طلبت مني إيمان بالأمس التعجيل في عقد القران وحادثت أهلي في الموضوع وتم الاتفاق مع أهلها على الخميس المقبل.

أشواق: بالتوفيق ومبروك مقدماً.

وجرّت أشواق قدميها جراً نحو مكتبها.. وقد انهارت ملامح وجهها.. ماذا حدث لها؟! إنها تعرف أن باسل مرتبط وأنه يحب إيمان، لماذا إذن تأثرت لهذا الحد عندما سمعت أنه سوف يتزوجها، ولِمَ في الأساس تتضايق من فكرة زواجه؟ إنها تشعر بمشاعر غريبة عليها.. إنها تغار أجل إنها تكاد تنفجر من الغيظ والغيرة.. كيف تغار على باسل؟ بأي حق تغار عليه؟ ولماذا تغار عليه؟.. ولم تستطع أن تركز في عملها، فقامت واستأذنت مديرها في الخروج.. وعادت إلى البيت.. ومنذ وصلت غرفتها أقفلت الباب بالمفتاح ورمت بنفسها على سريرها وأجهشت بالبكاء..

جلست شهد أمام أختها سلمى في غرفتها القديمة في منزل والدها..

بدت شهد غاضبة وقد احمر وجهها انفعالاً وهي تقول: هل تصدقين أنني ضبطته يحادث سائق بيته ليخبره أين ذهب بحنين تلك الليلة! ولا تتصورين كم بدا الارتياح على وجهه عندما أخبره السائق أنها كانت تزور والدته! تصوري أنه يتجسس عليها ويريد أن يعرف تحركاتها.. ما معنى ذلك أخبريني؟!

ولم ترد سلمى فعادت شهد تصرخ قائلة: إنه يثير جنوني لقد اعتذر عن مواعيد عيادته في ذلك اليوم وذهب إلى بيته دون أن يخبرني ومنذ عاد وهو كالمجنون ولم يهدأ إلا بعد أن عرف مكان وجودها، وهل تعرفين أنه يقوم من نومه ليلاً ويتصل برقم منزله.. إنه يتأكد أن الخط غير مشغول!

سلمى: ربما يخاف أن تجد حنين لها رجلاً غيره كما وجد هو امرأة غيرها.

شهد: إنه مجنون.. هل تعرفين أنه يختفي من عيادته ليطل على بيته في أوقات مفاجئة؟.. لقد أصبح مجنوناً..

سلمى: أخبريني يا شهد.. لِمَ لا تنجبين منه طفلاً؟

فقالت شهد والغيظ يكاد يقتلها: إنه لا يريد.. ويقوم بجميع احتياطاته كي لا أنجب منه، في البداية ظننت أنه مع الوقت

سيوافق على الإنجاب، لكنني الآن تأكدت أنه لا يريد أولاداً مني ولا أعرف لماذا، يقول إننا في بداية حياتنا ولا يريد التعجل في الإنجاب، مازال أمامنا وقت لذلك.. وأعذار واهية تجرحني وتعذبني..

سلمى: اسمعي يا شهد.. لقد اخترت بنفسك هذه الحياة، مصيرك حددته بإرادتك، يبدو أن زوجك لايزال يكن بعض المشاعر لزوجته الأولى وعليك أن تنتزعي هذه المشاعر من قلبه ليبقى لك وحدك.

شهد: لا أعرف ماذا أفعل؟.. لقد حاولت المستحيل، لم أقصر معه في شيء.. إنني متعبة خائفة وأشعر أنني غير مستقرة في حياتي.

وبكت شهد وأختها تنظر إليها في حسرة.. ولوم.

دخل عبدالرحمن غرفته ليفاجأ بأشواق جالسة محمرة العينين والحزن يفترس ملامحها فقال: ماذا حدث؟

ولم ترد هي عليه.. فاقترب منها بحذر وكرر سؤاله: أخبريني ماذا حدث؟.. كنت تبكين؟ أمازلت متضايقة بسبب زواج أبيك؟

أشواق: لا يا عبدالرحمن.. أنا متضايقة بسببك أنت.

عبدالرحمن: لماذا.. ماذا فعلت؟

أشواق: تعيش في البيت كأنك تعيش في فندق.. إننا لا نجلس معاً، لا أراك إلا وقت الطعام أو وقت النوم..

قاطعها عبدالرحمن متأففاً: أرجوك يا أشواق أنا متعب الآن ويومي في العمل كان شاقاً.. أريد أن أرتاح.

وانهمرت دموع أشواق وهي تقول: وأنا يا عبدالرحمن.. ما هو مكاني في حياتك؟.. ما هي قيمتي عندك؟!.. أنا أحتاجك.. أحتاج لاهتمامك وحنانك.. أريدك قريباً مني.. إنك بالكاد تعرفني.

عبدالرحمن: أرجوك، كفي عن كلام الأفلام والروايات.. كوني واقعية، انضجي قليلاً وترفعي عن كلام المراهقين هذا..

صرخت أشواق: أنا أحتاج الحب.. أحتاج إلى الكلمة الجميلة..

قاطعها عبدالرحمن صارخاً: وأنا أحتاج الراحة الآن.. أرجوك لا أريد المناقشة..

وخرج مسرعاً من الغرفة كأنه يهرب منها.. وصفق الباب بعنف وتعمد ليلتها أن يبقى ساهراً في غرفة المكتب وأخيراً عاد لينام في وقت متأخر وتظاهرت أشواق بالنوم وداخلها يغلي من الغضب والقهر..

وجاء الصباح.. ولم تذهب أشواق إلى العمل.. اتصلت لتطلب إجازة طارئة.. إنها متعبة وتريد ترتيب أفكارها ومراجعة حساباتها.. وتمنت لو استطاعت البوح بمشاعرها إلى أختها حنين، لكن حنين منذ زواج كريم وهي بعيدة عن الجميع ولم تعد تلك المرأة المعطاءة الحنون، أصبحت امرأة ناضجة تضج بالأنوثة والواقعية، ولم يعد لأشواق أحد تشتكي إليه.. يجب عليها أن تتعود على وحدتها.. لم تعد تملك الخيار..

دخلت حنين إلى المنزل عائدة من النادي الصحي الذي ترتاده.. لقد أدمنت دروس السباحة وخاصة الرياضة المائية، ففائدتها كبيرة وقد أكسبتها لياقة عالية، فتحت الباب ودخلت لتفاجأ بكريم جالساً مع ابنتيه يتناولون العشاء..

وصرخت أريج: ماما تعالي كلي معنا.

فقالت حنين: لا يا حبيبتي كلي أنت بألف عافية لست جائعة.

ومضت في طريقها.. فاستوقفها كريم قائلا:

أردت إعلامك أنني سأبيت هنا الليلة.

فالتمعت عينا حنين وقالت: ماذا؟

رد كريم: لدي بحث طبي أريد القيام به وجميع أوراقي ومراجعي موجودة في مكتبي هنا.

فقالت حنين بتهكم: انقلها إلى مكتبك في بيتك الجديد!

قال كريم: هنا بيتي أيضاً يا حنين.

فقالت: حسنا، افعل ما تريد..

وتركته واقفاً يحدق فيها.. وصعدت إلى غرفتها وأقفلت الباب عليها واستحمت وغيرت ملابسها وارتدت قميصاً مريحاً للمنزل وبدت حنين جميلة متوردة الوجه وجلست في صالة الطابق

العلوي تأكل بعض الفاكهة وتتابع التلفاز، وأخيراً قررت أن تنام، ولاحظت أنها لا تسمع حركة في الطابق الأرضي حيث مكتب كريم، عجباً إن وجوده معها في المنزل لا يثيرها بتاتاً ولا يحرك مشاعرها، لقد اعتادت على وحدتها.

ودخلت غرفتها لتتفاجأ بكريم جالساً على سريرها أو بالأحرى سريرهما سابقاً..

فقالت بحدة: ما هذا؟ كيف تسمح لنفسك بالدخول إلى هنا؟

كريم: لا تنسي أنني مازلت زوجك.

حنين: أرجوك يا كريم.. إن بيننا اتفاقاً وأرجو أن تحترم رغبتي وتخرج من هنا.

كريم: إلى متى يا حنين.. إلى متى ستظلين غاضبة مني؟!

وقام واقفاً واقترب منها وقال بصوت هامس: لقد اشتقت إليك.

وابتعدت حنين عنه وقالت بحدة: اسمع يا كريم.. إن كل ما بيننا انتهى وكان قراري واضحاً بالنسبة إليك، لن يكون هناك شيء بيننا ولا أريدك في حياتي.

كريم: مازلت أحبك يا حنين.

وفجأة بدأت حنين بالضحك.. إنها تضحك من قلبها، كأن كريم ألقى أمامها نكتة مضحكة، وقالت: لقد أضحكتني بحق.. تحبني تقول؟ يا لها من كذبة!

فقال كريم بحرارة وقد أحزنه قولها: صدقيني أحبك، لم أتوقف عن حبك يوماً، ومنذ هجرتني وأنا لا أكف عن التفكير فيك وتتبّع أخبارك.. حبك يجري في دمي يا حنين.

فقالت حنين بحزم: اسمع يا كريم.. ربما أحببتني يوما ما، ربما كنت لك ـ حقاً ـ في أحد الأيام حبيبة وزوجة لكنك في اللحظة التي تزوجت فيها عليَّ قتلت كل معاني الحب.. قتلت كل الأحاسيس والمشاعر والذكريات.. يومها توقفت عن حبي..

كريم: صدقيني مازلت أحبك.

حنين: لا يا كريم.. إنك لا تحبني.. لقد فضلت امرأة أخرى عليَّ وجرحتني من الصميم، والآن أعلنها لك لن أسامحك يا كريم.. ولن يكون بيننا شيء سوى المظهر الأسري لأجل بناتنا وصدقني لولا أنني أخاف عليهن لما كنت بقيت في بيتك لحظة واحدة.

وفتحت حنين باب الغرفة وأشارت إليه بالخروج وهي تقول: اخرج يا كريم.. اذهب إلى من اختارها قلبك!.. اذهب إليها ولا تفكر أبداً في اقتحام حياتي، وأحب أن أطمئنك أنا لا أبحث عن رجل بعدك ليس لأنني باقية على حبك وذكراك بل لأنني من بعدك لن أستطيع أن أثق في أي رجل.. ولست بحاجة إلى عذاب جديد في حياتي ولا أريد المزيد من الصدمات.. اخرج يا كريم وانسني ولا تشغل بالك فيما أفعله فأنا لا أفعل شيئاً سوى العناية بنفسي وتدليلها.. فقد عرفت أن لا أحد أحن على المرء من نفسه..

وخرج كريم منكس الرأس..

دخل كريم الشقة في الثانية صباحاً، كانت شهد جالسة في البهو محمرة العينين مهووشة الشعر، وقد انتشرت خطوط حمراء في عينيها الخضراوين.. لقد علمت من السكرتيرة أن كريم خرج في الثامنة من عيادته وحاولت مراراً الاتصال به لكن جهازه مغلق.. وقد قلقت عليه أشد القلق كادت تجن وهي تتساءل أين ذهب، وبقيت كل هذا الوقت وهي تدعو اللّٰه أن لا يكون قد أصابه مكروه، بل إنها كادت تبلغ الشرطة لولا أنها خجلت من ذلك، وآثرت الصبر والانتظار.. ومنذ دخل كريم هبت واقفة واندفعت نحوه ورمت بنفسها على صدره وأجشهت بالبكاء وهي تعاتبه: أين كنت؟ هكذا تشغلني عليك؟ كدت أموت من الخوف..

واستمرت تعاتبه من بين دموعها وظل كريم صامتاً بعض الوقت، ثم جلس ووضع رأسه بين كفيه وقال: كنت في مكتبي في المنزل أطلّع على بعض المراجع.. وصمتت شهد وأسئلة كثيرة تدور في خلدها.. ترى ماذا حدث في بيته، إن وجهه منهار وعينيه غائرتان.. هل تشاجر مع زوجته؟ هل تواجه معها؟ لكنها لم تسأله شيئاً..

لكن هل من الصواب أن لا تسأله.. إنها أشد حيرة منه ولم تعد تعرف الخطأ من الصواب، وبقي كريم جالساً في الصالة ورأسه لايزال بين كفيه فسألته شهد: ألا تريد النوم؟

فرد عليها بجفاء: أريد أن أبقى لوحدي أرجوك.

ردت شهد بحدة: تتركني دون أن تطمئنني عليك كل هذا الوقت..! وأخيراً تأتي بعد أن حرقت أعصابي لتقول لي إنك تريد البقاء وحيداً..

رد كريم بحدة وصرخ قائلاً: أرجوك لست في مزاج يسمح لي بمناقشتك.

وصمت كريم وقد شعر ببعض الراحة عندما صرخ فرفع صوته ثانية وقال: اتركيني وشأني لا أريد لأحد أن يحاسبني لست طفلاً حتى تقلقي عليّ.

وانهمرت دموع شهد وقالت: أنا أعرف لِمَ أنت غاضب.. لأن زوجتك المصون رفضتك.. نعم لقد طردتك من حياتها، باعتك لأنك تزوجتني، إنها لا تحبك، لم تحبك يوما.. لو كانت تحبك لما تخلت عنك بسهولة.

وانتفض كريم وقام واقفاً وصرخ بأعلى صوته: بل تحبني.. تحبني أكثر من روحها لكنها صدمت بي، صدمت بخيانتي وغدري.. صدمت بي وأنا أنسى كل ما بيننا لأجل امرأة أخرى.

وصرخت شهد وقالت بصوت جريح: وأنا؟ ألا أستحق بعض التقدير منك، مجرد امرأة أخرى؟ هذا ما تصفني به، لم لا تعترف أنك فعلا أحببت امرأة أخرى؟

كريم: لأنني اكتشفت يا شهد أنني لم أحب أيّ امرأة سوى حنين.. نعم يا شهد مع الأسف أدركت ذلك متأخراً، ظهرت في

حياتي في وقت كانت علاقتي بحنين متوترة، ولم أشعر بنفسي إلا وأنا مندفع نحوك.. شدني جمالك وصغر سنك، شدتني المغامرة ولم أقدّر عواقبها، وتزوجنا وأنا لا أنكر أنك لم تقصري معي بشيء لكنني منذ عرفت حنين بزواجنا والندم لا يفارقني.. أعرف أنني ظالم وقاس لكنها الحقيقة التي يجب أن نواجهها.. لا أريد أن أظلمك أكثر معي..

وصمت كريم وجلست شهد عند قدميه وقالت بصوت باكٍ ودموعها تنهمر على وجنتيها: كريم.. أنت لا تعي ما تقول أرجوك.. لا تتخذ قراراً الآن.. أنت عصبي ومتعب.. لا تهدم ما بيننا..

وفجأة استدار كريم وخرج من الشقة..

خرج كأنه يجري ولم تدركه شهد إلا وقد صار خارجا.. فنادته ولم يرد عليها.. وانهارت تبكي بكل دموعها..

■■29■■

دخل باسل إلى مكتب أشواق وجلس في انتظارها.. لم تكن قد وصلت بعد، وبعد برهة قصيرة دخلت أشواق وتفاجأت بباسل أمامها.. تمالكت نفسها وقالت: صباح الخير.. مبروك يا عريس.

باسل: شكراً.. عقد قراني الخميس الماضي.

أشواق: ولِمَ حضرت إلى العمل اليوم؟

باسل: مجرد عقد قران.. سأوفر رصيد إجازاتي لشهر العسل.

وقالت أشواق وهي تداري ألمها: حسنا، متى الزواج؟

باسل: مبدئياً بعد شهرين، حتى نجهز عش الزوجية، لكنني سأبدأ بعمل حجوزات السفر من الآن، فالصيف مقبل وجميع خطوط الطيران تكون مزدحمة في الصيف.

أشواق: إلى أين ستذهبان؟

باسل: أنا أريد الذهاب إلى النمسا، حيث الطبيعة والمناظر الجذابة أظنها الأفضل لقضاء شهر العسل، لكن إيمان تريد السفر إلى لندن أو باريس، أظنها تفضل التسوق.

فقالت أشواق بخبث: أرى أن تفرض رأيك.. من الأفضل ألا تعودها على التحكم فيك من الآن!

ضحك باسل: لا أظن الموضوع يستحق التحدي.

أشواق: اسمع يا باسل تعلم كم تهمني مصلحتك، المرأة تحب الرجل القوي المستبد الذي يتحكم فيها صدقني.. افرض شخصيتك عليها من الآن.. وحتى عندما تخططان لفرش الشقة افرض ذوقك عليها.. لتكن أنت الرجل صاحب الكلمة الأولى والأخيرة منذ البداية..

وصمت باسل مفكراً..

عادت أشواق إلى المنزل في ذلك اليوم وصدرها منقبض تكاد لا تقوى على التنفس، إن في داخلها صوتاً يلومها، صوت يخبرها أنها تعمدت الإيقاع بين باسل وزوجته وهي تعرف مدى تأثيرها على باسل، لم تكن أشواق ذات طبيعة خبيثة أو شريرة لكنها تغار من إيمان وتحسدها على حبها وتتمنى لو أنها مكانها.. تلك هي الحقيقة البحتة التي اعترفت بها أشواق لنفسها..

وجلست بعد الغداء تذاكر مع خالد دروسه، وفي المساء خطرت لها فكرة، لِمَ لا تصطحب خالد ونوال وتخرج معهما؟ إنها نادراً ما تخرج معهما بل غالباً تخرج وحدها.. لِمَ لا تحاول أن تندمج في حياتها الخاصة؟ لِمَ لا تحاول تعويض حياتها الباردة مع عبدالرحمن بالأمومة؟ لِمَ لا تقوم بعمل الفحوصات اللازمة لمتابعة الحمل؟ يجب أن تحاول على الأقل..

فذهبت إلى خالد في غرفته وقالت له: ما رأيك أن تغير ملابسك لنخرج للعشاء؟

وكاد خالد أن يطير من الفرح وبدأ حالاً بتغيير ملابسه.. واقتربت أشواق من غرفة نوال.. إن علاقتها بها أبرد من الثلج، وكلتاهما تتجاهل الأخرى، ومضى وقت طويل منذ تبادلتا الحديث معاً.. طرقت الباب ودخلت وتفاجأت نوال بها..

لقد تغيرت تماماً عن السابق.. كانت ترتدي ثوباً ضيقاً جداً يظهر نحافتها وقد أسدلت شعرها الطويل خلفها وقد أضافت

إليه خصلاً شقراء ملونة، ولاحظت أشواق أن حاجبيها رفيعان جداً وقد وضعت المساحيق على وجهها.. بدت أكبر سناً وشعرت أشواق بالجزع على حالها.. إنها مراهقة وبلا رقابة تماماً.. ترى ماذا تفعل بحياتها؟ وانتبهت من أفكارها على صوت نوال يسألها عما تريده بوقاحة وقلة احترام، تجاهلت أشواق وقاحتها وقالت: نوال سنخرج أنا وخالد للعشاء في الخارج، ما رأيك أن تأتي معنا؟

اتسعت عيناها دهشة وقبل أن ترد سمعت الاثنتان صوت عبدالرحمن وراءهما وهو يقول: وأنا هل من الممكن أن آتي؟ ألن تدعواني للعشاء أيضا؟

فرحت أشواق وقالت: بالطبع تعرف كم أتمنى ذلك..

وقالت نوال: إذا كنت ستأتي معنا يا أبي فأنا أيضاً سآتي..

وصعدت أشواق وهي متحمسة إلى غرفتها واختارت أجمل ثيابها، كان ثوباً أبيضاً جميلاً واسع الأطراق بدت فيه كالعروس، وقد انعكس اللون الأبيض على وجهها الرقيق فبدت كالملاك.. إنه يناسبها تماماً ورفعت شعرها بالكامل إلى أعلى رأسها وارتدت حلقاً مرصعاً بالكريستال اللامع الجميل ووضعت مكياجها بعناية واتقان، لقد بدت حقاً رائعة..

ونزلت وعيون عبدالرحمن وأولاده تنطق إعجاباً بها وركبوا جميعاً السيارة وعبدالرحمن يقود بنفسه إلى أحد الفنادق الفاخرة، وخلال الطريق لم يكف خالد عن إضحاك الجميع بحكاياته وطرائفه التي لا تنتهي، وشعرت أشواق بالرضا، شعرت

أنها تعيش وسط عائلة وقالت لعبدالرحمن: ليتنا نحدد يوماً كل أسبوع للنزهة، لا تعرف كم أنا سعيدة..

وابتسم هو في وجهها وقال: إن شاء الله..

ووصلوا الفندق واتجهوا إلى المطعم وجلسوا على طاولة جميلة وعادوا جميعاً إلى الحديث، كان بوفيه العشاء منوعاً وبدأ كل منهم يتجه بصحنه ليختار ما يشاء من البوفيه.

وكانت أشواق واقفة تصب لنفسها عصيراً عندما سمعت صوتاً خلفها يقول: أشواق، أهذه أنت؟

التفتت أشواق لترى أمامها مفاجأة لم تحسب لها حساباً.. رأت أمامها طارق زوجها السابق وحبها الأول، يا إلهي إنه هو، لم تره منذ سنين، وخفق قلبها بعنف.. إن قلبها يكاد يخرج من بين ضلوعها.. واهتزت يدها الممسكة بالعصير حتى كاد ينسكب على ثوبها وقالت بصوت مرتعش: طارق؟ لم أتوقع رؤيتك؟

رد طارق: كيف حالك يا أشواق؟ ياه مر وقت طويل.. لم تتغيري أبداً..

ردت أشواق: ولا أنت!

وانتبه الاثنان أن هناك امرأة اقتربت منهما فقال طارق: هذه زوجتي مها.. والتفت إلى مها قائلا: أعرفك على أشواق زوجتي السابقة..

وقالت مها ببرود: تشرفنا..

ولم ترد عليها أشواق بل تركتهما وهي تقول في طريقها:

فرصة سعيدة، عن إذنكما.

واتجهت بخطوات مرتعشة إلى الطاولة، وقال لها عبدالرحمن بلهجة طبيعية: من هذا الذي كنت تحادثينه؟

فقالت بصوت حاولت قدر الإمكان أن تضبط نبراته: إنه عميل لي في البنك.

يا إلهي لِمَ كذبت عليه؟ لا تدري لكنها خجلت أن تقول له أمام أبنائه إنه زوجها السابق، شعرت أن ذلك غير لائق وقد يسبب حرجاً له ولها، ثم إنها كذبة لا ضرر منها فهو لا يعرف طارق ولم يره من قبل، لكن المصيبة أنها هي شخصياً من تعكر مزاجها، وتكدر صفوها، يا إلهي لِمَ ظهر طارق أمامها في هذا الوقت بالذات.. لقد أثارتها رؤيته كثيراً، إن قلبها لا يزال يدق بعنف كالطبل في صدرها.. إنها لا تستطيع التركيز ولم تعد قادرة حتى على الأكل أو الحديث، لم يا إلهي جمعتني به وأنا في قمة ضعفي وضياعي؟ يا له من بلاءٍ واختبارٍ لم تحسب حسابه..

وحاولت أشواق التصنع لبقية الأمسية.. تصنع الابتسام والمرح، لم ترد أن تفسد فرحة العائلة، وعندما عادوا إلى المنزل دخلت غرفتها وخلعت ملابسها واختبأت في احمام لتداري دموعها، وفي الليل عندما أغمضت عينيها لتنام لم تستطع أن تبعد شبح طارق عن مخيلتها.. يا إلهي إن قصتها معه تقفز حية في ذاكرتها كأنها طلقت منه للتو، وشعرت بدموعها تنهمر على خديها من جديد..

ولم يغمض لها جفن تلك الليلة..

كانت شهد تعيش فترة عصيبة فمنذ مشاجرتها مع كريم في تلك الليلة وهي لم تره.. لقد اختفى تماماً، وقد عرفت من سكرتيرته هناء أنه قد أمرها بإلغاء مواعيده وإخبار الجميع أنه في إجازة مفتوحة، ولم تعرف شهد أين هو، فجهازه النقال دائماً مغلق وقد اتصلت بمنزله وأخبرتها الخادمة أنه ليس في منزله ولم يأتِ إلى المنزل.. وأخيراً هداها تفكيرها أن تسأل عنه صديقه حامد، صاحب الشركة التي عملت فيها شهد سابقاً، إنه أقرب أصدقاء كريم إليه، وهو يعرف بحكايتهما منذ البداية وفعلاً اتصلت بحامد.. وأخبرها أن كريم بات عنده تلك الليلة وأنه حالياً مسافر إلى إحدى دول الخليج لأنه يشعر بحاجته إلى الاختلاء بنفسه وإعادة ترتيب أفكاره، وبكت شهد وهي تحادثه واشتكت له من أفعال كريم معها وحاول حامد تهدئتها وحاولت هي بدورها أن تجره إلى الحديث عن ما قاله كريم عنها وعن ما ينويه بخصوصها لكن حامد كان كتوماً واكتفى بأن أخبرها أن غياب كريم لن يطول وأن الله بالتأكيد سيهديه إلى ما فيه الخير للجميع في النهاية..

ولم تتصل به شهد بعد ذلك، ومضى على غياب كريم أسبوع كامل وهي لا تكاد تنام، بل تكاد تجن من القلق، وليس لها سوى سلمى أختها تشكو إليها، وقد أخبرت أمها أيضاً بمعاناتها، شعرت أن مشكلتها هذه المرة أكبر من أن تتحملها سلمى وحدها، وقد لامتها والدتها على مناقشتها لزوجها ومحادثته في تلك الليلة

وهو لم يكن على ما يرام، ولامتها على موافقتها على الزواج من رجل متزوج.. لكن اللوم الآن لن يفيدها بشيء.. إنها خائفة.. تخاف أن يتخلى عنها كريم.. إن هذه الفكرة ترعبها، والانتظار يكاد يقتلها من القلق.. لكنها لا تملك غير هذا الانتظار المر..

ومر أسبوع آخر عندما وصلتها رسالة من كريم.. أوصلتها لها هناء سكرتيرته، أخبرتها أن كريم اتصل بها وأخبرها أن هناك رسالة ستصل بالبريد المسجل على عنوان العيادة وعندما تصل أمرها أن تسلمها بيدها إلى شهد..

وأخذت شهد الرسالة بيد مرتجفة وشكرت هناء ثم بدأت تقرأها حالما غادرت هناء.. قرأتها بقلب يكاد يقف من الخوف..

«عزيزتي شهد.. أنا آسف.. آسف حقاً لكل ما سببته لك من ألم.. آسف من كل قلبي، لكنني حقاً احتجت إلى الاختلاء بنفسي لأقرر بعض الأمور ولأضع النقاط على الحروف فيما يتعلق بحياتي.. سأحكي لك حكاية لا أظنك سمعتها مني من قبل..

كان هناك شاب اسمه كريم.. إنه أنا زوجك.. كان هذا الشاب وحيد والديه وقد عاش حياة سعيدة بين والدين متحابين متفاهمين، لم يراهما قط على خلاف أو خصام، نشأ والطمأنينة تسكن نفسه منذ صغره، وفي صغره كان يلعب مع ابنة الجيران..

إنها فتاة قوية الشخصية تهتم بأختها الصغرى وتشعر بالمسؤولية تجاهها، فتاة متميزة بل لا أظن أن هناك فتاة مثلها.. واعتادت هذه الفتاة أن تحكي لكريم عن حياتها.. كانت تشكو

إليه انعدام الطمأنينة في قلبها، لقد عرف كريم منها أن ليس كل الأولاد يعيشون في بيت كبيته وبين والدين كوالديه، أخبرته أشياء لم يعرف أنها موجودة في هذه الدنيا، في أحد الأيام بكت الفتاة على صدره وهي تخبره أن والديها قد تطلقا.. لم يعرف قبلها معنى كلمة طلاق.. لكنه منذ احتوى تلك الطفلة بين ذراعيه وهي تبكي على صدره شعر بشعور غريب، لقد شعر أن هذه الطفلة هي قطعة منه وأنه مسؤول عنها وعن سعادتها، شعر أنها له وحده وأقسم أنه لن يخذلها أبداً، وكبر هو وكبرت الطفلة وكان لها دائماً السند الذي تتكيء عليه والصدر الحنون الذي يحتويها.. وأحبها.. أحبها بكل إحساسه وأقسم أنه لن يتركها أبداً..

وقد وفى كريم بعهده وتزوج تلك الفتاة المعطاءة وأنجب منها بناته الثلاث اللواتي أحبهن كل الحب.. وعاش بسعادة بين أحضان حبه الوحيد.. هل حقا كانت حبه الوحيد؟ من الظلم أن أقول نعم، فقد ظهر في حياته حب جديد.. حب من نوع آخر.. حب غريب.. فقد اقتحمت حياة كريم فتاة أخرى، اقتحمتها فتاة جميلة جمالاً تعجز العين عن مقاومته ويعجز القلب عن تجاهل ندائه.. تلك هي أنت يا شهد.. لقد بُهرت بك، لم أرَ فتاة أجمل منكِ.. ولم أعرف امرأة بوصفك.. وشعرت بانجذاب كبير نحوك وانجرفت بمشاعري وراءك.. دون أن أدرك عواقب اندفاعي.. لم أفكر لحظة في النتائج، وجدت نفسي أجري وراءك ووراء رغبتي بأن تكوني لي أنا، نعم كنت أنانياً.. لم أدرك ما أفعل إلا وأنا أتقدم لخطبتك والزواج بك دون علم زوجتي.. وعشت معك شهوراً من الشهد.. شهد حلو المذاق مثل اسمك الجميل..

وأخيراً عرفت زوجتي.. تلك الفتاة التي أقسمت يوماً ألا أخذلها، لقد حنثت بذلك القسم، لقد خذلتها، لم أخذلها فحسب، لقد حطمتها، لقد قتلتها.. وعندما عرفت زوجتي تمنيت وقتها لو أنني لم أندفع وراءك تمنيت لو أنني بقيت ذلك الزوج المخلص الوفي السعيد، لو أنني لم ألتقِ بكِ قط، وتغيرت زوجتي، أصبحت امرأة أخرى، غيرت شكلها وطريقة لبسها، بل وأسلوب حياتها بالكامل، فعلت ذلك لأجل نفسها وليس لأجل أن تجتذبني إليها، وهجرتني، تركتني لك أنت، لكنني شعرت بالغيرة عليها ولم أعد أستطيع أن أكف عن التفكير فيها.. تلك هي الحقيقة، إن حبها جزء مني.. يجري في دمي، نعم يا شهد.. إنها قطعة مني.. واشتقت إليها، والتاع قلبي على حالها.. وبدأت ألوم نفسي على زواجي بك.. شهد أنا أعرف أنني ظلمتك لكنني إن بقيت معك سوف أظلمك أكثر وأكثر.. لن أستطيع أن أسعدك ولن أستطيع الكذب عليك، علينا مواجهة الحقيقة حتى نستطيع تصحيح الخطأ الذي وقعنا فيه، نعم زواجنا خطأ.. خطأ كبير.. دفع كلانا ثمنه ولا أريد أن يكون الثمن أكثر فداحة.. أنا آسف ولا أعرف إن كنتِ ستسامحيني يوما لكنني متأكد أن انفصالنا سيكون في صالحنا معا.. لقد أودعت في حسابك مبلغاً كبيراً وسينتهي إيجار هذه الشقة بعد أسبوعين ولن أجدده وفي هذه اللحظة التي تقرئين فيها رسالتي سأكون قد طلقتك يا شهد.. ستصلك ورقة الطلاق خلال أيام قليلة..

الوداع يا شهد وأرجوكِ سامحيني وأتمنى لكِ كل السعادة..»

«كريم»

■■ 32 ■■

جلست أشواق أمام حنين وهي تقول: لقد طلقها.. هو أخبرني بذلك.. لا تعرفين كم هو نادم.. إنه يحبك ويريد أن يعود إلى البيت.

قالت حنين: البيت بيته لا أستطيع طرده منه.. لكنني لن أعود إليه ليسكن في غرفة المكتب ولديه غرفة الضيوف بجوارها.. لا أريد أن أعود إليه.

مدت أشواق يدها وربتت على يد حنين وقالت: إنه نادم وهو يحبك وقد طلق تلك المرأة ويريد العودة إليك، ألا يستحق فرصة أخرى؟

فانتفضت حنين واقفة وقالت: أخبريه بما قلت.. ليس لدي ما أمنحه لأحد.. وأنا لم أطلب منه أن يطلق زوجته بل تركته لها وصدقيني لا أريد العودة إليه.. حقاً لا أريده.. أنا مرتاحة هكذا.. لا أستطيع الوثوق فيه أبداً.. لا فيه ولا في غيره.. ولا أملك ما أعطيه له.. أرجوكِ أبلغيه بما قلت..

مكتبة
t.me/t_pdf

■ ■ 33 ■ ■

دخل عبدالرحمن مخفر الشرطة وهو متوتر مضطرب.. لقد اتصلوا به وأخبروه أن يحضر لأمر عاجل..

وتفاجأ عندما دخل بابنته نوال واقفة أمامه وهي تجهش بالبكاء، وبدأ الضابط يشرح له.. أخبره أن هناك فتاة شابة تناولت حبوباً غير معروفة المصدر وغير مرخصة للتخسيس ثم ساءت حالتها الصحية ووجدها أهلها وهي تنازع الموت وفي حالة صحية دقيقة وتم نقلها إلى المستشفى ولله الحمد تم إنقاذها، وبعد سؤال الفتاة أخبرتهم أنها حصلت على هذه الحبوب من زميلتها في المدرسة وهي تبيع هذه الحبوب منذ مدة وقد انتشرت بين الطالبات وهذه الفتاة هي نوال، وقد قام أهل الفتاة المريضة بتقديم شكوى ضد نوال التي ما إن تم استدعاؤها حتى اعترفت بأنها تبيع هذه الحبوب بالتعاون مع صديقتها ووالدتها، وقد تم القبض عليهما أيضاً وإحالتهما إلى التحقيق..

وجلس عبدالرحمن منهاراً أمام الضابط والتفت إلى نوال وقال: لِمَ فعلت ذلك يا ابنتي؟ لست بحاجة إلى المال.. لِمَ فعلت ذلك؟

وانهارت نوال باكية وهي ترجو والدها ألا يتخلى عنها في محنتها.. واستدعى والدها محامي الشركة الخاص.. وأخيراً تم الإفراج عن نوال بكفالة مالية على أن يستمر التحقيق معها،

وقد تساهل الضابط معها نظراً لسمعة والدها الطيبة وشهرته الكبيرة، كما أنه طمأن عبدالرحمن عن إمكانية تحسين وضع نوال إذا ما تمت معاملتها كشاهدة في القضية خاصة أنها صغيرة السن، وقد تم استغلالها من قبل صديقتها ووالدتها..

وعادت نوال إلى البيت، وطوال الطريق لم يتحدث إليها والدها رغم بكائها وتوسلاتها إليه أن يسامحها ويعفو عنها..

ودخلا إلى المنزل فوجد أشواق وخالد جالسان في البهو، وجزعت أشواق وهي تسأل ماذا حدث؟ وجرت نوال نحو غرفتها باكية وأمر الأب خالد أن يدخل غرفته وانفجر غضب عبدالرحمن.. إنه يلوم أشواق.. يخبرها أنها لو اهتمت بنوال لما فعلت ما فعلت.. يقول لها لو أن والدتها حية ما كانت نوال ستفعل كل هذه الأفعال.. وغضبت أشواق وردت عليه لو أنه اهتم بأسرته كما يهتم بعمله لما انحرفت ابنته.. ثم ما ذنبها هي إن كانت نوال تكرهها ولم تعطها الفرصة لتتقرب منها؟ واستمرا يتبادلان الاتهامات ونوال تبكي في غرفتها..

كان باسل قد عاد لتوه من شهر العسل الذي قضاه في النمسا كما أراد هو، ومنذ وصل إلى الكويت وهو يفكر في أشواق بل إنه ضبط نفسه يفكر فيها كثيراً خلال سفره، قد يتذكر كلمة قالتها بل إنه وفي أحيان كثيرة كان يتخيل نفسه وهو يحكي لها ما صادفه من أحداث خلال رحلة شهر العسل، وقد اشترى لها هدية، اشترى لها ساعة أنيقة من بهو الفندق الذي سكنه هو وإيمان، وقد أخفى الساعة عن إيمان في صندوق الأمانات لدى الفندق وأخفاها بعناية بعد ذلك بين ثيابه في حقيبة السفر بعد أن قام بترتيبها بنفسه..

وفي يوم عودته إلى العمل كان متحمساً جداً للذهاب حتى يراها، لقد اشتاق إليها.. أوحشته ابتسامتها، نظراتها، لفتاتها الرقيقة، حزنها وتمردها ترى ماذا جرى لها خلال غيابه؟.. ووصل إلى البنك ودخل يكاد يجري وهلل الزملاء لقدومه، الجميع يقدم له التهاني ويمازحه بشأن شهر العسل، وهو يكاد لا يطيق حتى يذهب إلى أشواق وأخيراً وصل إلى مكتبها.. رباه لمَ يخفق قلبه هكذا.. ووقف عند الباب.. كانت أشواق منهمكة في كتابة تقرير يخص العمل، بدت أكثر نحافة، وجهها شاحب وشعرها مشدود خلف رأسها بإهمال مثير، بدت متعبة منهكة.. وأخيراً رفعت رأسها لترى باسل أمامها وفرحت، انطلق البشر والفرح على محياها.. وهبت واقفة وهي تقول بصوت مبحوح: باسل؟ هل أنا في حلم؟ إنه أنت..

واندفعت نحوه تصافحه، شعرت أنها تثبت قدميها تثبيتا على الأرض كي لا تقوم بمعانقته، وارتاحت يدها في يده.. وبالكاد سحبت يدها منه..

وبدأ الاثنان الحديث والشوق يطل من عينيهما.. وباسل متعجب من نفسه إن شعوره غريب لا يعرف إن كان كل هذا الفرح الذي يخالجه لرؤية أشواق بسبب صداقته لها وعمق إحساسه بها، أم أن هناك أسباباً أخرى لا يرغب بمواجهة نفسه بها!.. هل يُعقل أن تكون أوحشته إلى هذا الحد؟.. إنه يتساءل أحقاً ما بينهما مجرد زمالة؟.. واتفق الاثنان على الذهاب إلى المقهى المجاور بعد العمل.. كما اعتادا أن يفعلا سابقاً..

وخرج باسل وعادت أشواق تعمل بروح جديدة والحماسة تنطق من عينيها، ودخلت زميلتها جنان المكتب وقالت: مبروك.. عاد باسل..

ولم تنتبه أشواق إلى ما يحمله صوتها من معان خبيثة فقالت: نعم، عاد أخيراً..

واقتربت جنان منها وقالت بصوت هامس: يا لك من خائبة.. لِمَ تركته يتزوج بأخرى؟!

وانتفضت أشواق في جلستها وقالت بحدة: ماذا تقصدين؟ ليفعل ما يشاء ما دخلي أنا بباسل؟

فقالت جنان بخبث ومكر: هيا يا أشواق لا داعي للإنكار، الكل يتحدث عن علاقتكما.. خروجك معه بعد الدوام وأحاديثكما التي لا تنتهي..

صرخت أشواق في وجهها: اخرسي.. لا أسمح لك بإهانتي.. إن ما بيننا صداقة وأخوة.. ونحن نلتقي أمام الناس في مقهى عام ولا نخجل من أحد، لأننا لا نفعل شيئاً نخجل منه، أنا امرأة متزوجة ومحترمة وليس بيني وبين باسل أي علاقة خاصة..

ردت جنان: على العموم لست وحدي من يتحدث عنكما.. البنك بأكمله يتحدث عن ذلك.. فقط أردت أن أخبرك بما يحدث حولك فقد أعماك الحب عن ملاحظة تصرفاتك..

وانسحبت جنان تاركة أشواق ترتعش من الغضب..

جلس باسل أمام أشواق يستمع إليها في المقهى، لقد بدت غاضبة مرتبكة، كانت قد قررت ألا تخبره عن حديث جنان إليها.. لا تريده أن يبتعد عنها.. إنها بحاجة إليه.. وأخذت تحكي له ما مر بها، أخبرته أن كريم طلق شهد وعاد إلى البيت لكن حنين لم تعد إليه، إنه يعيش في غرفة الضيوف في الطابق الأرضي، وقد نقل جميع أغراضه إليها وحنين ترفض مناقشته في أمر عودة حياتهما إلى ما كانت عليه سابقاً، لا يزال جرحها ينزف.. وبناتهما سعيدات بعودة الأب إلى المنزل.. وأخبرته عن نوال ابنة زوجها وعن تورطها ببيع حبوب التخسيس وكيف استطاع زوجها إنقاذ ابنته من هذه التهمة وجعلها شاهدة في هذه القضية وأخبرته عن اتهام عبدالرحمن لها بأنها السبب فيما حدث لابنته لأنها لم تتقرب منها بل قصرت في حقها وأهملتها، وأخبرته أن علاقتها بزوجها سيئة، يكادان لا يتحادثان معاً، وقد أصبحت تكره بيتها.. تكره حياتها كلها، وقد فكرت كثيراً بالعودة إلى منزل أبيها ولكن أباها تغير، إنه سعيد بزوجته الجديدة وهي سعيدة لأجله لكنه لم يعد يسأل عن ابنتيه وكلما اتصلت به تحدث معها على عجل، وكلما ذهبت لزيارته وجدته متعجلاً كأنه يرغب بطردها من حياته.. لقد أصبح نسخة أخرى من أمها.. وصمتت أشواق وانهمرت الدموع على خديها.. لم تخبر باسل أنها التقت زوجها السابق طارق ولم تخبره أنها تحلم به كل ليلة وتشتاق إلى حياتها السابقة معه منذ رأته صدفة في

المطعم، ومد باسل يده واحتضن يدها وقال: ياه.. كل هذا حدث في غيابي؟ لقد عانيت الكثير عزيزتي.

وسحبت أشواق يدها منه ونظرت خلال النافذة ودموعها لاتزال تجري على خدها.. فقال باسل: هناك شيء تخفينه عني.. أعرفك جيداً.. أنا متأكد.. هيا أخبريني ماذا حدث..؟

وفجأة انفجرت أشواق باكية وأخبرته عن حديثها مع جنان هذا الصباح.. أخبرته أن جميع الموظفين يتحدثون عن علاقتهما بالسوء ويظنون فيهما أبشع الظنون، واستشاط باسل غضباً، وأقسم أن يحطم رأس جنان.. فرجته أشواق أن يضبط أعصابه وألا يتسبب بفضيحة قد تكلفهما غالياً وقد يخسران بسببها الكثير، وقالت: الأفضل لنا أن لا نلتقي هنا بعد اليوم.

فقال باسل بحرارة: فليذهب الناس إلى الجحيم ليس بيننا ما يعيب، كلانا لا يستطيع الاستغناء عن الآخر، لا تعرفين كم أنتِ مهمة لدي يا أشواق.. وعاد يحتضن يدها..

وعندها سمع صوتاً خلفه يقول: الله، الله كل هذا يحدث وأنا لا أعلم!

التفت باسل ليجد أمامه زوجته إيمان.. وقالت إيمان بصوت غاضب موجهة كلامها إلى أشواق: وأنت أيتها المجرمة.. أليس لديك زوج؟ ألست متزوجة، كيف تسمحين لنفسك بإقامة علاقة مع رجل آخر كيف؟

وانتفض باسل واقفاً وصرخ في وجه إيمان: إياك أن تتجرئي على إهانتها، أشواق امرأة شريفة لا أسمح لأي كان بإهانتها،

فصرخت إيمان: وجلوسكما هنا ويدك في يدها وكلامك أنك لا تستطيع الاستغناء عنها.. والساعة التي اشتريتها لها، ووجدتها اليوم بين أغراضك؟ يبدو أنك نسيتها وهاتفك الذي اتصلت عليه مراراً وأنت لا ترد، وعندما ردت زميلتك في المكتب على هاتف العمل قالت لي بمنتهى الوقاحة إنك في هذا المقهى مع أشواق.. أنا المغفلة الوحيدة هنا.. كيف تجرؤ على خيانتي ونحن في بداية زواجنا، ماذا ستفعل بعد سنوات إذن؟!

واقترب مدير المقهى من الطاولة وأخذ يرجو إيمان أن تخفض صوتها، وعندها قامت أشواق وهربت.. ركضت إلى سيارتها وتركت باسل في مواجهة زوجته وسارت على غير هدى في طريقها..

36

قادت أشواق سيارتها وهي تائهة، إنها لا تدري إلى أين تذهب، لا تريد الذهاب إلى بيتها بل لا تستطيع الذهاب إلى البيت وهي في هذه الحالة، لن تحتمل أن يسألها أحد عن حالها.. وبقيت تقود السيارة وهي تكاد لا ترى الطريق من بين دموعها، لقد انهار عالمها.. لم يعد لديها سوى اليأس.. وحياة لا طعم لها ولا لون.. حتى عملها المتنفس الوحيد لمعاناتها وكبتها، لم تعد تقوى على العودة إليه بعد أن خسرت سمعتها وكرامتها، إلى أين تذهب.. هل تذهب إلى حنين.. لا، لا تريد الذهاب إليها.. لم تعد تريد أن تحمِّلها همها، آه لو كانت لديها أم.. لكن مهلاً.. إن لديها أماً، لديها أم حية ترزق.. وظهر تعبير غريب على وجه أشواق.. وعقدت ما بين حاجبيها وأدارت مقود السيارة لتتجه إلى أمها، نعم أمها.. الملجأ الوحيد الذي رأته أمامها.

وقفت أشواق أمام منزل والدتها ومدت يدها ودقت جرس الباب بيد ثابتة، ورد صوت الخادمة فأخبرتها أن تفتح الباب وتنادي أمها.. وبعد برهة جاءت الخادمة لتدخل أشواق إلى البهو.. كانت الساعة قد قاربت الرابعة والنصف عصرا، وقد ساد ضوء خافت في بهو المنزل، وقدأغلقت الستائر حولها.. يبدو أن الجميع ينامون في هذا الوقت.. وقالت الخادمة إن والدتها نائمة، وقبل أن ترد أشواق وجدت أمامها زوج أمها وقد ظهر الانزعاج على وجهه وقال لها باستنكار: هذه أنتِ؟ ردت أشواق بثبات: نعم أنا، أين أمي؟ زوج الأم: أمك نائمة! الوقت غير مناسب للزيارة.

أشواق: أريدها في موضوع مهم.. أيقظها الآن.

رد زوج الأم بغضب: قلت لك إن الوقت غير مناسب إنها نائمة.

فردت عليه أشواق بحدة وبصوت عال: قلت لك أحتاج أن أراها الآن.. اسمع لن أتحرك من مكاني حتى أراها.. وأحب أن أذكرك أن لي حقوقاً عليها، فأنا ابنتها ولست أقل شأنا من أولادك منها.. لي كل الحق برؤية أمي في الوقت الذي أريده، هل تفهم ما أقول؟ أيقظها الآن وإلا صرخت بأعلى صوتي وأيقظت كل من في البيت. وقبل أن يرد زوج الأم، سمعت أشواق صوت والدتها وراءها وهي تقول: أشواق؟ ما بك؟ ما الذي أتى بك

فجأة هكذا؟ والتفتت أشواق نحو أمها.. والتقت عيناها بعيني أمها.. وشعرت أشواق أن قلبها يرتجف، لقد رق قلبها وبكى لكن وجهها ظل جامداً والتعبير الغاضب لا يفارقه، فقالت بصوت مليء بالتحدي: أريدك في موضوع يخصني.

فقالت الأم وقد اقتربت منها: خيراً؟ فرفعت أشواق رأسها بكبرياء ونظرت نحو زوج أمها وقالت باحتقار: لوحدنا.. أريد أن نبقى معاً لوحدنا.

واستشاط الزوج غضباً وقال: أنت في بيتي وتهينني من أنتِ حتى تقتحمي بيتنا وتلقين بأوامرك علينا.

فردت أشواق: أنا ابنتها.. ابنتها التي لم ترحمها يوماً ولم ترد استقبالها أبداً سواء شئت الآن أم أبيت لن أتحرك من مكاني إلا بعد أن أحادث أمي وعلى انفراد وللوقت الذي أريده.

عندها شدت الأم أشواق من ذراعها وأدخلتها غرفة جانبية.. كانت غرفة مكتب زوجها.. غرفة رطبة ذات جدران خشبية وأقفلت الأم الباب وصوت زوجها يتعالى في الخارج وهو يسب ويشتم ويتذمر.

وساد صمت قصير بين الأم وابنتها.. وأخيراً قالت الأم وابتسامة حانية على وجهها: أخبريني يا ابنتي.. ماذا حدث؟

وفجأة أجهشت أشواق بالبكاء.. لقد انهار قناع قوتها واختفى التحدي من وجهها، ولم يبق لها سوى ضعفها ودموعها أمام أمها، وقالت أشواق بصوت يقطعه نحيبها: أنا ضائعة يا أمي حياتي تعيسة، لست سعيدة، لا أحب عبدالرحمن ولا أحب بيته

وأكره ابنته، وفوق ذلك أنا أحب زميلي في العمل وقد تزوج حديثاً وأغار عليه بجنون وأنفث السم في أذنيه حتي يتخاصم مع زوجته، والأمر من ذلك أنني في الوقت نفسه لازلت أحب طارق، زوجي وحبي الأول.. رأيته في أحد المطاعم وكدت أرمي بنفسي بين أحضانه ومن يومها وأنا أحلم به وأشتاق إليه.. هل رأيت ضياعاً أكثر مما أنا فيه؟ وعادت أشواق تبكي وتضع رأسها بين كفيها.. ونهضت أمها من مكانها واقتربت منها.. ومدت يدها ورفعت وجه أشواق إليها وقد جلست مقابلها تماما.. وقالت الأم بصوت عميق: اسمعيني يا ابنتي.. سأخبرك أموراً قد تفيدك.. أموراً قد تغير نظرتك إلى ما حولك، لقد تزوجت والدك بعد قصة حب عاصفة، وتحديت أهلي لأجله.. لم يكونوا موافقين على زواجي منه، فهو سيء السمعة ومشهور بعلاقاته النسائية ومعروف عنه أنه يشرب الخمر، لكنني كنت متيمة به وأوحى إليّ غروري وافتتاني بنفسي أنني سأتمكن من تغييره وأنني سأجعله لا يرى غيري وسيقلع عن السهر والشراب، وتزوجت به على مسؤوليتي وعشت معه.. لقد أحببته حباً تعجز الكلمات عن وصفه، لا أظن أن هناك امرأة أحبت رجلاً كما أحببت أنا أباك، لكنه لم يرحم حبي.. واستمر في علاقاته مع غيري وأنجبت حنين ولم يتغير.. نصحتني أمي وقتها بالإنجاب ثانية وتكوين أسرة تشغلني عن ما يفعله وأنه لا بد أن يعقل ويعود إلى رشده مع مرور الوقت.. لكنني لم أستطع التغاضي عن نزواته.. وبعد أن أنجبتكِ أنتِ بدأ يتعاطى الخمر في المنزل وازدادت المشاكل بيننا، وصدقيني يا أشواق لم أكن أستطع أن أهجره

فأنا لا أطيق البعد عنه، كنت أحبه بعنف وجنون وأغار عليه غيرة تقض مضجعي وتعذبني.. وبدأ والدك يضربني.. لم يكن يضربني إلا وهو سكران.. وصدقيني كنت أسامحه عندما يعتذر لي وهو يبكي في اليوم التالي، كنت أسامحه وأقبّل يده التي ضربني بها.. لهذه الدرجة أحببته.. وفي يوم وأثناء تشاجرنا، طلبت من والدك الطلاق.. لا أعرف كيف جاءت تلك الكلمة على لساني.. فأنا لم أرد الافتراق عنه أبداً.. لكنني وجدت نفسي أقول له طلقني.. وكانت الصدمة التي هزتني وزعزعت كياني.. لقد طلقني والدك.. طلقني ببساطة وكأنه انتهز فرصة طلبي للطلاق ليتركني.. طلقني كمن يخلص نفسه من حمل ثقيل طالما تمنى التخلص منه.. وحملت صدمتي بداخلي، وفي الصباح قررت أن أعود إلى منزل أهلي لعل والدك يندم ويعي ما فعله وقررت تركك‌ما عنده حتي يحتار معكما ويعرف أن لا حياة لكما بدوني.. وخرجت من البيت، وبقيت في منزل أهلي أنتظر ردة فعل من أبيك.. ولكن ردة الفعل هذه لم تأت أبداً.. لم يسأل عني ولم يحاول استرضائي ولم يقدر ما تحملته لأجله كل تلك السنين.. لم يرحم ضعفي وحبي الكبير له ومرضت.. لم أعد أفارق الفراش.. واشتقت إليه وإليكما لكن أهلي منعوني من الاتصال به أو بكما.. كنت في نظرهم مريضة بحبه ومدمنة عليه ويجب أن أشفى من ذلك الحب المهين المؤلم.. ومر وقت طويل حتى استطعت الوقوف على قدمي ثانية.. وجئت لأراكما لم أستطع منع نفسي من رؤيتكما.. أنتما ابنتاي.. ورأيت منك أنت كل الشوق والحب والترحيب ومن أختك كل اللوم والصد والنفور،

إن حنين لم تسامحني على تركي لكما ولم تقدر ظروفي وحالتي، لكنك كنتُ دائماً محبة لي.. وكنتُ قد خُطبت لابن عمي.. رأى أهلي أن زواجي هو الضمان الوحيد لأشفى من حب أبيك، وفعلاً تزوجت.

وصمتت الأم، وسألتها أشواق بحذر: وهل شفيت من حبه بعد الزواج؟

ابتسمت الأم ابتسامة مسكينة وقالت: لم أشف.. لكنني نسيت.. فقد ابتليت بمن هو شر منه.. زوجي لا يشرب ولا يصاحب نساء غيري، لكنه سيء العشرة.. بخيل.. فظ وبغيض إلى أبعد الحدود.. لم أحبه أبداً.. إن جحيم أبيك كان جنة بالنسبة لي لأنني كنت أحبه.. لكن هذا الرجل لا أحبه ولا أطيق جحيمه.. عندها عرفت أن الحياة لا تعطينا كل ما نريد يا ابنتي.. لقد بحثت في زوجي عن صفات جيدة، وركزت عليها وحمدت الله على نصيبي ورضيت بهذا النصيب.. وقررت أن ابني أسرة مستقرة.. وأن أنسى أباك كما نسيني، وأنجبت من زوجي ومع الوقت أحببته، حبا هادئاً عميقاً.. ليس الحب الصاخب المجنون.. لكنه حب نتج عن العشرة فهو زوجي ووالد أبنائي، وصدقيني يا أشواق عندما أفكر فيه الآن أشعر بقلبي يخفق كفتاة مراهقة.. لقد اخترت الحياة معه وأخلصت له.. إن الإخلاص هو سر ما نفعله.. اسمعي يا أشواق.. أنا أعرف أن طارق طلقك دون إرادتك وأنا أيضاً طلقني أبوك دون إرادتي وأعرف تماماً ما شعرت به وعانيته بعده.. وقد تزوجت بعبدالرحمن وانتهى الأمر.. من يومها أصبح طارق من الماضي مشكلتك أنك لم

تجدي لدى عبدالرحمن ما وجدته عند طارق.. لم تجدي الحب المشتعل والشوق العاصف والمشاعر الملتهبة بل وجدت رجلاً ناضجاً أرملاً لديه مسؤوليات كبيرة وأولاد وعمل مجهد وأنت مجرد جزء من أعبائه وكان ذلك مخيباً لك.. أنا لا أعرف عمق علاقتك بزميلك في العمل لكنك وجدت لديه بعض المشاعر التي كنت تفتقدينها مع زوجك، فاندفعت نحوه.. وعندما التقيت طارق صدفة شعرت أيضاً نحوه بمشاعرك القديمة.. كل ذلك لأنك لم تمتلكي مشاعر جديدة تنسيك الماضي وتعوض خيبتك فيه.. اسمعي يا أشواق أنت لا تحبين طارق الآن فهو زوج لأخرى وأنت أيضاً زوجة لآخر، وكذلك زميلك.. تقبلي حقيقة أن كلا هذين الرجلين ليسا لك أبداً ولن يكونا لك.. الرجل الوحيد الذي هو لك فعلاً هو عبدالرحمن، تعلمي أن تحبيه يا ابنتي.. أحبيه كما هو دون أن تحاولي تغييره، أحبيه وتحمليه وتقبلي ما يعطيه لك، ابحثي في داخلك عن صفاته الحسنة وكوني شاكرة، فحسب علمي هو شخص ناجح وميسور الحال، وهو رجل صاحب مبادئ وأخلاقه حميدة، كلها أمور مشجعة لتبدئي صفحة جديدة من حياتك إلى جواره.

ودعيني أهمس لك بأمر.. أنجبي منه.. ارتبطي به بالأولاد.. ألا تريدن أن تكوني أما؟

صمتت أشواق وقالت: لا أدري.

ردت الأم: ألا تثقي في أمك؟

ابتسمت أشواق وقالت: بلى.

ردت الأم: انجبي منه وسترين كيف ستتغير حياتك.. ركزي على إنجاح حياتك وإسعاد زوجك.. إن التركيز هو سر النجاح، والعقل إن لم نشغله بالإيجاب شغلنا بالسلب.

أشواق: أمي.. هل تحبينني؟

فقالت الأم بلهفة وهي تفتح ذراعيها لابنتها: وكيف لا أحبك! أحبك كثيراً.. أنت وأختك.. أنتما أول فرحتي أنتما قطعتان من قلبي ومهما حصل أبقى أمكما وقلبي مفتوح لكما دائماً وإلى الأبد.

دخلت نوال حجرتها وقد عادت من المدرسة لتوها.. إنه يومها الأول في مدرسة جديدة، كانت تبدو شاحبة منهكة.. وسمعت طرقات على بابها.. ودخلت أشواق إليها..

بدت أشواق جميلة مشرقة وقالت بلطف: أخيراً وصلتِ.. كيف حالكِ؟ كيف هي مدرستك الجديدة؟

ردت نوال بتردد: جيدة.. لا بأس بها.

وساد صمت قصير.. واقتربت أشواق من نوال وقالت لها: نوال.. لقد قصرت في حقك.. وربما أكون قد أسأت إليك، أتيت الآن إليك لنفتح صفحة جديدة معا، أعرف مدى حبك لوالدتك - رحمها الله - وصدقيني أعرف ما تحسين به وأنت ترين امرأة أخرى تحل مكانها.. لكنني لن أحل مكانها أبداً.. لا أحد يمكنه أن يحل مكان أحد.. لكنها إرادة الله تعالى أن تغادرنا وأن أكون أنا موجودة هنا الآن، أرجوك.. اقبلي بي في حياتك كأخت وصديقة أريد أن نعيش معاً بكل الحب والتفاهم، صدقيني لا أرغب في شيء في هذه اللحظة كما أرغب في التصالح معك.

وامتلأت عينا نوال بالدموع واقتربت منها أشواق ومدت يدها تربت على شعرها.. وقالت: سنكون دائماً صديقتين.. ولن أبخل عليك أبدا بأي شيء..

وردت نوال والفرح يسري في صوتها: نعم لنصبح صديقتين، وضمتها أشواق في قوة وعطف.

نزلت أشواق الدرج إلى المدخل الرئيسي للبنك وهي في طريقها إلى الخروج.. وسمعت صوتاً يصرخ وراءها.. أشواق أشواق انتظري!

فتوقفت والتفتت ببطء لترى باسل أمامها، بدا مرتبكا مضطرباً وهو يقول: أشواق.. هل صحيح أنك قدمت استقالتك اليوم؟

ردت أشواق وهي تبتسم بثقة: نعم، صحيح.

باسل: لماذا يا أشواق؟

أشواق: لأتفرغ لبيتي يا باسل.

باسل: لكنك كنت ناجحة جداً في العمل وكنت مرشحة للترقية قريباً.

أشواق: الآن أحتاج إلى أن أكون ناجحة جداً في حياتي الخاصة.. لقد قدمت استقالتي بكامل إرادتي.. ولست نادمة أبداً على هذا القرار.

صمتت أشواق قليلاً وباسل ينظر إليها في ابتهال.. وأخيراً قالت له: مع السلامة يا باسل.. انتبه إلى نفسك.. وتركته واقفاً وحده وراءها ومشت في طريقها إلى الأمام.

دخلت أريج غرفة والدها كريم وأخذت تداعبه وهو نائم، وعندما استيقظ قالت له: ماما تقول إن جدي قد دعانا إلى العشاء هذه الليلة في منزله الساعة الثامنة.. هل ستأتي معنا يا بابا؟

رد كريم: وما المناسبة؟

ردت أريج: قال إنه عيد زواجه وزوجته تريد الاحتفال.

كريم: كبرت يا أريج.. من أين لك هذا الكلام؟

ضحكت أريج وقالت: سمعت ماما تقوله إلى خالتي أشواق.

وخرج كريم من غرفته وأريج إلى جواره ورأى حنين جالسة تقرأ إحدى المجلات، فقال لها بتودد: هل نذهب بالسيارة نفسها الليلة؟

ردت حنين: سأذهب مع السائق.

فقال كريم: اليوم إجازة السائق.. هل تسمحين لي أن أكون سائقك الخاص هذه الليلة.. أرجوك.. يمكنكِ الجلوس في المقعد الخلفي.

ولم ترد عليه حنين..

■■ 41 ■■

وصلت أشواق إلى منزل والدها مع زوجها عبدالرحمن وابنه خالد.. لم تأتي نوال معهما فلديها امتحان في المدرسة غداً.. وبعد أن اطمأنت أشواق عليها وأوصتها بالمذاكرة، توجهت مع زوجها وخالد لحضور دعوة العشاء في منزل والدها.. إنها أول دعوة رسمية يقيمها والدها منذ زواجه، لا تذكر متى اجتمعت العائلة آخر مرة، وجدت أشواق أنها مبادرة طيبة من زوجته رغم ثقل دمها!

ودخلت أشواق تتأبط ذراعٍ عبدالرحمن، لقد عودت نفسها أن تتأبط ذراعه كلما خرجا معاً، تشعر بالزهو وكأنها تخبر الجميع أن هذا الرجل زوجها وملكها ولها وحدها، واستقبلتهم زوجة أبيها وداد بحفاوة مصطنعة وقد ارتدت ثوبا مزركشا ذهبيا يلمع بقوة، وابتسمت أشواق رغماً عنها.. يا لهذا الذوق!.. وشعرت بنفسها تكاد تضحك لكنها تمالكت نفسها، وجلس الجميع في صالة الاستقبال، لقد تغير الأثاث بالكامل وتم إعادة صبغ الجدران.. أثاث جديد لا ينم عن ذوق لكن التجديد في حد ذاته جميل.. ودخل أبوها، بدا متورد الخدين، وقد ازداد وزنه، وللمرة الثانية كادت أشواق تضحك وهي ترى أباها كالطاووس السعيد، وشعرت أنها تراقب فيلما لطيفا مضحكا.. وقبلت أباها كأنها تدلله وقرصت وجنتيه ضاحكة وهي تقول: عيد زواج سعيد يا أبي، وضحك والدها بجرأة وقال: طبعا سعيد.. كل يوم مع وداد عيد يا ابنتي.

ومال خالد نحو أشواق وهمس: أنا جائع متى نأكل؟

فابتسمت في وجهه ابتسامة كبيرة كأنها تضمه في عينيها: نحن في انتظار أختي حنين.. لا أظنها ستتأخر، وربتت على خده بحنان.. كم تحبه، إنه صديقها ومصدر سعادتها وهو الوحيد الذي احتواها بحبه منذ دخلت حياتها الجديدة مع عبدالرحمن.

وبعد دقائق دق جرس الباب.. وقامت وداد لتفتح.. ودخلت حنين وكريم معها.. وفرحت أشواق وهي تراهما معا.. مر زمن طويل منذ رأتهما معا.. جنبا إلى جنب.. وبناتهن يتقافزن بفرح وقد اندفعن نحو جدهن يقبلنه ويداعبنه، وتقدمت حنين تقبل أباها.. بدت جميلة وشابة على نحو مثير، وقد ارتدت قميصاً ضيقاً مزيناً بخيوط ملونة زاهية.. بدت في أجمل صورة وقد تألق جمالها وهي تهمس في أذن أشواق: رأيت وداد؟ ما هذا الذوق؟ وضحكتا بصوت خافت.. واقترب كريم يصافح الأب وشد الأب بقوة على يده كأنه يعينه على عناد حنين، ثم تقدم يسلم على أشواق التي ابتسمت له ابتسامة كبيرة كأنها تشجعه وتصبره بها.

وعلقت أشواق بصوت خافت: كم فرحت عندما رأيتكما تدخلان معا.

ردت حنين بسرعة وكأنها أعدت كلماتها لتكون جاهزة للرد على مثل هذا التعليق: اليوم إجازة السائق.. اضطررت للقدوم معه.

وسكتت أشواق.. وتقدمت وداد ودعت الجميع للتفضل لتناول

العشاء.. كان الطعام ممتازاً.. وبدت المائدة في أحسن تنسيق وقد أنيرت بشموع بيضاء كما في المطاعم الراقية وقد أعطت طابعاً رائعاً على جو العشاء، وجلس كل بجانب زوجته والأطفال معا.. وشعرت أشواق بالامتنان نحو وداد، وودت لو أنها كانت أكثر لطفاً معها، بل أحست بتأنيب الضمير لانتقادها ملابسها، هكذا هي أشواق طيبة القلب.. الشر ليس من طبعها، فقالت بصوت يفيض حماسة: ما أجمل المائدة.. كأننا في فندق خمسة نجوم.. والطعام كله رائع.. تسلم يدك يا وداد.

وأضافت حنين: حقاً كل شيء جميل ومرتب، شكراً لك.

وفرحت وداد بهذا التشجيع والإطراء وقالت: هذا أقل مما تستحقون وكله لأجل والدكما الذي يحبكما كل الحب.

وانتهى العشاء في جو أسري جميل، شعر الجميع بالفرح وانطلق الأب يحادث عبدالرحمن في أمور العمل وأحوال السوق.

وفجأة قامت حنين وقالت لوداد: استأذنك أريد الخروج إلى الحديقة الخلفية.. مضى وقت طويل منذ دخلتها.

فردت وداد بلطف: بالتأكيد عزيزتي.. البيت بيتك.. سنقدم الحلويات مع القهوة بعد قليل.

وخرجت حنين إلى الحديقة.. ياه إن هذه الحديقة عزيزة عليها.. لقد اعتادت لقاء كريم هنا.. لقد شهدت هذه الحديقة اعتراف كريم بحبه لها.. لقد شهدت الكثير من المشاعر الجميلة المخلصة وقتها.. وتنهدت حنين. وسمعت صوتاً وراءها يقول: ألا

زلت تذكرين؟

التفتت لتجد كريم أمامها وقد وقف ينظر إليها بحنان.. وعاد يقول:

ألا زلت تذكرين كم التقينا هنا قبلا.. هنا في هذا المكان بالذات اعترفت لك بحبي للمرة الأولى، هل تذكرين يا حنين، حبي الكبير إليك.. وها نحن هنا في المكان نفسه معا ولسنا معا.. وهنا أريد أن أخبرك أنني مازلت أحبك.. أحبك يا حنين أكثر من السابق وأكثر من أي وقت مضى، أحبك ولم أحب في حياتي سواك، أحبك بكل نبضة ينبضها قلبي.. وأرجوك بحق كل العشرة التي بيننا وبحق بناتنا اللاتي لا ذنب لهن.. أرجوك واستحلفك بالله أن تسامحيني وأن تغفري لي زلتي.. أرجوك يا حنين، ألم يحن الوقت نعود؟

انهمرت دموع حنين وأشاحت بوجهها تنظر إلى الأفق البعيد.. وكريم واقف خلفها وقالت: ليتني أستطيع أن أنسى يا كريم، ليتني أقدر، لقد فقدت ثقتي فيك.. وعندما فقدت ثقتي بك فقدت شعوري بالأمان.. ذلك الشعور الذي لم أعرفه إلا وأنا معك.. أخبرني هل تضمن لي أنك لن تجرحني من جديد؟.. لستُ أهلا للتجربة.. لا أريد أن أصدم من جديد.. لم يعد قلبي يحتمل ولن يحتمل صدمة أخرى.. دعنا كما نحن.. أريد أن أحافظ على نفسي.. أخاف على قلبي يا كريم.

رد كريم بصوت حزين: ألا أستحق فرصة ثانية؟ لا أطلب منك سوى فرصة جديدة وأضمن لك أنني لن أجرحك أبداً.. أبداً.

حنين: قلت لك.. لن أحتمل صدمة أخرى، لا أريد المجازفة، لا أريد حتى المحاولة.. لا أريد أن أعاني من جديد.. لم يعد لدي ما أعطيه لك.

وجاء صوت مختلف هذه المرة.. إنها أشواق أختها، وقالت أشواق: حنين.. ألا يستحق كريم فرصة أخرى؟ أرى أن الحب يسحق أن نعطيه الفرصة ليعم حياتنا وينيرها.. كلنا نخطئ وكلنا يتعلم من أخطائه، ولا أتصورك وأنت بحر العطاء والحنان إلا وأن تسامحي وترحمي، كما عهدناك جميعاً وكما عرفناك.. هيا يا حنين كفي عن المقاومة.. اتركي الخوف وراءك وانسي ما حدث وافتحي صفحة جديدة لقد أعطاك كريم الكثير.. وحان الوقت لتعطيه أنت هذه المرة فرصة جديدة لتعوضا ما فات.. هيا يا أختي يا صاحبة القلب الكبير.

وبقيت حنين صامتة تصارع مشاعرها المتناقضة.. هل لاتزال تحب كريم؟ لقد ظنت أن حبه انتهى إلى الأبد.. هل انتهى حقا؟ وخفق قلبها بعنف.. إنه الجواب.. فلينتصر الحب إذن.. لأجل الحب.. لأجل كريم ولأجل قلبها.. ولأجل بناتها والتفتت حنين وابتسمت ابتسامة صغيرة لكنها جميلة.. إن أجمل ابتسامة هي تلك التي تشق طريقها من بين الدموع.. واقترب منها كريم ببطء ووقف أمامها وأخيراً.. رمت حنين بنفسها على صدره وهي تجهش بالبكاء.. لقد عادت.. عادت إليه.. إلى حبيبها وزوجها.. عادت إلى الأمان.

الهاتف يرن...

- ألو.

- أمي كيف حالك؟ أنا أشواق.

- خيرا يا ابنتي؟

- إن حنين الآن في المستشفى أظنها ستلد قريباً وقد أوصتني أن أخبرك.

- حسنا سآتي بعد نصف ساعة.

وقفزت الأم من مقعدها مسرعة، يا إلهي لقد عادت إليها ابنتها.. عادت إلى حياتها.. شكرا لك يا رب وشكرا لك يا أشواق لكل ما بذلته لتحسني العلاقة بيننا.

خرجت الممرضة من غرفة العمليات وهي تهلل في وجه كريم وأشواق والأم: مبروك.. إنه ولد.. ولد جميل كالبدر.

43

- عبدالرحمن.

- نعم يا حبيبتي..

- هل تذهب معي الآن إلى زيارة أختي في المستشفى؟

- حسنا كما تريدين..

- عبدالرحمن.. هل تحبني؟

- طبعاً أحبك.. من لي غيرك في هذه الدنيا، لم أعد أستطيع الاستغناء عنك.

- إذن أريد أن أعترف لك بأمر.

- خيراً؟

- أنا حامل.

حنين

عاشت حنين حياتها بسعادة، وأنجبت ولدا آخر.. وحافظ كريم على وعده لها وبقي مصدراً للأمان في حياتها، وبقي مخلصاً لها طوال العمر.

أشواق

أنجبت أشواق بنتا وولدا.. وكانت أماً رائعة عظيمة.. وقد أحسنت إدارة حياتها.. وهي سعيدة وقلبها مليء بحب عبدالرحمن.. زوجها ووالد أبنائها، إنه من جعل لحياتها معنى ولكيانها وجودا.

الأب

عاش الأب هانئا مع وداد.. إنه راض وسعيد، فهي تفهمه وقد عوضته سنوات الوحدة التي عاشها.

الأم

تحسنت علاقتها بابنتيها كثيراً ولم تعد تستطيع الابتعاد عنهما.. رغم تذمر زوجها واعتراضاته التي لا تنتهي.. لكنهما

ستظلان ابنتيها سواء تقبل ذلك أم لا، ولن تفرط في حقها بأن تظل في حياتهما إلى الأبد.

نوال

تفوقت نوال في دراستها.. ودخلت كلية الحقوق.. أصبحت أشواق صديقتها المفضلة.. إنها لا تخفي عنها شيئاً وهي أقرب الناس إليها وكاتمة أسرارها.

شهد

تزوجت شهد برجل كبير في السن لكنه فاحش الثراء وبعد خمس سنوات توفي زوجها بعد أن سجل لها جميع ممتلكاته.. ورغم المشاكل التي أثارها أولاد المرحوم.. إلا أنها سعيدة، فالمال بنظرها مصدر للسعادة وهي الآن تملكه.. كما أرادت دائماً.

باسل

بقي باسل مع إيمان.. وقد احتاج وقتاً طويلاً ليبعد شبح أشواق عن حياته، وأصبح حريصاً جداً على تجنب زميلاته في العمل.. لا أحاديث جانبية مع الزميلات.. فقد أصبح شعاره لا للزمالة ولا للصداقة مع الجنس الآخر.

(تمت)

عندما تعود الأفراح

إن هذه القصة كتبتها بروحي وقلبي.. أحس بها قريبة من نفسي بشكل خاص، ربما لأنها مليئة بالعواطف والأحاسيس الإنسانية الصادقة، لكني أظن أنني وضعت الكثير مني بين سطورها.

علياء

■■1■■

فرح

رن جرس المنبه يشق سكون الغرفة، وامتدت يدها من تحت ملاءة السرير لتغلق جرس الساعة المزعج، لطالما أحست بصعوبة في الاستيقاظ مبكراً في الصباح، وكانت فرحتها كبيرة عندما دخلت الجامعة ووجدت أنها تستطيع اختيار أوقات محاضراتها قرب الظهيرة، لكنها اضطرت هذا الفصل إلى أخذ مادة الإحصاء في الثامنة صباحاً، لم تستطع إيجاد بديل لهذا الوقت، وها هي تشعر أنها معاقبة بالاستيقاظ باكرة ثلاثة أيام في الأسبوع! لقد اعتادت أن تستخدم منبه هاتفها النقال لإيقاظها يوميا، لكنها لا تضمن نفسها فجعلت هاتفها يرن في السادسة إلا ربع بينما ساعة المنبه ترن في السادسة تماماً.

ورفعت فرح اللحاف عن رأسها واستوت جالسة في سريرها وشعرها مهووش فوق رأسها، ومدت أصابعها تدعك عينيها ونظرت إلى فوق كأنها تستغيث بالله من الاستيقاظ في هذا الوقت.

وأخيراً جرَّت قدميها جراً ودخلت إلى الحمام لتستحم لعل الماء يثير النشاط في عروقها.

وبعد ربع ساعة خرجت تلف جسدها بفوطة حمراء كبيرة وشعرها ملفوف بفوطة أخرى من اللون نفسه، وجلست أمام مرآتها وقد بدت أفضل حالاً، وسحبت الفوطة التي تلف شعرها فانتثر شعرها المتماوج على كتفيها، لقد اشتهرت بشعرها

المتاوج، إنه شعر كثيف جداً، تتزوي خصلاته بطريقة دائرية، إن ملمسه ناعم لكنه غير أملس بل يلتف بطريقة متماوجة جميلة أضفت تميزاً على مظهرها، كانت فرح جذابة بشكل كبير، فوجهها مستدير تماماً وعيناها واسعتان جميلتان جداً، لونهما أخضر داكن، وأنفها صغير دقيق، وفمها مميز حيث تبرز أسنانها بروزاً خفيفاً عندما تبتسم، ولعل أهم ما يميزها بعد شعرها هو تناسق جسدها، لقد وهبها الله جسداً جميلاً فاتناً متناسقاً ولونها الحنطي متناغم بشكل كبير مع لون شعرها الكستنائي الفاتح، إنها تلفت النظر أينما حلت، قد لا تكون باهرة الجمال، لكنها تملك جاذبية تجعلك لا تستطيع صرف عينيك عنها، وعرفت هي ذلك منذ صباها، لم تكن جميلة في صغرها، كانت عادية الشكل، لكنها منذ كبرت والعيون لا تكف عن التهامها، وانتهت فرح من تجفيف شعرها باستخدام المجفف الكهربائي، إنها ليست بحاجة إلى فرشاة فشعرها أجمل على طبيعته وهي تعتز به كثيراً، وبدأت تضع المساحيق على بشرتها الناعمة، إنها تتزين بعناية كبيرة وتركيزها منصب على إبراز جمال عينيها، وصبغت شفتيها بلون باهت، ومر وقت طويل إلى أن انتهت وبدأت ترتدي ثيابها، وأخيرا انتهت في السابعة وعشر دقائق تماماً.

وخرجت من غرفتها ونزلت الدرج لتجد والدتها جالسة على مائدة الإفطار، لم تكن تسمح لها بالخروج من المنزل من دون تناول إفطارها، تخاف عليها أن تخرج على لحم بطنها، إنها عالم أمها، نبضها، روحها وقلبها، لقد توفي والدها وهي في الرابعة من العمر، توفي في حادث سير مروّع، كانت أمها وقتها في

السادسة والعشرين من عمرها، زوجة جميلة سعيدة هانئة في حياتها، كانت حاملاً وقتها لكنها فقدت جنينها بعد وفاة زوجها من شدة حزنها وتأثرها لموته، فأصبحت فرح هي حياتها، هي البسمة والأمل في دنياها ورفضت أمها الزواج نهائياً، لم ترد أن تجرب حظها من جديد، يكفيها فرح في حياتها، تريد أن تعيش لأجلها، وثارت عائلة الأم بسبب قرارها هذا، وثارت أكثر عندما أصرت الأم أن تبقى في بيتها، تريد أن تعيش وحدها مع ابنتها، لا تريد العودة إلى منزل العائلة، وثار إخوتها، كيف تعيش امرأة شابة بلا زوج في بيت كبير لوحدها، ولماذا؟ لم يتفهموا أن الأم عاشت أحلى ذكرياتها بين جدران هذا البيت، تريد أن تبقى في المكان الذي شهد حبها لزوجها وسعادتها معه، تريد أن تبقى في مملكتها وإن كان راعي هذه المملكة قد ذهب بلا رجعة، لكنها لا تريد الرحيل عنها، واحتار أهلها معها، وأخيراً وجدوا الحل، سيقيم أخوها معها، كان قد تزوج للتو وتقرر أن ينتقل مع زوجته ليعيشا معها، واحتاج البيت إلى بعض الترميمات ليصبح صالحاً لسكن أخيها معها، وبالفعل خصصت له شقة منفصلة في الطابق الثاني من البيت، إنه لا يدفع إيجاراً لها، يكفي وجوده قربها.. إنها لا تريد منه مالاً بل تشعر بالامتنان لأنه أعطاها سببا كي تستطيع البقاء في منزلها الذي تحبه، وأصبح لأخيها مدخلاً منفصلاً من جانب المنزل، وقد مضى على سكنه معها خمسة عشر عاماً، أنجب خلالها ولدين أحدهما في الثانية عشرة والآخر في السابعة، والعلاقة بين أفراد الأسرتين طيبة للغاية، وحتى عندما بنى أخوها منزلاً خاصاً له، فضل أن يؤجره

ليستفيد من ريعه ولم ينتقل من بيتها حتى الآن.

إن فرح اليوم في التاسعة عشر من عمرها ومازالت والدتها تعاملها كطفلة مدللة وتعتني بكل ما يخصها بنفسها، وتقدمت فرح تقبل أمها وهي تقول: صباح الخير يا أجمل أم في الدنيا.. لدي عشر دقائق فقط لأتناول إفطاري.

وابتسمت الأم بحنان وقالت وهي تصب الشاي بالحليب لابنتها: كل هذه الزينة لأجل الجامعة؟ تبدين كأنك ذاهبة إلى عرس!

وضحكت فرح وقالت: ماذا ستقولين إذن لو رأيت بنات الجامعة وما يرتدينه هذه الأيام، ستقولين وقتها أنني أقلهن زينة وتبرجاً.

هزت الأم رأسها وهي تقول: على أيامنا كانت الجامعة للدراسة وليست للاستعراض.

لقد تقاعدت الأم منذ عامين من وظيفتها ورغم ذلك فهي تصحو باكراً وتشرف على تحضير طعام الإفطار بنفسها كما تشرف على تنظيف المنزل وتساعد الخادمة كثيراً في أعمال المنزل، كانت الأم لاتزال شابة، فقد تجاوزت الواحدة والأربعين من عمرها ببضعة شهور فقط، وبدت نحيفة نضرة هادئة الملامح، ورثت ابنتها جمال عينيها لكنها لم ترث شعرها الخفيف الناعم المتطاير ولا لونها الأبيض المتورد، كانت فرح أقرب إلى ملامح الأب المتوفى من ملامح الأم، عدا عينيها.. كذلك شخصيتها المليئة بالحيوية والصخب عكس والدتها الهادئة ذات العزيمة القوية.

وتناولت فرح إفطارها على عجل وفي السابعة والنصف تماماً قفزت من مقعدها وهي تقول لأمها: يجب أن أذهب الآن، مع السلامة، بالمناسبة سأتناول الغداء في الجامعة اليوم، لدي محاضرة لمعيد الإحصاء عصراً.

وردت الأم بحنان: حسنا، انتبهي إلى نفسك.

وخرجت فرح وركبت سيارتها الجيب البيضاء، وقد تعكر صفوها، إنها تكره نفسها عندما تكذب على أمها، ضميرها يؤنبها، وتنهدت وهي تدير محرك السيارة وتنطلق إلى الجامعة، وفي الطريق مدت يدها وأدارت رقماً على هاتفها النقال وسمعت الجرس يرن طويلاً، وأخيراً جاءها صوت خشن يقول بنبرة نائمة: آلو...

فانطلقت فرح تقول بمرح: صباح الخير، إنها الثامنة إلا ثلثاً الآن، ألن تحضر محاضرتك الأولى كالعادة؟

وجاءها الصوت قائلا: آه، لا أستطيع النهوض، سهرت البارحة مع أصدقائي لنشاهد فيلماً حتى الفجر، فيلم رائع، لم يعرض في السينما حتى الآن.. سأراك على الغداء؟

فقالت فرح: نعم، أراك في الواحدة والنصف، في المطعم نفسه، لقد حجزت الكابينة نفسها مع السلامة أيها الكسول.

وأغلقت الهاتف وسرحت وراء أفكارها، إنه عمران.. حبها الأول.. لم تعرف الحب قبلاً، ولا تعرف كيف وجدت نفسها تحبه، كانت في سنتها الجامعية الأولى في كلية العلوم الإدارية عندما رأته للمرة الأولى، طالباً في السنة الثالثة، يكبرها بعامين، وسيما جذابا طويلاً، رأته واقفاً يشرف على تنظيم الانتخابات

الجامعية ووجدت نفسها تتأمله، بدا متحمساً ومميزاً وهو يدعو من حوله للتصويت إلى القائمة التي يمثلها، والتفت نحوها صدفة والتقت عيونهما فأشاحت عنه بسرعة، لكنها عادت تنظر إليه من جديد، كأنها لا تقوى على مقاومة رغبتها في التطلع إلى هذا الرجل بالذات دون الآخرين، ووجدته ينظر إليها أيضاً، وابتسم لها ولم تبتسم له، بل أشاحت عنه ثانية، وما إن التفتت نحوه حتى فوجئت به أمامها تماماً، وحادثها، هكذا ببساطة تقدم يحادثها ويطلب منها انتخاب قائمته، وفعلت لأجله، وفازت تلك القائمة وفي اليوم التالي رأته وجاء يحادثها وهو سعيد لفوزه بالانتخابات، ومع الوقت أصبح يسلم عليها كلما صادفها ثم بدا وكأنه يتعمد مصادفتها، إنها تراه دائماً في طريقها، وكلاهما منجذب نحو الآخر، وأخيراً وجدت نفسها تحادثه بالهاتف، تذكر أنه شكا إليها غيابه المتكرر عن محاضراته الصباحية وعدم قدرته على الاستيقاظ باكراً رغم استخدامه للمنبه، فسألها ضاحكاً إن كانت تتطوع للاتصال به وإيقاظه كل صباح، وضحكت لطلبه، واستجابت له، واتصلت به في اليوم التالي وأيقظته، لكنه لم يذهب إلى الجامعة، ولم تذهب هي أيضاً، قضيا فترة الصباح يتحادثان، وعرف كل شيء عنها وعرفت كل شيء عنه، إن والديه متقاعدان من العمل، وأسرته بسيطة، ولديه أخ يصغره يدرس في المعهد التجاري، إن أخاه في مثل عمرها تماماً، اسمه وليد، وهو بالكاد ينجح في دراسته، يعتمد دائماً على حظه ويتمنى اليوم الذي يتخرج فيه من المعهد ويعمل، ووجدت فرح نفسها تلتصق به، أصبحت جزءاً مهما في حياته، يكادان لا يفترقان،

تراه يومياً في الجامعة، وتحادثه كثيراً بالهاتف وتعرف جميع أصدقائه، واعتادت اللقاء به بين وقت وآخر في أحد المطاعم في كابينة خاصة تخفيهما عن عيون المتطفلين، ومر عام على حبهما، أصبحت فرح في عامها الدراسي الثاني في حين عمران في عام التخرج، بات حلمه قريباً.

ومع اقتراب موعد تخرجه شعرت فرح ببعض الخوف، ما مصير حبهما، إنه يحبها بلا شك وهي تحبه بكل مشاعرها لكنها لا تعرف ما ينويه عمران نحوها، لم يحدثها أبداً عن الزواج، لم يلمح لها بالأمر، وكانت تحكي ما يجول في خاطرها إلى صديقتها المقربة ريم، إن ريم صديقتها منذ الطفولة وهي تسكن في المنطقة نفسها، وتدرس معها في الكلية نفسها أيضاً وتعرف قصتها مع عمران، وهي فتاة لطيفة وراقية، لطالما أحبتها والدة فرح ووثقت بأخلاقها وحسن تربيتها، وكان والد ريم يمتلك مكتباً شهيراً للسياحة والسفر واعتادت ريم قضاء الكثير من وقتها في مكتب والدها لتتعلم سير العمل هناك، ولطالما سعدت أسرة ريم بصداقتها لفرح فكلتاهما تليق بالأخرى، وكانت ريم تلح على فرح أن تفاتح عمران بما ينوي فعله بعد التخرج، لكن فرح لا تستطيع عرض نفسها عليه بهذه الصراحة، تشعر بالخجل والضعف ولا تريد أن تبدأ هذا الحديث معه، كيف تلمّح له بالزواج! إنها لا تجرؤ على مفاتحته وسؤاله.

ووصلت إلى الكلية ونزلت مسرعة ودخلت قاعة المحاضرة بعد أن نفضت من رأسها أفكارها لتركز فيما يقوله دكتور الإحصاء.

■■2■■

عمران

نهض عمران في التاسعة وأخذ يرتدي ثيابه على عجل، لقد فاتته محاضرته الأولى ويجب أن يذهب إلى الجامعة بسرعة كي لا تفوته المحاضرة التالية أيضاً، بدا شاباً طويلاً جذاباً، وأخذ كراسة محاضراته شبه الخالية وقفز ينزل السلالم.

كان والداه جالسين في الصالة، الأم تخيط مفرشاً مطرزاً، والأب يقرأ الجريدة، وهتف عمران: صباح الخير.

قال الأب: صباح النور، طبعاً فاتتك محاضرة الصباح كالعادة، يا بني إنها السنة النهائية، بل إنه الفصل النهائي، حاول أن تضبط نفسك قليلاً لا تُضيّع تعب السنوات الماضية.

وابتسم عمران في وجه أبيه، لقد اعتاد نصائحه التي لا تنتهي فما أن يلتقي به حتى يمطره بالنصائح، هذه حاله منذ تقاعد من عمله فتفرغ للنصائح والإرشادات.

وقالت الأم بطيبة: هل تريد تناول إفطارك؟

وانحنى عمران يقبل رأسها وهو يقول: لا وقت لدي، آكل في الجامعة، وبالمناسبة لا تنتظراني على الغداء.

وجرى خارجاً قبل أن يسمع تعليقاً جديداً من والده.

والتفتت الأم نحو الأب قائلة: عليك أن تبحث له عن واسطة من الآن ليعمل في وظيفة مرموقة.

وقال الأب: التعيين الآن عن طريق ديوان الخدمة المدنية ولا

دخل للواسطة بالأمر، كلٌّ يتم تعيينه حسب تخصصه.

الأم: من قال ذلك؟ قد يترشح للعمل في جهة ما، لكن إن توسطت له يقوم الديوان بترشيحه ليعمل في المكان الذي يريده هو، يجب أن تتصرف لم يبق سوى القليل على تخرجه.

الأب: سأرى ما يمكنني فعله، دعيني أسأل في هذا الموضوع، ياه لقد مرت الأيام سريعاً، غداً يعمل ويتزوج أيضاً.

الأم: محظوظة من يختارها عمران، شاب رائع رزين ولا ينقصه شيء.

الأب: عروسه موجودة، سأخطبها له بمجرد أن يتخرج إن شاء الله.

الأم: من تقصد؟

الأب: لِمَ تدّعين أنك لا تعرفيك من أقصد؟ أجوان ابنة أخي محمود، من غيرها تصلح لابننا.

الأم: تعرف رأيي في هذا الأمر، أراها لا تصلح له، فتاة تدرس في الخارج بلا رقيب ولا حسيب، البنات في بيوت أهلهن وتحت أنظارهن ويقمن بعمل العجائب، فما بالك بفتاة تدرس في بلد آخر وتقيم مع صديقتها أيضاً.

الأب: إياك والكلام عنها بالسوء، إنها تدرس هناك ليس إلا، وقد تربت على الطيب والأخلاق، وأنا أثق بتربية أخي.. إنها ابنته الوحيدة بين أخوين وقد اهتم بها منذ صغرها، ولن يجد عمران أفضل منها، وستتخرج هي أيضاً قريباً.

سكتت الأم على مضض وهي تقول: ليتخرج أولاً ويعمل، وبعدها يكون لكل حادث حديث.

■■3■■

أجوان

رن جرس الهاتف طويلاً قبل أن تأتي أجوان راكضة لتجيب عليه، بدت فتاة طويلة القامة، رشيقة القوام، ترتدي بنطالاً قصيراً ضيقاً يكاد يلتصق بجلدها وبلوزة ذهبية اللون بلا أكمام، وقد تدلى شعرها القصير أسفل أذنيها بنعومة فائقة.. بدا وجهها جميلاً خالياً من المساحيق، فقد اكتفت بخط رفيع من الكحل يظهر اتساع عينيها السوداوين الكبيرتين، إنها جميلة الشكل بلا شك لكنها لا تعطي انطباعاً بالراحة لمن يراها، فالشقاوة التي تطل من عينيها هي أبعد ما تكون عن الهدوء والاستقرار، ورفعت سماعة الهاتف لتجيب بصوت رخيم: هالو؟

وجاءها صوت والدها الذي يتصل بها من الكويت: أجوان.. أين أنت؟ لقد اتصلت بك مراراً!

وظهرت الخيبة على وجه أجوان، إن والدها يمطرها باتصالاته ويزعجها إلى أقصى الحدود بأسئلته التي لا تنتهي.. إنه يلاحقها طوال اليوم، كأنها لا تزال تعيش معه في بيت واحد، لماذا لا يستوعب أنها تعيش في بلد آخر بعيد عنه، بل في قارة أخرى، وأجابت بصوت ملول: كنت أدرس يا أبي، وكما تعلم فأنا أفصل فيشة الهاتف وقت الدراسة كي لا يشتت انتباهي ويضيع وقتي!

وأخذ الأب يسألها عن دراستها وعن آخر أخبارها رغم أنه حادثها بالأمس، إنه يسألها كأنه غاب عنها وعن حديثها

شهوراً طويلة، إنه يحبها بجنون، يكاد يجن لبعدها عنه، ورغم مرور أربعة أعوام على سفرها للدراسة في الخارج، إلا أنه لم يعتد على حرمانه منها، صحيح أن له ولدين غيرها كلاهما في الثانوية إلا أنه يحب أجوان على وجه الخصوص، ربما لأنها ابنته البكر، ربما لأنها جميلة، وربما لأنها الفتاة الوحيدة بين أخوين والبنات عادة أقرب إلى الآباء من الأولاد، لكنه متعلق بها كثيراً، أكثر من تعلق والدتها بها.

وانتهت مكالمة الأب بعشرات النصائح لابنته وأخيراً أغلقت أجوان سماعة الهاتف والملل يعصف بها.

وفجأة سمعت طرقات منغمة على باب شقتها ثم سمعت جرس الباب يرن وصوت ضحك من خلف الباب، فتقدمت وقالت: من هناك؟

فجاءها صوت غادة صديقتها وزميلتها في الدراسة والسكن تقول: هذا أنا، افتحي.

وفتحت أجوان الباب فدخلت غادة برفقة شاب يحمل كيساً كبيراً من أحد مطاعم الوجبات السريعة، وقالت أجوان: تأخرتما كثيراً.. كل هذا الوقت لشراء طعام العشاء؟

فقالت غادة: المطعم مزدحم جداً، وكأننا في أيام العطلة الأسبوعية، لا أعرف لِمَ صممت علىأن نأكل هنا!

هزت أجوان رأسها وأشارت ناحية مكتب صغير امتلأ سطحه بالأوراق والكتب وقالت: نأكل هنا كي لا نضيع وقت الدراسة، لدينا امتحان مهم في الغد هل نسيت؟!

والتفتت غادة نحو الشاب الذي كان لا يزال واقفاً خلفها: هيا يا أحمد اذهب إلى المطبخ وأحضر الصحون لنأكل قبل أن يبرد الأكل.

فقال ساخرا: حاضر يا سيدتي، هل من أوامر أخرى؟

فضحكت غادة وقالت: لا، أسرع الآن هيا.

وقفزت نحو الأريكة ومدت ساقيها الطويلتين أمامها، إنها طويلة القامة أيضاً كأجوان، تكاد تقاربها في الطول، لكنها مختلفة عنها تماماً في الشبه، كانت غادة ممتلئة الجسم بلا سمنة، بيضاء البشرة، شعرها طويل يصل إلى أسفل ظهرها، شعر جميل ناعم أسود اللون، عيناها صغيرتان مسحوبتان ورموشها طويلة، وأجمل ما فيها ضحكتها الصاخبة وغمازتاها الرائعتان.. إنها حلوة مليحة، تدخل القلب، وتشترك مع أجوان في الشقاوة المطلة من عينيها، إنها تعرف أجوان من الكويت، لم تكونا مقربتين كما هما الآن، إنهما جارتان، ووالد غادة صديق لوالد أجوان وعندما حصلتا على بعثة الدراسة في الخارج رأى الأبوان أن تسكنا معا، وفعلاً تم ترتيب مسألة السكن فاستأجرا هذه الشقة المكونة من غرفتين وحمامين وصالة واسعة ومطبخ جميل التصميم والترتيب، وارتاحت الفتاتان معاً، انسجمتا معاً بشكل مدهش، إن طباعهما متقاربة وكلتاهما حريصة كل الحرص على راحة الأخرى، فمضت سنوات الدراسة - التي لم يتبق منها سوى أشهر قليلة - سريعاً ودون مشاكل تذكر، واعتادتا تقسيم أعمال المنزل بينهما بالتساوي.

وفي العام الدراسي الثاني لهما تعرفت غادة على أحمد، إنه يدرس الإعلام، في حين أجوان وغادة تدرسان المحاسبة، وأحمد شاب كويتي في نفس عمريهما ويدرس في الولاية نفسها معهما، تعرفتا عليه صدفة في احتفال أقامه أحد الطلاب العرب بمناسبة تخرجه في أحد المطاعم الفخمة ودعا جميع الطلبة العرب في المنطقة للحضور، ومنذ التقى أحمد بغادة وهو ملتصق بها كظلها، لقد أبدى إعجابه بها يومها، وأصر على الحصول على رقم هاتفها وأخذ يتصل بها كثيراً، ومع الوقت بدأ يواعدها للخروج إلى المطاعم وإلى السينما، ثم تطورت علاقته بغادة وبدأ يزورها في الشقة، ولم تعترض أجوان على ذلك، إنه يجلس معهما في الصالة، ولم يحدث منه ما يسيء إليهما، كما أنهما لا يتخطيان حدود الأخلاق أمامها، صحيح أنه يجلس ملتصقا بغادة في أغلب الأحيان، وفي أحيان أخرى يداعب شعرها أو يقبلها على وجنتيها أمام أجوان، لكنه لم يتمادى إلى أبعد من ذلك معها أو على الأقل في حضور أجوان! وغادة تحبه بجنون إنها تعتبره مُلكا لها، وتغار عليه من بقية الطالبات وأحمد مستسلم لها، سعيد بصحبتها وباهتمامها بكل ما يخصه، وفي أيام كثيرة يأتي ليتناول الطعام معهما، وفي مقابل ذلك كان يدعوهما إلى العشاء كثيراً، أو يتطوع بإحضار بعض مستلزمات البيت مما يرضي الفتاتين ويشعرهما بانتمائه إليهما، أمر واحد أزعج أجوان كثيراً.. إنها نهلة الفتاة الكويتية التي تسكن في الشقة المقابلة لشقتهما مع أخيها، إنها فتاة ثقيلة الظل، سخيفة إلى أبعد الحدود، فتاة محجبة ملتزمة متزمتة، ولم تكن تهم

أجوان في شيء بل كانت بالكاد ترد السلام عليها أو تبادلها الحديث، إلى أن جاء يوم التقت فيها خارج الشقة فطلبت نهلة التحدث إليها في موضوع هام، واستغربت أجوان لهجتها الجادة، ماذا تريد منها هذه الفتاة؟ أي موضوع قد يكون بينهما! وأخيراً أخبرتها نهلة كلاما عن أهمية احترام العادات والتقاليد وكيف أن رأسمال البنت هو سمعتها وذكرها الطيب، وألمحت إليها إلى أهمية احترام ثقة الأهالي الذي سمحوا لبناتهم بالدراسة في الخارج، واستمعت أجوان إليها بدهشة وملل واضحين! ثم قالت نهلة بالحرف الواحد إن أحمد شاب غريب عنهما وليس من المفترض له الدخول إلى شقتهما وحده وهما بلا رجل من عائلتهما، ثم إنه يسهر عندهما حتى ساعة متأخرة ويرافق غادة أمام الجميع كالأجانب وذلك لا يصح ولا يجوز، فمهما يكن لا بد من النصح، وصدمت أجوان بهذا الكلام، وردت على نهلة بحدة وهي تقول: وما شأنك أنت؟ ما دخلك فيما نفعله؟ نحن أدرى بمصلحتنا وأرجو أن لا تتدخلي بخصوصياتنا بعد اليوم، ليس لك الحق في ذلك.

ومن يومها وأجوان منزعجة من وجود نهلة وأخيها بجوارهما، تشعر أنهما يراقبانها ويتجسسان عليها وعلى حياتها وحياة غادة، وحاولت أن لا تكترث بما قالته نهلة لكنها حقاً انزعجت من الأمر! من تحسب نفسها تلك المثالية! من أعطاها الحق في مراقبة تصرفات الآخرين والحكم عليهم! ما أدراها هي بطبيعة العلاقة بين أحمد وغادة، وأخبرت أجوان غادة بما حدث، وغضبت غادة أشد الغضب، كادت تذهب بنفسها لتتشاجر مع

نهلة، لكن أجوان هدأتها وذكّرتها بوجود شقيقها معها والذي من الممكن أن يتدخل فتخرج الأمور عن السيطرة، يكفي أن يتجاهلانها تماماً، وعرف أحمد بالأمر، ولم يهتم بذلك الحديث بتاتاً، تعامل مع الأمر ببرود تام، كأن الأمر لا يخصه أو يخص فتاته، كأنهم يتحدثون عن شخص لا يعنيه، واغتاظت أجوان من عدم اكتراثه، تمنت لو ذهب ليتشاجر مع نهلة وأخيها ويوقفهما عند حدهما، لكن بأي صفة يذهب إليهما؟ إنه مجرد صديق لغادة، صديق أو حبيب، وكلاهما لا يعطيه الحق في مواجهة نهلة وأخيها أو حتى التصدي لهما! وأخيراً صمتت أجوان، لم تجد حلا سوى الصمت وتجاهل نهلة تماماً بل أصبحت لا ترد سلامها إن صادفتها عند الدخول أو الخروج، ونهلة لاتزال تسلم عليها، كأنها تتعمد تذكيرها بوجودها، وأجوان لاتزال مغتاظة منها!

وجاء أحمد يحمل الصحون وقامت الفتاتان لتجلسا على مائدة الطعام الصغيرة الموضوعة في الصالة.

وبدأ الثلاثة يأكلون.. وبعد ذلك قال أحمد موجها كلامه إلى أجوان: هل فكّرت في موضوع خالد؟ إنه يلح عليّ كثيرا.. وضحكت أجوان وقالت: قل له لا يوجد أمل، لينسَ الأمر!

إن خالد صديق لأحمد، وهو معجب بأجوان ويريد التعرف عليها، ليس وحده من عرض إعجابه عليها، لكنها ترفض الجميع، تعرف أن الرجل العربي يبقى شرقياً حتى وإن درس وعاش في الخارج، إنه يستخف بالفتاة التي تخرج وتتساهل معه، لذلك رفضت الارتباط بأي شاب عربي خلال فترة دراستها، لكنها رافقت العديد من الشبان الأجانب في عطلات نهاية الأسبوع

لتناول العشاء أو إلى السينما، لكنها لم تسمح لأي منهم بالتمادي معها، إنها تشترط ذلك عليهم مسبقاً، فهي تعرف مدى انحلال المجتمع هنا، لقد وضعت لنفسها حدوداً لا تتجاوزها، صحيح أنها ترتدي لباساً فاضحاً كالأجانب وترقص أمام الجميع في صالات الرقص والمطاعم وقد ترافق شبانا أجانب للخروج، لكنها ترفض الخوض في علاقات عاطفية عميقة، لا تريد المجازفة بمغامرة غير مضمونة النتائج.

وقام أحمد ليساعد غادة في غسل الأطباق، وأمسكت أجوان كتاباً وجلست تحاول أن تذاكر دروسها قبل امتحان الغد، لكن صوت غادة وأحمد العالي وضحكاتهما وهما يتراشقان بالماء في المطبخ شتت انتباهها، فاضطرت لدخول غرفتها وتركتهما وحدهما بعد أن أقفلت الباب عليها .. بالمفتاح!

■■4■■

لقاء حبيبين

دخلت فرح الكابينة المنعزلة في المطعم وأغلق الجرسون الباب خلفها، كان عمران قد وصل قبلها بعشر دقائق وجلس ينتظرها في الداخل، وجلست فرح أمامه وعيناها تنطقان بحبها الكبير له، ومد عمران أصابعه واحتضن يدها وضغط عليها بأصابعه، وتحادثا قليلاً ثم طلبا طعام الغداء، إن ذوقهما يكاد يكون متناقضاً، فعمران يحب الأكلات الدسمة ويعشق الأصناف الحارة ذات التوابل الكثيرة في حين تحب فرح الأصناف الخفيفة وتعشق السلطات بأنواعها وإن كانت لا تنكر ضعفها أمام البطاطا المقلية، وقالت فرح: لا تعرف كم أشعر بالذنب عندما أتغدى خارجاً وأترك أمي تأكل وحدها في البيت.

فابتسم لها بحنان وقال: المسكينة، لا بد أنها تشعرب بالوحدة في غيابك عنها.

فرح: أظنها اعتادت على وحدتها منذ زمن.

عمران: يجب أن تسكن معنا عندما نتزوج، ورفعت فرح حاجبيها بدهشة! يا إلهي إنها المرة الزولى التي يلمّح فيها عمران إلى موضوع الزواج أهو جاد حقاً!

ولمح عمران دهشتها فعاد يحتضن يدها ثم رفع أصابعها إلى شفتيه وقبلها بحنان وقال: نعم يا فرح، سنتزوج بالتأكيد من غيرك يسكن قلبي، أنا أحبك بحق، ولم يتبقَ لي سوى أشهر قليلة

وأتخرج، وبمجرد أن استقر في وظيفة مناسبة سآتيك خاطباً.

واغرورقت عيناها بالدموع، وهمست: عمران لقد فاجأتني.. أتعرف أنني تمنيت مراراً أن أسألك عن مصير حبنا.. لكنني عجزت عن مفاتحتك بالأمر.

عمران: مصير حبنا الوحيد هو الزواج، لا أتخيل نفسي أعيش مع امرأة غيرك، ستكونين لي ولن يفرق بيننا شيء أبداً.

وهذه المرة انحنت فرح وقبّلت هي أصابعه، وربت عمران على رأسها كأنه والد يمنح ابنته بركاته، بركات الحب، كل الحب.. كل الحب والإخلاص.

■■5■■

وليد

كان وليد - شقيق عمران الأصغر - يقف في مواقف المعهد بجوار دراجته النارية، إنه يعرف كيف يقودها بإتقان تام، يعرف أسرارها وخباياها، ويعرف كيف يتعامل مع قطعها بل ويستطيع إصلاحها بنفسه، لقد قبّل يدي أمه وأبيه ليوافقا على شراء دراجة نارية خاصة به بعد أن تعود على ركوب دراجة صديقه صالح، إن صالح هو ابن الجيران الذي تربى معه منذ الصغر، وكلاهما يعشق الدراجات النارية بجنون، وقد اعتادا على المشاركة في سباقات خاصة يقيمها مجموعة من الشبان العاشقين للدراجات أمثالهم، إنها سباقات غير قانونية وبلا صفة رسمية، وهي تقام في مناطق صحراوية غير مأهولة كي لا ينتبه لها أحد، وعُرف وليد بالزعيم في هذه السباقات لشدة مهارته وتمكنه من القيادة بحيث لا يتغلب عليه أحد، وقد تعرض وليد لعدة كدمات وإصابات خفيفة من قبل أثناء هذه السباقات. وكانت والدته تكاد تجن لهفة عليه كلما تأخر بالعودة في الليل، تخاف أن يحصل له مكروه، وعاقبه والده مراراً على أفعاله التي يراها طائشة ومضيعة للوقت، لكن اندفاع وليد وحبه لهوايته الغريبة أكبر من أي تهديد أو عقاب قد يتعرض له، ورغم استمرار والده بنصحه وتوبيخه إلا أنه لا يبالي باعتراضه، كان يشفق عليه أحياناً من غضبه وسخطه لكنه لا يستطيع الابتعاد عن دراجته النارية التي يعتبرها صديقته وحبيبته الغالية! بل إنه أطلق على دراجته اسم

«الحبيبة» فيناجيها ويحادثها كأنها تسمعه، لم يكن وليد مهتماً بدراسته بتاتاً، وبالكاد حصل على نسبة تؤهله لدخول المعهد التجاري، وهو مهمل في دراسته أشد الإهمال، الأمر الذي أقلق والديه كثيراً وأزعجهما، ورغم أن أخاه عمران يدرس في الجامعة إلا أنه لا يطيق المذاكرة ولولا إلحاح والديه على إكمال دراسته لكان ترك المعهد منذ زمن وبدأ في العمل، وبقي له سنة كاملة على التخرج، رغم أن أقرانه سبقوه، لكن نظر لتعثر دراسته بدت هذه السنة كدهر طويل أمامه، وها هو اليوم يتفق على خوض استعراض بالدراجات النارية في الليل مع مجموعة من الشباب ثم سيتم تحديد موعد لسباق يشارك به أفضل المتبارين.

وخرج وليد من المعهد وعاد إلى المنزل على ظهر دراجته ثم دخل المنزل كالعاصفة وهو يصرخ من الجوع، وفرحت أمه لرؤيته وأسرعت لتعد مائدة الغداء، إن قلبها يكاد ينخلع كلما رأته، لطالما أحبته ودللته كونه ابنها الأصغر، إنها أقرب إليه من أبيه، وجلس وليد يأكل ووالده يسأله عن أخبار امتحاناته وهو يرد عليه باقتضاب ويدّعي الجدية والمثابرة، فيمطره والده بالنصائح والحديث عن أهمية الدراسة والمثابرة والشهادة.. وما إن قام الأب عن المائدة، حتى همس لأمه: الليلة سأتأخر كثيراً.. لدي استعراض هام.

وظهر الجزع على وجه الأم: يا بني متى تكبر وتعقل!

فضحك وليد وقال: لماذا أترينني مجنوناً؟

فقالت الأم وهي تتنهد: إنني قلقة عليك، أراك تجري هنا

وهناك على هذه الآلة الخطرة وكأنك لا تخاف على حياتك.

وليد: حياتي! ليس إلى هذه الدرجة يا أمي!

الأم: كم من شباب في عمر الزهور رحلوا عن هذه الدنيا بسبب حوادث الدراجات النارية، لا تعرف كم تقتلني الوساوس عليك كلما تأخرت في العودة، يا بني ارحمني من هذا الخوف بالله عليك.

وليد: لا تخافي عليّ.. دعواتك لي تحفظني يا أمي.

الأم: يقال إن الحذر غلب القدر يا ولدي كفاك شقاوة وانتبه إلى دراستك!

وليد: هذا ما كنت أخافه منذ تقاعد أبي! لطالما خفت انتقال عدوى النصائح منه إليك، على العموم إذا سأل عني الليلة أخبريه أنني نائم في سبات عميق، واتركي باب المنزل مغلقاً بلا ترباس كي أستطيع الدخول اتفقنا؟

وقبل أن ترد أمه عليه قبّلها على رأسها وأخذ يقرص وجنتيها مداعباً، إنها لا تستطيع أن ترفض له طلبا، تحس بنفسها ضعيفة أمامه.

ونهض ليخلد إلى النوم، وبعد ساعة عادة عمران من الخارج ليجد أمه جالسة والقلق مرتسم على وجهها.. إنها لفرط طيبتها كالمرآة تعكس كل ما يعتمل في نفسها.

واقترب عمران منها وقال مازحا: دعيني أخمن ما يزعج أمي الحبيبة.. لا بد أنه الفارس المعهود وليد.. لديه سباق الليلة في

بطولة الأولمبياد لقيادة الدراجات، صحيح؟

وهزت الأم رأسها بحزن فقال لها: يا أمي صدقيني لا فائدة من الكلام معه، لقد حاولت معه كثيراً.. اتركيه لشأنه هذا العنيد، لقد حادثته مراراً بلا فائدة هيا أريد أن أرى ابتسامتك الحلوة هيا.. لأجل عمران.. أم أنك تردين طلبي في حين لا ترفضين لبطل العالم في قيادة الدراجات طلبا؟

وابتسمت الأم له.. ابتسامة كبيرة، كشمس تشرق بين سُحب القلق.

■■6■■

فارس

كانت فرح جالسة تذاكر للامتحانات النهائية، لقد أوشكت السنة الدراسية على الانتهاء، ولم يتبق على تخرج عمران سوى أيام قليلة، إنها سعيدة لتخرجه، تكاد لا تطيق صبراً حتى يُنهي دراسته ويعمل ثم يتقدم لخطبتها، ودخلت والدتها الغرفة وهي تحمل كوبا ساخنا من الحليب، تقدمت من ابنتها ووضعت الكوب أمامها وقالت: ألم تنته حتى الآن؟

فرح: بقي أمامي فصل واحد فقط وأنتهي من هذه المادة، إن الامتحان بعد غد، لدي الغد بأكمله للمراجعة.

الأم: جيد، إذن ما رأيك أن ترافقيني إلى منزل خالك؟ يقيمون عشاء على شرف تخرج فارس ابن خالك من الولايات المتحدة، لقد أصبح مهندساً.. إن أخي يكاد يطير من الفرح.

فرح: لست مستعدة يا أمي.. انظري كم حالتي مزرية!

الأم: هيا يا ابنتي جميع العائلة ستجتمع هناك، إنها فرصة لا تعوض ليلتم شملنا.

فرح: لقد تخرج فارس منذ شهور مضت، لمَ أقاموا العشاء اليوم بالذات على شرف تخرجه؟ الآن وفي عز الامتحانات!

الأم: لأنه توظف منذ أيام قليلة، فرصة أن تخرجي من جو المذاكرة قليلاً، هيا يا ابنتي أرجوك تعالي معي.

وضعفت فرح أمام إلحاح أمها وتركت ما تبقى من الكتاب لتراجعه حين عودتها، وقامت متثاقلة لتغير ملابسها، تشعر بعدم ارتياح لاضطرارها للقاء فارس ابن خالها، منذ متى لمست اهتمامه بها؟ ربما من طفولتها، إنه يكبرها بثلاث سنوات تقريباً، وهو وسيم أسمر البشرة، عيناه فاتحتان وجسده رياضي وقد اعتاد على الاهتمام بفرح وحمايتها من أي شخص يزعجها من الأطفال في العائلة وعندما كبرت فرح، بدأت تلاحظ نظراته إليها، كانت تلاحظ احمرار أذنيه كلما تحدث إليها وأنه يتعمد إبقاء يدها في يده عندما يصافحها حتى تضطر هي لسحبها منه سحباً، إنه معجب بها ودائما يُطري جمالها وحسنها، لكنها لا تشعر نحوه بأي شعور خاص، تشعر به كأخ لها، تحس به قريباً منها أكثر مما يجب، وحصل فارس على بعثة لدراسة الهندسة في الخارج، ولم تحزن لأنه سيبتعد عنها، بل أحست بالسعادة لأنها سترتاح من إعجابه ومن حيرتها نحو ما تفعله حيال مشاعره الجياشة نحوها! إنه لم يصارحها بحبه لكنها ترى حبه لها جلياً واضحاً في كل تصرفاته نحوها، كانت لاتزال في الثانوية عندما تقرر موعد سفره للدراسة، وأقيم عشاء على شرف توديعه، ويومها طلب فارس منها أن يحدثها على انفراد فانزوت معه في حديقة منزلهم وعيناها تتساءلان عن ما يريده منها، يومها أخبرها أنه يحبها وأنه سيقوم بخطبتها عندما يُنهي دراسته وأوصاها أن تهتم بنفسها لأجله وظلت هي صامتة أمامه كالتمثال، لم تخبره أنها لا تحبه، كل ما قالته أن موضوع الخطبة سابق لأوانه ليسافر أولاً وبعدها لكل حادث حديث! وقالت له

ضاحكة قد تجد فتاة أمريكية أجمل مني وتحبها، فقال لها بحرارة إنه لن يحب في حياته سواها!

وسافر فارس ونسيته بمجرد أن غاب عن حياتها، وكان يعود في فترة العطل وفي بعض المناسبات كلما سنحت له الفرصة، لكنها تعمدت أن تكون أكثر رسمية معه، لم تعامله أبداً كرجل يرغب في الزواج منها ولم تُشعره بتاتا أنها تعيش بانتظاره، بل تعمدت تجاهله لعله ييأس منها ويبحث عن غيرها خاصة بعد أن خفق قلبها بحب عمران.. وأحس فارس بجفائها نحوه، وفهم رسالتها إليه، إنها لا تريد الزواج به، لا يعرف أسبابها لكنه لم ييأس منها، ربما غيرت رأيها يوما ما، وطوال سنوات دراسته لم تغب صورتها عن باله أبدا، إنها في نظره رمز الجمال فكلما التقى فتاة قارنها بفرح، وكلما حاول الانخراط في علاقة ما خيم عليه ظل فرح، لا يستطيع إبعادها عن مخيلته... إنه يحبها حبا عميقا حقيقيا.. حبا كبيرا دافقا يسري مسرى الدم في عروقه، ومنذ عام عاد من الخارج ووالدته تلح عليه أن يتزوج فيجيبها أن الوقت لايزال مبكراً للتفكير في الزواج، فهو لا يريد سوى فرح، وسينتظر، ليس مستعجلاً.. ولن يقدم على خطبتها إلا بعد أن يسمع موافقتها عليه بنفسه، أو على الأقل بعد أن يتأكد أنها لن ترد طلبه.

وانتهت فرح من ارتداء ثيابها، لم تبد في أجمل حلة ولا في أحسن حالاتها، فقد ظهر التعب واضحاً على وجهها وتبرجت تبرجاً خفيفاً بسيطاً وارتدت أقراطا كبيرة لامعة علها تضفي بعض الألق على وجهها.. وركبت مع أمها السيارة ووصلتا إلى

منزل خالها، كانت العائلة كلها مجتمعة، ووضع بوفيه العشاء في الحديقة بجوار نافورة كبيرة جميلة، وسلمت فرح على أهلها ومدت يدها تصافح فارس الذي نظر إليها بلهفة وحبه يطل من نظراته إليها، ولم تُلق إليه بالاً، وسألها عن دراستها وأحوالها فأجابته باقتضاب.. ورنَ هاتفها النقال في هذه اللحظة.. إنه عمران.. لقد اتصلت به لتخبره أنها ستخرج لكنه لم يرد، فأرسلت له رسالة، وها هو يتصل بها.. فاستأذنت فارس وانزوت بعيداً وردت على الهاتف: آلو؟ حبيبي أين كنت؟

عمران: كنت نائماً تصوري، لم أدرس شيئاً حتى الآن لامتحان الغد.. سأسهر طوال الليل.

فرح: أنا في منزل خالي للعشاء.

عمران: خيراً فعلت حبيبتي.. تغيير الجو يفيدك، أتركك إذن، لا تنسي أن تحادثيني قبل أن تنامي لأطمئن عليك.

وقبّل عمران سماعة الهاتف.. وأغلق الخط. وابتسمت فرح، كم تحبه والتفتت عائدة نحو أهلها.. وفارس يراقبها من بعيد.. نظرات مليئة بالحب.. والشوق.. والأمل.

■■7■■

عمران يتخرج

وانتهت الامتحانات.. وظهرت النتائج، وتخرج عمران، أخيراً اقترب الحلم.. ومنذ ظهور النتائج وهو يقدم أوراقه للحصول على وظيفة، قدم للعمل في البنوك وفي بعض الشركات الخاصة وينتظر فتح الديوان لباب التسجيل في الترشيحات للوظائف الحكومية ليسجل اسمه أيضاً، واتصلت به بعض الجهات وأجرى العديد من المقابلات الشخصية لكنه لم يتوظف رغم مرور أربعة أشهر على تخرجه، وسجل اسمه في ديوان الخدمة المدنية بعدما أن ظهر إعلان التسجيل في الصحف اليومية وبقي ينتظر، ومع الوقت شعر بالإحباط يتسلل إلى قلبه، وفرح تدعمه وتطمئنه سيأتي الفرج قريباً ووالدته تلح على والده أن يوسط معارفه ليتم توظيف عمران سريعاً، ووالده يحاول.. إن معارفه محدودون ولا يعرف شخصاً ذا شأن قد يساعد ابنه في الحصول على وظيفة مرموقة مميزة، والأيام تمر سريعاً، وذات صباح اتصلت فرح بعمران في وقت مبكر، فرد عليها بصوته النائم، لقد قلبت البطالة يومه فهو يسهر طوال الليل ويستيقظ ظهراً عندما توقظه فرح وهي عائدة من الجامعة وقت الغداء، لكنها الآن تتصل به باكرا، في الثامنة والنصف صباحا وقالت بمجرد أن سمعت صوت: هيا أيها الكسول، استيقظ.. لدي خبر لك..

وقال عمران ورأسه مثقل بصدع رهيب: لقد نمت منذ ساعتين

يا فرح، ماذا تريدين في هذا الوقت؟

ضحكت فرح وقالت بسعادة: أردت أن أكون أول من يبشرك بالخبر السعيد.. مبروك لقد ترشحت للعمل في وزارة المالية.

وقفز عمران من الفرح، إنه مكان ممتاز لمن في مثل تخصصه وسيصرف له كادر خاص بالإضافة إلى راتبه، إنها وظيفة جيدة كما كان يتمنى، الحمدلله، كم هو سعيد، وانهال على سماعة الهاتف تقبيلاً.. وفرح تضحك، بات حلمها قريباً جداً... كلها بضعة شهور وستُخطب إلى حبيبها وسيعرف الجميع بحبهما، ستراه في العلن أمام كل الناس وستتزوج الصيف القادم وتسافر في شهر العسل، هكذا كانت تخطط فرح في نفسها، وتوظّف عمران أكبر خطوة نحو تحقيق أحلامها.. إنها تريده بكل جوارحها، بكل مشاعرها العظيمة نحوه، هذا الرجل توأم روحها.

ومنذ عرف عمران بالخبر وبشر به والديه، انطلق يستحم وذهب إلى وزارة المالية.. وبعد أسبوع واحد باشر في إجراءات التعيين، سيبدأ العمل بعد استكمال الإجراءات الروتينية وبعدها سيصدر قرار تعيينه رسمياً في الوزارة ووقتها سيصبح موظفاً رسمياً في الحكومة، ما أكبر فرحته.. وفرح تحادثه دائماً، إنها سعيدة مثله وربما أكثر، لم يبق سوى شهور قليلة ويتقدم لخطبتها.. بات الحلم قريباً حقاً.

■■■8■■■

وليد في سباق

جلس وليد مع صالح في مقهى مشهور بأحد المجمعات التجارية.. كان وليد يتحدث بانفعال عن ليلة أمس حيث اجتمعت شلته وأخذوا يستعرضون حركات جديدة باستخدام الدراجات النارية، وكان كل شيء ممتعاً لحين ظهور شاب يقود دراجة ضخمة ملونة.. إنه شاب غريب عن المجموعة، لم يره أحد من قبل وأثار دخوله بينهم حفيظة الجميع!

وخلع الشاب خوذته أمام الجميع وعرف عن نفسه باسم عادل، إنه شاب خليجي، وهو جديد في المنطقة، أتى إلى الكويت بغرض الدراسة وهو فنان في قيادة الدراجة النارية، ولم يخبر أحداً كيف توصل إلى معرفة مكان تجمع الشلة، لكنه أبهرهم بمدى اتقانه للحركات الاستعراضية التي يقوم بها، بدا رائعاً كأحد أبطال أفلام السينما.. وصفق له الشباب وتحمسوا له كثيراً، وشعر وليد الزعيم بخطورة هذا القادم الجديد، شعر به كمنافس له ولم يسعد أبداً بانضمامه إليهم، وحاول صالح تهدئته، لكن وليد بدا منفعلاً جداً وهو يصف عادل بالغرور والتباهي وبأنه مجرد متطفل ومدع وأنه أشبه بمهرجي السيرك.. ورغم رأيه المجحف كان في قرارة نفسه يكاد يجن غيرة من ذلك الشاب الرائع ومن مهارته الفائقة في قيادة الدراجة.

وفي تلك الليلة تنافس وليد مع عادل في الاستعراض

بالدراجة.. ولم يفهم عادل سبب نفور وليد منه لهذا الحد، لِمَ يعامله بكل هذا التعالي ويحاول أن يتحداه علناً وكأنه ندّ له، كان الاثنان يُظهران أفضل ما عندهما في حين زادهما تشجيع أفراد الشلة حماساً.. وفجأة صاح وليد بأعلى صوته: اسمعوا يا شباب.. يبدو أن لدينا هنا موهبة عظيمة.. ما رأيكم أن نقيم سباقاً خاصاً بيني وبين عادل لنعرف أينا الأفضل والأسرع في القيادة؟

وقاطعه عادل قائلا: لا داعي للسباق أيها الزعيم، فلا شك لدينا جميعاً أنك رائع.

والتفت إليه وليد والكره يطل من عينيه: أتخاف من مواجهتي؟

عادل: أبداً.. لكنني لا أرى للسباق داعياً..

وتحمس الجميع للفكرة وأخذوا يهتفون بها وبناء على ذلك تم تحديد يوم السباق في الأربعاء القادم، أي بعد خمسة أيام بالضبط! والحماسة تعصف بقلب وليد وداخله صوت يهتف به: يجب أن أحافظ على مكانتي، إن غلبته سأبقى الزعيم كما اعتدت أن أكون.. لن أسمح له أن يحظى بشعبية تفوقني بين أفراد شلتي، لن أسمح بذلك أبداً.

■■9■■

يوم السباق

استلم عمران عمله الجديد والسعادة تملأ قلبه، وقرر والده عمل عشاء خاص على شرف توظيفه يوم الأربعاء.. دعا جميع أفراد العائلة وانشغلت الأم منذ الصباح وهي تقوم بالتجهيز لهذه المناسبة السعيدة، وعاد عمران من عمله ليجد المنزل في حالة استنفار وكل شيء يلمع من حوله، وابتسم واتجه إلى المطبخ ليجد أمه واقفة مع الخادمة وهي تعد نوعا من الحلويات، وتقدم منها وقبلها ثم لم يتمالك نفسه فاحتضنها من الخلف وهي جالسة على مقعد أمام طاولة المطبخ، وقالت الأم بحنان: انتبه يا حبيبي، قد تتسخ ملابسك... هل تعرف ما كنت أفكر اليوم..؟ أفكر بما سأفعله يوم زواجك.. واتسعت ابتسامة عمران وقال ضاحكاً: إنه قريب إن شاء الله.. بل قريب جداً.. ولم يجب على التساؤل الذي طل من عينيها.. تركها وذهب إلى غرفته ومر في طريقه على غرفة وليد وسمع صوته في الداخل يتحدث فطرق الباب ودخل عليه.. وأنهى وليد مكالمته وقال لأخيه: إن موعد هذا العشاء حقاً لا يناسبني أبداً.. ورائي عمل مهم هذه الليلة...

فرد عليه عمران بتهكم: ماذا وراءك؟ ستقود دراجتك إلى القمر؟

وليد: بل سأقودها نحو القمة.. سألقن أحد المدعين درساً

لن ينساه.. إنه سباق العمر، لا أعرف كيف أخرج باكراً بوجود أبي.

عمران: يا وليد اعقل واكبر، لقد قاربت العشرين من عمرك وما زلت تتصرف كالمراهقين، إلى متى هذا الطيش، تحرق قلب أمك من الخوف وتعرض نفسك للخطر لأجل تفاهات، ابحث لك عن طريقة أخرى تحقق بها ذاتك يا أخي، إلى متى ستستمر بهذا اللعب الذي لا فائدة منه؟

وليد: المهم أن تساعدني كيف أخرج للقاء أصدقائي في العاشرة دون أن يحس أحد.

عمران: كيف أساعدك.. اخرج بهدوء، لن يحس أحد بانسحابك وإن سأل عنك أحد سأقول إن لديك عملاً مهماً أو ظرفاً طارئاً واضطررت إلى الذهاب.

وليد: أشكرك يا أخي الحبيب.

عمران: هداك الله وحفظك!

■■10■■

صدفة سيئة

دخلت والدة فرح غرفتها.. لم تكن فرح في الغرفة، فتعجبت الأم، لقد عادت من الجامعة منذ فترة، لابد أنها في مكان ما في المنزل، ودخلت الأم حمام فرح الخاص الذي يقع داخل غرفتها عند يمين المدخل لتتوضأ فقد اقترب وقت صلاة المغرب، وتركت الباب موارباً ودخلت فرح الغرفة تحمل هاتفها النقال، كانت تحادث عمران ولم تلاحظ أن والدتها في الحمام، دخلت تحمل كوباً من الشاي كانت تعده في المطبخ لنفسها، وجاء صوتها واضحاً وهي تقول له: بالطبع يا حبيبي، ليتني كنت معك في مناسبة كهذه.. لا بد أن والدتك تكاد تطير من الفرح.. وصمتت قليلاً تستمع إلى عمران الذي كان يحدثها عن مأدبة العشاء التي ستقام الليلة على شرفه.

وعادت فرح تقول: أحبك كثيراً، واشتقت إليك، لم أرك منذ توظفت، لقد أخذتك الوزارة مني..

وهمس لها عمران: لا شيء يستطيع أخذي منك، لقد أخذتني أنت من دنياي كلها حبيبتي..

وهمست له: أتركك الآن.. سأشرب الشاي وأذاكر قليلاً، لا أظن أنني سأخرج اليوم، فكرت أن أتصل بريم لتزورني لنتابع فيلماً.. حسنا حبيبي مع السلامة.

وأقفلت فرح الهاتف والتفتت لتجد أمها واقفة أمامها تماماً،

فصرخت من المفاجأة، كاد قلبها أن يتوقف، لم تشعر بوجود أمها في غرفتها، منذ متى وهي هنا؟.. وتمالكت نفسها وقالت: أمي!! أنتِ هنا؟!

فقالت الأم بصوت بارد كالثلج: من كنت تحادثين؟

وسكتت فرح ثم قالت: كنت أحادث ريم.

وصرخت الأم في وجهها: لا تكذبي عليّ يا فرح، لقد سمعت مكالمتك مصادفة وأنا في حمامك.. لم أصدق أذني.. فرح العاقلة الرزينة تحادث شابا من وراء ظهري من هو هذا الرجل.. تكلمي؟!

وظهر الخوف على وجه فرح، شعرت أنها مجرمة خاطئة، ماذا تقول لأمها؟.. كيف تخرج من هذا المأزق؟.. وظلت صامتة لا تقوى على النظر في عيني أمها.

وتنهدت الأم وسحبتها وأجلستها أمامها على طرف الفراش وقالت: اسمعي يا فرح، تعرفين مكانتك في حياتي، وتعرفين أنني أكثر من يخاف عليك في هذه الدنيا، صارحيني يا ابنتي وأعدك أنني سأتفهم مشاعرك، أنا وأنت ليس لنا إلا بعضنا البعض منذ متى تخفين عني سرا كبيرا كهذا؟!..

وضعفت فرح أمام كلام أمها وانطلقت تحكي لأمها حكايتها مع عمران.. وصفت حبها له بالهواء الذي تتنفسه، إنه قلبها الذي ينبض بالحياة، أخبرتها كل شيء، والأم تستمع صامتة والصدمة تعجزها عن الكلام، إن ابنتها تحب منذ أكثر من عامين وهي لم تعرف بذلك ولم تنتبه له، تحب بملء مشاعرها وبكل ذرة من

أحاسيسها وهي غافلة عنها وهي التي كانت تظن أنها تعرف كل ما يجول في نفس ابنتها الوحيدة.. وسكتت الأم طويلاً ثم قالت: لا أظن عتابي لك سيأتي بفائدة.. فلقد اخترت طريقك دون استشارتي مسبقاً، ومادمت قولين إنه قد توظف مؤخراً فلا أظن أن هناك شيئا يمنعه من التقدم لخطبتك رسميا، سأتركك تبلغينه أنني عرفت بأمر علاقتكما وإن كان جادا في نواياه تجاهك فليأت بأهله لخطبتك خلال أسبوع من اليوم، وإن لم يفعل عديني أنك ستقطعين علاقتك إكراما لي يا فرح..

ورمت فرح بنفسها على صدر أمها وبكت فأبعدتها الأم عنها، إنها غاضبة عليها، فقالت فرح: أريد رضاك عني يا أمي.

الأم: لست راضية يا فرح، ولست سعيدة، تصرفك أفسد الكثير من الأشياء الجميلة داخلي، ظننت أنني الأقرب إليك في هذه الدنيا لأفاجأ بك تعيشين علاقة حب وتتفقين مع شاب على الزواج وأنا آخر من يعلم، هانت عليك أمك يا فرح، لستُ شيئا في نظرك.

وبقيت فرح تبكي وتحاول استرضاء أمها وهي تقسم لها أنها أخفت علاقتها بعمران عنها لأنها خجلت منها ولم تعرف كيف تصارحها وظلت الأم غاضبة وحزينة. فأعذار فرح لم تقنعها أبداً.

وأخيراً انسحبت الأم من غرفة ابنتها وهي تكتم جرحها في صدرها وبقيت فرح وحدها، وأمسكت هاتفها لتتصل بعمران وتخبره بما حدث معها، لكنها توقفت، لا لن تخبره الآن.. ستفسد

عليه فرحته بالعشاء المقام على شرفه هذه الليلة، سيبقى مشغول البال بها وستقلقه وتنغص عليه، ستخبره عندما تحادثه قبل أن ينام ككل ليلة.. يجب أن تصبر، وستغير أمها رأيها بمجرد أن تراه وتعرفه، لا أحد يعرف عمران عن قرب ولا يحبه، سيأتيها خاطباً ويرد اعتبارها أمام أمها التي ستكتشف عاجلاً أم آجلاً حسن اختيارها.. وقتها لن تلومها على حبها له..

وهدأت فرح.. لبعض الوقت!

مكتبة
t.me/t_pdf

■■ 11 ■■

أجوان تضع النقاط على الحروف

استيقظت أجوان من نومها ذلك الصباح في العاشرة صباحاً، لقد ألغيت محاضرتها ذلك الصباح من قبل أستاذ المادة، حيث أبلغهم بذلك بالبريد الالكتروني.. إن محاضرتها القادمة في الثانية عشرة، أمامها ساعتان للذهاب إلى الجامعة، وخرجت من غرفتها ترتدي قميصاً قصيرا للنوم واتجهت نحو المطبخ لتعد طعام الإفطار لنفسها، وصنعت لنفسها ساندويشا بالجبنة وكوبا من العصير وجلست تأكل في الصالة على الأريكة، وفجأة انفتح باب غرفة غادة، لقد ظنتها أجوان في الجامعة، لكن المفاجأة الأكبر أنها رأت أحمد بشحمه ولحمه يخرج أمهامها من غرفة نوم غادة!!

وهبت أجوان واقفة والدهشة مرتسمة على وجهها، وعلى وجهها تعبير أبله يدل على مدى صدمتها، للحظة ظنت نفسها في حلم مزعج وفركت عينيها ونظرت إلى أحمد الذي بدا خجلاً أمامها فقالت أجوان بصوت مبحوح: ما معني وجودك هنا في هذا الوقت؟ هل قضيت ليلتك هنا؟

فقال أحمد: سهرت مع غادة لوقت متأخر جداً، والجو كان عاصفا في الخارج، فاضطررت للمبيت هنا.

وصرخت أجوان: اضطررت؟ أي اضطرار هذا!؟ كيف تسمح لنفسك بالمبيت في شقنا، كيف سمحت غادة بذلك!؟.. يا إلهي

لقد قضيت ليلتك في غرفتها.. لا أصدق ما أرى!

وسمعت غادة صراخ أجوان.. كانت مستيقظة منذ مدة لكنها لم تجرؤ على الخروج ومواجهة أجوان، واقتحمت أجوان غرفتها وصرخت في وجهها وهي لاتزال جالسة في السرير: ما معنى هذا؟ كيف تجرئين على تشويه سمعتنا على هذا النحو؟ كيف سمحت لنفسك بقضاء الليلة مع هذا المنحل؟

وتدخل أحمد الذي تبعها إلى الداخل قائلا: لا تسيئي الظن بنا، لم يحدث بيننا ما تظنينه قد حدث، كل ما في الأمر أنني قضيت الليلة بقربها.

وصرخت أجوان بصوت مخنوق: في سريرها؟ اسمعاني جيداً والحديث لك يا غادة لن أسمح بحدوث ذلك في وجودي ثانية ومن الآن وصاعداً لن أسمح لك باستضافة أحمد هنا، لن يدخل شقتي أبداً بعد الآن.

فقالت غادة: إنها شقتي أيضاً يا أجوان وأنا حرة باستضافته هنا، لكنه لن يبيت هنا ثانية أنا أعدك.

ونظرت أجوان إليها بحزم وقالت: قلت لن يدخل هنا ثانية وإن كنت مصممة على استضافته فليكن، سأبحث لنفسي عن سكن آخر واعلمي أنني جادة فيما أقول هل فهمت؟!

وخرجت من الغرفة لدقائق ثم عادت وفجّرت قنبلة في وجه غادة وأحمد واقف بجوارها لا يجرؤ على التدخل: لو كان يحبك لخاف عليك وعلى سمعتك.. ليس لأجل الناس.. بل لأجل احترامك أنت لنفسك.. وتركتهما معاً وصفقت باب الغرفة بعنف وغضب!

■■12■■

أحداث جديدة

كانت الساعة قد تجاوزت الثانية عشرة ليلا عندما خرج آخر الضيوف من منزل عمران، كان عشاء عائليا جميلا، وما إن خرج آخر ضيف حتى قال الأب: سيكون حساب وليد عسيرا معي، لا بد أنه ذهب ليلهو بدراجته النارية السخيفة تلك، ولد قليل الاحترام يترك مأدبة أخيه ليلهو كالأطفال، تصرف لا مسؤول ولا مقبول!!

حاولت الأم تهدئة الأب لكنه عاد يقول: أقسم أن أحطم تلك الدراجة في يوم ما، لا أعرف متى سيكبر هذا الولد..

وبقي عمران صامتا.. ثم استأذن والديه ليصعد إلى غرفته، وبمجرد أن هم بصعود الدرج رن جرس الهاتف في المنزل فعاد عمران ليجيب كونه الأقرب إلى الهاتف وقد بدت الدهشة عليهم جميعاً، من عساه يتصل بهم في وقت كهذا؟!

وأجاب عمران على الهاتف.. وتغير لونه.. وبدا وجهه غريباً وهو يستمع ودار حديث هامس بينه وبين المتصل، وأقفل الهاتف ونظر نحو والديه.. وسأله أبوه: من المتحدث؟

فاستجمع عمران شجاعته للحظة وقال بصوت مضطرب: إنه صالح صديق وليد.. يقول إن وليد تعرض لحادث.. انقلبت به الدراجة النارية أثناء السباق.. لقد تم نقله إلى المستشفى.

■■13■■

فرح قلقة

بقيت فرح تنتظر اتصال عمران بها طوال الليل، لقد توقعت اتصاله بعد الحادية عشرة مساء، لكنه تأخر لقد تجاوزت الساعة الواحدة فجراً حين قررت أن تتصل به بنفسها لتخبره ما جدّ معها.. إن هاتفه النقال يرن.. لكنه لا يجيب، معقول أنه لا يزال ساهراً مع ضيوفه! وبعثت إليه برسالة على الهاتف.. وانتظرت بعض الوقت.. ولم يجب عليها.. وبدأت تقلق.. هل خلد إلى النوم دون أن يحادثها؟!.. منذ عرفته وهو لا ينام إلا بعد أن يحادثها بالهاتف قبل النوم! وعادت تتصل به.. اتصلت به مراراً دون جدوى، ماذا حدث له؟.. لمَ لا يجيبها؟ هل تتصل على بيته؟.. إنها لم تتعود الاتصال عليه في البيت إلا عندما يطلب منها ذلك ويكون بانتظارها ليحادثها من هاتف غرفته الخاص، ليكن.. ستجرب، واتصلت على منزل أهله، الجرس يرن.. رن طويلا.. ولا أحد يرد وأغلقت الهاتف وقلبها مقبوض بين ضلوعها، ولم يغمض لها جفن تلك الليلة.

■■14■■

وليد في خطر

وصلت عائلة عمران إلى المستشفى والجزع يطل من عيونهم، والأم تبكي وتتضرع إلى الله تعالى أن ينقذ ولدها.. لا تحتمل فكرة خسارته، تخاف أن تتخيله وقد فارق الحياة، إن خوفها كبير يكاد يقتلها فتنهمر دموعها على وجنتيها وتنظر إلى السماء تناجي الله وتسأله أن ينقذ ولدها من الموت.

وكان صالح في استقبالهم.. أخبرهم بأمر السباق بين وليد وعادل وكيف أن وليد تفوق على عادل واستطاع الفوز عليه، وتعبيرا عن فرحته بهذا الفوز قام باستعراض سريع في قيادة الدراجة حول الشباب المتجمعين حوله، وعندما كان يقود بأقصى سرعته اصطدم بأحد الكثبان الرملية التي لم ينتبه إليها، فانقلبت به الدراجة وطار في الهواء.. وانفجرت الدراجة بجواره، وبالكاد تمكنوا من رفعه وأتوا به مسرعين إلى المستشفى وجاءت الشرطة لتحقق بالحادث ولتسأل الشباب المرافقين لوليد عن أسباب الحادث وكيفية حصوله، وخرج الطبيب وطلب محادثة والد المصاب فتقدم عمران وأبوه إليه وأخبرهما أن حالته خطيرة، لقد أصيب بكسور متفرقة، وارتجاج في المخ، وتهشم عموده الفقري تماماً، إضافة إلى حروق متفرقة، وسيحتاج إلى إجراء عملية عاجلة لمحاولة إنقاذه ويعلم الله إن كان سيتعرض لمضاعفات أخرى أم لا..

وبكى الأب عندما سمع ما قاله الطبيب وتوسل إليه أن يسمح لهم برؤيته.. إنه يكاد يجن لهفة عليه، ووافق الطبيب على مضض

لم يكن يحبذ أن يراه بهذا الوضع، ولم يسمح لأمه بالدخول معهما، يا إلهي لم يصدق عمران أن هذه الكتلة المغطاة بالدم هي أخوه.. كان يبدو متورما.. يبدو كذبيحة مشوهة.. وبكى عمران.. وهتف من بين دموعه: أخي.. وليد.. أخي.. اصمد أرجوك.. لأجلنا جميعا.. لا تستسلم يا أخي.

وخرج الأب يتكئ على عمران وكلاهما يبكي ويتضرع إلى الله أن يلطف بوليد وينقذه..

ومضت ساعات أخرى وهم في حالة مزرية، وخرج الطبيب من غرفة العمليات.. لقد أجريت له عملية جراحيةوسيدخل إلى العناية المركز حتى إشعار آخر، ولم يستطع الطبيب أن يزرع الطمأنينة في قلوبهم الخائفة المرتعبة، كل ما استطاع قوله إنه لا يزال حيا وأن يصلوا جميعا لأجله ونصحهم بالعودة إلى البيت ليرتاحوا قليلاً على أن يعودوا لأجله غدا صباحا، فوجودهم في المستشفى لا ضرورة له، وبالكاد تمكن عمران من إقناع والديه وبالأخص والدته بالعودة معه إلى المنزل، وطوال الطريق لم تتوقف الدموع عن الانهمار والقلوب عن الدعاء..

ودخل عمران غرفته واستلقى على سريره يحدق في السقف، يشعر أنه في كابوس مخيف، ودموعه تبلل وجهه، لم يعرف أنه يحب وليد بهذا اقدر، صحيح أنه أخوه وحبه أمر لا شك فيه، لكنه يشعر الآن أنه لا يستطيع العيش بدونه، لا يتصور أن يحصل له مكروه لا سمح الله.

وبدأ يخلع ثيابه ببطء ثم دخل يستحم.. استحم بماء بارد كالثلج لعلّ برودة الماء تطفئ نار القلق في داخله..

وخرج وأمسك بهاتفه النقال، لقد رن هاتفه مرارا وهو في

المستشفى لكنه لم يقوَ على إجابته أو حتى النظر إليه ليعرف المتصل، لا بد أن فرح اتصلت به، ونظر إلى الهاتف، رباه لقد اتصلت به أربعين مرة، إنها السابعة صباحاً الآن.. وآخر اتصال لها كان في الخامسة والنصف فجراً، لا بد أنها نائمة الآن وقرأ رسائلها التي أرسلتها له في أوقات متفرقة، كانت تسأله أن يتصل بها، لقد قلقت عليه، هل يتصل بها؟ ولم يناقش نفسه أكثر فقد وجد نفسه يتصل بها فعلاً وقلبه يخفق بحزنه وألمه، وأجابت فرح بلهفة: آلو.. عمران أين أنت؟

وبكى عمران.. أجابتها دموعه.. وجزعت فرح وحاولت تهدئته.. إنها المرة الأولى التي تسمع فيها بكاءه..

لقد هزتها دموعه من الصميم وقبل أن تعرف ما حل به، بكت هي أيضاً، كأن دموعه الغالية عليها سبب عظيم لجعلها تبكي هي الأخرى.. وأخبرها ما حدث لوليد، بثها خوفه وجزعه، أفصح لها عن مشاعره وأحاسيسه نحو أخيه الراقد في المستشفى بين الحياة والموت وشعر وهو يحكي لها أنه يحكي لنفسه، إن فرح هي روحه، قطعة منه، وما أن سمعها تواسيه وتؤكد له أن أخاه سينجو بإذن الله تعالى وفضله، حتى أحس بالطمأنينة تعود إلى نفسه من جديد، ونام عمران وهو يحادثها.. وسمعت صوت أنفاسه النائمة فصمتت واحتضنت الهاتف إلى صدرها لفترة، ثم أقفلت الهاتف، لم تخبره بما جرى بينها وبين أمها، إن همه كبير، أكبر من همها والوقت غير مناسب أبدا لتخبره أمرا كهذا..

وقامت فرح تصلي وبكت على سجادة الصلاة وهي تدعو الله أن ينقذ وليد..

15

ضغط رهيب

مضت ثلاثة أيام على الحادث ووليد لايزال في العناية المركزة، بدا وجهه متورما وجسده مغطى بالجبس والضمادات في كل مكان، وكمام كبير يغطي وجهه، إنه يفتح عينيه بين وقت وآخر وينظر نحو أهله نظرات زائغة ويعود ويغمضهما كأنه لا يقوى على رفع جفنيه، ومهدئات الألم التي تعطى له تبقيه نائماً معظم الوقت كي لا يعاني..

والعائلة مخلوعة القلب وهي تراه هامداً أمامها بعد أن كان يضج بالصخب والحياة، وصلواتهم لا تكف ودعاؤهم لا يتوقف راجين الله تعالى أن يمن عليه بالشفاء، وفرح تحادث عمران وتشد من أزره، وتحاول التخفيف عنه بقدر ما تستطيع، وحاولت كثيراً أن تفاتحه بموضوع والدتها لكنها لم تستطع.. شعرت أن الوقت غير مناسب لحديث كهذا.

وفي عصر ذلك اليوم دخلت والدتها غرفتها وسألتها مباشرة إن كانت اتفقت مع عمران على موضوع الخطبة أم لا، وأخبرتها فرح عما يجري معه.. إن أخاه بين الحياة والموت.. لا تستطيع مفاتحته بالأمر الآن..

واستمعت أمها لها ثم قالت: بدأ يتعذر بظروفه العائلية إذن..

واندفعت فرح تدافع عن حبها: لا يا أمي، إن أخاه فعلاً في

العناية المركزة، لا تتصوري كم حالته سيئة، كما أنني لم أخبره أنك عرفتِ بعلاقتنا بعد.

فقالت الأم بحزم: اسمعي يا فرح، إن هذا الحال لا يعجبني، يجب أن تضعي في اعتبارك أننا نعيش بلا رجل، ولن أسمح لذلك الشاب أن يتلاعب بك ويستخف بمشاعرك كونك بلا أب يحميك، إما أن يطلب يدك رسمياً وإما أن تتركيه نهائيا.. مفهوم؟!.. فاتحيه بالأمر وأخبريني وإلا سأضطر للجوء إلى خالك ليتولى مسؤولية هذا الموضوع.

وجزعت فرح، وأخذت تستحلف أمها أن تعطيها فرصة لتفاتح عمران بالأمر، يا إلهي.. إن أمها لا تفهمها، وتضغط عليها بلا رحمة، يجب أن تخبر عمران كي لا تتطور الأمور إلى الأسوأ، واتصلت به، إنه في المستشفى وأخبرته أنها تريده في موضوع هام وعاجل، واضطر عمران لركوب سيارته لمحادثتها بحيث لا يسمعه أحد وأخبرته فرح بكل ما جرى بينها وبين أمها، وهو يستمع إليها والحزن يتملكه، كم عانت حبيبته؟! كانت تواسيه في حين تحتاج هي إلى من يواسيها؟ وسكت عمران.. وقالت فرح أخيرا: أعرف أن الوقت غير مناسب وأن ظروفك صعبة جداً، صدقني أشعر بإحراج كبير وأنا أخبرك بطلب أمي، أرجوك يا عمران قدّر موقفي وحاول أن تتفهم موقف والدتي.

وصمت عمران طويلاً ثم قال: كيف أفاتح والديّ بموضوع كهذا في مثل هذه الظروف.. دعيني أفكر في الأمر وأرى ما يمكنني فعله.

وانتهت المكالمة بينهما، وضاقت الدنيا بكل منهما.. واتصلت فرح بريم وأخبرتها وهي تبكي عن آخر التطورات التي مرت بها.. وقالت ريم: لدي حل لكما.

فقالت فرح بلهفة: ماذا؟

ريم: ليقم عمران بمحادثة والدتك، عليه أن يخبرها أنه جاد في علاقته بك وأنه ينوي فعلا الزواج منك، ليشرح لها ظروفه علها تطمئن إليه وتقدر ما يمر به فتمنحه الوقت الكافي لينفذ وعده.

واقتنعت فرح بفكرة ريم، واتصلت بعمران لتبلغه بها، واستمع إليها بصبر، ووعدها أن يفعل ذلك لأجلها، سيتصل على هاتف منزلها هذا المساء ويتفاهم مع والدتها.. لا يريد أن يخذل فرح ولا أن يُصغّرها أمام أمها.

وفي المساء اتصل عمران بمنزل فرح، وتفاجأت أمها التي ردت على الهاتف بصوت شاب يطلب التحدث إليها بأدب وابتدأ عمران حديثه بأن عرّف عن اسمه، أخبرها أنه زميل لفرح في الجامعة وأنه قد تخرج للتو، وأشاد بفرح وبأخلاقها وتربيتها وأكد لها أنه لا يتمنى شيئاً في هذه الدنيا أكثر من أمنيته الزواج بها، ثم شرح لها وضع أخيه الدقيق وما تمر به عائلته من قلق نتيجة هذا الوضع، وطلب من الأم برجاء أن تتفهم وضعه الحالي وأقسم لها أن يتقدم لخطبة فرح رسميا بمجرد أن تتحسن ظروفه العائلية فيما يخص وضع أخيه الصحي.

وسكتت الأم.. لقد ارتاحت إلى عمران.. لمست في صوته حبه

لابنتها ورق قلبها لحال أخيه فقالت له كلمتها: اسمع يابني.. إنني أقدر اتصالك بي، كما أنا أقدر ظروفك بلا شك، لكنك تعرف أن فرح هي وحيدتي وقد أزعجني أمر علاقتكما كثيرا وجرحني من الصميم، ومادام غرضك شريفا سننتظر قدومك لخطبتها عندما تتحسن حال أخيك إن شاء الله.. لكن على شرط..

عمران: شروطك أوامر يا أم فرح، ما هو شرطك؟

الأم: أن تعطيني كلمتك كرجل.. أن لا تحادث فرح بعد الآن إلا بعد أن تتقدم لخطبتها، لا أريدك أن تحادثها بالهاتف ولا أن تلتقي بها إلى أن تصبح خطيبتك أمام الله والناس رسميا.

فقال عمران وهو يشعر بيد ثقيلة تكاد تخنق قلبه: أعدكِ بذلك.. لك مني أن لا أحادثها ولا أقابلها إلى أن أفي بوعدي..

وانتهت المكالمة وصعدت الأم لتتفاهم مع ابنتها وتخبرها بالاتفاق الذي تم بينها وبين عمران..

■■16■■

بُعد وشوق

جلست فرح أمام ريم في كافتيريا الجامعة، بدت فرح شاحبة الوجه، وقد نقص وزنها كثيرا، بدت كفتاة عجوز.. الحزن يملأ عينيها والملل مرتسم على وجهها.. وقالت تحادث ريم كأنها تحلم: تصوري شهر كامل يمر دون أن أحادثه، لم أسمع صوته وكل ما بيننا هو رسائل الهاتف التي لم أستطع منع نفسي من إرسالها له، إن أخاه أفضل حالا من السابق، لكنه لا يزال في المستشفى وهو عاجز عن الوقوف.. ومازالت ساقه في الجبس، أشعر أن عمران ابتعد عني يا ريم.

وقالت ريم بصوت هادئ: كان الله في عونه يا فرح، لقد ارتبط مع والدتك بكلمة ووعد صعب وصدقيني هو يحتاج إليك في هذه الفترة أكثر من حاجتك أنت إليه.

وامتلأت عينا فرح بالدموع وقالت: لقد حرمتني أمي منه، لم تعرف أنها بذلك حطمتني كأنها حرمتني من الحق في التنفس، إن عمران هو الهواء الذي أتنفسه يا ريم.. افهميني..

ريم: لا تلوميها يا فرح، إنها خائفة عليك، ولولا حبها الكبير لك، لما خافت عليك وحرصت على المحافظة عليك، اصبري وستتحسن الظروف بلا شك.. إن بعد العسر يسرا.

عمران.. يغادر

غادر عمران المستشفى وهو يحمل مظروفاً كبيراً يحتوي على تقارير وليد النهائية وصور كثيرة للأشعة التي أخذت له مؤخرا، واتجه إلى المنزل.. ودخل ليرى والده جالسا في انتظاره وسأله أبوه: هل انتهت الإجراءات؟

عمران: تقريباً.. بقيت بعض الترتيبات وبعدها سنقوم بحجز التذاكر.

لقد تم عرض وليد مؤخراً علي لجنة طبية خاصة وتم تحويله إلى لجنة العلاج في الخارج، لقد تقرر سفره لاستكمال علاجه في الولايات المتحدة حيث سيخضع لعملية دقيقة في العمود الفقري، وتقرر ذهاب عمران كمرافق له، فهو الوحيد القادر على رعايته هناك، وقد يتم السفر خلال أيام قليلة، يجب أن يبلّغ فرح أنه سيسافر، قد يبتعد لشهور طويلة، كم اشتاق لها، اشتاق لصوتها، لضحكتها الصافية، لكلماتها الجميلة الحانية التي تهون عليه مصائب الدنيا، آه يا فرح، لقد طال البعد عنك، وسيطول أكثر وأكثر، كم يعز عليه السفر قبل أن يتقدم لخطبتها، لكن كيف يخطبها ووالداه في هذه الحال وأخوه الوحيد طريح الفراش.. كيف يتحدث في موضوع كهذا مع أهله في هذه الظروف القاهرة، لقد شعر في لحظات كثيرة أنه ندم لوعده لأم فرح، لقد كتب على نفسه الحرمان منها إكراما لخاطر أمها، أعطاها كلمة جاهد

نفسه كثيراً ليحافظ عليها، وفي لحظات أخرى كاد يتصل بأمها ويبكي راجيا إياها أن تسمح له بمحادثة فرح، إنه يحتاج إليها بجواره.. ويجب عليه أن يودعها.. أن يخبرها أنه سيسافر، وقد يطول غيابه..

ومرت أيام أخرى وتحدد موعد السفر بعد خمسة أيام، واتصل عمران بمنزل فرح، ليستأذن أمها أن تسمح له بالاتصال بها وإخبارها عن سفره، حادث الأم بأدب وأخبرها عن موعد رحلته، وطلب منها أن تسمح له أن يودع فرح ويبلغها بنفسه بهذا الأمر، وسمحت الأم له.. أعطته إذنها ليحادث ابنتها ويبلغها بسفره.. وقد ازداد احترامها له، لقد كبر في عينيها وتمنت من قلبها أن يمن الله على أخيه بالشفاء العاجل وأن يكون عمران من نصيب ابنتها.

■■18■■

الوداع

كانت فرح تجلس في غرفتها وبيدها كتاب تدرس فيه عندما رن هاتفها النقال، قامت متثاقلة لترد، وما إن وقعت عيناها على رقم عمران واسمه حتى شعرت بقلبها يكاد يخرج من بين ضلوعها، إنه هو يتصل بها بعد غياب وبيد مرتجفة رفعت الهاتف إلى أذنها وقالت بصوت لاهث: ألو؟

فجاءها صوت عمران.. ياه أخيرا ارتوى سمعها بصوته، شعرت بروحها تهفو إليه، جاءت كلماته كحبات المطر المنهمرة على أرض جرداء قاحلة، وقال لها: كيف حالك يا فرح؟ فرح هل تسمعينني؟ وأجابت فرح وصوتها تخنقه عبراتها: أسمعك.. أسمعك يا حبيبي، وجاءه صوت نشيجيها.

وسكت هو الآخر كأنه يغالب دموعه التي تكاد تطفر من عينيه، ثم تمالك نفسه وقال: لقد أخذت الإذن من والدتك لأتصل بك اليوم لأبلغك بأمر مهم، سأسافر مع وليد بعد خمسة أيام، سأرافقه ليكمل علاجه في أمريكا، وقد يطول غيابي يا فرح، أرجوك انتبهي لنفسك في سفري وثقي أنني سأعود إليك بكل حبي لأحقق ما وعدتك به.. فرح أمازلت تبكين؟

وجاءه صوتها يحمل حزن الدنيا: وكيف لا أبكي وأنت تبتعد عني أكثر وأكثر.. لا تعرف كم عانيت من ابتعادك عني يا عمران.. أشعر أنني جسد بلا روح، والآن بعد كل هذا الغياب اتصلت بي

لتخبرني أنك سترحل بعيدا عني لفترة غير معلومة.. وتريدني أن لا أبكي، لو ملأت هذه الدنيا دموعا لما عبرت بما يكفي عن مدى حزني وشوقي..

وأجابها عمران: أرجوك قدّري موقفي، إنه أخي الوحيد، ووالدي لا يستطيع مرافقته في رحلة العلاج في هذا العمر، لن يستطيع رعايته وحده، أنا الوحيد القادر على السفر معه، هذا واجبي نحوه وأقل ما أستطيع أن أفعله لأجله.

فرح: وماذا عن عملك؟ هل ستتركه؟

عمران: لا، سأكون في إجازة خاصة، إجازة مرافق لمريض.. فرح عديني أنك ستعتنين بنفسك في غيابي.

فرح: عدني أنت أنك ستعود لأجلي.. سأنتظرك يا عمران.. سأنتظرك ولو كلفني انتظارك عمري كله.

وسكت عمران وقال بعد برهة: كم أتمنى لو استطعت أن ألقاك قبل سفري، لكنني أعطيت كلمتي لأمك ولن أخلف بوعدي لها، سأصبر يا فرح وفي يوم ما ستكونين لي.. وعندها لن يفرق بيننا شيء مهما حصل..

وقبّل سماعة الهاتف بكل الحب الذي يحمله في قلبه..

وفي يوم سفره بعث إلى فرح برسالة: «أنا في المطار، سأبعث لك برقمي حالما أصل إلى أمريكا.. أحبك دائما.. دعواتك لي يا أغلى الناس».. عمران.

■ ■ 19 ■ ■

أجوان في المطار

استيقظت أجوان باكرة وبدأت ترتدي ثيابها وهي سارحة وراء أفكارها.. لقد عرفت بما جرى لوليد ابن عمها منذ وقوع الحادث، أخبرها أبوها.. وقد اتصل بها قبل ثلاثة أيام وأخبرها أن عمران ووليد سيصلان إلى الولايات المتحدة في هذا اليوم، إن المستشفى الذي سيعالج فيه وليد يقع في الولاية نفسها التي تدرس فيها أجوان ويبعد عن سكنها مسافة ربع ساعة فقط باستخدام السيارة، وتولت أجوان حجز غرفة في الفندق الملحق بالمستشفى لأجل إقامة عمران، واليوم ستذهب بنفسها إلى المطار لاستقبال ابنيّ عمها.. لطالما تمنى والدها أن تتزوج من عمران ابن عمها، إنه عريس مناسب لها من وجهة نظر أبيها، ومن وجهة نظرها الخاصة رأت أنه حقاً يصلح لها كزوج، فهو وسيم ومهذب ويكفي أنه ابن عمها، قد لا تحمل له مشاعر الحب والعشق، لكنها تتقبل فكرة زواجها منه، كانت تعترف بينها وبين نفسها أن لن ترفضه إن تقدم لها، وخرجت من غرفتها بعد أن ارتدت ملابساً أكثر حشمة مما اعتادت أن ترتديه، فوجدت غادة تتناول إفطارها، وقالت أجوان باقتضاب: صباح الخير، وردت عليها غادة ببرود: صباح النور. لقد أصاب الفتور علاقتهما منذ تلك المواجهة بينهما بشأن أحمد، من يومها لم يدخل أحمد شقتهما، لابد أن غادة تلتقي به خارجا، وفي أحيان كثيرة أصبحت تتأخر خارج البيت حتى منتصف الليل، هل تذهب إلى شقته؟

إن أجوان تعلم أنه يسكن مع شاب أمريكي من ولاية بعيدة، ولم تسأل غادة عما تفعله، إنها حرة وهي المسؤولة الوحيدة عن تصرفاتها، ورغم الجفاء الذي صبغ علاقتهما إلا أن كلتاهما تبدو راغبة في السكن مع الأخرى، إنه نوع من التعود، كما أنه لم يتبق سوى أشهر قليلة وتتخرجان من الجامعة، أي أن بقاءهما معا أصبح مؤقتاً ومحدوداً، والتفتت أجوان إلى غادة وهي على وشك الخروج: سيصل ابنا عمي اليوم من الكويت.. أنا ذاهبة إلى المطار لاستقبالهما.

فقالت غادة (وقد بدا عليها بعض الاهتمام وربما بعض السعادة لأن أجوان تخبرها بأمر يخصها): حقا؟ هل تريدينني أن أرافقك؟

أجوان: الأفضل أن تدرسي قليلاً، فأنت تقضين معظم وقتك باللهو خارجا.. بالإذن، وخرجت مسرعة كي لا تسمع غادة وهي تشتمها!

ووصلت أجوان إلى المطار بسيارتها، فلديها سيارة صغيرة اشتراها والدها لها عندما أتى معها في بداية سفرها ليرتب شؤون إقامتها هنا، ودخلت قاعة الانتظار، ولم تنتظر طويلاً حتى شاهدت ابنيّ عمها وهما خارجان إليها، إن وليد جالس على كرسي متحرك ذي عجلات، وعمران خلفه يدفعه برفق، وشاب عربي تطوع بدفع عربة الحقائق بجوارهما، ونظرت أجوان إلى عمران نظرات ثاقبة، إنه وسيم بلا شك، لا تستطيع إنكار وسامته، وهو طويل القامة، جميل أن تجد رجلا يفوقها طولا بكثير، ويبدو حزينا غامضا، وتقدمت منهما تصافحهما بحرارة، وبدا وليد

منكسرا وهي تسأله عن صحته، لقد حطّم ذلك الحادث معنوياته قبل أن يحطم عظامه، إن شعوره بالعجز يؤلمه أكثر من إصاباته، لم يعتد الحياة في المستشفيات وسط الأطباء والممرضات، وقد زاره جميع أصدقائه حتى عادل غريمه الذي تعرض للحادث يوم تحداه وتسابق معه، وقدم الجميع له أخلص الدعوات.. الأمر الذي جعله يصر على أن يعود إلى الكويت واقفا على قدميه، يجب أن يتحسن، يجب أن يُشفى.

وركب الجميع سيارة أجوان، وصافح عمران الشاب العربي بحرارة وهو يشكره على مساعدته، وجلس عمران في الخلف بجوار وليد، كي يتأكد من راحته خلال الطريق، بدت أجوان كسائقة خاصة لهما، سائقة جميلة مثيرة، ولم يشعر عمران بجمالها يشده أو يلفت نظره، إن قلبه مشغول بحب فرح، وعقله مشغول بمشكلته معها، وعيناه مشغولتان بتخيل طيفها، إنه ملك فتاة أخرى.. فتاة بعيدة عنه، إنه في قارة أخرى في آخر الدنيا.. وحبيبته هناك في الكويت تنتظره.. على أحر من الجمر.

■■ 20 ■■

فارس.. يحاول

جلست الأم أمام فرح على مائدة العشاء.. إن فرح تكاد لا تأكل شيئاً منذ أزمتها مع عمران وقلّت شهيتها أكثر وأكثر عندما تركها وسافر، وأمها تنظر إليها بحسرة وصمت ولا تعلق بشيء على حزنها وذبولها، وأخيراً تحدثت الأم قائلة: إلى متى يا ابنتي ستظلين على هذا الحال.. ارحمي نفسك يا فرح، انظري إلى حالتك.. كأنك فتاة أخرى.. إذا كان الرجل قد سافر فهو معذور.. وسفره واجب عليه وغدا يتعافى أخوه ويرجع إليك خاطبا.

ولم ترد فرح.. لم تجرؤ أن تقول لأمها إنها حزينة لحرمانها من صوته، من سماع أخباره، تريد أن تتواصل معه كما كانت تفعل لحين عودته.

وسكتت الأم قليلاً ثم قالت: هل تعرفين أن والدة فارس لمّحت لي مرارا عن رغبته في الزواج؟ أظنها تريد جس نبضنا فيما يتعلق برأيك إن تقدم لخطبتك.

وفجأة غضبت فرح وقالت بعصبية: ما هذا التناقض يا أمي، قبل دقائق كنت تخبرينني عن عودة عمران وارتباطي به والآن تعرضين عليّ خطبة رجل آخر!

وقالت الأم بهدوء: لم أطلب منك الموافقة على فارس، كل ما أقوله هو ما لمحت به أمه، ومن حقك أن تعرفي أنه يرغب فيك كزوجة ولا تنسي أنه ابن أخي وهو شاب ممتاز لا يعيبه شيء.

وانتفضت فرح واقفة وقالت: ولكن أنا أحب عمران ولن أتزوج سواه، وأظنك أعطيته كلمتك كما أعطاك كلمته بأن يقاطعني.. تلك الكلمة التي تكاد تقضي عليّ.

ونظرت الأم إليها بعتاب: ماذا تريدين مني أن أفعل؟ أن أتركه يحادثك وهو غريب عنك دون أي صفة رسمية؟ أجعلك رخيصة في نظره، تريدينني أن أغض النظر عن علاقتك به، أتركك له كأنك بلا أهل وبلا كرامة.

وصمتت فرح.. ودموعها تنهمر على خديها بصمت وصعدت إلى غرفتها وكل ما بدخلها يكاد يضمر وينكمش، تشعر بالضيق يكاد يخنقها، وجاءتها رسالة على هاتفها النقال.. يا إلهي إنه عمران.. كأنه أحس بضيقها رغم بعد المسافات.. جاءت رسالته لتملأ قلبها بالأمل: «إليك رقم هاتفي في أمريكا، سأنتظر رسائلك دائما.. انتبهي لنفسك.. أحبك.. دائما وإلى الأبد».

واحتضنت فرح الهاتف إلى قلبها بلهفة.. ورفعت رأسها نحو السماء ممتنة شاكرة..

■■21■■

أيام تمضي

مضى على وجود عمران في الولايات المتحدة شهر كامل، لقد أجريت عملية دقيقة لوليد، ومازال في فترة النقاهة وبعدها سيخضع إلى علاج طبيعي وتدريبات خاصة ليتمكن من المشي من جديد، ومعظم وقته يقضيه في المستشفى مع أخيه، وباقي وقته يقضيه مع أجوان، إنها لم تقصر معهما حقا، وتقضي وقتا طويلا مع عمران وقد خدمه وجودها إلى جواره في أمور كثيرة في بلاد غريبة عنه، إنه يشعر بالعرفان نحوها وبامتنان كبير لما تفعله لأجله ولأجل وليد، لكنها تشعر نحوه بشعور مختلف، لقد وقعت أجوان في هواه، تشعر بانجذاب عميق نحوه، إنها تجرب الحب لأول مرة، أحبت وسامته ورجولته، أحبت شهامته وتفانيه في خدمة أخيه، أحبت حنانه ولطفه وهو يحادث والديه، وأحبت كرمه ودماثة خلقه وهي التي لم تعرف رجلا في مثل صفاته الطيبة من قبل، وأصبحت تتصرف بشكل مختلف، تخلت عن ملابسها الفاضحة التي قد تثير تحفظه، وقاطعت جميع الشبان الأجانب الذين كانت تواعدهم من حين لآخر، وبدت أكثر لطفا ولينا في نظراتها، إنها تسير على الأرض كأنها تخطو فوق السحاب، وتنام وصورة عمران تملأ مخيلتها، لقد تعلقت به بشكل رهيب.. تعلقت به بجنون، كأنها عاشت عمرها كله في انتظاره، وهي لا تعرف إن كان يميل إليها أم لا، إنه يعاملها بأدب شديد واحترام كبير، وأحاديثه معها عامة يدور أغلبها عن وليد والعائلة

وعمله ودراستها وحياتها في أمريكا وما تنويه بعد التخرج، أمور لا تصل بهما إلى الخصوصيات، أو المسائل الشخصية وهي محتارة كيف تعرف ما بداخله، وتتخيل أحيانا أنه معجب بها وفي أحيان أخرى تؤكد لنفسها أنها لا تلفت نظره، إنها حائرة، لا تعرف شعوره حيالها، وهو لا يعلق على مظهرها كما اعتاد الكثير من معارفها أن يفعلوا، لا يطري جمالها بتاتاً ولا يلمّح إلى أي شيء يشجعها ويهدئ حيرتها.. ويقوم بتوصيلها أحيانا إلى شقتها فيتركها عند الباب.. لم يدخل منزلها أبداً.. إنه رجل محترم يعرف الأصول، وقد التقت به غادة مرة وهو يوصلها وأخذت تمتدحه وتشيد بجاذبيته الأمر الذي عذّب أجوان وزاد من ولعها به.

ومضت أيام كثيرة حتى كان اليوم الذي اصطدمت به أحلامها بأرض الواقع القاسية.. كانت تجلس مع عمران في كافتيريا المستشفى ينتظران انتهاء وليد من إجراء فحوصات خاصة، كانا يتناولان طعام الغداء، لقد أصبح بينهما نوع من الود والألفة بحكم لقائهما اليومي وقضائهما وقتا طويلا بصحبة بعضهما، وأثناء حديثهما وصلت رسالة من فرح إلى عمران على هاتفه النقال، كانت تخبره أنها قد أصيبت بانفلونزا وقضت وقتاً عصيباً بسبب ارتفاع درجة حرارتها، لا تعرف فرح لِمَ بعثت إليه بهذه الرسالة، ربما لأنها أرادت أن تسمع منه كلمة حلوة تؤكد لها حبه وتشعرها بحنانه واهتمامه، ربما أرادت أن تجعل قلبه يرق حالها لعله يتصل بها ويخالف وعده لأمها، ربما لأن المرأة في ضعفها تحب أن تشعر بقوة رجلها وتدليله لها، لكنها وجدت

نفسها ترسل له تلك الرسالة وقلبها يدق انفعالا كطير حبيس في قفص موحش يأمل بأن ينطلق بجناحيه نحو الحرية.

وتعكر وجه عمران وأطل الجزع من عينيه وهو يقرأ رسالتها تلك، وتسلل القلق إلى نفسه، لقد خشي أن تكون فرح أكثر مرضاً مما ذكرت له في رسالتها القصيرة له، وبعث لها برسالة كتب فيها: «سلامتك يا حبيبتي بالله عليك كيف أنت، لقد أقلقتني عليك». وجلس يرقب الهاتف بلهفة، وأجوان ترقبه والفضول يكاد يغلبها، وأخيراً استجمعت شجاعتها وقالت له: ما الأمر يا عمران، تبدو قلقا؟ هل حدث شيء ما؟ ولا يعلم عمران كيف وجد نفسه يبوح لها بقصته مع فرح، لقد عُرف عنه أنه كتوم، لم يعتد الحديث عن مشاعره لأحد، ربما دفعته غربته ووحدته إلى البوح.. وجد نفسه يحكي لأجوان كأنه يناجي ذكريات حبه ويفرّج عن شوقه المحموم إلى حبيبته، أخبرها عن فرح وجمال فرح ومكانة فرح لديه، حكى لها موقفه مع أمها وكيف اضطر للابتعاد عنها، واستمعت له أجوان وقلبها يغوص في صدرها، شعرت بلحظة أن عالمها قد انهار من حولها، أصبحت أحلامها سراباً، إنه يحب غيرها.. يحب فتاة أخرى بكل مشاعره، بكل أحاسيسه، بكل ذرة من كيانه، وهي لا تعني شيئاً بالنسبة إليه.. وشعر عمران بحزنها.. وقال لها: كم أنت طيبة يا أجوان.. آسف إنني حمّلتك كل هذا الهم، يبدو أنك تأثرت بقصتي مع فرح.

وضغطت أجوان على جفنيها بصعوبة كي تمنع دموعها من النزول وقالت: لم أكن أعرف أنك تحمل في قلبك كل هذا الحزن، كان الله في عونك..

■■22■■

المكيدة

مضى شهر آخر.. وأجوان تحترق بنارها.. وفرح تحترق بشوقها وعمران يحترق بغربته التي طالت.. لقد اجتمع بالطبيب هذا الصباح وأبلغه أن وليد يتحسن لكنه قدر فترة بقائه للعلاج الطبيعي بشهرين آخرين الأمر الذي أزعج عمران وأثر على نفسيته، كان قد مضى عليه يومان لم يسمع من فرح، وكان يخطط لأن يبعث لها بخبر عن قرب عودته بعد أن يجتمع بالطبيب، لكن آماله تبعثرت أمام ما سمع، وجلس يحكي لأجوان عن خيبة أمله، لقد اعتاد على أن يحكي لها، يبثها معاناته وهي تستمع إليه وعلى وجهها قناع زائف من التعاطف، واستأذنها عمران ليذهب لشراء بطاقة للاتصال الدولي كي يحادث والده ويخبره بآخر الأخبار وتطورات حالة وليد.. وبقيت أجوان وحدها...

وهمت بالقيام عندما لمحت هاتف عمران النقال وقد نسيه على الطاولة أمامها، وبلا تفكير التقطته وهي تتلفت حولها كأنها تتأكد أن عمران لا يراقبها، وأخذت تقرأ رسائل فرح إليه، وفتحت حقيبتها والتقطت ورقة وقلما ودونت رقم هاتف فرح النقال، ثم أعادت الهاتف على الطاولة.

ثم خطرت لها فكرة.. نعم يجب أن تدافع عن حبها بأي وسيلة، يجب أن تفوز بعمران، إنها أولى به من فرح أو غيرها، سيكون لها مهما كانت الوسيلة.. إن الغاية تبرر الوسيلة.. هكذا

يقولون، والتقطت هاتف عمران لتنفذ خطتها الجهنمية علها تُنهي عذابها وكتبت الرسالة التالية: «عزيزتي فرح.. أعرف أنك ستصدمين برسالتي إليك.. لكنني مضطر لذلك.. لا أريد أن أخدعك أكثر من ذلك.. لقد وقعت في حب ابنة عمي التي تدرس هنا.. وسأتزوج منها حالما أعود إلى الكويت.. سامحيني.. مع تمنياتي لك بحياة سعيدة...».

وأرسلت الرسالة إلى فرح ثم أسرعت تمسح هذا الرسالة من قائمة البريد الصادر في هاتف عمران كي لا يراها بعد ذلك... وانتظرت.. وفجأة دق جرس الهاتف.. دق طويلا وأخيرا استجمعت أجوان شجاعتها وردت على فرح: ألو؟ وصدمت فرح بصوتها وقالت: ألو؟ من معي؟ أين عمران؟

فقالت أجوان: أنا أجوان ابنة عم عمران.. آسفة حقاً لما حدث بينكما.. عمران بجواري وقد طلب مني الاعتذار إليك فهو لا يستطيع محادثتك بعد الآن.. أنا حقاً آسفة لكنه النصيب يا عزيزتي.. وقد صارحني بعلاقته السابقة بك... وقد اختارني أنا الآن، أرجو أن تتفهمي الموقف وأن توفري علينا جميعا هذا الإحراج.

وقالت فرح بصوت متهدج: أخبريه أنني أكرهه، ولن أسامحه أبداً، وهنيئا لك بابن عمك الخائن...

وأقفلت فرح الخط! وبقيت أجوان واجمة، يا إلهي لقد ارتكبت جريمة حقيقية... لقد قتلت حبهما اليوم.

■■23■■

فرح.. تنهار

دخلت الأم غرفة فرح بعد أن سمعت صوت ارتطام قوي أخافها، وصُدمت عنما شاهدت فرح تحطم هاتفها وترمي به مراراً نحو الحائط حتى تهشم تماما، وامتدت يدها تحطم مرآتها بزجاجة عطرها، بدت فرح كنمرة هائجة وهي تصرخ وتبكي وتشد شعرها وجزعت الأم وصرخت: فرح.. فرح اهدئي يا ابنتي ماذا حدث، أرجوك أخبريني.. وفرح تصرخ بلا كلام، فقط تصرخ وتبكي، والأم لا تعرف ماذا تفعل ولا كيف تتصرف، وفجأة وقعت فرح أمامها على الأرض بلا حراك وصرخت الأم تستنجد بالخادمة واتصلت بأخيها المقيم في الطابق العلوي ليساعدها وتم نقل فرح إلى المستشفى.

وطوال الطريق والأم تدعو الله أن ينقذ وحيدتها وهي تتساءل عن ما حل بها، واتصلت الأم بصديقتها ريم التي ما إن سمعت بما حدث حتى جزعت أشد الجزع ووعدت الأم بموافاتهم إلى المستشفى، لقد أصيبت فرح بانهيار عصبي.. ورقدت في سريرها ولون وجهها يكاد يماثل لون ملاءة السرير، والأم تبكي وريم محتارة، لا أحد يعرف ماذا أصاب فرح...

■■24■■

عمران يحتار

مضى أسبوع كامل وعمران لا يعرف شيئاً عن فرح، لقد بعث إليها عشرات الرسائل على هاتفها النقال بلا فائدة، وقام بالاتصال بها، لم يستطع مقاومة قلقه عليها، وجهازها دائماً مغلق، ثم أصبح خطها مفصولاً عن الخدمة، وزاد قلقه عليها، فاتصل على منزل أهلها، لقد تم وضع خدمة خاصة على خط المنزل، يجب عليه ادخال رقماً سرياً كي يتمكن من الاتصال بمنزلها.

كيف يصل إليها.. وأخذ يشكو حيرته وقلقه إلى أجوان، وهي تستمع إليه بقلب مقبوض.. لا تعرف كيف تخبره أنها غدرت به وقتلت حبه.. إنها لا تستطيع أن تعترف له بما فعلت، لا تجرؤ على ذلك.. ولا تدري إن كانت كذبتها ستنكشف أمامه يوما ما فيكرهها ويحتقرها إلى الأبد، ومرت الأيام طويلة مريرة.. وفرح لا تغيب عن باله، لا يعرف ماذا حل بها، ولِمَ انقطعت عنه بهذا الشكل المفاجئ، وأخيرا خطرت له فكرة.. لقد مر شهر كامل منذ انقطعت فرح عنه.. سيتصل بصديقتها ريم، إنه لا يعرف رقم هاتفها، لكنه سيطلب من صديق له يعمل في شركة الاتصالات أن يأتيه برقم ريم واتصل بصديقه في الكويت ورجاه أن يأتيه برقم هاتف ريم النقال بعد أن زوده باسمها الكامل، رجاه واستحلفه أن يفعل ما بوسعه لمساعدته فالأمر طارئ، وفعلاً حصل عليه وصديقه يقول له بخبث: ما هذه الشقاوة يا عمران،

أنت في أمريكا وتطارد فتاة هنا في الكويت!

ولم يرد عليه عمران.. إن لهفته وقلقه أكبر من أن يضيع وقته في الكلام والمزاح، واتصل بريم وجسده يرتعش.. وردت ريم، لقد عرفها من صوتها.. وقال لها: ألو.. ريم.. أرجوك لا تقفلي الخط.. أنا عمران.. كيف حال فرح؟ أين هي؟ لقد تعبت من محاولة الاتصال بها؟ هل حدث لها مكروه؟

وجاءه صوت ريم البارد وهي تقول له بكل جفاء: ماذا تريد منها بعد؟

عمران: أرجوكِ.. أريد الاطمئنان عليها.. هل حدث لها مكروه؟

وجاءه ردها: لقد خُطبت فرح إلى ابن خالها فارس، وسيعقد قرانها الخميس المقبل، أرجوك يا عمران ابتعد عنها وإلى الأبد.. ولا أريدك أن تتصل بي بعد الآن...

وأقفلت الخط في وجهه...

■■ 25 ■■

نهاية حب

أسألك يا قلبي إن كنت حيّا.. إن كنت تنبض بالحياة؟ لا فليس كل نبض هو عيش وحياة،

في ليلي الطويل وحدي أسهر وأحتار

ودمعي الغزير.. يجري كسيول وأنهار

أين أنت اليوم مني وتفصلنا بلاد وأبحار

أين دفء راحتيك عني أين الحب والأشعار

أسألك يا قلبي... ألم يحبني قلبها..؟

ألم يعشقني؟.. ألم يعرف هواي؟

ألم يعرف أنني لها وأنها لن تكون لمخلوق سواي؟

لم تراه خان عهدي، لم تراه خان ودي،

ألم نكن يوماً أصدق الأحباب؟

لكن أسئلتي اليوم تبقى بلا رد ولا جواب...

وبقي عمران في عذابه، إنه يسأل نفسه مراراً كيف استطاعت فرح أن تتركه، معقول، فرح الوفية المخلصة، حبيبته التي تفتح قلبه على حبها، تتركه لتتزوج بآخر ودون علمه، هكذا بدون مقدمات تتقطع عنه ليفاجأ أنها خذلته، كيف استطاعت نسيانه بهذه السرعة، لماذا يا فرح؟ لماذا؟ ألم أعدك أن أكون لك، ألم

أعاهدك ألا أفرط بك، ألم أعط كلمتي لوالدتك، كيف استطعت كيف؟!...

وأنفه ينزف دماً.. وقلبه ينزف دماً أيضاً.. ووضع رأسه تحت سيل من الماء البارد.. لعل نيرانه تنطفئ، وفي اليوم التالي جلس أمام أجوان كبقايا إنسان، بقايا قلب، بقايا كرامة بعثرها الغدر، وأجوان تنظر إليه كما ينظر القاتل إلى ضحيته، تشفق عليه وتعجز عن الاعتراف أمامها أنها من قتلت حبه، وقتلت حبيبة قلبه، وجلست تواسيه بكلمات جوفاء لا قيمة لها، ولا تغير من جريمتها شيئاً ولا تبدل واقعاً صار يتجسد أمامها، واقع الألم والحزن، واقع العذاب والقهر، واقع الكذب والخداع.

وقالت له بكلمات مرتعشة بين شفتيها: يجب أن تنساها يا عمران.. يجب أن تتخطى مشاعرك نحوها، وصدقني مع الوقت ستجد نفسك تنسى، إن الزمن كفيل بشفاء الجروح،

ورفع عمران عينيه إليها.. وانهمرت دموعه أمامها، لأول مرة ترى رجلاً يبكي أمامها.. دموع كثيرة... وعيون حمراء بلون الدم.. وقال: أنا أحبها يا أجوان.. هل تعرفين معنى أنني أحبها؟ أحبها من كل قلبي.. أحبها بصدق، وأردتها زوجة لي، أردتها أما لأولادي، لم تكن فرح علاقة عبث ولهو، لم تكن مشاعري نحوها مشاعر عابرة، إنها مشاعر تملك قلبي، وتملأ حياتي.. كيف أعيش من بعدها، ولماذا، لماذا تركتني بهذه الطريقة؟ لم غدرت بي؟ أكاد لا أصدق أنها فعلت ذلك..

أجوان: قد تكون لها أسباب خاصة دفعتها إلى ذلك، ربما

تعرضت لما جعلها تضحي بحبها لك.. ويجب أن تضحي أنت أيضاً بمشاعرك إن كنت تريد لها السعادة.

وصرخ عمران: التضحية كلمة كبيرة.. تضحي بوجودي بقربها لأجل ماذا؟ يالها من كلمة عظيمة يستخدمها صغار النفوس عندما يرغبون في الهروب من الارتباط الجدي بمن ادعوا حبهم، أي تضحية تجعل رجلا يترك حبيبته لتكون لرجل غيره.. أي كذب هذا.. وأي تضحية تجعل فرح تضحي بحبنا لتتزوج ابن خالها! هناك شيء لا أفهمه، هناك أمر مفقود لا أعرفه، أكاد أقسم أنها تحبني، أنا متأكد، نظراتها، لمساتها، صوتها، قلبها، فرح كلها تنطق بحبي.. أين هي الآن.. أين هي؟. وأجوان صامتة، غارقة في أفكارها، وتركها عمران ليذهب إلى وليد، لم يعرف وليد قبلا بحكاية أخيه وحبه لفرح، لكنه عرفها اليوم، ويشعر أنه سبب ما حدث، ويرى أخاه محطماً منهاراً أمامه ويعجز عن مساعدته، كيف يساعده وهو سبب ابتعاده عن فرح ودنياها.. وعمران يبكي، يبكي ضعفه وعجزه، يبكي ألمه وحزنه، ووليد يحاول مواساته فتقف الكلمات بين شفتيه كأنها تعجز عن التخفيف عن هذا العاشق المصدوم بحبه، وعادت أجوان إلى شقتها وقلبها مقبوض كأن يداً ثقيلة تقوم بعصره.. ودخلت لتجد أمامها غادة، شكلها غريب، شعرها مهووش فوق رأسها، وعينيها تتقدان ناراً، ووجهها يكاد يكون أحمر اللون من فرط انفعالها، وما إن شاهدت أجوان حتى صرخت: الحقيني يا أجوان الحقيني.. وأجهشت بالبكاء وجزعت أجوان:

ماذا حدث؟ أخبريني أرجوك.. ما بك؟

وأخذت غادة تلطم خديها وتشد شعرها بهستيرية، وهي تقول: إنه أحمد.. المجرم الخائن، لقد تزوج، اتصل بي من الكويت.. قال لي أنه سيذهب إلى الكويت لمدة أسبوع ويعود، فإذا به ذاهب ليعقد قرانه على ابنة عمه، قالها لي ببساطة.. قالها كأنه يقول خبراً عادياً.. هل تعرفين ما قال عندما سألته وأنا؟ ماذا عني أنا! قال بقي لدينا عدة شهور حتى نتخرج.. نستطيع قضاء هذا الوقت معا، ثم أعود لزوجتي! الحقير.. المخادع.. الغشاش... وتوالت شتائمها عليه، شتائم كثيرة وعنيفة.. وفجأة سكتت لبرهة ثم عادت تصرخ وتشد شعرها من جديد وعيناها تبرقان بالجنون، واقتربت أجوان منها والدموع في عينيها، واحتضنتها وهي تقول: كفى يا غادة، عليك أن تهدئي.. إنه لا يستحق دموعك، لا يستحق كل هذا الألم واستسلمت غادة واحتضنت أجوان كأنها تحتمي بها وهمست: لقد سلمته نفسي يا أجوان.. لقد أعطيته كل شيء... لقد خسرت كل شيء...

وارتجفت أجوان.. وقد تجلت مصيبة صديقتها أمام ناظريها...

فرح تتزوج

مكتبة
t.me/t_pdf

وقفت فرح أمام مرآتها وهي تنظر إلى نفسها في ثوب زفافها الأبيض.. كان ثوباً بسيطاً من الحرير الطبيعي يلتف حول جسدها كأنه يضمه، وقد وضعت تاجاً من الزهور الصغيرة فوق رأسها، ولم تضع طرحة، لقد عقد قرانها هذا الصباح على فارس ابن خالها، أصبحت زوجته، وسيقام الآن عشاء كبير على شرف العروسين، لقد رفضت فرح إقامة عرس لها، لا تريد احتفالاً ضخماً، لا تقوى على مواجهة الناس، كأنها تخافهم، تخاف أن يعرفوا أنها تعيسة، محطمة، كسيرة الفؤاد، يكفيها هذا العشاء إكراماً لخاطر أهلها، ولم تدعو أحدا من صديقاتها سوى ريم، سينتقل فارس ليعيش معها ومع أمها في منزلهم، كان هذا شرطها الوحيد لإتمام زواجها منه، واشترت غرفة نوم جديدة، وأعادت تأثيث الطابق الذي ستعيش فيه مع زوجها، وقررت والدتها أن تنتقل إلى غرفة الضيوف الكبيرة في الطابق الأرضي، ليبقى الطابق العلوي بالكامل لفرح وفارس، ونظرت فرح إلى نفسها بتأمل... هل تبدو جميلة؟ إن ثوبها رائع، لكن وجهها ينقصه شيء، ينقصه الفرح، إنها تحاول أن تبتسم أمام مرآتها فتأتي ابتسامتها باهتة مصطنعة، وعيناها منطفئتان، تشعر كأنها ستساق إلى الذبح وليس إلى عريسها، وهي تفكر في عمران.. تحاول أن تنكر أنها تفكر فيه، لكنها فعلاً تفكر فيه وهي تتساءل ترى لو كان هو عريسها اليوم هل كانت ستبدو مختلفة؟

بلا شك ستبدو مختلفة، لبدت أجمل ألف مرة، لأعطاها حبها جمالا وبريقا وسعادة تتخطى الخيال، لقد قطعت كل ما يربطها به، حطمت هاتفها النقال واشترت خطاً جديداً باسم أمها كي لا يصل إليها عمران إن حاول البحث عنها لأي سبب، ومزقت صورته التي أعطاها لها يوما في بداية تعارفهما، وهي التي طلبت من أمها أن تبلغ والدة فارس بموافقتها على الزواج منه، اتخذت قرارها سريعا علها تنسى، تحس أنها تنتقم من عمران بزواجها، يجب أن يعرف أنها باعته كما باعها وستتزوج ابن خالها كما سيتزوج هو ابنة عمه تلك، وفرحت أمها بقرارها، لم تؤجل موضوع زواجها حتى تتعافى من حبها وتنساه، رأت أن أفضل طريقة لأن تنسى وتخرج من حالتها وحزنها هو أن يدخل حياتها رجل ينسيها بحبه وحنانه عمران وأيامه... ومن يمكنه أن يحتويها ويحبها بقدر فارس الذي طالما عشقها وتمناها؟ إن زواجها هو الحل الوحيد لتنسى حبها، لتشفى من جرحها، هكذا فكرت أمها وهي تبلغ أخاها وزوجته بموافقة فرح، وكاد فارس يطير من السعادة، فقد تحقق حلمه وستصبح فرح زوجته كما حلم دوماً، ربما لاحظ أنها حزينة، وأنها هادئة، تحادثه بتحفظ، لم يشعر أنها سعيدة به، لكنه تعوّد على تحفظها معه حتى قبل أن يخطبها، غدا ستحبه وتعطيه كل مشاعرها وأحاسيسها، ومادامت وافقت على الزواج به فلا بد أنها تكن له الود والقبول وذلك يكفيه وهو واثق من أنها ستكون له كما يتمنى في يوم ما، واستمر يعاملها بلطف وصبر ويسرف في تدليلها، كأنها ابنته، إنه يحبها حباً كبيراً ويعرف قيمتها وسعيد لموافقتها على الزواج به،

وطرق الباب ودخلت ريم عليها وابتسمت لها بحنان وقالت: تبدين رائعة.. أين ابتسامتك الحلوة؟

وابتسمت فرح بحزن وقالت: أحيانا أحس أنني نسيت كيف ابتسم..

ريم: لا تيأسي يا فرح، وابدئي حياتك بروح جديدة ونفس صافية، هيا يا عزيزتي لم يبق سوى القليل وتنزلين إلى الضيوف.

فرح: هل عددهم كبير؟

ريم: حوالي مائة، وسيزف فارس إليك بعد نزولك بساعة، الموسيقى رائعة والكوشة جميلة، أين باقتك؟

فرح: هناك على السرير، وغمزت لها ريم وهي تقول: لا تنسي أن ترميها لي بعد الحفلة، أريد أن أتزوج بعدك مباشرة، وضحكت فرح ضحكة صغيرة لم يصل صداها إلى قلبها، وأخيرا جاءت الأم لتنادي فرح لتنزل، ونظرت الأم إلى ابنتها الوحيدة وهي تكتم دموعها... إنها جميلة لكن حزنها ظاهر في عينيها، حزن لا يخفى عن أمها التي تحس بكل ما يعتمل في صدر ابنتها، وتقدمت الأم منها وقبلت رأسها بحنان وقبلت فرح يدها وقطعت ريم هذه اللحظة ضاحكة: هيا بسرعة قبل أن تبدآ بالبكاء وتفسد زينة فرح،

وفعلا خرجت فرح من غرفتها، كأنها تخرج إلى عالم جديد، ستعود بعد ساعات بصحبة رجل إلى هذه الغرفة، بصحبة زوجها، رجل لم تظن يوماً أنها ستجتمع به، رجل آخر غير الذي أحبته من كل قلبها...

■■ 27 ■■

عمران يعود

كان قد مضى على وجود عمران في الولايات المتحدة أربعة شهور كاملة مع أخيه عندما أبلغهما الطبيب أنهما يستطيعان العودة إلى الكويت... ياه أخيرا سيعودان.. وفرح وليد كثيرا، إنه يستطيع المشي الآن لكنه لا يزال يعرج ويستخدم عصاً ليستند عليها في حركته، وسيحتاج إلى المزيد من جلسات العلاج الطبيعي ليتحسن لكنه يستطيع الخضوع لها في الكويت كما أفاد الطبيب،

وبدأ عمران يرتب إجراءات العودة.. بلا حماس.. إنه يريد أن يعود لكنه حزين لأنه سيعود إلى بلده ولن يعود إلى حبيبته، لقد تزوجت وانتهى الأمر، حاول كثيراً أن يتقبل هذه الحقيقة، حقيقة الفراق القاسية، لكنه لا يستطيع نسيانها، يشعر أن حبها يسري في دمه، وهو يبكي أحياناً وحده.. يشعر أن دموعه تريحه، كأنها تطفئ نار قلبه، وأجوان دائماً حوله، تواسيه وتخفف عنه، وتحاول أن تخرجه من حزنه وعالم اليأس الذي يعيشه، إنه يشعر بالعرفان نحوها، لم تقصر معه أبداً، لقد وقفت معه بحق في أزمته، وقد اتصل ليخبرها بما قاله الطبيب، وفرحت لأجلهما، إنها ستعود إلى الكويت بعدهما بشهرين، ستتخرج من الجامعة وتعود إلى بلدها وأهلها بعد سنوات الدراسة الطويلة، وتحدد موعد السفر، و وليد سعيد، وأبلغ والديه بهذا التاريخ، سيكون الجميع في استقبالهما بلا شك في المطار، وفي يوم السفر

رافقتهما أجوان إلى المطار، وحانت لحظة الوداع، وصافحها وليد بحرارة، وشكرها على كل ما قامت به لهما من خدمات.. وجاء دور عمران ليسلم عليها، وتركت أجوان يدها له طويلاً قبل أن تسحبها منه، وقال لها عمران: لا أعرف كيف أشكركِ يا أجوان.. شكراً على كل شيء...

ونظرت إليه وهي تقول: أراك في الكويت.. إياك أن تنساني.. اتصل بي لأطمئن عليك وعلى وليد...

إنه يشكرها.. لا يعلم إنه يشكر الفتاة التي قتلته وطعنته من الخلف... الفتاة التي خنقت قلبه، وأنهت قصة حبه الألم والفراق..

28
في الكويت

إنه الوطن.. لا شيء في الدنيا مثل الوطن، مهما ابتعد الإنسان تظل للوطن مكانة في القلب.. إنه الاستقرار والأمان، لازالت ذكرى تلك العودة حية في ذهن عمران ووليد، حيث انهال والدهما عليهما تقبيلاً، كأنهما عادا ولدين صغيرين، وجميع أصدقاء وليد في المطار.. صالح وشلته وحتى عادل، والكل يهنئ ويبارك عودة الأخوين، ووالد أجوان أيضاً أتى لاستقبالهما، وعاد الجميع إلى منزل والد عمران، حيث أقيم عشاء فاخر على شرف عودة المسافرين، والكل يتحدث ويسأل ويعلق، لقد ازداد وجه وليد نضارة، ربما بسبب فرحته، وتحسن حالته عن ما كانت عليه قبل أن يسافر، بينما بدا عمران أكثر نحافة، لقد خسر الكثير من وزنه، ويبدو كشخص آخر، بدا متعباً هادئاً وحزيناً، اختفت روحه المرحة الضاحكة، اختفت نكاته وتعليقاته الفكاهية التي اعتاد الجميع عليها، أصبح أكثر صمتاً، وأكثر جدية ولاحظت أمه تغيره، وعزت ذلك إلى رحلته المتعبة، لابد أنه مجهد مرهق، وسيتحسن مع الوقت، وصعد عمران باكراً إلى غرفته قبل أن يغادر الجميع، ودخل غرفته كأنه يدخل عالماً من الذكريات.. عجباً إن غرفته تذكره بفرح، هذا هاتفه الذي اعتاد محادثتها منه، وهذا سريره الذي اعتاد أن يستلقي عليه عندما يحادثها، وفتح خزانة ملابسه، وربت عليها كأنه يربت على فرح، هذا القميص الذي لبسه في آخر لقاء لهما، وهذا المعطف

الذي أعجبها عندما رأته يرتديه و.. ذكريات كثيرة، حتى عطره القابع أمام مرآته يذكره بها، إنه العطر الذي يضعه كلما التقى بها وجلس وسط ذكرياته، وانهمرت دمعة ساخنة على خده، أين أنت الآن حبيبتي.. تُرى كيف حالك، أسعيدة أنت أم بائسة؟ يا إلهي أرجوك ساعدني على النسيان، أريد أن أنسى.. يجب أن أنسى..

■■ 29 ■■

أجوان تعود

ومضت الأيام سريعاً، وعاد عمران إلى عمله، وفرح زملاؤه بعودته، إن الجميع يحبه ويحترمه، وبدأ عمران يعود إلى حياته السابقة، شيئاً فشيئاً، يذهب إلى العمل، يعود إلى المنزل ليتغدى وينام فترة العصر، وفي المساء يذهب إلى ديوانية أصدقائه ليعود في منتصف الليل، وفي العطلات ينام حتى الظهيرة، ويحاول في جميع تحركاته ألاّ يفكر في فرح، إنه يهرب من طيفها الذي يلاحقه، ويتعامل مع مشاعره كأنها مشاعر شخص آخر.. مشاعر شخص لا يعرفه ولا يهمه، إنه يتجاهل حبه السابق، يُحاول تخطيه، وكلما اقتحمته ذكرى فرح يتجاهلها كأنها ذكرى لا تخصه.

واتصلت به أجوان بضع مرات لتسأل عنه وعن وليد، وسعد هو باتصالها، إنها توصيه أن ينتبه لنفسه، وتشعره بقلقها عليه، وأخيراً اتصلت لتبلغه بموعد وصولها، هل يذهب إلى المطار لاستقبالها؟ أحس أن ذلك واجب عليه، وأخبر والده برغبته في استقبالها، فذهب معه وكذلك وليد بعد أن اتفقا مع أسرة عمه على اللقاء في المطار، ووصلت أجوان.. وشعر عمران بقلبه يهفو إليها عندما رآها أمامه، لقد أصبح بينهما الكثير من الأمور والأحاديث المشتركة، كأنها صديقة عزيزة اعتاد عليها، أحس أنه سعيد لأنها عادت وستبقى في الكويت، وسلّم عليها وليد بحرارة و والدهما يشكرها على كل ما فعلته لأجلهما في أمريكا،

ولكل ما قدمته لهما من تسهيلات ومساعدات.

ووالدها سعيد بعودتها وكذلك أسرتها، وفي ذلك المساء جلست عائلة عمران على مائدة العشاء ووليد يتحدث عن المعهد وعن دراسته، وأخيراً قال الأب: عمران ألا تفكر في الزواج يا ولدي؟

عمران: أنا؟ لا ... سأنتظر حتى يتزوج وليد قبلي.

وضحك وليد قائلا: ستنتظر طويلاً إذن.

وعاد الأب يقول بجدية: أرى أن الوقت قد حان لتتزوج، ما الذي يمنعك.. دراستك وانتهت، ووظيفتك جيدة، وعروستك موجودة.

ورفع عمران حاجبيه دهشة وقال: من هي عروستي؟

الأب: أجوان.. لقد تخرجت للتو وأنهت دراستها، ولابد أن تخطبها قبل أن يفعل غيرك.. والبنت جميلة وذكية وتربت أحسن تربية، وابنة عمك أولى بك من أي فتاة أخرى، كما أنني لاحظت أنكما على وفاق، فما رأيك؟

سكت عمران برهة ثم التفت إلى أمه الصامتة وسألها: وأنت يا أمي ما رأيك؟

الأم: أصدقك القول يا ولدي إنني في البداية لم أكن معجبة بها ولم أؤيد فكرة دراستها في الخارج وحدها لكن بعد كل ما فعلته لأجلكما أنت وأخيك في الغربة، لا أنكر أنني أعجبت بها كثيرا، وغيرت نظرتي إليها، وإن كانت تروق لك كما يقول أبوك

فتوكل على الله وتقدّم لها.

وتنهد عمران وصمت قليلا.. ثم اتخذ قراره قائلا: حسنا يا أبي... أظنها الأنسب لي، يمكنك أن تكلم عمي في الموضوع، لا مانع لدي أبداً.. وفرحت العائلة بقراره وهنأه وليد على اختياره وقال له إنه تمنى حقا أن تكون أجوان من نصيبه، وقد لاحظ ميلها الكبير إليه منذ فترة طويلة..

ونهض عمران وصعد إلى غرفته.. هل استعجل؟ إنه لا يدري.. لكن لماذا ينتظر بل وماذا ينتظر إذا كانت فرح هجرته وتزوجت فيجب عليه أن يلتفت لحياته هو الآخر، وأجوان تعرف قصته ولطالما وقفت معه في أزمته وبالتأكيد ستعينه على النسيان، ومن يدري قد تملك قلبه بالكامل يوما ما فهي تستحق ذلك إنه بلا شك قد أحسن الاختيار.. وسيجد سعادته معها بالتأكيد وتذكّر فرح.. وأخذ يقارن بينها وبين أجوان ثم طرد خيال فرح من عقله وعاد يحاول التركيز على أجوان وحدها وابتسم ابتسامة حزينة... سيتزوج أجوان نعم لن يفرّط بها وسينسى فرح أو على الأقل سيحاول أن ينساها..

■ ■ 30 ■ ■

الحقيقة

استقبلت أجوان خبر تقدم عمران للزواج منها بدهشة كبيرة وفرحة أكبر... لم تشعر بسعادة مماثلة قبلها، لقد حاربت لأجله وانتصرت، مهما كانت قذارة الأساليب التي استخدمتها لتفوز به وتظفر بالزواج منه، لكنها في النهاية حققت حلمها وها هو عمران يأتيها خاطباً، وفرحت عائلتها بالخبر، الكل سعيد بهذا الزواج المتكافيء وتحدد يوم عقد القران، وأجوان تحادث عمران في الهاتف.. لقد أصبح خطيبها رسميا، واتصلت أجوان بغادة التي لم تتخرج بعد في أمريكا لتخبرها بخبر خطبتها وفرحت غادة لها، لاتزال تتواصل معها.. وقبل أن تقفل غادة الخط همست لأجوان: أحمد يسلم عليك! وصرخت أجوان: ماذا؟ ألم يتزوج؟

همست غادة ثانية: بلى.. لكنني عدت إليه، من يدري قد أستطيع التأثير عليه ليطلقها ويتزوجني أنا، لا أملك شيئا أخسره يجب أن أحارب للنهاية..

وأقفلت أجوان الهاتف وهي تهز رأسها أسفا لما آل إليه حال صديقتها.. ومضت الأيام سريعاً وقرر الخطيبان السفر بعد عقد القران إلى باريس ولندن.. سيسافران لقضاء شهر العسل وبعدها سيعودان ليعيشا في شقة استأجرها عمران لتكون عش الزوجية المنتظر، وستتسلم أجوان عملها بمجرد عودتهما، فقد تم تعيينها في أحد البنوك... وستزاول عملها حالما تعود.. وفي

يوم عقد القران توجه عمران ليتسلم تذاكر الطيران من مكتب السفريات الذي يتعامل معه، وجلس أمام الموظف ليدفع المبلغ المطلوب ويتسلم التذاكر والمظروف الذي يحتوي أوراق الفنادق التي سيسكنانها هناك، وأتم عمران كل شيء، وفي أثناء خروجه تفاجأ بوجه مألوف لديه.. إنها ريم صديقة فرح، تجلس على أحد المكاتب وهي تقرأ بعض الأوراق وخفق قلب عمران.. ماذا تفعل ريم هنا!

هل تعمل هنا؟ تقدم منها وقال: مساء الخير!

ورفعت ريم رأسها لتتفاجأ بعمران أمامها وردت عليه باحترام: عمران؟ أهلا بك... ماذا تفعل هنا؟

عمران: جئت لاستلام تذاكر للسفر.. وأنت؟

فقالت: إنه مكتب أبي.. ألا تعرف؟ إنني أقضي الكثير من وقتي هنا.

عمران: صحيح؟ لم أعرف ذلك قبلا.. رغم أنني أتعامل معكم منذ فترة طويلة.

وساد صمت بينهما.. وفجأة سألها عمران وكأن السؤال انطلق رغما عنه: كيف حال صديقتك الخائنة؟

ولمعت عينا ريم وقالت: أي صديقة؟ ليس لي صديقة خائنة.

وخجل عمران من نفسه فعاد يقول: أقصد فرح..

ريم: إنها بخير وهي حامل.. وبالمناسبة لا أظن صفة الخيانة

ملتصقة بها، فأنت أولى بهذه الصفة منها.

وتفاجأ عمران وقال بانفعال: أنا يا ريم! أنا! وكيف ذلك وهي التي هجرتني دون أسباب وفوجئت بها تتزوج غيري وتخون وعدي.

وقالت ريم بحدة وهي تدافع عن أعز صديقاتها: ألست أنت من بعث إليها برسالة أنك تريد إنهاء علاقتك بها؟. وأنك وقعت في حب ابنة عمك.. وعندما اتصلت بك ردت عليها ابنة عمك بنفسها وأخبرتها أنك لا تريد محادثة فرح بعد الآن؟!

وصرخ عمران: ماذا! ما هذا الكلام.. ريم أرجوك أخبريني الحقيقة.. أقسم بالله أن ذلك لم يحصل أبدا، أحلف لك أنني لم أفعل أي شيء من ذلك!

وأخذت ريم التي لمست الصدق في صوته وعينيه تشرح له ما حدث.. وعمران يكاد لا يصدق أذنيه، أي ظلم وقع عليك يا فرح.. أيتها الوفية المخلصة، وعادت به الذكريات.. أجل لابد أن أجوان فعلت ذلك... ولا يعرف كيف قفز إلى ذهنه ذلك اليوم.. يوم نسي هاتفه معها في المستشفى، يا إلهي.. وصمت عمران طويلا.. إن رأسه يدور، يشعر أن كل شيء حوله مختلف، كل هذا الزيف يا أجوان وهو الذي ظنها صديقة مخلصة فإذا هي أفعى غادرة.

وقالت ريم: لقد عانت فرح كثيرا.. انهارت أعصابها ودخلت المستشفى، وتغيرت كثيرا، لقد عاشت الحزن واليأس، لو أنك رأيتها يوم زواجها لعرفت كم كانت تتعذب من أجلك.

ورفع عمران عينيه المليئتين بالألم وقال: ريم أرجوك يجب أن تخبري فرح بالحقيقة، يجب أن تعرف أننا كنا ضحية مكيدة قذرة، لم أخنها يوماً ويعلم الله كم تعذبت لبعدها عني، أرجوك لا أريد منها شيئا سوى أن تعرف حقيقة ما حدث.

وترددت ريم وقالت: لا أدري يا عمران إن كان من الحكمة إخبارها الآن.. ستصبح أما عن قريب وأخاف أن يتزعزع استقرارها إن عرفت.

عمران: من حقها أن تعرف ومن حقي أنا أيضاً أن تعرف، من أجل كل ما كان بيننا، من أجل حبنا الكبير، ومشاعرنا الصادقة، لأجل كل ذكرياتنا الحلوة أخبريها.. لا أريد شيئا أكثر من أن تخبريها.. عديني يا ريم أنك ستفعلين.

وابتسمت ريم بحزن وقالت: حسنا يا عمران.. لك ذلك سأخبرها.. أعدك.

وقام عمران وخرج من المكتب وقد ترك تذاكر السفر على طاولة ريم.. إنه لا يحتاج إليها...

■ ■ 31 ■ ■

العقاب

نظرت أجوان إلى نفسها بثوب زفافها الأبيض الجميل، إنها جميلة.. أجمل من أي يوم مضى، وجميع أهلها ينتظرون أن يتم عقد القران فتنزل إلى الضيوف لحين أن يزف عمران إليها، إنها سعيدة.. تكاد تطير من السعادة والكل حولها سعيد ومضى الوقت.. وتعجبت أجوان لعدم قدوم أحد من أهلها ليناديها أو ليخبرها أن عقد القران قد تم، ومضى الوقت وهي تنتظر.

ودخلت عليها أمها أخيراً وقالت لها بقلق: أجوان حاولي الاتصال بعمران الآن.. أرجوك.. إن الجميع في انتظاره ليتم العقد، وهو لم يأت ولا يرد على هاتفه.. والدك قلق جدا وكذلك عمك.

وغاص قلب أجوان متسائلة ماذا حدث له! ما معنى ذلك!

واتصلت به.. إن الجرس يرن وهو لا يجيب، واستمرت تتصل وتتصل مضت ساعة كاملة وهي تحاول وأمها تدخل وتخرج والضيوف يتساءلون عن كل هذا التأخير، وأجوان تكاد تنهار من فرط قلقها.. وفجأة رن هاتفها إنه هو عمران وردت بلهفة: آلو؟ عمران أين أنت؟

وأتاها صوته غريباً بارداً وهو يقول: اتصلت لأخبرك أنني في المطار.. قولي للجميع ألا ينتظروني.

وصرخت أجوان: ستسافر؟ إلى أين؟ ماذا حدث بالله عليك؟!

عمران: لقد غيرت رأيي، أنت لا تستحقين أن تكوني زوجتي.. لقد عرفت حقيقتك اليوم يا أجوان.. عرفت ما فعلته بي وبفرح، عرفت كل شيء.. ومن هذه اللحظة لن يربط بيننا شيء أبدا.. أقول لك وداعا أيتها الأفعى السامة.. يا من قتلت حبي وسعادتي إلى الأبد.. وداعا.

وأقفل عمران الهاتف وأغلق جهازه النقال وتحرك ليركب الطائرة.. لقد قرر أن يسافر إلى دبي إلى أن تهدأ نفسه.. وتهدأ الزوبعة التي ستثار في العائلة نتيجة قراره بعدم الزواج من أجوان وعدم حضوره لعقد القران..

وبقيت أجوان تمسك سماعة الهاتف وهي مذهولة وحقيبة سفرها قابعة أمامها، وثوبها الأبيض وطرحتها البيضاء لا قيمة لهما أمام سواد أيامها القادمة.

32

عندما تعود الأفراح

بدت فرح جميلة بملابسها الفضفاضة وبطنها المنتفخة وهي تستمع لما تقوله ريم، إنها تحكي لها ما حدث مع عمران... لقد وفت بوعدها له وها هي الآن تشرح لفرح حقيقة ما حدث... وفرح تسمع وقلبها يدق ويدق ودموعها تنهمر على وجنتيها.. ياه.. كم ظلمته.. حبيبها عمران... وانتهت ريم.. وظلت فرح تبكي.. بكت كثيرا.. دموعا كثيرة ذرفتها بصمت... وريم تحترم صمتها.. وأخيراً نهضت ريم وقبلت رأسها وقالت فرح: أحتاج أن أبقى لوحدي يا ريم.. أريد أن أختلي بنفسي أرجوك.

وهمست لها ريم: كوني عاقلة!

وتركتها وخرجت.. وبقيت فرح تفكر.. ثم شعرت بطفلها يتحرك في أحشائها فربتت على بطنها وقالت: أنت أملي.. أنت سعادتي القادمة.. طفلي.. أنا سعيدة لأن عمران لم يخني.. سعيدة لأنني عرفت الحقيقة، لكنني لست وحدي الآن لأقرر العودة إليه، أنت معي الآن.. وسأبقى لأجلك فأنت تحتاجني أكثر...

وفتح باب الغرفة ليدخل فارس وتقدم منها وقال وهو يجثو أمامها على الأرض وهي جالسة على مقعدها: فرح هل تبكين؟

ورفعت عينيها إليه وقالت: لقد تحرك الجنين للتو.. إنها حركته الأولى.

وانحنى فارس يقبل بطنها ويدها الموضوعة على بطنها فقالت: لا تتصور كم أنا سعيدة لقدومه، لأنه عندما يأتي ستعود الأفراح بلا شك.. نعم فعندها ستعود الأفراح من جديد.. وعندما تعود سأكون بانتظارها لأستقبلها بقلب جديد..

(تمت)..

الضرير

عندما يلتقي النور والظلام

في قلب كل منا مساحة من النور.. نور يختلف عن نور العيون.. أشد وضوحاً وأكثر ضياءً.. يضيء لنا الطريق ويمدنا بالأمل ويشعرنا بقيمة الحياة. إنه نور الحب الذي يعيش في القلوب.. ونور اليقين الذي يسكن في النفوس...

■■1■■

عيسى

جلست السيدة هدى على مقعدها الوثير المفضل في المنزل، إنها في الخمسين من عمرها، جميلة بيضاء البشرة، واسعة العينين، تشد شعرها الكثيف إلى الخلف وقد أخفت الشيب الذي غزاه منذ زمن بصبغة جميلة داكنة اللون.

كانت تستمع إلى ابنها الوحيد وهو يعزف على البيانو.. إنه في الثلاثين من عمره، شاب أبيض طويل، عريض المنكبين يشبه والدته كثيراً، في وجهه هدوء غريب، وعيناه هادئتان تنظران إلى بعيد، بعيد جدا.. كان ولدها عيسى ضريراً.

تنهدت السيدة هدى وهي تتذكر، لقد تزوجت وهي في الثامنة عشرة من عمرها من زوجها عبدالوهاب وهو ابن عمها وابن خالتها في الوقت نفسه، لقد أحبته منذ الصغر، ورغم تفشي الأمراض الوراثية في عائلتها التي اعتاد أفرادها الزواج من بعضهم البعض، فإنها لم تكترث لذلك ولم يخطر ببالها أبدا أنه في أحد الأيام ستنجب طفلاً مريضاً أو معاقاً، وحملت بعد عام من الزواج، وكان حملها طبيعيا ومازالت تذكر فرحة زوجها عبدالوهاب بحملها، كان زوجها رقيقاً رومانسياً هادئاً وكان يدللها ويحنو عليها كأنها ابنته رغم أنهما في العمر نفسه تقريباً، لم تسمعه يوماً يصرخ أو يغضب لأي سبب، وقد اشترى لها هذا المنزل الرائع الشبيه بالقصور منذ زواجهما، كان منزلاً

فخماً كبيراً وقد حافظت هدى على رونقه الخاص واهتمت به كثيراً فاحتفظ بجماله وعراقته رغم مرور كل هذا الوقت وهم يقطنونه.

وولدت هدى وأنجبت عيسى، بدا جميلاً كالقمر، حتى إن الممرضات في المستشفى كن يهتفن عندما ولدت بجماله وحسنه. ومرت الأيام وبدأت هدى تلاحظ أن طفلها لا ينظر باتجاهها عندما تلاعبه، ولا تلفت نظره الألعاب والألوان ولا يحاول الوصول إليها، بل إنها تتحرك أمامه دون أن يتبعها بعينيه، ولم تلفت نظره سوى الأصوات التي تنبعث من حوله، وأخذته إلى طبيب مختص فأخبرها بالطامة التي غيرت حياتها إلى الأبد.. إن ولدها أعمى، ضرير، ولد هكذا ولا أمل في شفائه، هكذا بمنتهى البساطة، كُتب على ولدها أن لا يرى النور وأن يُحرم من مجرد الأمل في أن يُبصر يوماً ما.

وبكت هدى وكتب على قلبها أن لا يعرف السعادة من يومها، مازالت تذكر كيف لطمت خديها وشدت شعرها وتذكر عبدالوهاب زوجها ودموعه الصامتة عندما عرف بالخبر، كما تذكر كيف قضت الليالي ساهرة والدموع على خديها على مصير ولدها الحبيب، كما تذكر والدتها - رحمها الله - وهي تخبرها وتصبرها أن الإنسان مبتلى ويجب عليه الصبر على المصائب التي تحل به وعدم اليأس والقنوط من رحمة رب العالمين، وكانت تخبرها أن هناك أناساً فقدوا أكثر من حاسة لديهم لكن عيسى سليم تماماً ما عدا حاسة البصر فلتحمد الله على لطفه وتسأله الصبر والقوة بدل كل هذا البكاء والجزع.

ومازالت هدى تتألم وهي تتذكر طفولة عيسى ووحدته بعد أن قررت هي وزوجها أن لا ينجبا غيره خوفاً مما قد يكون عليه الطفل القادم.

وأحضرت هدى مدرسين خاصين لولدها وأشرفت هي على تعليمه ومتابعة دروسه وكبر عيسى واكتشف هدى مع الوقت أنه يحب الموسيقى فاشترت له بيانو كبيرا من أجود الأنواع وأفخمها وفعلاً كانت أذناه حساستين فما إن يسمع لحنا حتى يعزفه حالاً، كان عزفه رائعاً رائقاً جميلاً.. وكان يعزف كل الألحان، وعرف عيسى السعادة في عالمه المظلم من خلال الألحان وعندما بلغ الثامنة عشرة دخل معهدا للموسيقى وأكمل دراسته الموسيقية، وها هو اليوم ملحن معروف يتهافت أكبر المطربين للحصول على لحن منه، فهو يسمع كلمات القصائد مرة واحدة ويتمكن من أن يحفظها عن ظهر قلب ثم يقضي وقته معتكفاً بعدها ليخرج بلحن مناسب ينجح نجاحاً مدوياً، وأصبح عيسى ملحناً مشهوراً رائعاً وكانت حقيقة أنه ضرير تجعل الناس يتهافتون لسماع أعماله، وقد نجح في جميع هذه الأعمال.

وأصبح والده وهو صاحب مصنع مشهور لإنتاج المواد الغذائية فخوراً به.

كان عيسى يملأ البيت ألحانا وطيبة وجمالا، لكن السيدة هدى لم تكن سعيدة، صحيح أنها فخورة به وتحبه كل الحب، لكنها كانت تتمنى لو أنه مبصرا يرى جمال الدنيا، فتتنهد وتحمد الله وتستغفره وتسأله الصبر والرضا بقضائه.

انتهى عيسى من المقطوعة التي كان يعزفها والتفت إلى أمه وقال: ما رأيك؟ إنه يستطيع أن يميز مكانها ويعرف أنها دائما تجلس في هذه الناحية.

صفقت الأم بيديها وقالت: رائعة يا حبيبي.

عيسى: إنها مقطوعة موسيقية ستكون مقدمة لعمل تلفزيوني ضخم..

هدى: رائعة ومؤثرة، دعك من الموسيقى الآن وأخبرني، هل فكرت في الموضوع الذي كلمتك به؟

وقطب عيسى وجهه وظهر الكدر في عينيه الضريرتين الجميلتين وقال: أمي.. كيف أتزوج وأنا أعمى؟ من ستقبل بي؟

الأم: أنت وافق فقط وأنا أبحث لك عن بنت الحلال..

عيسى: وما ذنبها أن تتزوج رجلاً لن يراها أبداً..

الأم: هذا قدرك يا عيسى لكن صدقني سنجد لك فتاة ترضى بحالك ويكفي أن تكون لك سندا ومؤنسا في هذه الدنيا، لن أدوم لك يا ولدي، أريد لك زوجة وأولادا كجميع الناس، زوجة ترى أنت الدنيا بعينيها.

تنهد عيسى وقال: لا أعرف ماذا أقول لقد حيرتني.

الأم: فقط وافق وأنا أختار لك العروس.

عيسى: موافق لكن على شرط.

الأم: ما هو شرطك؟

عيسى: أن أسمع بنفسي موافقتها على الزواج.

الأم: لك ذلك يا ولدي..

عاد الأب عبدالوهاب في المساء إلى المنزل ودخل ليفاجأ بهدى جالسة تنتظره عند مدخل البيت، فابتسم في وجهها، لقد مضى وقت طويل منذ انتظرت عودته، لقد انشغلت هدى عنه منذ زمن بعيد، منذ أنجبت عيسى واكتشفت أنه ضرير..

كانت مصدومة خائبة وكان بحاجة إلى عناية خاصة قدمتها له بمنتهى الحب والإخلاص لكنها خيبت أمل عبدالوهاب عندما أهملته هو شخصيا، زوجها وحبيبها، لقد أصبح عيسى هو حياتها ولم يعد في قلبها وفكرها واهتمامها أحد غيره، ومع الوقت أصبحت تهجر فراشه لتنام بجوار عيسى واعتادت على ذلك طوال سني طفولته وعندما كبر عيسى عادت إلى غرفتهما لتنام جسدا بلا روح فكل روحها أصبحت معلقة بابنها الضرير، الذي استحوذ على حياتها كلها، كان عبدالوهاب يقدر ما تعانيه لكنه لم يستطع التغلب على خيبة أمله فيها وإهمالها الفظيع له على مدار السنوات السابقة، ولولا حبه القديم لها وإشفاقه على ولده لكان هجرها إلى زوجة جديدة منذ زمن، لكنه آثر الانغماس في العمل فحول مصنعه إلى مصنع ضخم عظيم يعتبر الأهم في الخليج لإنتاج المواد الغذائية..

قالت هدى: عبدالوهاب لدي موضوع مهم أريد أن أحدثك به.

عبدالوهاب: حسنا ما رأيك أن تجلسي معي على العشاء ثم نتحدث في المكتب!

وفعلا جلسا معا على طاولة الطعام وكانت هدى ساهمة مشغولة البال لم تتحدث أبداً خلال العشاء.

وعندما انتهى زوجها دخلا إلى غرفة المكتب وقالت بلا مقدمات: ابننا عيسى يريد أن يتزوج..

رفع الأب حاجبيه في دهشة وقال: ماذا؟ حقا؟

هدى: لم لا؟ ماذا ينقصه؟ إنه ناجح وثري وجميل لا ينقصه شيء..

الأب: كيف لا ينقصه شيء؟ تنقصه عينان..

الأم: هل يبقى وحيدا لأنه ضرير؟ مثله عشرات تزوجوا وأنجبوا وسعدوا.. لم لا؟

الأب: لكن من سترضى به؟

الأم: أريد أن تخطب له نور.. ابنة السيد حامد الموظف في مصنعك..

كان السيد حامد يعمل في مصنع السيد عبدالوهاب في قسم المبيعات منذ عشرين عاماً، وكان رجلاً نشيطاً يحصل على عمولة عالية من المصنع نظرا لارتفاع نسبة مبيعاته.

تزوج السيد حامد في بداية حياته من ابنة خالته منى وكانت فتاة جميلة وحيدة والديها، وقد توفيت والدتها وهي صغيرة والسيد حامد رجل وسيم أحبته منى من كل قلبها وبعد الزواج أصيبت منى بمرض عضال وعانت الكثير بسبب هذا المرض وقد أنجبت ابنة أسمتها نور، وعندما بلغت نور الرابعة من العمر، توفيت السيدة

منى زوجة حامد وتركت نور وحيدة في هذه الدنيا مع والدها.

وقد تزوج والدها بعد عام من امرأة أخرى قاسية جشعة تحب المال وكذلك كان السيد حامد، فقد كان بخيلاً جشعاً ورغم أنه ميسور الحال ويحصل على دخل جيد من عمله في المصنع فإنه بخيل ويعيش عيشة متواضعة، وكانت زوجته الجديدة مثله تماما، كلاهما يحبان المادة وكلاهما بخيل جشع أناني، وأنجبت زوجته أربعة أبناء، ثلاثة ذكور وبنتا صغيرة، وكانت زوجته تضيق بوجود نور بينهم، لم تحبها أبدا ولم تتقبلها يوما، كانت تشعر بها كعبء عليهم وكأنها حمل ثقيل يكاد يخنقها، وكثيرا ما تمنت لو أن لنور جدة أو خالة تعيش في كنفها، ورغم أن نور كانت في الخامسة من عمرها عندما تزوج والدها فإنها أحست بكره زوجة أبيها لها وضيقها بها، لكنها لم تستطع أن تفهم السبب لكل هذه المشاعر التي لا ذنب لها فيها، وزوجة أبيها تقسوا عليها وتعاقبها على أتفه الأسباب، لم تكن تتساهل معها أبداً، وعندما أنجبت زوجة أبيها، شعرت نور بالسعادة لوجود إخوة لها، لكن زوجة أبيها لم تعطها الفرصة لتهنأ بوجود هؤلاء الإخوة بل بدأت تجبرها على خدمتهم والويل لها إن بكى أحد منهم أو اشتكى منها، ومع الوقت زاد شعور نور أنها مضطهدة في هذا البيت، أما والدها فقد كان منشغلاً عنها وعن معاناتها، كان يراها حزينة مضطهدة مظلومة لكنه لم يحرك ساكناً بل بدا كالغريب عنها.

كانت غرفتها صغيرة ضيقة وأثاثها قديم لكنها لم تتذمر أبدا، بل أحبت غرفتها وشعرت أنها المكان الوحيد الآمن في هذا البيت الذي لا يريدها..

وكبرت نور وهي على هذه الحال وعرفت أن طريقها الوحيد للخلاص من هذا العذاب هو الدراسة والتفوق نعم يجب أن تنجح حتى تستطيع الاستقلال والخروج من هذا البيت، وقتها فقط ستنجو من كل هذا الكره الذي يحيط بها، وفعلاً تفوقت نور في دراستها، كانت دائماً ناجحة متفوقة، وها هي الآن بلغت الثامنة عشرة من عمرها وبقي عام واحد لتلتحق بالجامعة..

وفي أحد الأيام خرجت نور برفقة والدها وحدهما وذلك من الأمور النادرة فقد اصطحبها والدها معه في ذلك اليوم كي تزور جدها والد أمها المرحومة في المستشفى بعد أن تدهورت صحته، كانت نور تحب جدها فهو من رائحة والدتها الحبيبة لكن جدها كان مريضاً ضعيفاً منذ زمن وكم تمنت نور لو أنه دعاها للعيش في بيته لكنها لم تجرؤ على أن تطلب منه ذلك، وكان جدها كلما رآها تذكر والدتها لشبهها الكبير بها..

وفي هذا اليوم أثناء خروجها من المستشفى مع والدها، قابلت السيدة هدى والسيد عبدالوهاب مدير والدها في المصنع، كانا في زيارة لأحد أقربائهما وتهلل وجه والدها وهو يسلم عليهما، وعرفهما على نور ابنته، وبدت السيدة هدى مبهورة بها وبجمالها وسألت السيد حامد: هذه ابنتك من زوجتك المرحومة؟

ورد السيد حامد: نعم يا أم عيسى هذه نور ابنتي من المرحومة.

إن نور حقاً جميلة، كانت قصيرة القامة لكن جسدها صغير دقيق متناسق، وهي بيضاء البشرة، بياضها ناصع، وبشرتها

صافية جميلة مشربة بالحمرة، عيناها واسعتان جميلتان عسليتان وأهدابهما طويلة كثيفة، وتميزت نور بشعر غزير طويل يصل إلى أسفل ظهرها وقد اعتادت أن تشده خلف رأسها كذيل طويل يربت على ظهرها كأنه يخفف عنها شقاءها في الحياة، كانت رائعة تدخل القلب وتلفت النظر وبدت نور خجلة هادئة وهي تسلم على السيد عبدالوهاب وحرمه وعندما أطرت السيدة هدى جمالها فرحت نور وأحست بالزهو في داخلها.

ونور تعرف أنها جميلة، فقد رأت صدى جمالها على من حولها، فجميع أولاد الجيران يعاكسونها وهي في طريقها إلى المدرسة، كانت تذهب ماشية لقرب المدرسة من البيت وخلال مشيها اعتادت أن ترى العيون المعجبة المتلهفة تلاحقها، وهي تشعر بالزهو والفرح لكل ذلك، لكنها دائماً متحفظة محترمة وهي تعرف أن رأسمالها في الحياة شرفها وسمعتها، وكانت تقول لنفسها سيأتي يوم ينقذها فيه رجل يستحقها من بيت أبيها التعيس الذي تعيش فيه كالغريبة وحتى يأتي هذا اليوم لن تستسلم لرجل مهما كان.. إن لديها هدف واضح في الحياة التخرج والعمل والاستقلال ثم الزواج، هكذا كانت نور تفكر، وقد خطبها كثيرون ممن حولها لكنها رفضت الجميع فلم يخطبها شخص يناسبها أبدا كلهم يقلون عنها علما ومستوى، لذلك لم يجبرها والدها على الزواج رغم أن زوجته تريد الخلاص منها، فوالدها يعرف قدر جمالها لذلك يريد لها زوجا لائقا غنيا يستحق كل هذا الجمال.. فهي بنظره بضاعة ثمينة لن يفرط بها بسهولة..

وكانت السيدة هدى منذ رأتها تفكر في أن تخطبها لعيسى ابنها، فهي جميلة رائعة وهادئة، وهي يتيمة لا أحد لها ووالدها رجل جشع بخيل يحب المال والمادة، لن يرفض أبداً تزويج ابنته من ابن صاحب المصنع الذي يعمل فيه، هكذا كانت السيدة هدى تفكر وقد أخبرت زوجها كل ما يدور في خلدها واتفقت معه على أن يكلم السيد حامد غدا ليرى ما سيكون موقفه من هذه الزيجة.

وفي اليوم التالي دخل السيد حامد مكتب السيد عبدالوهاب وبعد أن سلم عليه وجلس قال السيد عبدالوهاب:

سيد حامد.. أريدك في موضوع خاص، كما تعلم نحن بمثابة الأهل وقد عملت لدي عشرين عاماً كنت فيها مثالاً للنشاط والعطاء، وأنا أفكر جديا بترقيتك إلى مدير قسم المبيعات.

رقص قلب السيد حامد طربا وهو يسمع هذا الكلام وبدأ يشكر ويمجد السيد عبدالوهاب الذي قال: ترقيتك قيد الدراسة وأعدك بخير كثير إن شاء الله.. وصمت قليلا ثم قال: بصراحة لدي طلب شخصي منك..

رد السيد حامد بحيرة وخوف فقد شعر أن موضوع الترقية تعقبه مساومة ما عليها: خير يا سيدي؟

فقال السيد عبدالوهاب: أريد أن أطلب يد ابنتك نور لابني عيسى..

صمت السيد حامد طويلا.. لقد عقدت المفاجأة لسانه، معقول السيد عبدالوهاب يناسبه شخصيا، سيصبح صهره، وسيكون مديراً للمبيعات وبالتأكيد لن يقصر معه أو يرد له طلبا إن أصبح صهره، لكن عيسى ضرير، أعمى، هل تقبل به نور؟

هكذا تساءل بينه وبين نفسه.. ولِمَ لا تقبل؟ كيف ترفض النعمة؟ إنه موافق بلا شك..

قطع السيد عبدالوهاب تأملاته قائلا: خذ وقتك للتفكير وخذ رأي البنت فمن حقها أن تبدي رأيها وأن ترى عيسى وطبعا لن نرفض لها طلبا، زوجتي هدى أحبتها منذ رأتها وستكون بمثابة ابنتي..

قال السيد حامد: أنا أتشرف بهذا النسب ولا مانع لدي، سأخبر البنت وأرد عليك في أسرع وقت..

عبدالوهاب: وأنا في انتظار جوابك..

عاد السيد حامد إلى المنزل في ذلك اليوم والجشع يكاد يعميه.. كان سعيدا، لا يكاد يصدق أنه سيزوج ابنته لابن صاحب المصنع الذي يعمل به، وما إن شاهد زوجته حتى اختلى بها وأخبرها بالأخبار الجديدة، تفاجأت زوجته وفرحت كل الفرح وهي تتخيل أن زوجها سيصبح مديرا للمبيعات في المصنع وسيتضاعف راتبه وسيصبح مقربا من مدير المصنع وفوق ذلك ستتخلص من نور، ناهيك عن المهر الكبير الذي سيطلبانه من والد عيسى.. إن نور جميلة وكي تتزوج هذا الضرير بالتأكيد يجب أن يكون العرض مغريا وسيضعان كل الشروط الممكنة، وجميع طلباتهما - كما قال والد عيسى - مجابة..

وهكذا وافق الأب وزوجته تكاد تطير من الفرحة، وقامت زوجة الأب لتنادي نور.. لتخبرها أنها عن قريب ستعيش مع رجل لا يعرف النور أبداً، رجل يعيش في الظلام..

■■ 2 ■■

الصفقة

كانت نور جالسة ترتق أحد أثوابها المدرسية القديمة فهي بالكاد تحصل على ثوب جديد، كانت تبدو رائعة ووجنتاها محمرتان من تأثير الجو في الخارج وقد جلست على سريرها الحديدي القديم الذي يصدر صريرا مزعجا كلما تحركت عليه في منامها..

دخلت زوجة أبيها عليها وقد بدت أكثر لطفاً من المعتاد وقالت برقة مصطنعة: نور.. والدك يريدك في موضوع هام..

وخرجت نور وراءها من غرفتها ودخلت على أبيها قائلة: خير يا أبي..

سألها الأب بداية عن دراستها ونتائج اختباراتها.. كانت قد انتهت للتو من الاختبارات النهائية للثانوية.. فقالت له نور إنها أبلت حسنا في جميع المواد وستقدم أوراقها للجامعة هذا الصيف.

تنحنح الأب وقال: لدي خبر رائع لك، طبعاً تعرفين السيد عبدالوهاب صاحب المصنع الذي أعمل فيه، لقد طلب يدك هذا الصباح لابنه عيسى، ملحن مشهور وشاب وسيم ناجح والأهم من ذلك أنه ثري بل فاحش الثراء وهو وحيد والديه..

اتسعت عينا نور دهشة وجزعاً وسألت: أبي أليس عيسى ضريرا؟

قال الأب: وما العيب في ذلك؟ إنه ناجح ولا يعيبه ما لا يد له فيه.

نور: أبي هل تعي ما تقول؟ إنه أعمى! لن أسعد معه، لا يا أبي أنا غير موافقة.

هنا انتفض الأب غاضبا وصرخ بأعلى صوته: ماذا تقولين؟ هل جننت، أنا موافق وسأعطي كلمتي للرجل.. لن تجدي أفضل منه..

وتدخلت زوجة أبيها بالحديث وقد سقط قناع اللطف الزائف عن وجهها: اسمعي يا فتاة. ستقبلين به غصباً عنك.. واحمدي الله على هذا العريس النعمة.

صرخت نور كالذبيحة: لا لن أتزوجه أبدا، لست موافقة وإن أجبرتموني سأهرب من هذا البيت.

وقبل أن تعي.. رفع والدها كفه وهوى به على وجهها.. وتوالت صفعات أبيها على خديها بلا رحمة ونور تصرخ.. تصرخ ظلماً وقهراً وخوفاً.. وفتح الباب واندفع أخوها الذي يصغرها مباشرة.. اسمه محسن.. كان في الثالثة عشرة من عمره وكان يحب نور كثيراً وطالما اقتسم معها طعامه وهداياه التي حرمت نور من مثلها.. اندفع نحو الغرفة صارخا: توقف يا أبي أرجوك، وأحاط أخته بجسده الصغير كي يصد صفعات أبيه عنها.

وخافت الزوجة على ابنها فقالت: كفى يا حامد هذا يكفي..

وصرخ حامد: تتزوجينه غصباً عنك، وأقسم بالله إن لم تفعلي

ما آمرك به لأحبسنك العمر كله لا دراسة ولا خروج من باب البيت حتى تموتي ونرتاح منك.. هيا من أمامي..

وبالكاد استطاعت نور القيام وهي تجر قدميها جرا، وآثار الضرب على وجهها.. إنها تشعر بالاختناق والذل وألم عظيم يعتصر قلبها.. لقد هانت على والدها، إنه يبيعها لرجل ضرير يكبرها بإثني عشر عاما، رجل لا تعرفه، قد يكون مثل والدها، رجل تخاف أن تتخيل نفسها معه، وارتمت على سريرها تبكي، وأحضر لها محسن بعض الثلج لتضعه على موضع الكدمات في وجهها، شعرت نور أنها تحتاج الثلج لوضعه على قلبها، قلبها الذي تشعر به يحترق من الداخل، وظلت تبكي طوال اليوم، وفي المساء جاء محسن إليها ببعض الطعام فرفضت الأكل، واستمرت تبكي فجلس أخوها يواسيها وقال: نور أرجوك إن كان لي خاطر عندك توقفي.. لا أحتمل رؤيتك هكذا.

نور: يريدون تزوجي لرجل ضرير أعمى.

محسن: هل تريدين رأيي؟ تزوجيه، إنه غني وستعيشين حياة أفضل من حياتك هنا معنا ولم لا تقابلينه قد يكون لطيفاً؟

نور: المسألة ليست مسألة مال، أريد رجلا معافى يراني كما أراه، يطريني ويمتدحني، رجلا أعتمد عليه، يحميني من قسوة الأيام ويعينني في الحياة، لا أريد رجلا أعمى لا يرى سوى السواد، لا أريد.

محسن: لقد هددك والدي بالحرمان من الدراسة والخروج، وافقي وارتاحي منه ولا تعرفين ماذا يخبئ لك القدر!

ومضت تلك الليلة ونور لم تذق للنوم طعما، وفي اليوم التالي جاءت زوجة أبيها وقد ارتدت قناع اللطف الكاذب من جديد وبدأت تحاول إقناعها وقالت لها إنها سوف تعيش حياة رغدة سعيدة وأن عيسى من عائلة رائعة كبيرة عريقة، وأنها ستنعم بالثراء والخير، وأخذت تقنعها بمقابلة عيسى.. هل كان لديها خيار آخر؟.. إنها تعلم أنها إن رفضت فإن والدها سيضربها حتى توافق.. ما باليد حيلة ستقابله.. نعم ستراه يجب أن تراه.

■■ 3 ■■

البشرى

كادت السيدة هدى أن تطير من الفرح وهي تغلق الهاتف بعد أن حادثتها زوجة الأب وحددت لها موعدا لترى نور العريس..

كان الموعد في الغد وهي سعيدة كل السعادة وأخبرتها زوجة الأب أنهما سيتفقان على تفاصيل الزفاف خلال هذه الزيارة..

صعدت الأم إلى جناح عيسى ولدها فرأت أمامها سامي.. إن سامي هو الخادم الشخصي لعيسى، إنه في العشرين من عمره وكان والده من قبل هو من يقوم بخدمة عيسى، وبعد أن كبر الأب أحضر سامي إلى البيت ليحل محله، ووالد سامي رجل أمين طيب وثقت فيه الأم والأب للعناية بابنهما الضرير، وعندما جاء سامي إلى البيت كان عمره ستة عشر عاما، ويدرس في فترة المساء في المنزل ويقضي وقته يرافق عيسى ويخرج معه لقضاء احتياجاته مع سائق عيسى الخاص، وقد تعلق به عيسى كثيرا.. ولم يعد يستغني عنه ربما لأن سامي شاب طيب ودود ويستطيع أن يفهمه، وكانت السيدة هدى تحب سامي وتحسن معاملته وترتاح لرؤيته بسماره الداكن اللامع كما ترتاح لحديثه اللطيف الذي يدخل الفرح في قلب عيسى.. سألته الأم: أين عيسى؟

رد سامي بأدب: في غرفته.. لقد دخل للتو بعد أن أنهى إفطاره.

دخلت الأم فوجدت عيسى مستلقيا.

وهتف عيسى: صباح الخير يا أمي..

لقد عرف أنها أمه دون أن يسمع صوتها، إنه يستطيع تمييز الآخرين من وقع خطواتهم، كان يبدو وهو في البيت كأنه مبصر فهو يعرف مواقع الأثاث ويتحرك بحرية تامة، وكان عيسى يستطيع تمييز الأصوات بدقة، فإن سمع صوتا لمرة واحدة لم ينسه العمر كله.

قالت الأم: صباح النور يا ابني.. لدي أخبار جميلة.. غدا إن شاء الله سنذهب لنخطب لك، فتاة رائعة جميلة اسمها نور، في الثامنة عشرة من عمرها وهي ابنة السيد حامد الذي يعمل لدى أبيك.

تفاجأ عيسى فهو لم يتوقع أن تجد والدته عروسا ترضى به بهذه السرعة.. قال بحذر: هل تعرفَ أنني ضرير؟

قالت الأم: تعرف ذلك وهي موافقة وتريد أن تراك.

عيسى: حسنا يا أمي.. بصراحة لا أعرف لم تصرين على تزويجي.. أخشى أنها لن تسعد معي.

الأم: لا تقل هذا الكلام.. يجب أن تتزوج، لن تعيش وحيداً بعد الآن ستدخل نور حياتك وقلبك وسترى السعادة معها إن شاء الله.

وخرجت الأم من الغرفة وبقي عيسى وحيدا يفكر.. ترى هل حقاً وافقت تلك الفتاة عليه، ولماذا توافق؟ ما الذي يجبرها على الزواج بشخص ضرير؟ لن يستطيع أن يراها أبداً، هل حقا يريد الزواج؟ صحيح إنه يقضي معظم وقته وحده وأنه يحتاج

إلى شخص يحس به، يحبه ويشكو إليه، شخص يلتصق به ويرى الدنيا من خلاله، كان صدر عيسى يجيش بالمشاعر المكبوتة التي حولها ألحانا جميلة ناجحة، لكنه لم يفكر يوما أن يتشارك حياته مع شخص آخر، لكن والدته ألحت عليه وزينت له فكرة الزواج، مسكينة والدته لقد نذرت نفسها له، كم كان عبئا عليها إنه مهما فعل لن يستطيع مجازاتها وربما حان الوقت أن يترك لها المجال لتعتني بنفسها وبحياتها الخاصة.. وبوالده.. كان عيسى يلحظ رنة غريبة في صوت والده كلما تحادث معه، رنة كأنها لوم وعتب كأنها غيرة مبطنة صحيح أن والده لم يقصر معه يوما ولم يسيء إليه لكن عيسى بنفسه الشفافة وأحاسيسه المرهفة كان يحس أن أباه بعيد عنه كأنه يلومه أنه استحوذ على اهتمام أمه ووقتها بالكامل، كأنه يلومه على عاهته التي لا ذنب له فيها، يعاتبه على أنه جاء إلى هذه الدنيا وقضى على سعادته مع زوجته التي يحبها، وقد حكت له أمه عن قصة حبها مع أبيه، حكت له مشاعرها وأحاسيسها الجميلة نحوه، ونبه عيسى والدته أنها ابتعدت عن أبيه بعض الشيء لكن والدته لم تكترث كانت منهمكة في رعايته، وكانت في حديثها عن زوجها كأنها تتحدث عن شيء تمتلكه، شيء مضمون لها لا تخشى ضياعه ومتأكدة من استمرارية وجوده في حياتها، لا يعرف عيسى هل ذلك ثقة في حب أبيه لها أم ماذا بالضبط لكن صوت أبيه كان يوحي له أنه غير سعيد، ربما كان زواجه هو الحل كي يعتق والدته ويترك لها بعض المجال لتهتم بوالده وبنفسها، ستكون له زوجة تعتني به.. وبدأ عيسى العزف من جديد لحنا جميلا خطر على باله اسماه فيما بعد.. البداية.

■■4■■

اللقاء الأول

بدا عيسى جميلا مستبشرا وهو يجلس في منزل السيد حامد بين والديه، لقد أتوا جميعا حتى يتقابل هو وعروسه لأول مرة ويتم الاتفاق على تفاصيل الزفاف.

كانت نور لاتزال في غرفتها وقد ارتدت ثوباً بسيطا أزرق اللون، وبدت نور مهزوزة التقاطيع، كانت حائرة في مشاعرها، لا تعرف هل تفرح أم تحزن.

كان منزل السيد حامد متواضعا ليس لأنه فقير بل لأنه بخيل، كان مقترا على نفسه وأولاده رغم دخله الجيد، وقد جلست زوجته تجامل السيدة هدى وشعر عيسى أنه لم يرتح لزوجة السيد حامد، وشعر كم هي وصولية منافقة ولم يرتح كذلك للسيد حامد نفسه وكره تملقه لوالده كثيرا، وكان متلهفا لمقابلة العروس ودعا من قلبه ألا تكون مثل أبيها وزوجته.

وأخيرا جاءت نور، بدا وجهها خاليا من التعابير، كأنه وجه دمية تحركها الخيوط، ودخلت وساد الصمت لدخولها، وأحس عيسى بخطواتها تقترب من أمه وقالت السيدة هدى: أهلا بالعروس، ما شاء الله يا نور حقا أنكِ اسم على مسمى.

وأجابت نور بصوت خافت: شكراً.

لم تلتقط أذنا عيسى نبرة صوتها بوضوح ولم يحس بالألم

لأنه أعمى كما أحسه في هذه اللحظة، وقالت السيدة هدى: هذا ابني يا نور.. اسمه عيسى وهو ابني الوحيد، وقد ربيته يا نور أحسن تربية وهو شاب ناجح وملحن معروف، ونحن هنا اليوم لنخطبك له، ولك كل الحق في طلب كل ما تريدين ولن نقصر معك.

صمتت نور وكان قلب عيسى يخفق بانتظار أن يسمع صوتها..

وفجأة تحدث عيسى وقال وعيناه موجهتان نحو الأفق البعيد: نور إن كنت موافقة على زواجك بي فإني أصر أن أسمع ذلك منك الآن.

أطرقت نور برأسها وشعرت بالدموع تثقل جفنيها وبالكاد تمكنت من حبسها، وعندما رفعت عينيها الجميلتين التقت بعيون والدها وزوجته ينظران إليها شذراً وكأنهما يعدانها بالويل والثبور إن رفضت، كان تهديدا صامتا لكنه واضح كالشمس. فقالت نور بصوت واضح مرتعش النبرات: أنا موافقة على الزواج.

ثم نهضت مسرعة فقالت السيدة هدى: هل نتفق على التفاصيل؟

فردت نور بصوت مبحوح: لا شروط لدي سوى إكمال دراستي الجامعية و والدي سيتفق معكم على ما يراه مناسبا.

وركضت نحو غرفتها وهي تكاد تتعثر في خطواتها وألقت بنفسها على سريرها القديم فأصدر صريره العالي كأنه يصرخ معها رفضاً وقهراً وأجهشت في البكاء بصوت مكتوم مخنوق.

إنها لا تنكر أن عيسى بدا طيبا وجميلا لكنه ضرير، لن يراها أبدا.. إنها تعيسة، ليس في قلبها أي إحساس بالفرح، لقد تم بيعها اليوم، باعها أبوها، باعها بالمال كأي سلعة يبيعها في مصنع والد عيسى.

■■5■■

يوم الزواج

وتحدد يوم الزواج بعد أسبوع، لن يكون هناك حفل فقط سيأتي عيسى وأهله لأخذها لتقيم في بيتهم في جناح عيسى الخاص، وهي لا تريد تغيير الأثاث، لم تكن لديها أية طلبات، لكن والدها كانت له الكثير من الطلبات، فقد أصبح مديرا للمبيعات في المصنع، وقد طلب مهرا مبالغا فيه دفعه السيد عبدالوهاب عن طيب خاطر، فالفتاة شابة صغيرة وجميلة وتستحق ذلك مادامت رضيت بالزواج من عيسى، وقد اشترى السيد عبدالوهاب سيارة فخمة كهدية لأهل العروس وكان السيد حامد يكاد يجن من الفرح، ودخل على ابنته قبل الزواج بثلاثة أيام وأعطاها مبلغا بسيطا من مهرها الذي استولى عليه كي تجهز نفسها، وقال لها: اشتري أي شيء وليس بالضرورة أن يكون غاليا أو جميلا فزوجك لن يراه، ثم قهقه ضاحكا كأنه يلقي نكتة وكانت كلماته تلك كطعنة سددها إلى صدر ابنته اليتيمة، وخرجت نور مع زوجة أبيها للطواف بالمحال واشترت ثوبا أبيضا رخيصا ذا طرحة قصيرة ليوم الزفاف، أصرت نور على أن تلبس ثوباً أبيضاً إنه حلمها، لن تتنازل عن هذا الحلم حتى إن كان عريسها لن يراها به فهي تريد أن ترى نفسها كعروس حقيقية، كانت نور منكسرة القلب لكنها تتحدى، تتحدى الأب الجشع الذي باعها وزوجته القاسية التي لم ترحمها.

وجاء يوم الزواج..

وارتدت نور ثوبها الأبيض الذي بدا جميلا عليها، صحيح أنه ثوب رخيص بسيط لكن نور جميلة بحق ولا تحتاج ثوبا غاليا لإظهار جمالها وحسنها، وفكرت في نفسها حتى إن كانت جميلة فماذا يهم؟ فعريسها أعمى لا يبصر ولا يرى، وفكّت نور شعرها الطويلة وأسدلته على كتفيها، تركت حرا مسترسلا تحت طرحتها القصيرة، وعقد القران ووصل عيسى ووالداه لأخذها وخرجت نور من غرفتها وهي تجر حقيبة صغيرة وراءها، لم تكن تمتلك إلا القليل من الملابس وبعض متعلقاتها الشخصية القليلة وصورة أمها التي تركتها لتتجرع الظلم وحدها في كنف هذا الأب القاسي، وقبل أن تخرج رفعت رأسها إلى السماء ودعت: يا الله يا عالماً بحالي.. بك أستغيث، أشهدك على ما فعلوا بي وأطلب منك أن تريني بهم يوما وتأخذ حقي ممن ظلمني.

كانت تقصد بذلك أباها وزوجته، اللذين ضاقا بها وظلماها وتقدم أخوها محسن نحوها وما إن رأته حتى ضمته إلى صدرها بقوة وبكيا معاً.. إنها تحبه من كل قلبها وهمست خلال دموعها: محسن.. لا تتركني هناك وحدي أرجوك أن تأتي لزيارتي. ووعدها محسن الصغير بذلك، وقبّلت إخوتها الأطفال ومسحت دموعها وأصلحت هندامها وخرجت من بيت أبيها وقد قررت بينها وبين نفسها أنها لن تعود إلى هذا البيت يوما ولن تدخله بعد هذا اليوم أبدا.

ركبت نور في المقعد الخلفي بجوار عيسى ووالديه في الأمام، وهللت الأم وقالت: مبروك يا ابنتي.. ألف مبروك يا نور.

ردت نور بصوت حزين: شكرا لك.

فقال عيسى: مبروك يا نور أرجو أن أستطيع إسعادك.

ولم ترد عليه، لاذت بالصمت وهي تتابع الطريق إلى بيتها الجديد، ووصلت العائلة إلى البيت، كان المنزل رائعا من الخارج كل ما فيه يوحي بالعراقة والثراء وبهرت به نور، لم تكن يوما تحلم بالمال والثراء، كان أقصى ما تحلم به هو شهادة جامعية وزوج يحبها وتحبه، لم تكن ممن يغريهم بريق المال ويفقدهم صوابهم، لكنها لا تنكر وهي ترى منزل عيسى أن هناك خيطا من الفرح تسلل داخلها لأنها ستعيش في هذا القصر الجميل، تنهدت نور في كدر ما فائدة القصر وزوجها ضرير.. ما فائدة القصر وهي ستعيش مع رجل لا تحبه ولا تتقبله.. ونزلوا جميعا من السيارة وخرج سامي لاستقبال سيده، واحتضنه عيسى وهلل سامي: سيدي ألف مبروك، والتفت نحو نور وقال لها: تقبلي تهاني سيدتي، والله لا تتخيلي طيبة ورقة السيد عيسى، فابتسمت نور لأول مرة في هذا اليوم فقد شدتها بساطة سامي، شعرت به قريبا منها وقالت: شكراً.

قال السيد عبدالوهاب: هذا سامي، وهو المرافق الدائم لعيسى.

قال عيسى: هو صديقي وأخي يا نور، يعلم الله كم أعزه وأحبه.

ولم تعلق نور ودخلت إلى المنزل، كان المنزل أجمل مما تخيلت، كان رائعا .. القاعات الفسيحة والأثاث الفاخر الجميل، كأنها في عالم آخر، وأخيراً بعد أن تقدم الخدم للسلام عليها والترحيب

بها، صعدت إلى جناح عيسى زوجها لتجد في انتظارهما مائدة عامرة بما لذ وطاب من الأصناف وتزينها شموع بيضاء جميلة، كان ذلك عشاء العروسين، وعندما صعدا كانت السيدة هدى معهما فقال عيسى: هل ننزل للعشاء معكما يا أمي؟

وأحرجت الأم فعيسى لا يعرف أن أمامه طاولة عامرة لعشائه مع عروسه فقالت: لا يا عيسى لقد جهزنا عشاء خاصا لكما على طاولتك الخاصة هنا، هيا يا ولدي سأتركك مع نور وأتمنى لكما كل السعادة.

واقتربت من نور وقبلتها ثم اتجهت نحو عيسى والدموع تكاد تغلبها وقبّلت رأسه وضمته ضمة خفيفة إلى صدرها وخرجت من جناح العروسين، لتعود إلى زوجها عبدالوهاب.

ولأول مرة بقي العروسان معا لوحدهما، وساد صمت.. ثم سألته نور: أين غرفتنا؟

عيسى: ألن نتعشى أولا؟

نور: كما تريد.

واتجه عيسى إلى المائدة.. إنه يبدو هنا كأنه مبصر تماما، ولولا ملاحظته السابقة عن وجود العشاء لكانت نسيت أنه أعمى تماما، كان يتحرك بثقة وخفة وجلس عيسى وجلست هي أمامه وتلمس عيسى أدوات المائدة وقال: ما هي الأصناف الموجودة؟ وشعرت نور بغصة وقالت له الأصناف الموضوعة على المائدة، وساعدته بوضع الطعام في طبقه ولم تكن تقوى على الأكل فاكتفت بشيء بسيط جدا من الطعام، كانت معدتها منقبضة،

وأخذت تراقب طريقة أكله لقد بدا راقيا رشيقا إنه أرستقراطي، يأكل بتأن وهدوء وتمنت نور لو كان مبصرا، فكل ما حولها رائع يكاد يبلغ حد الكمال إلا هو، وسألها عيسى: نور أحس أنك لا تأكلين لماذا؟ ردت عليه أنها ليست جائعة، وقاما ليدخلا غرفتهما، غرفة النوم التي ستضمهما معاً للمرة الأولى.

وجلست نور على حافة السرير وهي واجمة وما هي إلا لحظات حتى اقترب عيسى منها، جلس ملتصقا بها وارتجفت نور، ومد عيسى يده ووضعها على طرحتها القصيرة ثم أخذ يتحسس شعرها وقال: الله يا نور، لم ألمس في حياتي شعرا ناعما كشعرك إنه أنعم من الحرير، وأخذ يربت بيده بحنان على شعرها الأملس وغرس أصابعه بين طيات شعرها الكثيف كأنه يقلب طبقات من الحرير، وحرك أصابعه ليلامس خدها، فارتعشت أصابعه وأبعد يده بسرعة عن خدها كمن أصابه مس من النار، كان خدها طريا رطبا، رطبا تماما وقد بللته دموعها.. جزع عيسى وسألها: نور هل تبكين؟

لم ترد عليه، فكرر: أرجوك أخبريني هل تبكين؟ لماذا؟ هل قمت بما أغضبك؟

وفجأة أجهشت نور بالبكاء، وكان جسدها يهتز بعنف وبدأ صوت نشيجها يعلو، وتعكر وجه عيسى وانهارت ملامحه من شدة الحزن...

وبقي صامتا برهة ثم قال: لم تريدي الزواج بي إذن؟ لماذا وافقت يا نور؟ لقد سمعت موافقتك بنفسي. ردت نور من بين

دموعها وقالت بصوت باك: سامحني يا عيسى لم أقصد أن أجرحك، لكنني لم أرد الزواج بك وأخبرته قصتها كاملة، حياتها، معاناتها وكيف أرغمها والدها على الموافقة وارتاحت نور بعد أن صارحته بموقفها، شعرت أن حملا ثقيلا قد انزاح عن صدرها، إنها لن تخدعه، إن صدقها سيؤلمه لكنها لا تملك غير هذا الصدق، إنها لا تستطيع أن تمثل عليه الرضا والحب، كان ذلك فوق طاقتها وأكثر مما تطيق بكثير.

وصمت عيسى طويلا ثم قال: إني احترم صدقك يا نور، اسمعي من الآن وصاعدا لن أقترب منك أبدا، ستعيشين معي ما دمت لا تريدين العودة إلى بيت أبيك، ستعيشين معي إلى أن تكملي دراستك الجامعية ويوم تتخرجين سيكون لك كامل الحق في طلب الطلاق والبدء بحياة جديدة، حياة تختارينها بنفسك، لكنني أطلب منك سوى شيئاً واحداً، أن تحترمي اسمي الذي تحملينه كزوجة لي، أنا أعرف أنك فتاة شريفة وأنا أحترم صدقك معي، ولذلك سأعطيك كامل ثقتي أنك خلال هذه الفترة لن تفتحي قلبك لحب شخص آخر مادمت على ذمتي، هذا شرطي الوحيد ومن الآن إلى أن يحين الوقت الذي تستطيعين فيه الاعتماد على نفسك اعتبريني صديقك وأخاك ولا تخافي لن يعلم أحد بطبيعة علاقتنا فأمام الناس سنبدو كزوجين متحابين ومتفاهمين...

وسأساعدك على تحقيق هدفك واستكمال دراستك ولن أقصر معك أبدا، هيا الآن امسحي دموعك واهدئي وتهيئي للنوم هيا...

وعجزت نور عن الكلام وشعرت ببعض الندم لما فعلته معه،

يا إلهي إنه ملاك طيب وكريم، شعرت أنها طعنته في صميم كرامته ومشاعره، وقالت بصوت لا يكاد يسمع: شكراً يا عيسى.

ولم يرد عيسى عليها هذه المرة، وقام متثاقلا وخرج من الغرفة واتجه إلى ملاذه الوحيد، اتجه نحو البيانو ليعزف إنه يترجم مشاعره وأحواله ألحانا تعجز الكلمات عن وصفها، وبدأ يعزف كأنه يئن، لحنا بطيئا حزينا باكيا، وبقيت نور مكانها في ثوبها الأبيض وهي تعجز عن حبس دموعها، وأخيرا، نامت في ثوبها الأبيض وسط نهرمن دموعها وألحان عيسى الحزينة تملأ أذنيها ورأسها.

■■6■■

حياة جديدة

مضت الأيام بعد ذلك في هدوء فقد بدأت نور تعتاد على حياتها في منزلها الجديد، وبدأت تتأقلم مع وضعها كزوجة لعيسى لها مكانتها الخاصة في البيت فأم عيسى تسرف في تدليلها وقد اصطحبتها معها إلى الأسواق التي لم ترها نور يوما واشترت لها عشرات الأثواب الغالية الجميلة وقد أهدتها والدة عيسى خاتما باهظ الثمن من الماس في الصباح التالي لزواجهما بالإضافة إلى شبكتها الماسية الفاخرة المرصعة بالأحجار الكريمة، ولأول مرة ترتدي نور الماس في حياتها، فهي لم تمتلك أية حلي طيلة عمرها حتى حلي والدتها المتوفاة قام والدها ببيعها منذ زمن ولم يسمح لها بالاحتفاظ بأي قطعة منها.

كانت نور تنهض صباحاً لتجد عيسى يتناول إفطاره قبلها، كان دائما يصحو قبلها، فتتناول إفطارها معه ثم يصطحبه سامي إلى مكتبه الخاص الذي يعمل به في مبنى منفصل عن المنزل يقع خلف حديقة المنزل حيث يلتقي بالمطربين الذين يطلبون ألحانه ويعمل هناك حتى وقت الظهيرة وخلال فترة وجوده في العمل كانت نور تقضي هذا الوقت مع السيدة هدى في التسوق أو في الإشراف على الخدم وإدارة المنزل وقد تعلمت منها الكثير، تعلمت كيف تحاسب الخدم وتعطيهم أوامرها وكيف تكون حازمة معهم دون أن تظلمهم وتعلمت كيف تدير مصروف المنزل وكانت معجبة كثيرا بوالدة عيسى كسيدة مجتمع جميلة وراقية وبدأت

تقلدها في طريقة مشيها وأكلها وكلامها، أصبحت قدوتها في حياتها الجديدة.

وكانت نور تتناول الغداء مع الأسرة كاملة في غرفة الطعام الرئيسية وكذلك وجبة العشاء، فقط وجبة الإفطار تتناولها مع عيسى وحدهما في جناحهما الخاص، وبعد الغداء تصعد لتبقى مع عيسى، كانت تحادثه دائما في حماس عن كل أحداث يومها، ما فعلته وما اشترته وما تعلمته وتسمعه وهو يحدثها أيضا عن تفاصيل يومه وعمله وكثيرا ما تجلس بجواره وهو يعزف على البيانو، وكانت تعطيه رأيها بكل ما يعزفه وبدأت نور تحب ألحان عيسى، لحن واحد كانت تكرهه وتشعر بالحزن والكدر عندما تسمعه هو ذلك اللحن الحزين البطيء الذي عزفه عيسى يوم زواجهما، يوم اتفقا أن يعيشا كصديقين بعد أن صارحته أنها لا تحبه ولا تريده، وفي كل ليلة تعوّد عيسى أن لا ينام إلى جوارها، كان ينام على أريكة عريضة مقابل سريرها لقد حافظ على وعده، لم يقترب منها أبدا، لم يلمسها أبدا ولو عن طريق الخطأ لقد حرص أن لا يزعجها وأن يحتفظ بمسافة كافية بينهما ... والغريب أن نور شعرت أحيانا أنها تتوق إلى لمس أصابعه الطويلة وهو يعزف بل في أحيان كثيرة كانت تخجل من رغبتها في أن تقبل عينيه الضريرتين.. كانت تشفق عليه وتشعر بالتقصير نحوه، فهو منذ تزوجها لم يبخل عليها بشيء ودون أي مقابل منها ...

ومضى شهر على الزواج،

وفي إحدى الأمسيات جاء سامي ليخبرها أن أبيها وزوجته موجودان في غرفة الضيوف لرؤيتها.

كانت قد نسيتهما تماما في غمرة اندماجها في حياتها الجديدة، وما إن سمعت بوجودهما حتى أحست بالضيق يجثم على صدرها، ماذا يريدان بعد، إنها لا تريد رؤيتهما، ألم يقبضا ثمن بيعها وانتهى الأمر؟ وقال لها عيسى: يجب أن تنزلي يا نور.. هذا واجبك.

نور: لكن يا عيسى أشعر بالضيق لوجودهما لا أريد رؤيتهما.

عيسى: ولو... هما الآن في بيتك ولا يصح أن تتجاهليهما هيا لا تخافي انزلي وسأكون بقربك.

ابتسمت نور، فعلا إن وجود عيسى بجوارها يمدها بالدفء والأمان والقوة.

وقامت نور وارتدت ثوباً أخضراً فاتحاً جميلاً وأسدلت شعرها الجميل على كتفيها وجلست تتزين بعناية، وبدت رائعة جميلة فاتنة وقالت: هيا يا عيسى أنا جاهزة وأحس عيسى بالثقة في صوتها وتمنى لو كان يستطيع رؤيتها ولو لمرة واحدة كان يعرف أنها جميلة، فوالدته وصفتها له مرارا وكانت دائما تطري جمالها، لكنه لا يملك عينين يراها بهما لكنه يراها في قلبه، نعم لقد أحبها بل عشقها، عشق المرأة التي تعيش معه وتشاركه غرفته وجناحه، المرأة التي صارحته برفضها له، لقد أحبها رغما عنه وكان يتمنى لها السعادة، وكلما سمعها تضحك شعر بالسعادة والفرح يدخلان قلبه، أصبحت نور هي أمله في الحياة، يريدها سعيدة حتى لو اختارت الخروج من حياته فيما بعد فهو يريد لها كل الخير.

واليوم لن يتخلى عنها في مواجهة والدها، الرجل الذي يحتقره من كل قلبه، الرجل الذي لم يرحم هذه الفراشة الجميلة، ابنته التي من لحمه ودمه.

ونزل عيسى ونور معا ودخلا إلى غرفة الضيوف، كان والدها وزوجته جالسين مع والدة عيسى السيدة هدى وما إن دخلت نور، حتى قام والدها واقفا إكبارا لها ولجمالها.. يا إلهي إنها أجمل مما يتذكر.. إنها امرأة فاتنة وتبدو في ثوبها الحريري الأخضر كوردة متفتحة وبدا شعرها لامعا ووجها مرتاحا متألقا، وشعرت زوجة أبيها بما شعر به أبوها أيضاً وأحست بالغيرة من نور، ها هي تسرح وتمرح بالخير والمال والجاه.. ولم تكلف نفسها عناء السؤال عنهم، وألقت نور التحية عليهما ببرود وجلست ملتصقة بعيسى، لم تقترب منهما ولم تصافحهما.. وقال الأب: أهلا بابنتي الغالية الحبيبة.. كل هذا الوقت لا تسألين عن والدك الحبيب؟ فقالت زوجته والحسد يرن في صوتها: يبدو أنها نسيتنا، آه كم افتقدناك في المنزل.

قالت نور: لا داعي للمجاملات ماذا تريدان؟

صدمت السيدة هدى وقالت: ماذا حدث لك يا نور، كيف تخاطبين أهلك هكذا؟

فرد عيسى: نور لا تقصد شيئا إنها تتدلل عليكما ليس إلا.

وساد صمت ثقيل... وتحدث الأب بموضوعات لا صلة بينها وبدا أن نور لا تريد أن تتواصل مع أهلها.. وأخيرا.

استأذن الأب وزوجته بالخروج، وخرجا.. وكانت هذه المرة

الأخيرة التي يزورانها فيها..

فقد أحس الأب أن ما حدث بينه وبين ابنته قد يؤثر على عمله وصورته أمام والد عيسى فآثر الابتعاد عن نور وحياتها فعندما زارها كان يأمل أن يتواصل معها على أمل الحصول على أموال وامتيازات إضافية من عائلة زوجها لكن نور أغلقت جميع الأبواب في وجهه بمعاملتها القاسية والمهينة له ولزوجته التي ما إن خرجا حتى أمطرت نور بالشتائم واتهمتها بالنكران والجحود.

■■7■■

الجامعة

وقدمت نور أوراقها إلى الجامعة، لقد اختارت دراسة الهندسة، تريد أن تكون مهندسة، أن تحقق حلمها بالاستقلال والنجاح، وتم قبولها في كلية الهندسة كما أرادت وفرح لها عيسى كثيرا،

وفي اليوم الدراسي الأول نهضت نور باكرا وارتدت ثوبا جميلا ورديا كأحلامها وشدت شعرها الطويل إلى الخلف وكانت تشعر أنها تكاد تحلق فوق السحاب من فرط سعادتها وانفعالها، وركبت مع سائق عيسى الخاص ليوصلها إلى كليتها الجديدة، وفي الطريق أحست نور أنها بلا قيود، إنها في طريقها نحو الحرية، لن يتحكم بها أحد بعد الآن، إن مشوارها بدأ اليوم مشوار العمر كله، ووقعت عيناها على إصبع يدها الذي يحمل دبلة زواجها، واجتاحتها رغبة غريبة، إنها تريد أن تخلع هذه الدبلة، شعرت كأن هذه الدبلة الصغيرة طوقا حديديا ثقيلا، ثقيلا جدا يحيط بعنقها ويكاد يخنقها، تريد أن تنسى أن والدها باعها إلى رجل ثري ضرير.. رجل أبقاها في ذمته شهامة منه وإحسانا وإشفاقا عليها حتى تتمكن من إكمال دراستها، تريد أن تنسى هذه الحقائق الجارحة التي تدمي فؤادها.. ومدت أصابعها وخلعت دبلة زواجها وألقتها في حقيبة يدها.

وشعرت بالراحة، بالحرية، ووصلت إلى الكلية ونزلت ومنذ خطت إلى الداخل شعرت بشعور غريب يسيطر عليها، شعرت

بأنها إنسانة أخرى، إنسانة جديدة في عالم جديد... شعرت أنها تخرج من جلدها.

منذ اليوم الدراسي الأول ونور تشعر بحماس منقطع النظير للدراسة، كانت تعود من الجامعة فتتناول الغداء مع عيسى ووالديه، ثم تصعد مسرعة إلى جناحها وقد خصص لها عيسى مكتبا أنيقا في ركن هادئ بجوار غرفة نومها، كانت تجلس إلى مكتبها تذاكر محاضراتها، وتراجعها، وتقضي ساعات طويلة من يومها في الدراسة والاستذكار، وهي سعيدة.. سعيدة جدا وقد اندمجت في الحياة الجامعية حتى النخاع وبدأت تهتم بزينتها وجمالها وكانت نور بحق أجمل فتاة في الكلية، وثيابها غالية رائعة واشتهرت بجمالها وأناقتها ولم يعلم أحد أنها متزوجة حتى زميلاتها المقربات لم تخبرهن أبدا، تريد أن تحس أنها مثلهن لم تكن تريد أن تخبر من حولها أنها زوجة رجل ضرير تعيش معه كزوجة أمام الناس حتى تستطيع إكمال دراستها، بدت لها حقيقتها مخزية مخجلة وهي تريد أن تنسى هذا الوضع وتتجاهله تماما، وأحس عيسى بإقبالها على الجامعة والدراسة وكان سعيدا من أجلها يكفيه أن يسمع ضحكاتها ويحس براحتها وسعادتها، كان يكتفي بالأنس بوجودها في حياته، فهي تعيش معه وتؤنس وحدته وهو يحبها من كل قلبه، يكفيه أن يحبها ويهواها ويكتفي منها بما تعطيه له راضيا قانعا وفي فترة زواجه السابقة أنجز عيسى أجمل ألحانه وأصبح أكثر شهرة ونجاحا، كان في السابق يلحن ألحان الحب وهو لم يعش الحب ولم يعرفه، لكنه الآن يلحن وهو يحترق بنيران الحب.. نعم إن الحب في قلبه

هو، حب من طرف واحد، لكنه راض به، سعيد وقانع، يكفيه وجود نور بجواره ولو مؤقتا لكنه لا يسترسل بفكرة أنها قد تطلب الطلاق منه بعد التخرج مازال أمامها وقت حتى تتخرج وحتى يحين هذا الوقت سيستمتع بكل لحظة يعيشها قربها. هكذا كان عيسى يفكر، فقرب نور أصبح زاده في الحياة ومصدر سعادته الوحيد...

وفي أحد الأيام خرجت نور من الجامعة وركبت مع السائق وأمرته بالتوجه إلى مدرسة أخيها محسن.. مضى عام منذ تزوجت، ومنذ رأته آخر مرة وهي لم تطلب من والدها أن يحضره لها، خافت أن يجد في إحضاره لها عذرا كي يقتحم حياتها ويتدخل بها من جديد، لكن الشوق غلبها إليه وكثيرا ما باحت لعيسى بأحاسيسها وشوقها لأخيها، فاقترح عيسى عليها أن تذهب إلى مدرسته عند نهاية الدوام فهي تعرف أنه يعود ماشيا إلى البيت، وفعلا.. وقفت السيارة مقابل مدخل المدرسة، نظرت نور إلى ساعتها وهي تعد الدقائق حتى يفتح باب المدرسة... وبعد عشر دقائق فتح الباب واندفع الأولاد للخروج، كان هناك بعض الباعة الذين يبيعون المثلجات عند المدرسة وازدحم المكان حولها.. وأخذت تجول بعينيها علها ترى محسن... وأخيرا رأته وتجمعت الدموع في عيينها، لقد طالت قامته إنه في الرابعة عشرة من عمره الآن ويبدو نحيفا ووسيما وفتحت نور نافذة السيارة ونادته: محسن... محسن، والتفت محسن نحوها ونظر إليها.. لم يعرفها في الوهلة الأولى... إنها تبدو مختلفة، وتبدو أكثر امتلاء ووجهها أكثر نضارة وبياضا، وقد سرحت شعرها

الجميل بحيث رفعت نصفه خلف رأسها وكانت ترتدي بنطالاً ضيقاً وقميصاً ضيقاً طويلاً يصل إلى أسفل ركبتيها ونزلت من السيارة وتقدمت منه... وعرفها محسن واندفع نحوها وتعانق الأخوان وسط أنظار الطلبة، وبكت نور، لا تعرف لماذا بكت فحالها الآن أفضل بكثير من الوقت السابق الذي عاشت فيه مع أخيها في بيت واحد، لكنها بكت شوقاً إليه، وشعرت بين ذراعيه بشعور غريب، شعرت أنها تبكي حرمانها من وجود رجل يضمها بين ذراعيه، رجل يشبع عواطفها، فهي تعيش مع زوج لا يقترب منها وكانت هي السبب في ذلك، لكنها وهي بين ذراعي أخيها شعرت بالسعادة والأمان وتمنت لو أن لها رجلا يحبها ويضمها إلى صدره لترتوي من هذا الشعور الجميل بالانتماء والأمان بين ذراعيه...

وسحبته من يده وركبا السيارة وهي لاتزال تبكي.. وأخيراً هدأت نور وسألته عن أحواله.

وسألها عن أحوالها وأخبرته أنها سعيدة مع عيسى وأخبرته أنه طيب عطوف رقيق، لم يقصر معها أبدا وطبعا لم تخبره عن طبيعة علاقتهما الخاصة وأنهما اتفقا على أن يبقيا معا حتى تتخرج في الجامعة..

أخبرها محسن أن والدها منذ تزوجت وهو يرفل في المال، وأن أوضاعه المادية تحسنت فقد أصبح مديرا للمبيعات وأخبرها أن والد عيسى يغدق عليه بالمكافآت والمنح المالية بين حين وآخر، وغلى الدم في عروق نور شعرت أن والدها مازال يقبض ثمن بيعها ويستغل أهل زوجها أسوأ استغلال، شعرت

بالاشمئزاز والخجل من هذا الأب الانتهازي الضعيف النفس وأخبرها محسن أن والدها لايزال مقصرا عليه وعلى أخوته الآخرين فهو لايزال بخيلا مقترا.. فتحت نور حقيبتها وأعطت أخاها مبلغا من المال وأعطته رقم هاتفها النقال وأخبرته أن يتصل بها إذا احتاج إلى أي شيء وأن يتواصل معها ووعدته أن تراه كلما سنحت لها الفرصة واتفقت معه على أن تعرفه على عيسى زوجها في أقرب وقت، وأوصلت محسن إلى مكان بعيد قليلا عن البيت، خافت أن يراها أبوها أو زوجته ويفتح لهم بذلك طريق جديد إليها وإلى حياتها... ونزل محسن وتركها وهو سعيد برؤيتها وأرسل إليها قبلة في الهواء...

■■8■■

بلا قناع

ومضت الأيم سريعة ومر عام آخر ونور على حالها... وفي صباح أحد الأيام وكان يوم عطلة، جلست نور مع والدة عيسى تتحدثان وتخططان لقضاء هذا اليوم معا في التسوق... فجأة قالت السيدة هدى: أخبريني يا نور.. ألم تفكرا أنت وعيسى بالإنجاب؟ واهتزت رموش نور وجفلت، لقد فاجأها هذا السؤال تماما... لكنها تمالكت نفسها بسرعة وقالت: لقد قررنا تأجيل موضوع الإنجاب إلى أن أتخرج وأنهي دراستي، فردت السيدة هدى: اعذري تدخلي، لكنني كنت قلقة فقد مضى عامان على زواجكما دون أن يحدث الحمل، وتعلمين كم أتوق لرؤية أولاد عيسى... ولم ترد نور لم تجد ما تقوله وعندما اختلت بنفسها هذا المساء كان الضيق يغلبها، إنها أنانية لم تفكر إلا في نفسها، إنها تستغل عيسى وتستغل طيبته ومشاعره النبيلة نحوها، إنها تعيش معه دون أن تعطيه حقوقه الزوجية وتصرف من ماله كما تريد وتنعم بالترف والرخاء في حياتها معه كل ذلك دون مقابل ودون أن تعطي من نفسها شيئا... وكرهت نور نفسها في تلك اللحظة... ولم تستطع النوم وأخذت تنظر إلى عيسى وهو نائم على الأريكة، إنه يبدو كالملاك النائم، مسكين عيسى إنها تعرف أنه يحبها، وهي تقدره وتعزه وتتمنى له كل خير، لكنها لم تتقبل فكرة أن تكون لرجل ضرير لا يرى النور فابتعدت عنه ووضعت

الحواجز بينها وبينه وقامت نور من سريرها واقتربت منه وهو يغط في نومه وحدقت في وجهه، إنه وسيم لأبعد الحدود، يا إلهي إن قلبها يرق له، كأنها ولدها، كأنه قطعة منها.. وتنهدت وعادت إلى فراشها ولم يغمض لها جفن حتى الصباح، وذهبت إلى الجامعة وهي على غير عادتها كانت هادئة وحزينة وآثار السهر واضحة تحت عينيها... وجلست في قاعة المحاضرات وجاءت صديقتها منال وجلست بجوارها وقالت: كيف حالك يا نور؟ تبدين متعبة؟

نور: أنا بخير مجرد صداع بسيط.

منال: بصراحة يا نور أردت مفاتحتك في موضوع خاص...

نور: خير يا منال؟

منال: خير إن شاء الله، بصراحة أريد أن أخطبك لأخي، إنه طالب في كلية الحقوق والأسبوع الماضي زارني في الكلية ومنذ رآك وهو لا يكف عن التفكير بك يبدو أنه أحبك من أول نظرة، ما رأيك؟

ووجمت نور... صحيح إنها منذ دخلت الجامعة ومعاكسات الطلبة لا تكف عنها إلا أنها تفاجأت بهذا الموضوع، إنه طلب للزواج... وليست معاكسة تستطيع تجاهلها والمضي في طريقها، يجب أن تصارح منال بالحقيقة... واستجمعت شجاعتها ورسمت ابتسامة باهتة على شفتيها وقالت: لكنني متزوجة يا منال، صعقت منال وصرخت: ماذا؟ متزوجة! لم تقولي ذلك أبداً!

نور: لم تسنح لي فرصة لذلك.

منال: لكنك لم تشيري إلى زوجك أبدا يا نور.

نور: لم تكن هناك مناسبة كي أشير إلى وجوده.

وجمت منال وصمتت وأخيراً قالت: من هو زوجك؟ ما اسمه؟

ردت نور: اسمه عيسى عبدالوهاب. وصدمت منال بالاسم وصرخت ثانية: عيسى عبدالوهاب الملحن المشهور؟

ردت نور: نعم إنه هو بعينه زوجي.

منال: لكنني لم أسمع قبلاً أنه تزوج.

نور: نعم لأنه لا يقبل القيام بمقابلات صحفية ولا يظهر في وسائل الإعلام فلا أحد يعرف عن حياته الخاصة شيئا، إن مبدأه أن ألحانه هي من تتحدث عنه ولا يجد داعياً أن يتحدث هو عن نفسه.

سكتت منال وهي لاتزال مصدومة وأخيرا سألت بصوت كالهمس: نور... هل زوجك أعمى؟

شدت نور نفسا عميقا من أعماق صدرها وقالت: نعم إنه أعمى.

مكتبة الحارث
t.me/t_pdf

انتشر خبر أن نور متزوجة في أنحاء الكلية وبدأ الجميع يسألها عن زوجها، وضاقت نور بكل هذه الضجة المثارة حولها ليس لأنها تخجل من عيسى بل على العكس إنها فخورة به والجميع يسألها عنه وعن حياته، إن الفضول لمعرفة معلومات عنه هو سبب هذه الضجة حولها، لكنها متضايقة لأنها الآن لم تعد الفتاة الجامعية البسيطة التي أرادت أن تكونها بل هي زوجة فنان ضرير معروف ومشهور وسيشير إليها الجميع بسبب ذلك وسيذكرها هذا دائماً بحقيقة وضعها مع عيسى واستغلالها له وسيذكرها بأنها بيعت له كبضاعة... كسلعة مقابل المال والمنصب... كان هذا يحطمها ويجرحها وتغيرت حياة نور، أصبحت الجامعة بالنسبة لها مصدراً للقلق بعد أن كانت عالما جميلا مليئا بالأمل والسعادة.

وفي أحد الأيام وكان العام الدراسي الثالث على وشك البدء.. رن هاتف نور النقال فإذا هو رقم منزل والدها لا بد أنه محسن فهو يتصل بها بين فترة وأخرى وقد عرفته يوما على عيسى وعزف له عيسى كثيرا يومها وبهر أخوها بالقصر الذي تعيش فيه مع زوجها، كان محسن قد أخبر أباه أنه سيزور أحد أصدقائه وهكذا قضى يوماً كاملاً برفقة نور وكان حقاً يوماً سعيداً وأحب محسن عيسى كثيراً وأعجب به جداً وعندما أوصلته نور مع السائق لم يكف محسن عن مدحه والثناء على حسن أخلاقه لابد

أنه يتصل بها الآن ليكرر زيارته لها، وردت نور على الهاتف فإذا بمحسن يصرخ باكياً: نور.. الحقينا يا نور، جزعت نور وقالت: ماذا حدث يا محسن؟

محسن: لقد اتصلت الشرطة بنا للتو، أبي وأمي تعرضا لحادث سير ونقلا إلى المستشفى... لا أعرف كيف أتصرف، جزعت نور وقالت: سآتي حالا إليك وأغلقت السماعة والخوف يكاد يشلها، فاقترب عيسى منها وقال: ماذا حدث يا نور؟ فقالت له بصوت باك: أبي وزوجته تعرضا لحادث خطير... ولم تقو على إكمال جملتها وارتمت على صدر عيسى تبكي، وربت عيسى على ظهرها بحنان وقال لا تخافي هيا يا نور سأذهب معك، لن أتركك وحدك...

وذهب الجميع إلى المستشفى نور وعيسى ومحسن والسيدة هدى والسيد عبدالوهاب وسامي، وبقي بقية أخوة نور في البيت لصغر سنهم، وعرفوا أن الأب في حالة خطرة، إنه بين الحياة والموت وقد تهشمت عظامه ونزف كثيراً، وجسده ضعيف لن يتحمل إجراء عملية جراحية له، أما زوجة الأب فقد كسر ظهرها وحوضها وهي في العناية المركزة ولم يسمح لأحد بالدخول لرؤية المريضين، وبقيت نور تبكي... بكت كثيراً... وكذلك محسن وكانت وهي تبكي تدفن وجهها في صدر عيسى ولم يكف هو عن مواساتها وضمها إليه، كانت دموعها تؤلمه وتعذبه وتمنى لو أنه يستطيع أن يفعل أي شيء لينقذ أهلها... ومضت ثلاث ساعات ثم جاء الطبيب وقال من هي نور؟

ردت نور من بين دموعها: أنا نور، فقال الطبيب إن والدك

مصر على رؤيتك... تفضلي معي... أظنه يحتضر... وبكى محسن وطلب أن يراه أيضاً فسمح لهما الطبيب بالدخول... كان منظر الأب مخيفا، كان وجهه متورما مزرقا وقد أحاطت به الضمادات وجسده مليء بالكسور، اقتربت نور منه باكية ووقف محسن خلفها وهو يبكي أيضاً... وهمست نور في أذنه: سلامتك ياأبي... فتح الأب عينيه ورآها... وتكلم الأب بصوت مبحوح مرتعش: سامحيني يا ابنتي... لقد ظلمتك.. وقسوت عليك.. سامحيني حتى أقابل الله بلا تبعة علي...

انحنت نور تقبل رأس أباها ويده وازداد بكاؤها وقالت: أنا أسامحك يا أبي... وأحبك... من لي غيرك في هذه الدنيا أرجوك لا تتركني... عش لأجلي.

الأب: أوصيك على إخوتك... إنهم أمانة في عنقك... سامحيني يا حبيبتي... وادعي لي بالرحمة.

وجاء الطبيب ليخرجهما من الغرفة... وتوفي الأب بعد ذلك اللقاء بعدة دقائق.

توفي السيد حامد وتألمت نور كثيراً لوفاته لم تكن تظن أنها تحبه بذلك القدر، لكنها عندما فقدته أدركت أن الأب غال لا يعوض، مهما فعل إنه أبوها الذي رباها... وبكته نور كثيرا وسامحته من كل قلبها على كل ما فعله بها قبلا، وعلمت زوجته بوفاته وانهارت وبقيت نور إلى جوارها تمرضها وتسهر على راحتها وكانت زوجة الأب لا تستطيع الحراك فظهرها مهشم وتحتاج إلى وقت طويل في المستشفى حتى تجبر كسورها،

وبعدها ستحتاج إلى علاج طويل حتى تتمكن من المشي ثانية. واحتارت نور في أخوتها الصغار، إنهم أطفال فمحسن في الرابعة عشرة وأحدهم في الحادية عشرة وآخر في العاشرة وأختها الصغيرة في السابعة، إنهم أطفال بحاجة إلى رعاية وأمهم في المستشفى وستبقى لمدة طويلة حتى تتعافى، إن الحل الوحيد هو أن تنتقل للعيش في منزل أبيها إلى أن تسترد زوجة أبيها عافيتها، إن أخوتها أمانة في عنقها، إنهم وصية والدها وليس من المعقول أن يسكنوا معها بل ستسكن هي معهم، وانسحبت نور من الفصل الدراسي فظروفها ومسؤولياتها لا تسمح لها بالذهاب للجامعة وسوف تستأنف الدراسة في الفصل الدراسي القادم عندما تتحسن ظروفها العائلية، وفاتحت نور عيسى بموضوع إقامتها في منزل أبيها... وشرحت له ظروفها واهتز عيسى إنه لا يطيق بعدها عنه، لا يستطيع الحياة بدونها، كيف تتركه وتذهب؟ وحاول أن يجد حلا... لكن لا يوجد حل آخر، أصبح انتقالها للإقامة مع إخوتها أمراً لا مفر منه، وبدأت نور في إعداد حقيبتها وعيسى جالس يسمعها وهي توضب أغراضها وأبلغت السيدة هدى بقرارها وقد تفهمت وضعها وقالت: سوف نفتقدك يا نور.

وردت نور: وأنا أيضاً لكن ما باليد حيلة، وأُخرجت حقائب نور... وحان وقت ذهابها، كان عيسى جالسا يحدق بالفراغ كما هو دائما وقد بدا واهنا، كتمثال يجسد الحزن والألم، واقتربت نور منه وقالت بصوت مضطرب النبرات: أنا راحلة... أرجوك انتبه لنفسك...

عيسى: أرجو أن لا يطول غيابك.

نور: يمكنك أن تزورني في أي وقت.

عيسى: بالتأكيد سأفعل... سأشتاق لك.

نور: عيسى... شكرا على كل شيء...

وفجأة رمت نور نفسها على صدره وبكت... وأحاطها عيسى بذراعيه القويتين وضغطها إليه كأنه يريد أن يدخلها بين ضلوعه ليحتفظ بها في قلبه له وحده، إنه لا يريدها أن تذهب... وقالت نور: إذا كنت حقا تحبني انتبه لنفسك... وخرجت نور... وبقي عيسى وحده في الظلام.

■■ 10 ■■

العودة

ووصلت نور إلى منزل عائلتها وفرح إخوتها بها، ياه مضت ثلاثة أعوام لم تدخل خلالها منزل أبيها إنها تشعر بالغربة هنا، كأنها لم تعش هنا يوما، ودخلت غرفتها والصمت يحيط بها، كم شهدت هذه الغرفة على أحزانها ووحدتها، وابتسمت بحزن وهي ترى سريرها الحديدي وتقدمت منه وجلست فأصدر صريره المعتاد كأنه يرحب بها بعد غياب وربتت عليه كأنها تربت على صديق قديم عاش معها تعاستها السابقة، وانتابها شعور غريب، شعرت أنها لا تنتمي إلى هذا المكان، إن مكانها هناك مع عيسى.... هناك في منزله ومنذ وصولها بدأت نور بالإشراف على احتياجات إخوتها، كان قد مضى أسبوعان على وفاة الأب وقد عمت الفوضى حياة هؤلاء الصغار وبوجود نور ثانية في المنزل ساد نوع من الطمأنينة والاستقرار في قلوبهم.

وجاء الليل... إنها المرة الأولى منذ ثلاث سنوات تنام في غرفة لا تضم عيسى معها... وقد نامت أختها الصغيرة بجوارها في السرير وضمتها نور إلى صدرها... وحدقت نور أمامها وهي تتخيل عيسى وهو نائم على الأريكة المقابلة لها. عجبا إنها مشتاقة إليه، تكاد تسمع صوت أنفاسه المنتظمة وهو نائم، وألحانه تطن في أذنيها، إنها تكاد تجن شوقاً ولهفة إليه، وأزاحت أختها عن صدرها برفق وسحبت الهاتف واتصلت على رقم هاتف عيسى النقال... إن عيسى يميز المتصلين به عن طريق نغمات

رنين اهاتف فلكل متصل نغمة خاصة يميزه بها وقد عرف أن نور تتصل به... فرد على الفور، سألته بلهفة: هل كنت نائم؟

عيسى: لا بل كنت أفكر بك؟

نور: أنا أيضاً... لم أستطع النوم، إنها المرة الأولى التي أبيت بها من دونك منذ زواجنا.

عيسى: كنت أتخيل أنني أسمع أنفاسك وأنت نائمة.

نور: وأنا أيضاً...

وبقيا يتحادثان... كأي عاشقين في سكون الليل... ونامت نور وهي تحتضن سماعة الهاتف وأقفل عيسى الخط بعد أن سمع أنفاسها المنتظمة وهي تغط في نومها...

ومضت الأيام ونور مشغولة مع أخوتها تحضر طعامهم وتشرف على تدريسهم وتزور زوجة أبيها في المستشفى أثناء وجود أخوتها في المدرسة وفي المساء عندما ينام أخوتها كان عيسى يزورها وكانت زيارته أجمل حدث في يومها... كانا يتعشيان معا ويودعها وقت النوم وعندما يصل إلى البيت يتصل بها من هاتف المنزل وقد اعتادا أن يناما وكل منهما يحتضن سماعة الهاتف، لقد قرب الفراق بينهما لقد اكتشفت نور أنها لم تعد تستطيع البعد عن عيسى، وأخيرا وبعد مرور أربع أشهر تحسنت حال زوجة الأب، مازالت تستعمل كرسيا ذا عجلات وتحتاج إلى جلسات مكثفة من العلاج الطبيعي لكنها تستطيع مغادرة المستشفى أخيرا، وعادت زوجة الأب إلى المنزل وفرح أولادها كثيرا بعودتها عادت وعينيها تنطقان بالشكر والعرفان

لما فعلته نور لأجلها، لقد قابلت إساءتها بكل الطيب والإحسان وظهر معدنها الطيب الأصيل في هذه الشدة العظيمة. وتعاقدت نور مع ممرضة خاصة كي تقيم في منزل أبيها وتعتني بزوجة أبيها، وقررت نور العودة إلى عيسى لم تعد تحتمل البعد عنه، لكنها ستعود إليه كزوجة حقيقية هذه المرة... أجل إنها تذهب إليه الآن باختيارها وبرضاها... وخرجت صباحاً واشترت ثوباً أبيضاً حريرياً كما اشترت طرحة قصيرة رائعة وارتدت نور ثوبها الأبيض... إنها تعرف أن عيسى سيراها في قلبه وكما في ليلة زفافها أسدلت شعرها الناعم تحت الطرحة على كتفيها ومر عيسى لأخذها إلى المنزل وركبت معه وهو لا يعلم أنها ترتدي ثوب زفاف أبيض وما إن ركبت بجواره، حتى مدت يدها واحتضنت أصابعه... وطوال الطريق الطريق لم يتكلما... إن فرحتهما أكبر من أي كلام يمكن أن يقال.. ووصلت إلى المنزل واستقبلها والد عيسى ووالدته في البهو وابتسما بحنان وهما يريانها بثوب زفاف... وقالت السيد هدى: الآن عادت الروح إلى المنزل... وقبلتها بحنان وحب وصعد عيسى ونور إلى جناحهما ونور فرحة سعيدة... لقد اشتاقت إلى بيتها... إنها تكاد تطير من الفرح، وحان وقت النوم... وشدت نور عيسى وأجلسته على السرير وقالت له: لدي اعتراف أود أن أبوح به.

عيسى: قولي كل ما تريدين يا نور...

نور: ببساطة... لقد اكتشفت أنني لا أستطيع العيش من دونك، نعم يا عيسى في البداية كنت مجبرة على الزواج بك، لكنني الآن أخبرك أنني وبكامل إرادتي أريدك زوجا لي ولن أفرط بك

مهما حصل... لقد أحببتك يا عيسى، بكل قلبي وجوارحي، بكل ذرة من أحاسيسي، بكل مشاعري، أحبك ولن أتركك أبدا، لن أتخلى عنك يوما... أنا لك العمر كله وسأعمل على إسعادك... وأرجو أن تنسى ما فات وأن نبدأ معا حياة جديدة مليئة بالحب والوفاء... وانهمرت دموع عيسى... دموع الفرح والحب، دموع الإخلاص والوفاء... ومدت نور يديها والتقطت يد عيسى ووضعتها على شعرها الناعم المنسدل تحت طرحتها تماما كما في ليلة زواجهما... وهمست له: إنني أرتدي ثوبا أبيض، ثوب زفاف... ثوب عروس...

وهكذا التقى النور والظلام... وأضاءت نور حياة عيسى إلى الأبد...

(تمت)

قصة غالية

إلى المراهقات... إليكن يا من تعشن عمر الزهور... إلى العبير العطر والقلوب البريئة... أهديكن قصة غالية،

■■1■■

غالية

شق رنين الهاتف صمت الغرفة، كانت غرفة فخمة وردية اللون، وقد وضع الهاتف على طاولة بجوار سرير جميل، كانت الساعة الثامنة مساء، واندفعت غالية مسرعة لتجيب على الهاتف، فتاة في السابعة عشرة من عمرها، جميلة ومثيرة، جسدها متناسق رشيق ورفعت السماعة وهي تقول بصوت صاخب يضج بأنوثتها: ألو...

جاءها صوت فتاة من الطرف الآخر، إنها فجر ابنة عم غالية، وقالت فجر: أين كنت؟ كنت سأغلقُ السماعة للتو.

غالية: كنت أجرب ثوب المدرسة للغد، لقد أحضرته من الخياط للتو.. لقد نقص وزني كثيراً... بفضل المشي في شوارع لندن هذا الصيف.

ضحكت فجر وقالت: بل قولي الفضل لأسواق لندن ومحلاتها التي لا تشبعين منها.

غالية: أخيرا ستبدأ المدرسة، لا أصدق أنها سنتنا الأخيرة في الثانوية، ياه متى نتخرج وندخل الجامعة، أكاد لا أطيق الانتظار.

فجر: لا تخافي لم يبق سوى هذه السنة ونتخرج إن شاء الله، اتصلت لأذكرك أن تمري عليَّ غدا لنذهب معا.

غالية: لم أنس، سأمر عليك مع السائق، أراك غدا مع السلامة.

وأغلقت غالية الخط.. إن غالية وحيدة والديها، لطالما حظيت بالدلال والاهتمام في منزلها، لقد عانى والداها طويلا في سبيل إنجابها.. ومرت سنوات طويلة من العلاج حتى حملت أمها بها، وطوال حملها، لازمت الأم السرير خوفاً على الجنين وسلامته، وأنجبت غالية، اختار والدها هذا الاسم الذي يعكس مكانتها في قلبيهما تماماً.

إن والدها فاحش الثراء وهو لا يرفض لها طلبا مهما كان، إنه متيم بها، يكاد يجن لهفة عليها إن مرضت أو غضبت، وكذلك أمها، لطالما كانت ضعيفة أمامها، ضعيفة أمام عواطفها تجاه ابنتها الوحيدة الحبيبة.

وتخبط والداها كثيرا في تربيتها، كانا لا يقويان على معارضتها أو منعها من أي شيء تريده، فكل طلباتها مجابة، وحاولت أمها أن تتصنع الحزم معها في بعض المواقف، فكانت تنهرها على فعل خاطئ ثم سرعان ما تعانقها وتشبعها تقبيلا كأنها تعتذر منها، ونشأت غالية مدللة مترفة، ودخلت مدرسة أجنبية عريقة باهظة التكاليف منذ كانت في الروضة، ومع الوقت بدأ مستواها الدراسي في التدهور لقلة مذاكرتها واهتمامها بدروسها، رغم المدرسين الخصوصيين الذين رافقوها طوال سنوات دراستها، وأخيرا وجد والدها أن من مصلحتها الانتقال إلى ثانوية حكومية، ولم تعارض غالية، لقد ضاقت ذرعا بإنذارات مدرسيها وبالعبء الدراسي الكبير في هذا المنهج الأجنبي المتعب، وانتقلت إلى المدرسة الثانوية التي تقع في منطقة سكنها، وهناك توطدت علاقتها بفجر ابنة عمها، إنها في نفس عمرها وتسكن أيضاً

في المنطقة نفسها إلا أن منزل عمها أكثر تواضعا من منزلها الفخم، وأحبت فجر، أحبت بساطتها وخفة دمها، وشعرت بالقرب منها بالألفة والمودة، ورغم أن فجر تختلف عنها كليا في تربيتها وتدينها وحجابها أيضا إلا أنهما اندمجتا معا، واكتشفت فجر أن غالية تحمل قلبا طيبا كريما رغم غنجها ودلالها، وتوطدت صداقتهما مع الوقت، ثم اعتادت غالية توصيل فجر معها من وإلى المدرسة، إنها لا تكاد تشبع من صحبتها، تشعر أنها تكملها كما لو كانت نصفها الآخر لكن المناقض لها.. وقامت غالية من جلستها واتجهت إلى غرفة التبديل الخاصة بها، وأخذت تنظر مليا إلى ثوب المدرسة المعلق أمامها، وربتت على الثوب وقالت: بقي القليل لأودع هذا الزي إلى الأبد.. ياه سأكون أكثر فتيات الجامعة أناقة.. يوما ما..

■■2■■

فجر

وقفت فجر تحمل مكواة الملابس وهي تقوم بكي ثوبها المدرسي للغد، بدت رشيقة لطيفة الملامح ومرت بها والدتها وهي في وقفتها وابتسمت لها، لطالما كانت فجر ابنة بارة بوالديها، إنها الابنة البكر في العائلة وتصغرها أختها سارة وهي في الثانية عشرة من عمرها، وأخوها محمد وهو في السابعة، لم يكن والدها واسع الثراء، كان موظفاً حكوميا في إحدى الوزارات، ولم يكن يحب التجارة لطالما اختار الأب الجانب الآمن للاستثمار، لم يجرب حظه في بورصة الأسهم أو في شراء العقارات كما فعل عمها والد غالية بل اكتفى براتبه الحكومي الذي بالكاد يفي باحتياجات أسرته خاصة وأن زوجته لا تعمل بأمر منه، ورغم حب فجر الكبير لوالدها إلا أنها تعبتره كسولاً، لم تجد فيه صورة الرجل الذكي الناجح الجريء، إنه نموذج للجمود والاستسلام، بل يبدو قانعا بمستوى حياته المعيشي لدرجة أنه لا يريد الارتقاء به أبدا، ولم يثره نجاح أخيه وثراؤه الفاحش بل لم يدفعه ولو على سبيل التجربة إلى السير على خطاه والتحرر من جموده.

لكن فجر تملك شخصية مختلفة عن والديها، إنها طموحة إلى أقصى الحدود، تريد كيانا خاصا بها وتحلم بالتميز والجاه، تريد وظيفة تدر عليها دخلا كبيرا، تريد الوصول لمستوى اجتماعي عالٍ، وعرفت أن السبيل الوحيد لذلك هو دراستها وتفوقها، تريد أن تفعل ذلك بنفسها، وتذكر تعليق غالية على طموح فجر

واجتهادها لتحقيق أحلامها.. قالت لها غالية يوما: الأسهل لك أن تسعين للزواج برجل ثري يريحك من كل هذا العناء والتعب! لكن فجر لا تفكر هكذا، وإن أرادت الزواج فستختار رجلا طموحا مثلها يؤمن بحقها في تحقيق ذاتها وعملها، لا تريد رجلا يشتريها بماله، تريد أن تذوق طعم النجاح بنفسها، ونظرت فجر إلى ثوبها الطويل الفضفاض نوعا ما، إنها محجبة منذ كانت في العاشرة، وربتت على الثوب وقالت: إنها السنة النهائية في الثانوية، بات حلمي قريبا، سأعمل بكد وجهد.. لأدخل كلية الهندسة، وتنهدت.. وهي تحمل ثوبها بين يديها.

■■3■■

تهاني

في منزل متواضع مليء بصياح أطفال يتراكضون هنا وهناك وإزعاجهم يطغى على المكان، وقفت تهاني في منتصف حجرة أمها الجالسة أمام ماكينه لخياطة..

بدت تهاني جميلة، رغم آثار الدموع على خديها.. كانت تمسك بيدها ثوبا مدرسيا قديما وقالت بصوت باك: ماذا يعني هذا! كيف أعود إلى المدرسة هذه السنة وأنا أرتدي ثوب السنة الماضية القديم المهترئ!

وقالت أمها: يا ابنتي ارحميني من طلباتك التي لا تنتهي واتركيني أنهي طلبات الزبائن.

وصرخت تهاني وقد انبثقت الدموع من عينيها: تخيطين أثوابا للناس ولا تتعطفين على ابنتك بخياطة ثوب مدرسي جديد!. ماذا يقول الناس عني؟ لا أملك سوى ثوب واحد.. كم مرة رجوتك أن تخيطي ثوبا جديدا لي..

وصمتت الأم قليلاً ثم قالت: يا ابنتي أنت أعلم بالحال، الوقت ضيق، ولدي طلبات كثيرة للزبائن، غير رعاية إخوتك الصغار، بالإضافة إلى أعمال المنزل، التي لا تنتهي، لا أدري ماذا أفعل وماذا أترك؟

وعادت تهاني تصرخ: مادمت تعرفين أن أبي بخيل بالكاد

يصرف فلسا على مصروف المنزل، وتعرفين أنه لا يرضى بإحضار خادمة لتساعدك، لِمَ أنجبتِ ستة أطفال، لماذا؟ إنه ذنبك يا أمي.. وها أنا أمامك حقيبتي قديمة وحذائي متهالك وثوبي مهترئ، أكاد أموت خجلاً أمام زميلاتي.. متى يأتي الفرج يا إلهي..

وتركت تهاني والدتها وخرجت من الغرفة وهي تدق الأرض بقدميها واتجهت إلى غرفتها.. إنها غرفة تتشارك فيها مع أختيها الصغيرتين وتقابلها غرفة أخرى لأخوتها الصبيان.. وبدت الغرفة كجناح عمومي في مستشفى بأسرّتها الحديدية الضيقة ودواليبها الخشبية القديمة.. وتقدمت تهاني من المرآة المكسرة الأطراف والمعلقة على ضلفة دولابها الخارجية، ونظرت إلى نفسها طويلا.. إنها تعرف أنها جميلة، بل هي أجمل فتاة في المدرسة بلا منازع، بشرتها صافية بيضاء، وعيناها واسعتان عسليتان وشعرها أملس ناعم وهي طويلة رشيقة، بل إن لها معجبات من الطالبات الأصغر سنا ويمطرونها بالورود ورسائل الإعجاب، لكنها تحس بالنقص دائما، فحقيبتها قديمة وحذاؤها كالح وجواربها مهترئة وثوبها المدرسي تكاد لا تغيره، كل ذلك رغم أنها تنتمي إلى عائلة كبيرة معروفة، لكن والدها بخيل إلى أبعد الحدود لقد تزوج والدتها وهي في سن صغيرة وأنجبا تهاني مباشرة بعد عام من الزواج وكانت تهاني نسخة من أمها، ورثت جمالها وحسنها، وبعد ذلك بدأت المشاكل بين والديها بسبب شح أبيها وبخله الشديدين، وتفاقمت المشاكل حتى وصلت إلى الطلاق.. لقد انفصل والداها لمدة عام كامل، ذاقت

الأم خلالها الويل من حمل لقب المرأة المطلقة ونظرة الناس إليها، حتى أهلها لم يكفوا عن لومها ومعاملتها كمن ارتكبت جريمة، أصبحوا يخجلون منها ويضطهدونها، وفي تلك الفترة تعلمت والدتها الخياطة حتى تعيل نفسها وابنتها، وبعد ذلك عاد الأب إليها نادما يرجوها أن تعود إليه ويعدها بأن يتغير ويفعل ما يرضيها، وضغط عليها أهلها وأخيرا عادت إليه، لم يتغير أبدا.. لكنها هي من تغيرت.. ابتلعت حزنها وشكواها وبدأت تعمل بكد لتنفق على أسرتها التي كبرت مع الوقت لتشمل خمسة أبناء آخرين لا ذنب لهم في الفقر والعوز الذين وجدوا أنفسهم فيه، لم يكن الأب فقيرا، كان يمتلك محلا لبيع الأقمشة ويحصل على دخل جيد لكن البخل طبعه ولا فائدة ترجى من أن يتغير.

إن الأب يعتبر طلب المال منه بمثابة شتيمة فاحشة وجهت إليه فيثور في وجه الطالب ويتهمه بالإسراف والتبذير، كما أن له يدا طويلة لا ترحم ولا تقل بطشا عن لسانه البذيء.. وأمسكت تهاني ثوبها المدرسي القديم، وأخذت خيطا وإبرة من صندوق الخياطة الصغير الذي تحتفظ به في درجها وأخذت ترتق ثوبها وهي تهمس: يا ربي متى ينتهي كابوس البخل والفقر الذي أعيش فيه.. ورفعت ناظريها نحو السماء وعيناها مليئتان بالخيبة.. والدموع.. والثوب المتهالك قابع على ركبتيها.

■■4■■

أوراد

في منزل يعكس سعة الحال. وقفت أوراد أمام باب مغلق لإحدى الغرف وطرقت الباب بطريقة منغمة وهي لا تكاد تقف في مكانها.. ولم يجب عليها أحد، وبعد برهة عادت تطرق الباب ثانية.. وأخيرا جاءها صوت شاب من الداخل: من؟ فقالت: أنا أوراد...

وسمعت صوت قفل يدور في الباب وفتح الباب شاب طويل وسيم يضج بالصخب والحياة: ماذا تريدين؟

ابتسمت أوراد وعيناها تتعلقان بقامته الطويلة: ألا تسمح لي بالدخول؟

وابتعد عن الباب ليفسح لها المجال لتدخل غرفته، إنه أخوها الوحيد ويكبرها بخمس سنوات، إنه في الثانية والعشرين من عمره، وليس لها أخوة غيره، فقط هي ونواف، وقد سافر نواف منذ أربعة أعوام للدراسة في أمريكا على حساب والده الخاص بعد أن رفضته جامعة الكويت لتدني معدله الدراسي، ولكنه لم يوفق في دراسته، يبدو أنه لم يأخذ دراسته على محمل الجد، لا أحد يعرف لم تعثرت دراسته، ورغم الأموال الطائلة التي صرفها والده عليه ليتم تعليمه إلا أنه لم يفلح أبدا، وذهب والده إلى أمريكا لدراسة وضعه هناك وقاما بنقله إلى جامعة أخرى في ولاية أخرى بلا جدوى وأخيرا عاد نواف إلى الكويت بعد أن

ضيع دراسته ومال أبيه هدرا، والتحق بكلية خاصة ومازال أمامه مشوار طويل ليتخرج من كليته الجديدة ويبدأ حياته العملية.

ورغم فرحة والدته بعودته إلى أحضانها إلا أن والده بدا محبطا خائب الأمل بعودة ابنه خالي الوفاض وبلا شهادة جامعية، وعاد نواف يملأ المنزل صخبا وضجة كما كان، واشترت له والدته سيارة رياضية فخمة رغم اعتراض والده، لكن تدليل والدته وحبها له جعلاها طوع بنانه، فابنها بالنسبة إليها هو أغلى وأعز من أي كان حتى من زوجها.

بدت غرفة نواف واسعة وخافتة الأضواء، قد وضع كمبيوترا حديثا على طاولة المكتب الخاص به، والأغاني الأجنبية تصدح في الغرفة وبدا نواف بهيئته وثيابه أقرب منه إلى شاب أجنبي.. شعره مهووش فوق رأسه، ويرتدي بلوزة ضيقة تكاد تكون بلا أكمام فتبرز تحتها عضلاته القوية وقد تدلى بنطاله الفضفاض أسفل خصره، وارتدى ساعة معصم ضخمة مليئة بالأزرار، وربط على معصمه الآخر سوارا جلديا يحمل علامات غريبة، ورغم مظهره الغريب بدا وسيما رائعا، كبطل في أحد الأفلام السينمائية، ونظرت أوراد إلى أخيها بإعجاب.. إن أوراد على نقيض نواف تماما.. هو أسمر البشرة، وهي بيضاء تميل إلى اللون الحنطي الأصفر.. شعره كثيفة داكن وشعرها خفيف فاتح ناعم، عيناه واسعتان جميلتان، وعيناها مستديرتان عاديتان، والاختلاف الأكبر بينهما هو اختلاف الشخصية، نواف مرح ضاحك يضج بالعبث وحب الحياة واللهو، وهو مستهتر فيما يخص دراسته ومستقبله في حين أن أوراد هادئة رزينة، يكاد

المرء ينساها بمجرد أن تغيب عن ناظريه، وهي تدرس بجد واجتهاد ولا تتهاون فيما يخص دراستها، لذلك لم تستطع أوراد سد الفراغ، الذي تركه نواف في البيت عندما سافر إلى الخارج، بل بدت أكثر هدوءا وأكثر انطواء، ورغم اهتمام والديها بها فهي وحديتهما أيضاً، إلا أنها بدت كأنها تعيش في عالم خاص بها، إنها هادئة منعزلة وكأن هناك قيودا تمنعها من الانطلاق في اللهو كغيرها ممن في عمرها، وكانت أوراد سعيدة كل السعادة بعودة نواف، إنها معجبة به إلى أبعد الحدود، وهي فخورة به، وتحبه من كل قلبها، وكان هو أيضا يحبها ويشفق عليها ويراها مثالا للأخلاق والالتزام.

وقالت أوراد: غدا سأبدأ الدراسة.. إنها السنة النهائية لي في الثانوية.. ما رأيك أن تأتي لتأخذني من المدرسة في نهاية الدوام؟

فقال نواف ضاحكا: يا سلام، ولِمَ هذا الطلب؟

فقالت بخجل: أريد أن يراني الجميع بصحبتك في سيارتك الجديدة، ستحدث ضجة بين البنات إن أتيت، ثم أنك لن تخسر شيئا إن نفذت طلبي.. هيا أرجوك وافق لأجلي؟

وضحك نواف بشقاوة وقال: حسنا، كم أخت لدي لأدللها.. حاضر يا مولاتي.

وفرحت أوراد ونظرت إليه بامتنان وحب وجرت إلى غرفتها وأخرجت ثوب المدرسة الجديد.. ونادت الخادمة لتقوم بكيه والسعادة ترقص على وجهها.

■■5■■

في المدرسة

بدت ساحة المدرسة مكتظة بالطالبات في وقت الفسحة التي تفصل بين الحصص الدراسية، وازدحمت الكافتيريا بالطالبات وهن يسلمن على زميلاتهن بعد غياب العطلة الصيفية، ووقفت غالية بثوبها الضيق ذي القماش الغالي وقد عقصت شعرها ووضعت نظارتها الشمسية ذات الماركة العالمية الشهيرة فوق رأسها، وارتدت حلقا دائريا صغيرا من احدى الماركات وساعة باهظة الثمن وبدا حذاؤها لامعا غاليا وقد ارتدت جوارب قصيرة جميلة.. كانت غالية تقف مع فجر بالقرب من إحدى الطاولات، وقد وقفت معهما زميلة لفجر لتسألها عن إحدى المواد، وبدت غالية متململة من وجود تلك الزميلة، ثم أشرق وجهها فجأة عندما لمحت أوراد، وأشارت لها بيدها كي تراها، وهرولت أوراد نحوهما والسعادة تلمع على وجهها، إن أوراد معجبة بغالية وتحبها كل الحب وترى فيها الشخصية الجميلة التي كانت تود لو أنها تملكها هي، ولتقارب مستواهما الاجتماعي، ارتاحت لها غالية بالمقابل خاصة وهي تلمس مدى إعجاب أوراد بها وإكبارها لها، وسلمت البنات على بعضهن بحرارة وجلسن معا يتحدثن وأخذت غالية تحكي عن لندن وأسواق لندن التي قضت الصيف في ربوعها في حين أن أوراد لم تسافر هذه السنة بسبب عودة أخيها نواف من الخارج رغم اعتيادها على قضاء الصيف في فرنسا.

وفجأة هتفت فجر: ها هي تهاني هناك، ورفعت صوتها تنادي: تهاني.. تهاني..

وانقبض قلب غالية.. إنها لا تحب تهاني أبدا، تشعر بها كشيء ينغص عليها حياتها، إنها تغار من جمالها وسحرها، صحيح أن غالية جميلة أيضا لكن تهاني تفوق الجميع جمالا، كما أنها مشهورة بلقب ملكة جمال المدرسة، وكانت غالية تكاد تختنق كلما سمعت أحدا يطري على تهاني وجمالها، وكانت في داخلها تتمنى لو انتقلت تهاني إلى مدرسة أخرى، وأشد ما كان يقلقها أن تدخل معها إلى كلية واحدة بعد التخرج، كانت لا تطيق هذه الفكرة، إن فجر تريد دراسة الهندسة، وغالية تريد دخول كلية العلوم الإدارية وأوراد تريد ذلك أيضا لمجرد أن غالية اختارت هذه الكلية! أما تهاني فهي لا تفصح عن نواياها تقول إنها محتارة بين العلوم الإدارية وكلية الحقوق، لطالما دعت غالية بينها وبين نفسها أن تدخل كلية الحقوق وتبتعد عن حياتها.. وكانت تهاني قريبة من فجر، تحكي لها وترتاح إليها، ولذلك اضطرت غالية لتحمل وجودها بينهن لأنها لم تجد سببا واضحا لمبادلتها العداء، فتهاني تعاملها بلطف وتجاملها وتداريها رغم أن غالية أحيانا تتعمد إحراجها أو إغاظتها في بعض المواقف.. والتفت تهاني نحو صديقاتها وبدت سعيدة وهي تتجه للسلام عليهن.. لقد فاجأتها أمها هذا الصباح بثوب مدرسي جديد قضت الليل وهي تقوم بتفصيله وخياطته إكراما لخاطر ابنتها.. وكادت تهاني تطير فرحا بالثوب وانهالت على أمها تقبيلاً، على الأقل لديها ثوب جديد تبدأ به عامها الدراسي بلا خجل.

وجلست تهاني معهن ونظرات الفتيات لا تكف عن تفحصها.. وقالت لها غالية بلهجة متعالية: أخبرينا يا تهاني.. أين قضيت الصيف؟

فقالت تهاني بثقة: قضيت الصيف في بلدي.. هنا في الكويت، لا أعلم لماذا يسافر الناس والكويت لا ينقصها شيء.

فعادت غالية تقول بسخرية: بالله عليك.. كيف لا ينقصها شيء! ألا تحسين بحرارة الجو.. إنها جهنم بعينها في الصيف!

وردت تهاني: كل المجمعات مكيفة، نحن لا نحس بالشمس بتاتا..

ثم رفعت غالية ساقها ووضعتها على الساق الأخرى كأنها تظهر حذاءها الجديد لتهاني وهي تنظر شذرا إلى حذاء تهاني المتهالك.. وفهمت تهاني نظراتها ومغزاها، لكنها لم تعرها اهتماما، وبدت متماسكة رغم رغبتها بصفع غالية المتكبرة وضربها بحذائها ذاته!

وانطلقت تهاني تحادث فجر، وشعرت بالفرق بين الاثنتين، كم تختلف مبادئ كل منهما، أما أوراد فانزوت بجوار غالية بلا أي كلمة أو حديث.. كأن جلوسها بجوار غالية يكفيها ويغنيها عن أي شيء آخر!

وأخيرا انتهت الفسحة وتفرق شمل الفتيات كل واحدة إلى صفها.

■■6■■

في نهاية الدوام

وانتهى اليوم المدرسي وخرجت الطالبات معا.. كان سائق غالية يأتي باكرا عادة ويقف مقابل الباب تماما، فتغادر هي وفجر باكرا، أما تهاني فكانت تعود ماشية لقرب منزلها من المدرسة وترفض دائما أن تقوم إحدى زميلاتها بتوصيلها، إنها تحاول إيهام الجميع أنها تفضل المشي كرياضة يومية لها وكعادة لا تستغني عنها، أما أوراد فعادة تأتي أمها لأخذها لكن أخاها نواف آت اليوم لأخذها، وهمست أوراد لغالية بصوت مبهور: سيأتي أخي لأخذي.. قالت غالية: حقا! ألم يصل حتى الآن؟

فتلفتت أوراد حولها بحيرة وقالت: لا أظنه وصل! وما إن انتهت من جملتها حتى ظهر نواف في الشارع المقابل للمدرسة، تقدم بسيارته الفارهة وقد كشف غطاء السيارة المتحرك، ليظهر كأحد ممثلي السينما بشبابه ووسامته وسيارته الغالية، وانخلعت قلوب البنات! من هذا الشاب؟ والكل ينظر نحوه، وابتسمت أوراد وهي تشير نحوه وتقول لغالية: هذا هو أخي نواف! وبهرت غالية! معقول كل هذه الحيوية تتدفق من هذا الشاب، وكل تلك الجاذبية يمتلكها نواف في حين أن أخته فتاة هادئة لا تلفت انتباه أحد!

وقالت فجر: هيا يا غالية تأخرنا.

وارتبكت غالية وهي تقول: السبب أوراد، أرادتني أن انتظر إلى حين وصول أخيها، يبدو أنها خافت ألا يأتي وينسى وعده لها!

وتقدمت أوراد نحو سيارة أخيها وركبت معه، ومع يومها تغيرت نظرة البنات إليها!

■■ 7 ■■

غالية منزعجة وقلقة!

وعادت غالية إلى منزلها في ذلك اليوم وصورة نواف في سيارته الفارهة لا تفارق خيالها، ياه ما أجمله، كم هو وسيم، لقد أعجبها، أعجبها بحق، إنه مثال للشاب المتحضر الراقي في نظرها، لم تتوقع أن لأوراد أخا مثله، ترى هل سيأتي لأخذها كل يوم! وتمنت أن يأتي في الغد.. لقد أثارها ذلك الشاب كثيرا، ترى هل سيعجب بها لو رآها! وكيف يراها! وقطعت والدتها تأملاتها وهي تدخل عليها قائلة: عدت حبيبتي؟ كيف كان يومك؟

قالت غالية: بخير يا أمي، هل عاد أبي؟

فقالت الأم بقلق: عاد قبل موعده اليوم، يبدو متعباً جداً، لا أعرف ما به، يقول إنه مجرد إرهاق في العمل.

غالية: لِمَ أنت قلقة إذن؟

الأم: لا أدري، لكنه متعب منذ مدة طويلة ويعاني أعراضاً غريبة، ووجهه شاحب أصفر، ويرفض إجراء فحوصات طبية للاطمئنان على صحته.

ونهضت غالية وقد استولى القلق عليها أيضا وهي تقول: سأذهب لأراه.. يجب أن يرى طبيبا.

■■■8■■■

في اليوم التالي

في اليوم التالي بدت غالية قلقة شاحبة وهي تجلس في السيارة مع فجر التي ما إن رأتها حتى سألتها عما ألم بها؟

قالت غالية: إنه أبي يا فجر، أخبرتني أمي أنه متعب منذ فترة، ويكابر على تعبه ويرفض الذهاب إلى الطبيب، وقد رجع في الأمس من عمله باكرا ودخل غرفته، وعندما ذهبت لرؤيته هالني شحوب وجهه لدرجة أنني بكيت حتى يوافق على الذهاب إلى الطبيب وعمل الفحوصات اللازمة للاطمئنان على صحته.

وجزعت فجر على عمها وقالت: وهل ذهب؟

غالية: سيذهب مع أمي هذا الصباح.. وأنا قلقة عليه أشد القلق!

ومدت فجر يدها وربتت على يد ابنة عمها وقالت: اهدئي يا عزيزتي وتفاءلي بالخير تجديه، لا تخافي قد يكون مجرد إجهاد من العمل أو ما شابه، لا داعي لكل هذا القلق، ورفعت غالية رأسها إلى السماء وهتفت: يا رب..

ومر ذلك اليوم بطيئا وفي الكافتيريا جلست أوراد إلى جوار غالية التي ما أن رأتها حتى تذكرت أخاها الذي فتنها بالأمس، لقد نسيت أمره لقلقها على أبيها، قالت أوراد إن الكثير من الطالبات سألنها عن أخيها وحاولن معرفة معلومات عنه، وبدت

أوراد سعيدة باهتمام الطالبات المفاجئ بها ومعاملتهن الرقيقة لها.. وأخبرت غالية أن أخاها وعدها أن يأتي لأخذها كل أحد وثلاثاء ابتداء من الأسبوع المقبل، لأن محاضراته في هذه الأيام تنتهي باكرا مما يسمح له بالقدوم لأخذها.. ودق قلب غالية، إذن ستراه.. ستراه كثيرا وشعرت ببعض التحسن في يومها الكئيب.

ولم تظهر تهاني في هذا اليوم وارتاحت غالية لذلك، إن تهاني تثير مشاعرها، وهي في حالة غير جيدة اليوم، ولن تطيق رؤية ملكة جمال المدرسة!

وانتهى اليوم الدراسي وعادت غالية مسرعة واللهفة تطغى عليها للاطمئنان على أبيها، ولم تجد أحداً في المنزل، واتصلت على الهاتف النقال لوالدتها والقلق يعصف بها، وأجابت والدتها بصوت خافت وهي تقول لابنتها أن الطبيب أصر على دخول والدها إلى المستشفى لإجراء الفحوصات اللازمة، وقد تقرر إجراء قسطرة له في الغد، إنه قلبه، قلبه مريض والطبيب يريد معاينة شرايينه لمعرفة علته.

وانهارت غالية تبكي.. وأمها تحاول تهدئتها، ثم اتصلت الأم بفجر ورجتها أن تذهب إلى غالية والاعتناء بها، وفعلاً أخبرت فجر والدتها بما حدث فذهب أبوها إلى أخيه والد غالية في المستشفى، أما فجر فقد أوصلتها أمها لتبقى مع غالية لتهدئتها والاعتناء بها.

■■9■■

الشريان التاجي

لم تذهب غالية إلى المدرسة في اليوم التالي بل ذهبت إلى المستشفى لتبقى مع والدتها.. وأجريت القسطرة لوالدها واجتمع الطبيب بأمها ليخبرها أن والدها يعاني من انسداد خطير في الشريان التاجي، وأن قلبه في حالة حرجة ويجب الإسراع في سفره إلى أمريكا لإجراء جراحة دقيقة له هناك!

وبكت الأم كثيرا وهي تخبر غالية بالأمر وخيم الحزن على قلب غالية.. إن قلب أبيها مريض.. القلب هو الحياة، وحياته في خطر، ودعت الله أن يشفي أباها ويحفظه لها.

وبدأت العائلة بالاستعداد للسفر، من مراسلة طبيب في الخارج وإرسال التقارير الطبية التي تثبت حالة الأب، ومن ثم استخراج تأشيرات السفر إلى الولايات المتحدة وغيرها من الإجراءات.

وعرفت صديقات غالية بمرض والدها وحزن كثيرا لحالها، وأظهرن لها كل الود والدعم كزميلة عزيزة على قلوبهن وبالأخص فجر التي كانت لا تكاد تفارقها فتأتي إليها يوميا، ليذاكرا معا ولتخفف عنها قلقها وخوفها، وفي إحدى الليالي دخلت الأم على غالية وجلست على سريرها وقالت: تعرفين أننا سنسافر الأسبوع المقبل للعلاج، ولن تستطيعي السفر معنا بسبب دراستك والتي أريد منك التركيز عليها في هذه الفترة، وكما تعرفين سأذهب أنا

وعمك والد فجر كمرافقين لأبيك في سفره، وليس من المعقول أن تبقي وحدك في المنزل، لذا أردت أن اقترح عليك البقاء في منزل عمك خلال فترة سفرنا، ما رأيك؟ أعرف كم تحبين فجر وأظنك سترتاحين للإقامة في منزلها.

ولم تمانع غالية... إن فجر هي الأقرب إليها، إنها ستقيم في منزل عمها، كما أن منزلهم في المنطقة نفسها بحيث تستطيع القدوم لأخذ ما تحتاج إليه في أي وقت، وهي أساسا تخاف البقاء وحدها كما أنه أمر غير لائق بالتأكيد، وأخبرت الأم غالية أن أباها كلم عمها بالموضوع وأبدى كل الترحيب لوجود غالية بين أفراد أسرته.

واحتضنت الأم ابنتها وانهمرت دموع الاثنتين، فلأول مرة ستفترق عن أمها وأبيها وتنام بعيدا عنهما، بل سيكونان في بلد بعيد عنها في آخر الدنيا، وشعرت بالاضطراب كونها ستغير نمط حياتها وتعيش مع عائلة أخرى، صحيح أنه بيت عمها لكنها لا تتخيل نفسها فردا منهم، كيف ستكون الحياة هناك؟ ودعت الله مخلصة أن يعيد والديها بالسلامة لتعود حياتها إلى طبيعتها.

■■10■■

عرس تهاني

جلست تهاني تحاول التركيز في حل واجباتها وسط إزعاج إخوتها الذي لا ينتهي وصراخهم الذي لا يصمت، وهي تحاول جاهدة أن تستوعب ما تقرأه والضيق يملأ ملامح وجهها.. ودخلت والدتها غرفتها وأغلقت الباب بهدوء وتقدمت نحو تهاني الجالسة على مكتب قديم فجلست على كرسي مقابل لها وقالت: تهاني.. أريد التحدث معك بموضوع مهم.

تهاني: خير؟ ماذا هناك؟

الأم: لقد تقدم لأبيك شاب رائع للزواج منك، ووالدك موافق ويراه كفؤا لك، شاب متعلم من عائلة كبيرة.. ما رأيك؟

وقالت تهاني دون اكتراث: تعرفين رأيي في هذا الموضوع.

إن سيل الخُطّاب لا يكف عنها، وهي ترفض الزواج كلياً، لا تريد الزواج إلا بعد التخرج من الجامعة، تريد شهادة تغنيها عن الحاجة إلى رجل يصرف عليها، لا تريد أن تكون مثل أمها ولا أن تعيش تحت رحمة رجل يذلها لينفق عليها مهما كان.

كان والدها يتشاجر معها لرفضها للعرسان الواحد تلو الآخر، ولا يكف عن شتمها بل إنه ضربها مراراً لتذعن لأمره لكنها لم توافق أبداً ولم تستسلم له وكانت تهدده بالهرب ليلة عرسها أو حتى قتل نفسها، وكان والدها يخافها، فهي تبدو جادة في

رفضها وتدافع عن نفسها كنمرة جريحة متوحشة وكانت الأم دائماً تقف في صف ابنتها رغم عدم اقتناعها بمبررات تهاني في رفضها للزواج.

وحاولت الأم إقناعها بلا فائدة وأخيراً قالت تهاني بسأم:

قولي لأبي إنني غير موافقة ولن أوافق مهما فعل بي ولا داعي للزوابع التي يثيرها كل مرة لتزويجي.. فقد اعتدت على ضربه وشتائمه.

فقالت الأم: يا ابنتي إن ما يفعله من حرصه وخوفه عليك.

فقالت تهاني بتهكم: بل من حرصه وخوفه على النقود القليلة التي يصرفها عليّ ولو كان الأمر بيده لحرمني حتى من الأكل.

وتنهدت الأم: ما هذا الكلام يا ابنتي، اتقي الله إنه أباك!

فقالت تهاني بحزم: لقد قلت رأيي.. لن أتزوج إلا بعد أن أضمن شهادتي، وهذا قراري النهائي.

وخرجت الأم ورأسها منكس، وقامت تهاني، ووقفت أمام مرآتها المكسورة، وقالت بإصرار: أنا فتاة قوية، شجاعة، لن أرضخ لرجل ولن أسمح لأحد بإجباري على ما لا أريد، أنا فتاة حرة أبيّة كما أراد الله لي أن أكون..

■■ 11 ■■

في منزل فجر

كانت فجر سعيدة بقدوم غالية للعيش معها، وقد انتقلت أختها سارة التي كانت تنام معها للنوم في غرفة أمها مادام والدها سيسافر برفقة أخيه للعلاج، ستنام غالية معها بدلاً من سارة، وقامت فجر أيضاً بنقل ملابس سارة مؤقتاً إلى دولاب والدتها الكبير لتفسح مكاناً لملابس غالية، إن أجمل ما في الموضوع بقاؤها مع غالية وحدهما في الغرفة.

ووصلت غالية وعيناها محمرتان من البكاء فقد ودعت والديها للتو، وحملت الخادمة حقيبتها الكبيرة إلى غرفة فجر، أما زوجة عمها فقد احتضنتها بحنان وود وهي ترحب بقدومها، والتصقت سارة الصغيرة بغالية كظلها حتى طردتها فجر طرداً من غرفتها لتتمكن غالية من ترتيب أغراضها أما محمد الصغير فبدا مبهوراً بوجود أخت جديدة معهم في البيت كما أخبرته أمه!

وفي أول ليلة لم تنم الفتاتان جيداً فقد قضتا معظم الليل تتحادثان وتتسامران.. ونهضتا في الصباح بصعوبة وارتدتا ملابس المدرسة وأتى سائق غالية لتوصيلهما معا كعادتهما كل صباح إلى المدرسة، كانت أم غالية تقوم بتوصيل سارة ومحمد كل صباح، إن نظام هذا المنزل يختلف عن منزل غالية، فوالدة فجر تصحو باكراً في الخامسة صباحاً وتشرف على إعداد فطور أولادها وحقائبهم وتوقظهم بنفسها وتوصلهم إلى المدارس رغم أن توصيلهم كان

من مهام الأب كل صباح وتتولى هي إحضارهم في آخر الدوام المدرسي لكن سفر الأب جعلها تقوم بهذا العبء الآن.. إن زوجة عمها نشيطة جداً مقارنة بوالدتها التي لا تصحو من نومها قبل الحادية عشرة ظهراً كل يوم، فمنذ كبرت غالية ودخلت الثانوية اعتادت على الاستيقاظ وحدها للمدرسة ولم تعتد على تناول إفطارها في المنزل قبل الخروج، كانت تكتفي بقطعة بسكويت تأكلها في الطريق كل يوم حتى يحين وقت الأكل في المدرسة.

وعندما عادت غالية من المدرسة تفاجأت أن أم فجر هي التي تطهو طعام الغداء بنفسها، ورغم أن طريقة إعداد المائدة ونوعية الصحون والأواني أقل مستوى من مائدة منزل غالية إلا أن الطعام بدا ألذ بكثير في منزل فجر، حتى إن غالية أكلت أكثر مما اعتادت عليه، فشعرت بالامتلاء، وقالت ضاحكة: طعامكم لذيذ، أرجو أن لا أتحول إلى بطة سمينة مع الوقت، وفرحت أم فجر بالإطراء وقالت: بألف عافية يا عزيزتي.. ولم تشعر غالية بالغربة في منزل عمها بل على العكس أحست بالألفة والأنس.. إنها تعيش جواً جديداً عليها، فقد اعتادت العيش وحدها بلا إخوة يؤنسون وحدتها، لكنها الآن محاطة بأسرة جميلة تكاد لا تتركها وحدها أبداً.

ومرّ يومان عندما قررت غالية الذهاب إلى منزل والديها لإحضار بعض الأغراض وتفقد البيت والخدم، يجب أن يشعروا بوجود شخص يطل عليهم بين حين وحين ليراقبهم ورافقتها فجر إلى هناك وشعرت ببيتها موحشاً بلا والديها وهادئاً بلا روح، فجزعت من هذا الإحساس.

إن المنزل يبدو مهجوراً حزينا وتمنت لو عاد والداها سريعاً، إن والدتها تتصل بها يومياً وقد تحدد موعد عملية أبيها بعد أسبوعين تماماً، وهي قلقة عليه كثيراً، لكن وجودها بين أسرة فجر كان يخفف عنها وطأة القلق والتفكير، وعادت غالية إلى منزل عمها وكانت زوجة عمها تعد طعام العشاء، وبعد أن بدلت ملابسها مع فجر توجهت معها إلى المطبخ لمساعدة الأم، أمر جديد عليها أن تدخل المطبخ، إنها لا تدخل مطبخ منزلهم إلا لشرب الماء، هذا إن كانت الخادمة نائمة أو ما شابه، فكل شيء يأتيها بمجرد أن تطلبه وطلبت الأم من فجر إعداد السلطة وأخرجت فجر الخس والخيار والطماطم وبدأت في غسلها وغالية تنظر إليها بدهشة وبلاهة كمن يرى عملاً معقداً يستحق العجب!

وبدأت فجر في تقشير الخيار بأيد خبيرة وسرعة كبيرة، فتقدمت غالية وقالت: دعيني أساعدك، فضحكت فجر وقالت تداعبها: لا يا مولاتي، كلنا هنا لخدمتك، فقالت الأم: دعيها تجرب يا فجر وكفاك تهريجاً، وأمسكت غالية سكين المطبخ لأول مرة في حياتها وبدأت تحاول تقشير الخيار، كانت تقتطع معظم اللب مع القشر وبدت مرتبكة مضحكة، وأخيراً استسلمت وسط تعليقات فجر المضحكة على طريقة تقشيرها، وتركت إعداد السلطة لفجر.

وجلس أفراد الأسرة حول مائدة العشاء وهم يتندرون على محاولة غالية للتقشير وغالية تضحك وتتحدى فجر بأنها سوف تجيد تقشير الخيار وستغلبها في يوم ما..

■ ■ 12 ■ ■

أسبوع بمر

مر أسبوع على إقامة غالية في منزل فجر، وفي أحد الأيام كانت الفتيات جالسات في الكافتيريا عندما قالت فجر: ألم تلاحظن أن تهاني غائبة عن المدرسة منذ يومين، لا أعرف ما بها!

فقالت أوراد: ربما هي مريضة، ألم تتصلي بها؟

فجر: سأحاول الاتصال بها اليوم، يجب أن نسأل عنها.

ولم تعلق غالية على حديثهما، وفي آخر الدوام - وكان يوم ثلاثاء - طلبت أوراد من صديقتيها التأخر معها قليلاً، لأن أخاها سيأتي لأخذها متأخراً بعض الشيء، فقالت فجر: لِمَ إذن لم تطلبي من والدتك الحضور لأخذك؟

فقالت أوراد ضاحكة: لا أريد أن يجدها نواف حجة لعدم أخذي من المدرسة كل أحد وثلاثاء. و وقفت البنتان مع أوراد إلى حين وصول أخيها، لم تره غالية منذ ذلك اليوم الذي لفت انتباهها فيه وشغلها، لقد انشغلت عنه بالظروف التي مرت بها فكانت تغادر المدرسة مباشرة بمجرد انتهاء الدوام بصحبة فجر مع السائق، فلم يصدف أن انتظرت إلى حين مغادرة أوراد معه حتى تراه، ووقفت غالية متململة من الانتظار، لقد تأخر كثيراً، واقترحت على أوراد أن تقوم بتوصيلها إلى منزلها، لكن أوراد أصرت على انتظار أخيها الذي أكد لها أنه آتٍ.

وفعلاً وصل نواف بسيارته الفارهة، لم يقف في الشارع المقابل للمدرسة هذه المرة، بل تقدم بسيارته تماماً إلى حيث مدخل المدرسة بجوار الفتيات الثلاث، فقد خلا الشارع من السيارات تقريباً لتأخر الوقت.

وقفزت أوراد لتركب معه وهي تقول له معاتبة: تأخرت كثيراً، اضطرت صديقتاي للبقاء معي حتى الآن، ونظر نواف ناحية غالية وفجر، وأشار لهما وهو يقول: أرجو المعذرة يا بنات.

والتقت عيناه بعيني غالية، وخفق قلبها بعنف إنه لا يبعد عينيه عنها، ويبدو أنه بهر بها، وأخيراً شدتها فجر ليركبا سيارة السائق ونواف لايزال واقفاً ينظر إليها، وركبتا السيارة، ثم مرّ نواف بسيارته بالقرب منهما، والتقت عينا غالية بعينيه ثانية، إنه يبتسم لها، وارتبكت، وأشاحت بوجهها عن النافذة ولم تلاحظ فجر شيئاً، كانت تستعجل الوصول إلى البيت وهي تفكر في أمها التي لا بد أن تكون قلقة لتأخرهما عن موعدهما المعتاد كل هذا الوقت..

■■13■■

أحزان تهاني

رفعت تهاني سماعة الهاتف وقالت: آلو..

وجاءها صوت فجر وهي تسألها: كيف حالك؟ افتقدتك في المدرسة واتصلت لأطمئن عليك.

ورفعت تهاني يدها وهي تتحسس آثار الكدمات على وجهها، وقالت وهي تتنهد: أنا متعبة قليلاً.. مريضة بعض الشيء وسآتي إلى المدرسة يوم السبت إن شاء الله.

وتبادلت الصديقتان بعض الأحاديث ثم أقفلتا الخط.

بقيت تهاني ساهمة بجوار الهاتف، لقد تشاجر معها والدها وأراد إرغامها على مقابلة العريس الذي تقدم للزواج منها ورفضت هي بكل عناد، ثم احتد النقاش بينهما وانهال عليها بالضرب وكاد يقتلها لولا تدخل والدتها بينهما التي كادت تنهار عندما شاهدت ما حل بابنتها من أذى.

ولم تر تهاني العريس الذي ذهب بلا رجعة، لكنها لم تستطع الذهاب إلى المدرسة وآثار الضرب ظاهرة في وجهها، فاضطرت أن تتغيب لحين شفائها من تلك الكدمات.

و زادها ما حدث لها قسوة وحزناً، إنها تعيش في سجن، وتعاني الظلم والقهر على يدي أبيها.

لقد أصبحت تكرهه وتتمنى اليوم الذي تتخلص فيه من

هذا البيت، وحاولت والدتها مواساتها، لكنها حزينة حتى النخاع، حزينة ومكسورة الخاطر.

لقد ملّت الحياة في بيت أبيها، ملّت حياة البخل والظلم، هل يكون الزواج مخرجاً لها؟ هل أخطأت عندما رفضت الزواج؟ لكن ماذا لو كان زوجها نسخة عن والدها؟ لا تريد الخضوع لرجل، ستتزوج فقط بعد أن تنهي دراستها وتحمل سلاحها الذي ستتصدى به للذل والهوان بين يدي أي رجل.. تريد أن تنفق على نفسها وتستقل ماديا ثم تفكر في الزواج!!

وابتسمت تهاني وهي تتذكر فجر، إنهما تشتركان معاً في حب الدراسة والرغبة في تحقيق الذات، لعل ذلك ما شد إحداهما إلى الأخرى، لقد جمعهما الطموح، وإن كانت حياة فجر أفضل بكثير من حياتها إلا أنها متعطشة لحياة أفضل، آه لو كان والدها كريماً سخياً، ليته كان أباً طيباً، إنه بخيل حتى بعواطفه، فالإنسان البخيل شحيح بكل شيء حتى في مشاعره التي لا تكلفه فلساً..

وصعدت تهاني إلى غرفتها وتمنت لو استطاعت زيارة فجر وتفريغ أحزانها على صدرها، إنها تثق في فجر وتعرف أنها تكتم السر فلم يعرف أحد في المدرسة عن معاناة تهاني وبخل والدها، ربما لاحظو ثيابها الرثة وأدواتها المستهلكة لكن أحداً لم يسمع شكواها سوى فجر التي احتفظت بسرها في صدرها، وتذكرت تهاني أن غالية تقيم الآن في منزل فجر فانقبض قلبها، لم تحب أبداً تلك الفتاة المتعجرفة المدللة الغيورة التي لا تترك مناسبة تمر دون إغاظتها، ولولا حبها واحترامها لفجر ما كانت تحملتها أبداً.. لكن.. لأجل عين ألف عين تكرم..

■■14■■

يوم العملية

كان يوم خميس، إنه يوم عملية والد غالية في أمريكا، ستبدأ العملية في الرابعة عصراً بتوقيت الكويت، وتستغرق ست ساعات متواصلة، ياله من يوم، ومنذ صحت غالية من نومها وقلبها مقبوض والخوف يكاد يقتلها، إنه أبوها الغالي، سندها وحبيبها، وحياته في خطر وأمها معه وحدها في موقف صعب كهذا، و رق قلبها وهي تتخيل حال أمها، صحيح أن عمها هناك، لكنها تمنت لو كانت بجوار أمها في وقت حرج كهذا، وحكت لفجر ما يجول في نفسها من خواطر وأفكار، وأخذت فجر تحثها على قراءة الأدعية وصلاة الحاجة، وجاء وقت الغداء ولم تأكل غالية شيئاً، شعرت بمعدتها مقبوضة، وحاولت زوجة عمها تهدئتها، والكل يحاول الترفيه عنها، وفي الثالثة عصراً، اتصلت بوالدتها وبدا صوتها مهتزاً وطلبت التحدث إلى أبيها، من يدري إن كانت ستسمع صوته ثانية أم لا، لكن والدتها اعتذرت لها أن أباها لا يستطيع الحديث لأنه يحضر نفسه للعملية، وبكت غالية، بكت عجزها وضعفها وبكت أمها معها، بكت خوفها وجزعها، وأوصتها والدتها بالدعاء والصلاة، وفعلاً جلست غالية تصلي، وشعرت بالخجل إنها غير مواظبة على صلاتها اليومية، وكثيرا ما انقطعت عنها أو تكاسلت عن أدائها وها هي اليوم تلجأ إلى الصلاة لتدعو ربها في حاجة لها، وشعرت أن دعاءها غير مستجاب فزاد بكاؤها، واقتربت منها فجر كأنها أحست بما تفكر به، واحتضنتها وهي

تقول: هيا يا غالية، صلي وعاهدي الله أن لا تهملي صلاتك بعد اليوم، توبي إليه، إنه سبحانه لا يرد سائلاً، وثقي أن الدعاء كله مجاب...

وقالت غالية من خلال بكاء شديد: أخاف أن لا يستجيب الله لي.

ورتبت فجر على ظهرها وهي تقول: إن الله يستجيب للعاصي والكافر بل إنه استجاب لإبليس وهو أبغض خلقه، فكيف لا يستجيب لك، لا تقنطي وتوجهي بالدعاء بإخلاص وسينجو أبوك بفضل الله ورحمته إن شاء الله.

وفعلاً هدأت غالية.. وصلت.. صلت كثيراً وفجر تصلي أيضاً وزوجة عمها تقرأ الأدعية ثم انضمت الفتاتان إليها في دعاء جماعي ومرت الساعات بطيئة وجاء وقت المغرب، وبعد الصلاة قامت الأم لإحضار بعض الفطائر وأمرت غالية بحزم أن تأكل.. يجب أن تأكل، وأطاعت غالية وشربت شايا ساخناً فأحست بتحسن كبير ونظرت نحو الأم بامتنان وحب، والوقت يمر ببطء، واتصلت تهاني بفجر تسأل عن حال عمها، وطلبت منها فجر أن تدعو له، إنها تعرف أن عمليته اليوم، ولم تطلب التحدث إلى غالية، اكتفت فقط بإرسال السلام لها مع فجر، واتصلت أوراد وقالت إنها ستأتي للبقاء بجوار غالية لحين انتهاء العملية وفعلاً أتت بعد نصف ساعة، وبدت مرتبكة وهي ترى غالية القوية الجميلة النضرة، منكسرة شاحبة خائفة، شعرت أنها لا تعرفها! وجلست صامتة كقطعة أثاث! ومرت ساعات أخرى بطيئة وحاولت غالية الاتصال بأمها فوجدت هاتفها مغلقاً، لا بد أنها

قلقة لدرجة أنها لا تقوى على التحدث مع أحد، لا أحد يستطيع لومها كان الله في عونها، وأخيراً اقتربت الساعة من العاشرة، إن العملية على وشك الانتهاء، وغالية قلقة، وخوفها يزداد كلما اقترب وقت انتهاء العملية، تخاف أن تسمع خبراً سيئاً، وتوترت أعصابها شعرت أنها تكاد تجن وتمنت أن تصرخ بعلو صوتها وأن تمزق ملابسها و....

وأخيراً وصل الخبر.. اتصل عمها وأبلغهم.. لقد نجحت العملية.. و والدها بخير، لقد نجا وهو الآن في العناية الفائقة لكنه بخير...

وانهمرت دموع غالية.. دموع الفرح.

■■15■■

نواف

مر أسبوع منذ انتهت عملية والد غالية، لقد تحسن والدها كثيراً ونقل إلى غرفة خاصة، لم تحادثه بعد، لكنها سعيدة أنه بخير، وقد أخبرهم الطبيب أنه سيبقى في أمريكا لمدة شهرين بعد العملية، وذلك على أقل تقدير، ففترة النقاهة مهمة له، مازال ركوب الطائرات محظوراً عليه، لكن غالية مطمئنة، لقد اجتاز الجزء الأصعب والأهم، وبقي عليها انتظار أهلها وهي مرتاحة البال.

وانشغلت الفتيات بالامتحانات والمذاكرة، لكن غالية أصبح يشغلها أمر آخر، إنه نواف، شقيق أوراد، إنه يقتحم خيالها كلما خلت بنفسها، لقد أصبح يأتي لأخذ أخته باكراً كل أحد وثلاثاء، ويتعمد الوقوف وراء سيارة سائقها تماماً، ولا يكف عن النظر إليها، إن نظراته تثيرها، تدغدغ أعصابها، تشعر بمشاعر انجذاب قوية نحوه، وبدأت تهتم بزينتها في هذين اليومين على نحو خاص، تريد أن تعجبه، تريده مبهوراً بها، وتغتاظ عندما ترى بعض الفتيات يتوددن إلى أوراد ويسألنها عن أخيها، تشعر برغبة شديدة في صفعهن، ولاحظت فجر نظرات نواف إلى غالية، وحذرتها: إياك الوقوف في فخ ذلك الشاب، إنه شاب عابث كما يبدو، وكانت غالية تغير هذا الموضوع على الفور وتدعي عدم الاكتراث به أمام فجر، لم تصارحها بأنها تميل إليه، لم تستطع رغم قرب فجر منها أن تبوح لها بمشاعرها، ربما

لأنها تعرف رأيها المتزمت تجاه هذا النوع من العلاقات، وربما لأسباب أخرى لا تدري بها غالية نفسها، لكنها وجدت نفسها تتكر اهتمامها بنواف أمام فجر بل تضيق بتعليقاتها الساخطة عليه، وأصبحت غالية أكثر لطفاً مع أوراد، أصبحت تجاملها أكثر وتهتم بها أكثر، وأوراد سعيدة، تبدو كخادم تعطف عليه سيده بمكافأة ثمينة!

ومرت أيام كثيرة والحال كما هو... حتى جاء يوم تطورت به الأمور، مرضت أوراد بالإنفلونزا وتغيبت عن المدرسة ثلاثة أيام وفي يوم الخميس قررت البنات زيارتها، يا إلهي إن غالية تشعر بالإثارة كونها ستذهب إلى بيت نواف، قد تراه هناك، قد ترى غرفته، ماذا تريد منه؟ إنها لا تدري، لكنها متحمسة وقلبها يخفق بعنف وهي تتخيل نفسها في بيته، لقد أثر بها كثيراً، لقد شغلها وشغل تفكيرها، وارتدت غالية ثوباً وردياً كأحلامها، وسرحت شعرها بعناية وارتدت أقراطاً طويلة جميلة ذهبت إلى منزلها خصيصاً لإحضارها، وبدت جميلة، زادها الانفعال إشراقاً ونضارة، وركبت البنتان وطلبت فجر أن تمرا لاصطحاب تهاني، واكتأبت غالية لكنها لم تستطع الاعتراض، وخرجت تهاني إليهما مرتدية ثوباً بسيطاً عادياً، لكنها لم تكن عادية، إنها فاتنة جميلة، وانقبض قلب غالية، يا لها من منافسة خطيرة وللحظة اهتزت ثقتها بنفسها لكنها تمالكت نفسها وأكدت لنفسها أنها أيضاً رائعة جميلة وربتت على ثوبها الغالي كأنها تهني نفسها على تميزها، واقترحت غالية أن يذهبن لشراء ورود أو شيكولاتة لأوراد، وأمرت السائق فعلاً بالذهاب لأحد محلات

الشيكولاته الشهيرة، وارتبكت تهاني، وقالت فجر: لنأخذ علبة كبيرة نتشارك بسعرها، فقالت تهاني بخجل: لم أحضر معي مالاً، لم يخطر ببالي أننا قد نشتري شيئاً، فقالت غالية بتعال: سأدفع أنا، وأكتب اسميكما معي... وفعلا اشترت علبة كبيرة فاخرة دفعت غالية ثمنها، إن لديها كرتا بنكياً لحسابها الخاص، إن والدها يحول لها راتباً كبيراً كل شهر يفوق مصروف زميلاتها بكثير، أما تهاني فكانت لا تحصل على أي مصروف حتى لو كان زهيداً، ووصلت الفتيات إلى منزل أوراد، ودخلن يحملن علبة الشيكولاته، إن منزلها فخم جميل، وشعرت غالية بخيبة الأمل عندما لم تجد سيارة نواف خارج البيت، لكن سرعان ما تمالكت نفسها وهي تأمل أن يأتي في وقت ما وتراه، واستقبلتهن أوراد ووجهها يعلوه الشحوب، والسعادة تلمع على محياها، إن أكثر ما يسعدها هو قدوم غالية بشحمها ولحمها إلى بيتها ولأجلها، كان ذلك أقصى ما تتمناه، وشعرت بالفرح وهي تشعر باهتمام غالية بها وبصحتها وهي التي تعتبرها قدوتها بين الفتيات بأناقتها وجمالها وقوة شخصيتها، لم تكن تعلم أن غالية تميل إلى نواف وتكاد تجن لهفة عليه، لم تلاحظ عليها شيئاً من هذا القبيل، وجلست الفتيات في صالة الاستقبال يتحادثن وجاءت أم أوراد للترحيب بهن، وقدمت لهن بعض المعجنات والحلويات اللذيذة، وأخيراً حان وقت ذهابهن وانقبض صدر غالية، شعرت بالخيبة لأن نواف لم يظهر وتمنت لو استطاعت البقاء أكثر، لكن عليها إيصال تهاني إلى بيتها والوقت قد تأخر، وقامت وقلبها مقبوض لدرجة أنها لم تتحدث طوال الطريق، وطلبت غالية من السائق

التوجه إلى الجمعية لشراء فرشاة للأسنان... وبقيت فجر وتهاني في السيارة ينتظرانها، ودخلت غالية إلى الجمعية والحزن يملأ قلبها، واتجهت إلى الرف لتنتقي فرشاة جديدة، فإذا بصوت يأتي خلفها: مساء الخير، والتفتت غالية لتجد نواف أمامها مباشرة، لا يفصلها عنه سوى مسافة بسيطة، لم تره من هذا القرب من قبل، وارتبكت في مواجهته، ولم ترد عليه، بقيت واقفة كتمثال جميل من الشمع، لقد شلتها المفاجأة، لم تتوقع رؤيته أبداً، وعاد يقول: عدت إلى البيت لألمح سيارتك تغادر بيتنا، لا أعرف كيف وجد نفسي أسير وراءكن، ولم أصدق عيني وأنا أراك تنزلين وحدك إلى الجمعية، وصمتت غالية وعيناها مبهورتان به، ما أوسمه كم هو رائع، وهو يفوقها طولاً بكثير، وقال نواف: غالية لا تعرفين كم أنا معجب بكِ، أرجوكِ لدي الكثير لأقوله لك، لا تخذليني، يجب أن تسمعي ما أريد قوله، ومد يده بورقة مطوية تحمل رقم هاتفه، فالتقطتها غالية بسرعة وأخذت فرشاة أسنان لم تلاحظ حتى لونها، واتجهت لتدفع ثمنها ونواف واقف ينظر إليها بابتسامة كبيرة، ابتسامة النصر، إنه لم يسمع حتى صوتها، لكنه رأى الكثير في عينيها، واطمأن أنها ستتصل به بلا شك.

■■16■■

علاقة عاطفية

لم تشعر غالية برغبة في مغادرة منزل فجر بقدر ما شعرت بها الآن، إنها تريد بعض الخصوصية في حياتها، تريد البقاء وحدها، تريد الاتصال بنواف وقتما تريد، تريد غرفتها الخاصة ذات المفتاح الخاص، تحتاج مساحة من الحرية لتعيش تجربتها الأولى دون الخوف من وجود أحد بجوارها لا سيما فجر وهي التي لا تريد غالية مصارحتها بعلاقتها بنواف.. لقد اتصلت به خلسة في اليوم التالية للقائها به، وسمعت صوته يخبرها كم هي جميلة، وكم تعجبه، وأنها أجمل بنت في المدرسة، وكلام كثير لم تشبع منه أبداً، إنها تشعر أنها في حلم، وأصبحت تراه في المدرسة وتبتسم له خلسة، وتحادثه فيخبرها كم تبدو جميلة فاتنة في ثياب المدرسة، وأكدت غالية عليه ألا يخبر أوراد بعلاقته بها، لا تريد لأحد أن يعرف، وارتاح نواف لطلبها فهو أيضاً لا يريد لأحد أن يعرف ما بينهما، وكان نواف يمطرها بعبارات الغزل والمديح وفي تلك الفترة بدت غالية كوردة متفتحة، إنها لا تشبع من حديث نواف، أصبح تفكيرها محصوراً به وبما يقوله ويفعله، ومع الوقت بدت تزداد ضيقاً ببقائها في منزل عمها، إنهم ملتصقون بها في أغلب الأوقات، يكادون لا يفارقونها، وهي التي كانت سعيدة بذلك فأصبحت لا تطيق هذا الوضع، بالكاد تجد فرصة لتحادث نواف، وأصبحت غالية تذهب كثيراً إلى بيتها وتتحجج بمختلف الحجج التي تخطر في بالها وتصر على الذهاب وحدها مع السائق، فتقول لفجر إنها اشتاقت إلى سريرها وتريد أن تنام

ساعة هناك أو أنها تريد الاستحمام بحمامها الخاص فلا داعي لقدوم فجر معها وتضييع وقتها، وأحيانا تذهب عندما تكون فجر نائمة أو تستحم، وهكذا أصبحت حياتها تدور حول نواف وأحاديثه، وبدت تهمل دراستها، إنها تكاد تفقد تركيزها، وكلما قرأت سطراً سرحت وراء نواف، وكلما فتحت كتاباً ارتسمت صورته أمامها، وتعلقت غالية به.. إنها تحبه، إنه أول رجل في حياتها، ولاحظت فجر التغيير الذي طرأ على غالية، لم تشك أن في حياتها شاباً تحادثه، بل فسرت هذا التغيير أنه من شدة شوقها إلى والديها ورغبتها في العودة إلى بيتها وذلك طبيعي جداً، لكنها حاولت أن تنصح غالية بالاهتمام بدراستها، إنها السنة النهائية، وحرام أن تضيع عليها، قد يتأثر معدل التخرج وقد تحرم من دخول الجامعة، وفعلاً بدأت فجر تلمح لها بهذا الأمر ثم أصبحت تقول لها ذلك صراحة، يجب أن تدرسي، ركزي، لا تضيعي مستقبلك لأجل ظروف طارئة، لم تعرف أن ابنة عمها غارقة في الحب وأنها تمر في مرحلة جديدة من حياتها، مرحلة خطيرة لا تعرف كيف ستنتهي.

ومرّ شهر على علاقة غالية ونواف، وفي أحد الأيام اتصلت به غالية وكانت قد ذهبت إلى منزلها لأخذ بعض الثياب، واستلقت على سريرها تحادثه، وقال لها: غالية.. لقد تعبت من أحاديثنا المختلسة لا أكاد أتحدث بموضوع حتى تقاطعيني لقدوم أحد من أهلك.

وقالت غالية بحزن: ماذا أفعل يا حبيبي، ليس بيدي شيء، أنت تعلم كم أتمنى محادثتك طوال الوقت.. فقاطعها نواف: أريد أن أشعر بك، أن أحس بك قربي أريد أن أشبع عيني بالنظر

إليك، ما رأيك أن نخرج معا؟

واستوت غالية جالسة على السرير كمن لدغها عقرب وقالت: نخرج؟ كيف نخرج معاً؟

نواف: الأمر بسيط.. اذهبي إلى مركز تجاري أو جمعية تعاونية مع السائق واتركيه ينتظر واخرجي إليّ من باب آخر واركبي مع ببساطة كأنني قريب لك، نمضي بعض الوقت معاً ثم أعيدك إلى مكانك...

غالية: لا يا نواف، ماذا لو رآنا أحد؟ أخاف أن أفعل ذلك، ثم إلى أين سنذهب معاً!

فقال نواف: ألا تثقين بي؟ صدقيني أنا أكثر من يخاف عليك، أنت زوجة المستقبل وما يمسك يمسني، لن أفعل ما يضرك صدقيني.. يجب أن تثقي بي، لا يوجد حب بلا ثقة.

واهتزت غالية وخفق قلبها ونواف يناديها بزوجة المستقبل، إنها المرة الأولى التي يتحدث بها عن الزواج، يا إلهي إنه يحبها وسيتزوجها، وهي تثق به، إنه أملها الكبير، وشعرت بالسعادة تغمرها وهي تتخيل نفسها زوجة له، وعاد نواف يقول بصوت دافئ حبيبتي لقد أتعبني البعد عنك، أكاد لا أحدثك، وأراك كل يومين من بعيد في المدرسة، أريد أن أشعر بك بقربي، أريد أن أحس أنك ملك لي.. لي وحدي، أنت حبيبتي ونور عيني..

وشعرت غالية بكلامه كالمخدر يسري في أعصابها، إن كلامه يداعب خيالها، أجل ستراه، تريد أن تراه، أن تشعر بقربه، وطلبت منه وقتاً لتدبر أمر هذا اللقاء..

■■17■■

عمل إنساني

دخلت فجر مكتب الأخصائية الاجتماعية في المدرسة بناء على استدعائها لها، وكانت فجر تتساءل بينها وبين نفسها عن سبب استدعاء الأخصائية لها، وطرقت الباب بأدب ودخلت لتجد أبلة نورة الأخصائية الاجتماعية جالسة على مكتبها الأنيق والتي ما إن لمحت فجر حتى تهللت أساريرها، كانت أبلة نورة تحترم فجر وتقدرها كثيراً نظراً لاجتهادها والتزامها وحسن علاقتها بزميلاتها، إنها تراها كقدوة رائعة للفتيات في المدرسة، فلطالما بدت في صورة مُشرّفة وقد عُرف عنها تفوقها واهتمامها بدروسها.. فأحبتها إدارة المدرسة واهتمت بها بشكل خاص، كما كانت فجر بدورها تساهم في تقديم مواضيع شيقة تذاع في إذاعة المدرسة كل صباح، الأمر الذي أعطاها سمعة طيبة بين الجميع، وجلست فجر بعد أن سلمت على أبلة نورة التي قالت: عزيزتي.. استدعيتك اليوم لأمر هام، ولم أجد أفضل منك لتولي هذا الموضوع بين طالبات المدرسة.

فجر: خيراً إن شاء الله.

أبلة نورة: تعرفين يا فجر أن العمل الخيري أجره كبير عند الله تعالى، كما أنه يرسخ الكثير من المفاهيم الإنسانية في النفوس، بالإضافة إلى أنه سيعطي سمعة طيبة لمدرستنا، لقد فكرت في إقامة سوق خيري في المدرسة على أن يتم التبرع بريعه إلى

جمعية المعاقين.. سيكون عملاً جماعياً بلا شك لكنني أريد مساعدتك ليلقى هذا المشروع إقبالاً بين الطالبات.. خاصة أن لك تأثيراً خاصاً عليهن.. ما رأيك يا فجر؟ هل تقبلين بتولي مسؤولية هذا المشروع؟

أجابت فجر والحماسة تلمع في عينيها: بالتأكيد يا أبلة، لِمَ لا؟ سيكون عملاً رائعاً.. اتركي الأمر لي، سأحدد لائحة بالمتطلبات اللازمة، وأسأضع خطة لسير العمل والتنفيذ، أعدك أنني سأفعل ما بوسعي لإنجاح هذا المعرض.. وكلي سعادة أنك اخترتني لأكون المسؤولة عن هذا الموضوع.

أبلة نورة: كلي ثقة في حسن تدبيرك يا فجر، وفقكِ الله عزيزتي وسدّد خطاكِ.

وفي ذلك اليوم لم تكف فجر عن التحدث عن موضوع إقامة السوق الخيري.. طوال طريق العودة إلى المنزل من المدرسة وفجر تشرح لغالية عن ما ستفعله وعن عشرات الأفكار التي تطرأ عليها لإقامة هذا المشروع، وفي حين كانت فجر في ذروة انفعالها وحماسها كانت غالية في واد آخر وهي تفكر في نواف ولقائه، لم تجد في السوق الخيري ما يحرك حماسها أو يهمها كما هو حال ابنة عمها، إن كان أحد يريد التبرع للمعاقين فليفعل بنفسه، لماذا يجب إقامة سوق خيري خاص ليأتي الناس للشراء والتبرع؟ ولم تتردد بإخبار فجر برأيها في الموضوع، ووجمت فجر من رد فعلها وقالت: معقول يا غالية أنك ترين الأمر تافها وبلا داع! إنها الطريقة الأنجح للتبرع، بالإضافة إلى أن الطالبات سيعرضْن منتجات مختلفة قمن بصنعها بأنفسهن وذلك في حد

ذاته سيعطيهن الحافز للمشاركة، كما أن الكثير من الأشخاص يرغبون في التبرع لكنهم لا يفعلون إما لضيق الوقت أو لانشغالهم في أمورهم الخاصة، لكن وجود السوق الخيري سيأتي بهم للشراء والحصول على بضاعة مقابل تبرعهم للمعاقين.

وصمتت غالية غير مبالية.. إن الأمر الإيجابي الوحيد الذي تراه في الأمر أن فجر ستنشغل عنها بلا شك، ستجد الكثير من الوقت لتقضيه وحدها دون إزعاج من فجر التي تكاد تلازمها كظلها. وفعلاً كان لها ما أرادت، فقد انشغلت فجر كلياً في التحضير للمشروع، بداية وضعت إعلاناً في المدرسة عن المعرض، جاء فيه أن الطالبات يستطعن عرض منتجاتهن في المعرض للبيع مساهمة لعمل إنساني سام وهو دعم المعاقين ووضع فجر رقم منزلها لتستقبل طلبات التّسجيل في المعرض كي تتمكن من تحديد عدد الطاولات المطلوبة.. وحددت موعد استقبال الطلبات يومياً من الخامسة إلى السابعة.

وفي اليوم الأول تلقت فجر اتصالين فقط، لكنها لم تستسلم للخيبة، يجب أن تحاول استقطاب أكبر عدد من الطالبات للمشاركة، وفي اليوم التالي أضافت على الإعلان أن الطالبات المشاركات سيتم تكريمهن بحضور أهاليهن من قبل إدارة المدرسة، وبدأت فجر تحادث الطالبات في الكافتيريا وتغريهن في المشاركة، بدت كزعيمة سياسية صغيرة تروج لحملة انتخابية، إن حماسها لا يفتر وانفعالها لتحقيق نجاح هذا العمل لا يفتر أيضاً، وهي سعيدة بالنتائج وخلال أسبوع حصلت على خمسة وعشرين طلباً للمشاركة، وكان ذلك إنجازاً رائعاً.

حاولت فجر اجتذاب تهاني وأوراد للعمل معها، وفعلاً ساعدتها تهاني كثيراً في تعريف الطالبات بالهدف من السوق الخيري، كما قررت المشاركة بنفسها في المعرض، صحيح أن ظروفها المادية سيئة، لكنها تذكرت أن لدى والدتها الكثير من الملابس التي لم تستلمها الزبائن أو التي قامت بخياطتها لعرضها في البيت للبيع لكن لم يتم بيعها، فقررت أن تشارك بها بنفسها في المعرض لتقوم ببيعها رغم كرهها لعمل الخياطة وبيع الملابس لكنها تريد الأجر لعلّ اللّه تعالى يفرِّج أزمتها ويوسّع عليها في رزقها.

أما أوراد فعندما فاتحتها فجر بالأمر سألت عن غالية بلا تفكير وإن كانت ستشارك أم لا، كأن مشاركتها من عدمها مقرونة بما تفعله غالية، وتضايقت فجر من ردة فعلها، لِمَ تلغي أوراد شخصيتها إلى هذا الحد أمام غالية؟ وحاولت حثها على المشاركة بغض النظر عن عدم مشاركة غالية، لكن أوراد لم تستجب للأمر بتاتاً.. فلا حياة لمن تنادي!

ومضت الأيام وتحدد يوم إقامة السوق الخيري، سيفتتح السوق لمدة ثلاثة أيام من الخامسة حتى الثامنة مساء، وتم حجز خمس وثلاثين طاولة، وبدت قاعة المسرح الذي سيقام السوق في داخلها ممتلئة بالمعروضات لكن بترتيب رائع، وتنوعت المعروضات بين الملابس والاكسسوارات والمفارش المطرزة، والمشغولات اليدوية وبعض اللوحات والمأكولات، ومجموعة من الحقائب المشغولة بالخرز الملون الجميل، كما عرضت إحدى الطالبات بعض الكتب القيمة التي انتهت من قراءتها وأحبت بيعها بسعر رمزي لخدمة هذا العمل الإنساني الجميل.

وبدت فجر رائعة في ذلك المساء، إنها تشعر بالفخر وهي تتنقل بين الطاولات وتشجع الطالبات وتشرف على نظام المعرض وقد وُضعت طاولة للمشروبات الباردة لتقدم إلى ضيوف المعرض، وناظرة المدرسة والوكيلة وجميع المدرسات سعيدات بافتتاح المعرض وبمستوى تنظيمه الرائع الذي أظهر جهود فجر المميزة، وجاءت مديرة المنطقة التعليمية لتقص شريط الافتتاح، وفجر سعيدة.. إنه أسعد يوم في حياتها، لم تكن يوما أكثر سعادة.. وكانت والدتها بين الحضور، وغالية أيضاً.. لقد أصرت فجر على حضورها الافتتاح، رغم علامات الملل التي تظهر على وجهها وهي واقفة تصفق ببرود بجوار أم فجر.

وأكثر ما أسعد فجر هو الإقبال الكبير من قبل الأهالي سواء أهالي الطالبات أو أهالي الكويت ذوي الأيدي الخيّرة.. إن الخير جميل، وفاعله أجمل والدال عليه أجمل وأجمل، فقد وضعت فجر إعلانا في إحدى الجرائد عن افتتاح المعرض كما حرّصت على الطالبات أن يقمن بعمل الدعاية اللازمة ليخبرن معارفهن بأمر المعرض.

وانتهى اليوم الأول وقد تم بيع معظم المعروضات، والفتيات سعيدات، إنها المرة الأولى التي يجربن فيها البيع في مكان عام، والكل سعيد، وقد قررت الفتيات المشاركات القدوم باكرا في الغد لإحضار كميات أخرى من البضائع لعرضها.

ومرت أيام المعرض كأجمل ما تكون.. وفي اليوم الأخير ذُهلت فجر وهي ترى المبلغ الكبير الذي سيتم التبرع به للمعاقين بين يديها.. إنه أكثر مما تخيلت.. لقد نجح المعرض.. ونجحت هي.. كأجمل ما يكون النجاح.

■■ 18 ■■

صراع تهاني

كانت تهاني جالسة في غرفتها تذاكر عندما دخلت عليها أمها وطلبت منها أن تأتي معها لشراء لوازم للخياطة، وبدت تهاني متعبة وهي تقول لأمها إنها لا ترغب في الخروج، فقالت الأم: أحتاج أن تأتي معي لتبدي ذوقك بما سأشتريه، لقد جاءتني زبونة غنية وطلبت خياطة ثوب للسهرة وأرتني موديلاً في إحدى المجلات وأريد شراء إكسسوارا جميلا أثبته وسط الفستان، ومدت الأم يدها لترى تهاني صورة فستان حريري أنيق، بلا أكمام ضيق وقد ثبت أكسسوار كبير لامع من الكريستال وسط الثوب بين الصدر والبطن، ما أجمله من ثوب، تنهدت تهاني إنها لم تملك في حياتها ثوباً للسهرة، وتمنت لو استطاعت ارتداء واحد مثله، وقالت لأمها: يوجد محل لإحدى مصممات الأزياء الكويتيات، وهي تقوم بتصميم الاكسسوارات أيضاً، ما رأيك لو ذهبنا إلى هناك وأريناهم الصورة لنحصل على ما يناسب الثوب؟ وفرحت أمها بالفكرة، كانت تتمنى لو أن تهاني أظهرت بعض التعاون معها وساعدتها في مجال عملها، لكن تهاني بدت دائماً متمنعة وساخطة على حياتها، لم تحاول الاندماج مع أمها ومساعدتها في الخياطة، بل رفضت أن تتعلم منها التفصيل، إنها لم تخلق لتكون خياطة، إنها تريد عملاً يدر عليها مالاً ويرتقي بها إلى حياة أفضل، صحيح أن الكثير من الجامعيات عملن في تصميم الأزياء والخياطة، لكنهن فعلن ذلك لأنهن يجدنها

موهبة وهواية، وتهاني لاتجد في نفسا أي ميل لذلك كما أنهن قمن بذلك عن رغبة وليس بسبب الفقر والحاجة، وارتدت الأم عباءتها وارتدت تهاني بنطالاً قديماً من الجينز وقميصاً قطنياً وركبتا سيارة الأم القديمة، واتجهتا نحو المحل، ودخلتا معاً، ورحبت بهما البائعة وأخذت الأم تشرح لها طلبها، وتهاني تقلب الثياب بين يديها وعيناها تلتهمان الأثواب التهاماً، لقد تمنت لو أنها استطاعت الحصول على بعض هذه الأشياء، وبينما جلست الأم تشاهد كتالوجاً لصور الاكسسوارات.. تقدمت البائعة من تهاني وأغرتها أن تقيس أحد الأثواب، ورفضت تهاني وأخذت البائعة تلح عليها وتقول لها: جربيه حتى وإن لم تشتريه لن تخسري شيئاً، سيبدو مذهلاً عليك.. والتفتت الأم الطيبة نحو ابنتها وقالت بعطف: جربيه يا ابنتي لنره عليك، وظهر التصميم في عيني تهاني والتقطت الثوب ودخلت به لتقيسه.. ووقفت تهاني ترتدي الثوب، كان ثوباً سماوياً مرصعاً بكريستال فضي، وقد كشف عن ذراعيها، ونظرت إلى نفسها وهي مبهورة، ما أجمل هذا الثوب، كم يليق بها، تبدو كالأميرات وأحست بالزهو وهي تخطو خارج الغرفة ليلتفت الجميع نحوها، إن دخول الرجال ممنوع في المحل فخرجت به بلا خجل، وشعرت تهاني بالسعادة وبأنها مميزة وجميع الموجودات يبحلقن فيها، وتقدمت البائعة، وهي تهتف بجمالها وابتسمت أمها بطيبة وفرح، وهي تنظر إلى ابنتها، ونظرت إليها تهاني وعيناها تهتفان ليتني أستطيع شراءه، إن ثمنه باهظ، لو سمع والدها بهذا الثمن لمات كمدا، واقتربت أمها هامسة: إن كان أعجبك أستطيع أن أخيط لك نفسه

وانقلبت شفتا تهاني، إن قماش هذا الثوب من الحرير الطبيعي، هل تقصد أمها أن تخيط لها مثله بقماش رخيص وكريستال مزيف..؟؟ وقبل أن ترد جاءت البائعة تحمل أقراطاً رائعة، قطع ضخمة من الأحجار الزرقاء اللامعة تتوسطها حبات من اللؤلؤ الناصع، وارتدت تهاني الأقراط وبريقها يسطع على وجهها فيزيدها تألقاً، وأحبت تهاني هذه الأقراط، بل أعجبتها أكثر من الثوب نفسه، إن سعرها معقول مقارنة بأسعار المحل الباهظة واقتربت من أمها وقالت بحزم: أريد هذه الأقراط، وارتبكت الأم وقالت: إنها غالية، لا أملك ثمنها الآن يا ابنتي، ثم إن أخاك يحتاج إلى ملابس للشتاء، وبالكاد أملك مالا لأطلب الاكسسوار لثوب الزبونة، ودقت تهاني الأرض بقدميها وهي تقول بهمس غاضب: إلى متى نعيش هكذا.. اطلبي المال من أبي.. ونظرت الأم نحوها بعتاب، ألا تعرفين أباكِ وبخله؟ واندفعت تهاني إلى غرفة القياس لتخلع الثوب، لقد كتب عليها العذاب، كتب عليها الحرمان رغم أن والدها ميسور الحال، يا إلهي إلى متى ستعيش في هذا الجحيم، لم تعد تطيق وخلعت الثوب وارتدت ملابسها العادية، وعلقت الثوب والدموع تتجمع في عينيها، مهلاً، مازالت ترتدي الأقراط، ونظرت إلى نفسها بحزن والغضب والحقد يملآن قلبها، ودون تفكير وجدت نفسها تفتح حقيبتها وتدس الأقراط بين أغراضها وعندما خرجت وجدت أمها تتفق مع البائعة على تفاصيل طلبها، وما إن انتهت حتى خرجت تهاني مع أمها من المحل، والأقراط مستقرة في حقيبتها.

■■ 19 ■■

فجر نشك

وقفت فجر خلف غالية وهي تتزين أمام المرآة، لقد أصبحت كثيرة الخروج مؤخرا، وبدت أكثر اهتماماً بنفسها ومغالاة بزينتها الأمر الذي لم يعجب فجر، لقد أصبحت تقضي الكثير من وقتها في منزلها وحدها، بل إنها تذهب للتسوق وحدها فتغيب فترات طويلة ثم تعود حاملة شيئاً اشترته من أحد المجمعات دون أن تستأذن أحداً، وحاولت فجر التقرب منها ومعرفة سبب تغيرها لكن غالية تتهرب منها، بل تكاد لا تتحدث معها، ومع الوقت لاحظت فجر أشياء أخرى إن غالية تتحدث كثيراً في هاتفها النقال، وغالباً تتحدث بصوت هامس إنها تكاد لا تفارق الهاتف فإن لم تكن تتحدث تجدها تبعث الرسائل من خلاله، لمن تبعث هذه الرسائل! وكلما سألتها قالت: إنها تحدث أوراد أو تراسلها وأحيانا تذكر اسم إحدى صديقاتها البعيدات، وتدعي أن علاقتها توطدت بإحداهن إنها ترى الكذب يطل من عيني غالية، إنها تكذب بلا شك، وها هي الآن تدعي أنها ذاهبة لحفلة عيد ميلاد، وترتدي ثوباً رائعاً ضيقاً وقد تزينت بعناية كبيرة وشعرها يلمع خلف ظهرها، واستأذنت غالية زوجة عمها للذهاب ولم تمانع الأم الطيبة، وهي التي لم تعط لنفسها الحق في الرفض، إنها لا تحس أنها تملك سلطة على غالية ثم إنها لا تريد إزعاجها، خصوصا وأنه لم يتبق سوى أسبوعين ويعود والدها بالإضافة إلى انشغال الأم بتدريس أبنائها فقد كانت الامتحانات وشيكة وبالتالي لم

تشغل بالها كثيراً بتغير غالية الذي لم تلاحظه بقدر ما لاحظته فجر وانتهت غالية من زينتها وقالت تخاطب فجر: ما رأيك؟

وقالت فجر بغيظ: غالية لقد تغيرت كثيراً، أشعر أنك تخفين شيئاً عني هناك أمر يقلقني.. وقاطعتها غالية: لقد سئمت هذه الأسطوانة التي لا تنتهي كل ذلك لأنها ذهبت إلى السوق مرتين أو ثلاث دون أن أخبرك؟ أم لأنني وجدت صديقات جدد؟ وقالت فجر: ليس ذلك... بل كل شيء بك تغير، مكالماتك الكثيرة طريقة لبسك واهتمامك الزائد بنفسك، وردت غالية بحدة: ما العيب في ذلك؟ لم تصرين على إقحام نفسك في خصوصياتي؟ من أعطاك حق الوصاية عليّ ليت والديّ يعودان سريعاً لأرتاح من هذا التحقيق اليومي.

واقتربت فجر منها بحزن وقالت: يعلم الله أنه لولا حبي لك وخوفي على مصلحتك ما فرضت نفسي عليك لكنني خائفة عليك يا غالية...

ومضت غالية في طريقها خارج الغرفة وهي تقول بلا مبالاة: لا تخافي عليّ أنا أعرف مصلحة نفسي، وخرجت وبقيت فجر وحدها تفكر وتحاول الوصول إلى حل، وقامت تتمشى في الغرفة ووجدت نفسها تندس في فراش غالية.. إنها تحبها كل الحب، تحبها بإخلاص وتشعر بالتعاسة وهي تراها تتباعد عنها ودفنت فجر رأسها في وسادة غالية وفجأة أحست بشيء غريب.. ودست يدها تحت الوسادة لتتفاجأ بصورة موضوعة تحتها، وخفق قلبها بعنف... لقد عرفت السر، كانت صورة نواف ترقد تحت وسادة غالية، واتضح كل شيء في ذهن فجر.

مع نواف

مكتبة
t.me/t_pdf

ركبت غالية سيارة نواف الواقفة في المواقف الخاصة التابعة لأحد المجمعات التجارية، لقد أوصلها السائق إلى مدخل أحد المطاعم الشهيرة في هذا المجمع فدخلت واتجهت بعد ذلك إلى مواقف السيارات في الجهة الأخرى، كما اتفقت مع نواف.. بدا نواف كالطاووس وهو جالس يحدق بها، وهي تركب بجواره، لقد اعتادت الخروج معه، أصبحت تبتكر عشرات الحيل والأعذار حتى تتمكن من رؤيته، واعتادت على لمساته وقبلاته أيضاً، لقد أعطته الكثير من مشاعرها والكثير من وقتها والكثير أيضاً من كرامتها، أصبح نواف هو سيدها الذي يأمرها فتطيعه بلا مناقشة، هو الذي يغضب فتسعى لإرضائه، هو الذي يطلب فتسرع هي بإجابته وهو لا يكف عن طلب رؤيتها ويحرضها على رؤيته في كل وقت، لا يترك لها فرصة إلا وطلب لقاءها، وهي منساقة وراءه ومنجرفة وراء مشاعرها، إنه يقول إنه يحبها وإنه سيتزوجها وهي تصدقه، لم تشك أبداً في نواياه وهي سعيدة بهذا الحب وهذا الشاب الذي تفتح قلبها على حبه ولم تحزن وهي ترى دراستها تتدهور، بل لم تعد تفكر بوالديها وثقتهما بها في غيابهما، لم تعد تهتم إلا بنواف وما يطلبه منها وما يأمرها به، وركبت السيارة وأغلقت الباب وغاصت في مقعدها وهي تقول بصوت لاهث: أسرع يا نواف قبل أن يرانا أحد وانطلقت السيارة بهما إلى خارج المواقف ونواف يقود بيد ويحتضن يدها

باليد الأخرى واتجه بها إلى منطقة سكنية يمتلك والده منزلاً فيها يستخدمه كديوان ويجتمع به بأصدقائه كل خميس، واعتاد نواف إحضار غالية معه إلى هذا المكان، حيث يمكثان بعض الوقت، وكانت غالية تتضايق من نظرات البواب إليها، تشعر أنه يحتقرها، إنه يظن بها السوء ربما يتخيل أن علاقتها بسيده قد تخطت الحدود، وكانت تخبر نواف بما تشعر به، ولم يكن يهتم وطلب منها أن تتجاهله فهو مجرد حارس للبيت، ودخلت غالية معه وأخذ نواف يمتدح جمالها وأناقة ثوبها، وأخبرته أنها ستطيل البقاء معه هذه المرة فأهلها يظنونها في حفلة عيد ميلاد وأضاء وجهه.. لكنها لم تلمح في عينيه نظرته الجديدة إليها، نظرة ظنتها هي نظرة حب واهتمام، لم تعرف أنها نظرة عبث.. واستهانة.

■■21■■

تهاني لا تنام

جلست تهاني على سريرها، لقد مضت ثلاثة أيام منذ تلك الحادثة في محل الإكسسوارات، ثلاثة أيام كاملة لم تذق خلالها للنوم طعماً، إنها في كل ليلة تخرج الأقراط من دولابها وتبقى تحدق بها وتغرق في التفكير، يا إلهي لقد سرقت هذه الأقراط، أجل إنها سارقة، لقد تحولت إلى سارقة، تشعر بنفسها فتاة أخرى، كيف تجرأت على أخذ شيء ليس لها، كيف استطاعت سرقة هذه الأقراط، لم تكن هي من فعلت ذلك، لم تكن في وعيها، إنها لم تشعر بنفسها ولا بفداحة ما فعلته إلا بعد عودتها إلى البيت واحتارت.. ماذا تفعل؟! هل تستطيع مصارحة أحد بما فعلته؟! مستحيل، لن تفعل ذلك أبداً! إنها لا تقوى على ذلك.. يا إلهي ساعدني.. هتفت من أعماقها وهي تبكي.

انقضت ليلتها كالليلة التي سبقتها، وكان اليوم التالي يوم خميس، ونهضت من فراشها بخطوات متثاقلة تكاد تجر رجليها جراً.. وفجأة رن جرس الهاتف وتنبهت حواسها، إنها خائفة وكلما رن جرس الهاتف أو الباب تخيلت أن الشرطة أتت للقبض عليها، وسمعت صوت أمها تناديها: تهاني.. تعالي يا ابنتي.

واتجهت إلى أمها وإذا بها تمد إليها السماعة وتقول:

إنها البائعة في محل الإكسسوارات تطلب التحدث إليك..

وارتعشت تهاني واهتزت رموشها وقالت بصوت هامس:

ماذا تريد مني؟ أخبريها أنني نائمة،

فقالت الأم وهي تسد فوهة السماعة بيدها كي لا تسمعها البائعة:

المسكينة تريد سؤالك عن تلك الأقراط التي جربتها في ذلك اليوم، خذي حدثيها..

وأمسكت تهاني سماعة الهاتف بيد مرتجفة وقالت بصوت مرتبك:

آلو؟

فقالت البائعة: صباح الخير آنسة تهاني، آسفة على إزعاجك في هذا الوقت لكن الأمر طارئ.. هل تذكرين تلك الأقراط التي جربتها مع الفستان الأزرق؟ هل تخبريني أن وضعتها بالضبط، فقد اختفت بعد ذلك، وصاحبة المحل غاضبة جداً مني وقد خصمت ثمنها من راتبي فهي تحملني مسؤولية فقدانها وتتهمني بالإهمال، أذكر أنك آخر من جربتها ربما سقطت منك، هل تذكرين؟!

وردت تهاني: أذكر أنني وضعتها على الطاولة الصغيرة الموضوعة بجوار غرفة القياس، آسفة لأنني لم أسلمها لك باليد.

وتنهدت البائعة وقالت: لقد دخلت بعدك إلى غرفة القياس عدة فتيات، قد تكون إحداهن التقطتها وسرقتها، يا إلهي كيف نسيت إعادتها في ذلك اليوم، على العموم، أشكرك كثيراً وآسفة على الإزعاج.

وألقت تهاني السماعة وهي تشعر أن كل ما فيها يختنق وكأن قلبها تعصره يد ثقيلة، كانت تشعر بألم في صدرها، روحها، إحساسها، والأسوأ يدها، تشعر بثقل قيد حديدي في يدها وكأن الأقراط استحالت قيداً يحيط بمعصمها ويكاد يشله..

■■ 22 ■■

المواجهة

عادت غالية في الحادية عشرة مساء، لقد تأخرت كثيراً هذه المرة وشعرت بعبء ثقيل يكاد يكتم أنفاسها وهي تفكر بزوجة عمها وفجر واضطرارها لتبرير تأخرها أمامهما، ودخلت المنزل بعد أن فتحت لها الخادمة، فوجدت زوجة عمها في الصالة تنتظرها وما أن لمحتها حتى قالت بصوت هادئ: تأخرت كثيراً يا غالية، لقد قلقت عليك، حاولنا الاتصال بك لكن هاتفك مغلق!

وقالت غالية وهي تهرب بعينيها من عيني الأم الطيبة:

لقد انتهى شحن بطارية الهاتف، أنا آسفة تأخرنا في الخروج من المطعم حيث عيد الميلاد، والمجمع مزدحم اليوم، بالكاد وصلنا إلى البيت.

وقالت الأم بحنان: حاولي ألا يتكرر ذلك، أنت أمانة لدينا، لا تعرفين كم خفنا عليك..

وشعرت غالية أنها تكاد تختنق.. واستأذنت الأم وصعدت لتجد فجر جالسة تنتظرها في السرير وتنظر إليها نظرات ثاقبة.. وتجاهلتها غالية ودخلت وهي تقول: مرحبا..!

فقالت فجر كأنها لم تطق الانتظار والصمت: غالية، أين كنتِ؟

ولم ترد غالية، تشعر أنها منهكة وعاجزة عن مناقشة فجر،

لكن فجر رمت إليها بالقنبلة التي لم تحسب حسابها: كنت في حفلة عيد ميلاد أم كنت تتسكعين مع نواف شقيق أوراد؟

وصدمت غالية، لم تتوقع أن أحداً يمكن أن يكشف سرها، وبالذات فجر، وارتبكت وبدا عليها الاضطراب وقالت: ماذا تقولين؟ من أين جئت بهذا الكلام؟

فرفعت فجر صورة نواف أمهامها وهي صامتة..

وذهلت غالية ثم تمالكت نفسها وقالت: تتجسين عليّ؟ من سمح لك بالعبث في خصوصياتي؟

وقامت فجر واقفة وهي تقول: وجدتها صدفة، لم أتعمد لمس أغراضك أبداً.. لماذا يا غالية؟ لِم تعرضين نفسك وسمعتك للخطر؟ ماذا ستجنين من وراء هذه العلاقة سوى الخيبة والندم؟

وشعرت غالية أنها طعنت في كرامتها فقالت بحدة: إنه يحبني، وأنا أيضاً أحبه، وسيخطبني بعد تخرجي من الثانوية، لا تتدخلي فيما لا يعنيك.

وانهمرت دموع فجر وأخذت تناقش غالية فيما تفعله، حاولت إفهامها أن الشاب الذي يحب فتاة حقا لا يحاول إغواءها أو الخروج معها، بل يحافظ عليها ويصونها لأنها ستكون أم أولاده، أما من يستدرج الفتاة باسم الحب للقائه والتمادي معه فهو إنسان بلا مبادئ ولا أخلاق، إنسان يريد اللهو والعبث وهو بالتأكيد لن يتزوج بها، حتى لو اضطر تحت أي ظرف لخطبتها فإنه سينسحب سريعاً إذا واجه أي رفض أو عذر، فهي لا تعني

له شيئاً، لأنه أساساً لا يحبها ولا يحترمها وحتى لو تزوجها فعلاً سيأتي اليوم الذي يعايرها فيه على استهتارها وطيشها وتفريطها بثقة أهلها، لن يثق فيها أبداً، ولن يأمنها على بيته يوماً.

أخبرتها أن الرجل الذي يحترم الفتاة يتقدم للبيوت من أبوابها ولا يعرضها لخطر الفضيحة عندما تخرج معه.. أخبرتها أنه لن يتمسك بها ولن يتحدى العالم لأجلها لأنه لا يحبها، وليس في نيته الارتباط بها، تكلمت فجر كثيراً، وبكت كثيراً، كانت تبكي حبها لابنة عمها وصديقتها، تبكي خوفها عليها من هذه العلاقة، تبكي عجزها عن فعل شيء لإيقافها، لكن غالية لم تقتنع بكلامها ولم تهتم بتحذيراتها، إنها غارقة في هذا الحب الذي أعمى بصيرتها، وهي لا تشك بنوايا نواف، إن فجر لا تعرفه حتى تحكم عليه، وانتهى النقاش وغالية غاضبة متضايقة وهي تحمد الله على قرب وصول والديها، لم تعد تطيق البقاء في بيت عمها، لا تريد العيش هنا، وأغمضت عينيها، ونامت كمن أغمي عليها، وكلام فجر يتردد في أذنيها كأسطوانة مشروخة لا تكف عنها، أما فجر فلم تستطع النوم.. إنها حائرة، ماذا تفعل؟ هل تصارح أمها؟ لا إنها لا تستطيع فضح غالية والتسبب لها بمشكلة بهذا الحجم إن أخبرت أمها أباها ثم أخبر هو والديّ غالية، قد تتدهور صحة عمها المريض وربما يموت وانقبض قلب فجر، لا لن تستطيع فعل شيء سوى النصح والإرشاد، والدعاء، نعم ستدعو الله أن يهدي غالية ويحميها من نفسها، وقامت فجر تصلي والدموع على خديها..

■■ 23 ■■

تهاني تتصرف

ارتدت تهاني ثيابها والتصميم يظهر في عينيها الجميلتين، ستذهب مع أمها لاستلام الإكسسوار الذي طلبتاه لأجل ذلك الثوب المشؤوم، يجب أن تذهب، ولن تذهب فحسب بل ستعيد الأقراط أيضاً، يجب أن تعيدها، ياه كم ندمت على فعلتها، لقد شعرت في بعض اللحظات أنها تكاد تقطع يدها التي سرقت هذه الأقراط، ليست سارقة أبداً ولن تكون، لقد خدعها الشيطان وسوّل لها هذا الأمر المشين، ولن يهدأ لها بال حتى تعيد ما سرقته وتتحلل من ذنبها، ووضعت الأقراط في جيب حقيبتها الخارجي وأغلقت عليها الحقيبة بإحكام، وخرجت مع أمها، ستعيد الأقراط بحيث لا يشعر بها أحد، يجب أن تكون حذرة كيلا تفضح نفسها، ووصلت بهما السيارة إلى المحل، ياه كم بدا الطريق طويلاً، وبدت تهاني صامتة، تجيب على أحاديث أمها إجابات مقتضبة بالكاد تنطق بها، إنها مشغولة البال، وقلبها يدق كالطبل بين ضلوعها، وحواسها متحفزة لتقوم بما يمليه عليها ضميرها الذي يكاد يقتلها لوما، ودخلتا إلى المحل واستقبلتهما البائعة بترحيب واتجهت تهاني مباشرة نحو رف الإكسسوارات الموضوع خلف نافذة زجاجية، إن النافذة مقفلة، كيف ستدس الأقراط داخلها؟ قد يلاحظها أحد ويكتشف فعلتها، واتجهت نحو الأثواب واختارت ثوباً بالكاد ميزت لونه وشكله وقالت لأمها:

سأقيس هذا الثوب ريثما تنتهين!

ودخلت غرفة القياس نفسها وأخرجت الأقراط، أين تدسها؟ ولمحت علبة من الكرتون في زاوية الغرفة، علبة تبدو مهملة، وفتحت تهاني العلبة الكبيرة فرأت مشداً للبطن وجورباً وحذاءً قديماً، يبدو أنها هنا لاحتياج بعض الزبائن عند تجربة أثواب السهرة، ومدت يدها ووضعت الأقراط داخلها بحيث تكون في أسفل العلبة، بطريقة غير ظاهرة ولبست الثوب الضيق، كان أصغر من مقاسها بكثير لحسن الحظ، ففتحت الباب نصف فتحة ونادت البائعة، وقالت: كم أعجبني هذا الثوب.. لكنه ضيق!

فقالت: لا أظننا نستطيع توسيعه فقد نفد هذا القماش لدينا منذ مدة لذلك فإن سعره مناسب وعليه خصم كبير.

وأخيراً قالت تهاني: هل لديك مشد للبطن؟ قد أستطيع ارتداءه إن استخدمت مشداً..

فدخلت البائعة إلى الغرفة واتجهت نحو العلبة الكرتونية وهي تقول: لدينا مشد واحد، إنه قديم بعض الشيء، كنا ننوي استبداله بآخر جديد وبقياسات مختلفة، تفضلي إنه هنا، يا إلهي، انظري ماذا وجدت، إنها الأقراط الضائعة، كيف جاءت إلى هنا!

وابتسمت تهاني وتنهدت براحة وملأ الرضا قلبها..

■■24■■

يوم الوصول

وقفت غالية واللهفة مرتسمة على وجهها وهي تراقب بوابة القادمين في مطار الكويت الدولي، فقد وصلت للتو الطائرة التي تحمل والديها وعمها وسيخرجون خلال لحظات إلى قاعة المطار الرئيسية، حيث تلتقي بوالديها بعد طول انتظار..

وعلى بعد خطوات منها وقفت فجر ووالدتها وإخوتها واللهفة أيضاً مرتسمة على وجوههم، سيصل أباهم أيضاً أخيراً بعد طول انتظار بعد مرافقته لأخيه المريض، ياه كم شعرت غالية بالتباعد عنهم منذ تلك المواجهة بينها وبين فجر، كم بدت الأيام بطيئة قاتلة والجفاء بينها وبين فجر يزداد يوماً بعد يوم، لقد تعمقت الهوة بينهما لدرجة أن من يراهما قبلاً يكاد لا يصدق أنهما نفس القريبتين اللتين ارتبطتا بالصداقة والمودة وانتهتا إلى التنافر والجفاء، وكانت فجر حزينة لهذا التغير في علاقتها بابنة عمها التي طالما أحبتها وفضلتها عن نفسها لكنها لم تستطع تخطي الحواجز التي قامت بينهما بعد أن عرفت علاقة غالية بنواف، لقد أصبحت غالية تتجاهلها وتنفر من البقاء معها لدرجة أنها لم تستطع حتى الحديث معها مجدداً عن نواف وإقناعها بتركه والعودة إلى رشدها، وها هما اليوم على بعد خطوات من الفراق فاليوم ستعود غالية إلى بيتها وأهلها وستبتعد عن محيط فجر نهائياً، كم بدت غالية سعيدة هذا الصباح وهي تنقل ثيابها وأغراضها بشكل نهائي إلى بيتها، وفي الطريق إلى المطار جلست صامتة

نافرة، وزوجة عمها تفسر حالها إنه شوق وحنين إلى أهلها لا أكثر، ولا تدرك حقيقة حال غالية وأفعالها التي تسترت فجر عليها وهي كارهة خوفاً من العواقب المحتملة إن أخبرت أحداً.

ومرت دقائق بدت طويلة والعائلة لاتزال تنتظر، وأخيراً ظهرت أم غالية وهي متأبطة ذراع زوجها والد غالية الذي أصر على استقبال ابنته واقفاً على قدميه رغم إعيائه الشديد، وانهمرت دموع غالية، دموعٍ غزيرة ولم تقو حتى على التلويح بيدها لهما، وظهر عمها قادماً وراء والديها وهو يلوّح للجميع بيده ويبتسم واقتربت الأم من غالية، وبلا كلمات احتضنت ابنتها الوحيدة بكل الحب الذي تحمله لها وبكل الشوق الذي يخالج قلبها ودموعها تمتزج مع دموع ابنتها، والأب واقف يسنده عمها ودموع جميع أفراد الأسرة تنهمر، وألقت غالية نفسها برفق على صدر أبيها وهي تمطره بالقبلات، تقبله في كل مكان تصل إليه شفتيها وهي تردد: الحمدلله.. الحمدلله على سلامتك يا أغلى الناس، والأب يربت على ظهرها بحب وحنان وكلماته تخنقها انفعالاته وتقدمت عائلة العم تحييه وتعانقه وتسلم عليه بحرارة، وأخيراً تقدمت غالية تسلم على عمها وتسأله عن أحواله وخرج الجميع من المطار وجلست غالية بين والديها في المقعد الخلفي لسيارة عائلتها وهي تحتضن يديهما معاً في حجرها والسائق يقود السيارة وسيارة عمها وعائلته خلفهم، حيث أصر أبوها على قدومهم لتناول العشاء في منزله، ووصل الجميع إلى البيت، لقدعادت الروح إلى هذا البيت أخيراً، وجلس الجميع يتحدثون في وقت واحد حول مائدة الطعام العامرة التي أوصت بها غالية الطباخ هذا الصباح

ليقوم بإعدادها على شرف والديها، وبعد العشاء استأذن العم وعائلته بالانصراف، فهو متعب يحتاج إلى الراحة وكذلك والدا غالية بلا شك، فقد كانت رحلتهم طويلة وشاقة، ووقفت غالية تسلم على زوجة عمها وأمها تشكرها لاستضافتها غالية طوال رحلة العلاج، فقالت زوجة العم وهي تحتضن غالية: إنه بيتها، سنشتاق إليها وسنفتقدها كثيراً بلا شك، وشعرت غالية ببعض الخجل منها وهي التي كانت لا تطيقهم في الأيام الأخيرة، ووقفت فجر تنظر إلى غالية في رجاء، تعلم أنها ستأتي لأخذها إلى المدرسة كعادتها في الغد وتعود بها كالسابق، لكنها اليوم تشعر كأنها تودع غالية إلى الأبد، والتقت عيناهما معاً، وقرأت غالية ما يدور بخاطرها وأحست بقلبها يرق بعض الشيء لها، فمازالت في قلبها مشاعر قديمة لصديقة عمرها السابقة، لكنها تمالكت نفسها، ووقفت أمام فجر صامتة، وأخيراً مدت يدها إليها دون أن تقبلها أو تحتضنها وقالت بصوت خال من الأحاسيس: أراك، وردت عليها فجر والحزن يكاد يخنق صوتها: مع السلامة، كم أنا سعيدة لوصول والديك، أرجوك انتبهي لنفسك.

وشعرت غالية بالغضب يعتمل في صدرها، ماذا تقصد بأن تنتبه لنفسها! هل تعرف فجر مصلحتها أكثر منها! يالها من مزعجة أسطوانة النصائح تلك، حمدا لله أنها سترتاح منها الآن وستعيش حياتها كما يحلو لها.

وخرجت فجر مع عائلتها.. وعادت غالية إلى بيتها وحياتها، عادت من جديد، لكنها لم تعد نفس الفتاة التي غادرت هذا المكان قبل شهرين، بل عادت فتاة أخرى بكل أسف.

■■ 25 ■■

أوراد

جلست أوراد وقد وضعت الهاتف أمامها على السرير ودفتر الهاتف أمامها، واتصلت برقم أمامها وهتفت بمجرد أن سمعت صوت غالية وهي ترد عليها: مساء الخير يا غالية، كيف حالك؟ الحمد لله على سلامة والدك، كيف هو الآن؟

وقالت غالية بحرارة: أهلاً أهلاً أوراد كيف حالك أنت؟ والدي بخير الحمد لله، شكراً على السؤال..

لقد أصبحت غالية شديدة اللطف مع أوراد، أصبحت تخصها بمعاملة خاصة إكراماً لنواف، تهتم بها وتتفانى في مجاملتها، وأثرت هذه المعاملة في شخصية أوراد، فأصبحت مرحة منطلقة مقارنة بحالها سابقاً، كانت في السابق مجرد ظل لغالية، تُكبرها وتجلها لكنها مع الوقت صارت تعتبر نفسها صديقتها المميزة، وفي الفترة الأخيرة أصبحت أكثر التصاقاً بها من فجر نفسها، بل إن فجر وتهاني أصبحتا تجلسان معاً في كافتيريا المدرسة في حين غالية وأوراد تجلسان على طاولة أخرى، ولم تهتم أوراد بمعرفة سبب الجفاء المفاجيء بين ابنتي العم لكنها سعيدة بمكانتها الجديدة في حياة غالية، حتى أن غالية أصبحت تتأفف أمام أوراد من اضطرارها لتوصيل فجر كل يوم.

على كل حال لم يبق سوى القليل على التخرج، ثلاثة شهور وتنتهي الدراسة وتنتقل جميعاً إلى الجامعة أو المعهد كل حسب معدلها.

وتحادثت الصديقتان قليلاً ثم قالت أوراد: اتصلت لأدعوك إلى حفلة عيد ميلادي الخميس المقبل.

ولمعت عينا غالية وهي تسمع هذا الخبر، إنها المرة الأولى التي تقيم فيها أوراد حفلة ما، لطالما كانت انطوائية ضعيفة، حسنا ولِمَ لا، سترى نواف بلا شك يومها، وسرحت وهي تفكر ماذا ترتدي.. وأخيراً سألت أوراد والتردد واضح في صوتها: غالية هي يمكنني أن أدعو فجر وتهاني إلى حفلتي؟

وابتسمت غالية بخبث.. مازالت أوراد عبدة لها، فقالت بلا مبالاة: كما تريدين.. ادعيهما إن شئت، هيا أخبريني ماذا سترتدين؟ ومن أين ستطلبين البوفيه؟ و..

وانطلقت أوراد تحكي لها كل التفاصيل والسعادة تغمرها وتتراقص على وجهها..

■■ 26 ■■

نهاني نعاني

تنهدت تهاني بحسرة وهي تغلق الهاتف.. يا إلهي ماذا سترتدي في حفلة أوراد؟ لا تملك ثوباً واحداً قيماً، والأهم ماذا ستهديها؟! يا له من عبء ثقيل وقع عليها، هل تعتذر عن الذهاب؟ يمكنها التظاهر بالمرض أو التعذر بأي سبب آخر، لا لكنها أن تذهب، تريد أن ترفه عن نفسها، ستكون حفلة رائعة بلا شك.

واتجهت نحو أمها المغلوب على أمرها، وجلست بجوارها وهي تخيط أحد أثواب زبوناتها، وقالت: أمي.. أحتاج مالا وثوبا جديدا لأحضر عيد ميلاد صديقتي أوراد يوم الخميس.

وككل مرة تطلب تهاني من أمها مالا يدور النقاش العقيم نفسه الذي ينتهي إلى لا شيء..

ونظرت تهاني إلى ثوب جميل لإحدى الزبونات وهو معلق على دولاب أمها من الخارج بعد أن أنهت كيه للتو وقالت: إذن أعيريني هذا الثوب لأرتديه ثم خذيه إلى المصبغة فيعود كالجديد..

وخبطت أمها على صدرها وهتفت: ماذا؟ وأخون الأمانة والعياذ بالله، لا يا ابنتي لست أنا من تفعل ذلك مهما حصل.. أنا لا أخون ثقة زبوناتي..

وصرخت تهاني وهي تبكي: وأنا.. أريد الذهاب إلى الحفلة، ماذا أفعل أخبريني؟ هل لديك حل؟ من أين أحصل على ثوب؟

هل أستعير ثوبا من صديقتي مثلا و والدي رجل ميسور الحال؟ لو كان فقيرا لتفهمت وضعه لكنه بخيل.. أنا أكرهه..

وقضت فترة الظهيرة تبكي.. وعند المغرب اتصلت بها فجر وجاءت أختها الصغيرة تناديها، وكادت ترفض المكاملة، لكنها قامت متكاسلة لترد على صديقتها وقالت فجر: لقد عدت لتوي من السوق واشتريت هدية جميلة لأوراد، وكتبت اسمي واسمك عليها، هدية مشتركة بيننا.

وشعرت تهاني بالامتنان وقالت: أشكرك يا فجر، لكن يجب أن أعطيك نصف ثمنها..

فقاطعتها فجر: سأغضب منك إن قلت ذلك ثانية، نحن كالأخوات لا فرق بيني وبينك..

وفجأة بكت تهاني على الهاتف، وسمعت فجر صوت نشيجها الخافت وصاحت بلهفة: تهاني هل تبكين؟ لماذا يا عزيزتي.. بالله عليك أخبريني؟..

فاندفعت تهاني تحكي لفجر، لم تكن المرة الأولى التي تشكو إليها بخل والدها وجبروته، لقد وجدت فيها أذنا صاغية وصدرا حنونا وبئرا عميقة لسرها العائلي المخجل..

قالت فجر بعطف: يمكنني أن أعطيكي أحد أثوابي.

واندفعت تهاني تقول: لا لن أقبل بذلك أبدا، يكفي أنك تكفلت بالهدية.. ثم أن مقاسنا مختلف أنا أطول منك وأنحف..

فصمتت فجر تفكر وأخيرا قالت: آه لدي فكرة.. تذكرت

قماشا كنت قد اشتريته منذ فترة ولم أفصله، سأهديه لك، ولتقم والدتك بتفصيل ثوب لك.

ورفضت تهاني رفضا شديدا، كيف تأخذ شيئا ليس لها، ولم تقبل تضحية فجر، ثم إن فجر متوسطة الحال، صحيح أن والدها لا يقصر في حقها، لكن هذا القماش لها ومن حقها استخدامه لنفسها، لا لن تقبل بذلك ولن تكون مرتاحة إن فعلت، ثم إن كرامتها تشكها كدبوس حاد يؤلمها، الأفضل ألا تذهب إلى الحفلة بتاتا..

وانتهت المكالمة بين الصديقتين وتهاني لاتزال على موقفها، وفي المساء دخلت عليها أمها غرفتها، وابتسمت الأم في وجه ابنتها المتجهم وقالت: لقد وجدت الحل.. لقد استلمت أجرى من إحدى الزبونات اليوم وبعت خاتماً قديماً لا أحتاجه.. سنشتري قماشا مناسبا وسأفصله لك كما تريدين..

وصرخت تهاني بلوعة: أمي أي خاتم بعته؟ هل هو خاتمك الذهبي الكبير؟

وأطرقت الأم بعينيها كي تخفي عذابها عن ابنتها: كان عزيزا عليّ لكنه ليس أعز منك يا حبيبتي..

واندفعت تهاني تبكي وهي تحتضن أمها والأم تقول بحنان:

يعز عليّ أن أراك شابة جميلة ومحرومة من السعادة بسبب المال، ويعلم الله كم أعاني لأبقي هذا البيت مستورا، وكم أحاول جاهدة أن أغيّر طبع أبيك، لكنه لا يتغير ولا أظنه يتغير، كل ما أريده أن تنجحوا في دراستكم، أنتم أبنائي وأملي في الحياة، أريد

أن يأتي اليوم الذي أراكم فيه تعتمدون على أنفسكم وتستقلون ماديا عن أبيكم وتعوضونني ما عانيته لأجل تحقيق ذلك..

وقبّلت تهاني يد أمها وقالت بإخلاص: أعدك يا أمي ألا أخيب رجاءك، سأعمل بجد وإخلاص وسأكون كما تمنيت لي دائما، لن أخذلك أبدا.. أبدا.. أعدكِ.

■ ■ 27 ■ ■

الحفلة

وقفت غالية أمام مرآتها وهي تنظر إلى نفسها قبل الذهاب إلى عيد ميلاد أوراد، كانت ترتدي ثوباً أسوداً غالياً، مزيناً بشرائط بيضاء كبيرة، ثوب جميل ثمين كما هي ثيابها دائما، وقد انسدل شعرها الذي أرادته مجعدا على سبيل التغيير على كتفيها بإهمال مثير، بدت جميلة مختلفة، سينتظرها نواف بعد الحفلة ليراها وهي خارجة، ستتعمد البقاء طويلا كي تراه وهو عائد من ديوانية أصدقائه كما وعدها، وابتسمت لنفسها بغرور والتقطت حقيبتها الغالية وخرجت.

وفي منزل فجر.. نزلت فجر إلى أمها التي ستقوم بإيصالها إلى الحفلة هي وتهاني.. بدت فجر متألقة وقد ارتدت ثوبا محتشما غامق اللون وحجابا جميلا يلائم الثوب، وقد استعدت للحفلة بأن وضعت بعض المساحيق الخفيفة التي لم تكن تحبها أبدا.

وركبت فجر سيارة أمها وقد أحضرت الهدية معها، وفي الطريق سألتها أمها عن غالية وأخبارها، وتعكر صفو فجر، ربما استغربت الأم أنهما لم تذهبا إلى الحفلة معا، ولم تعرف كيف تجيب أمها، صحيح أنهما تذهبان وتعودان من المدرسة معا، لكنهما تكادان لا تتحادثان، تظل غالية تعبث بهاتفها النقال الذي تخفيه في حقيبتها المدرسية طوال الطريق في حين تتشاغل

فجر عنها بمراجعة دروسها في السيارة ولولا حرصها على راحة أمها لكانت توقفت عن الركوب مع غالية منذ زمن، وكم تمنت فجر لو كان منزلها أكثر قربا إلى المدرسة لاستطاعت الذهاب سيرا إلى هناك بدل اضطرارها إلى تحمل غالية وجفائها كل يوم.

ووصلت السيارة إلى منزل تهاني التي ما إن خرجت حتى انبهرت العيون بها.. ياه لم ترها فجر بهذا الجمال من قبل، لقد ارتدت ثوبا بنيا داكنا وثبتت على خصرها وردة كبيرة صفراء، ورفعت شعرها بالكامل خلف رأسها فبدت عيناها أشد اتساعا وأكثر جمالا، إنها رائعة، فاتنة، كفرس حرة رشيقة.

وفي الحفلة وقفت أوراد تستقبل ضيوفها في سعادة ومرح، بدت كطفلة سعيدة لا تصدق نفسها، لا تصدق أنها تقيم حفلة، إنها نجمة هذه الحفلة، كانت ترتدي ثوبا ورديا منقوشا بعض الشيء كثياب الأطفال، لم تبد فاتنة كفتاة في عمرها بل بدت أصغر من عمرها بثوبها ومكياجها البسيطين وشعرها الذي اكتفت بتنعيمه ووضع شريطة فوقه بلون الثوب الذي ترتديه، والتقت الفتيات معا، وشعرت فجر بالانقباض وهي ترى غالية تحييها ببرود هي وتهاني كأنها تتعالى عليهما.. لكن تهاني لم تهتم بها هذه المرة، فهي واثقة من نفسها ومن روعة ثوبها الذي فاق ثوب غالية جمالا وهي ترى صدى جمالها في عيون جميع البنات من حولها، صحيح أن ثوب غالية أغلى ثمنا لكنه ليس أجمل ذوقاً من ثوبها.. واشتعلت الغيرة في قلب غالية ولامت نفسها لأنها سمحت لأوراد بدعوتهما إلى الحفلة، ليتها أمرتها

بعدم دعوتهما، لكن الوقت قد فات الآن، وها هما الآن أمامها لينغصا عليها بهجتها.

كانت الحفلة راقية.. قدمت العصائر الطازجة والحلويات والمثلجات والموسيقى تصدح في أرجاء المكان، والبنات يرقصن سعيدات، وأم أوراد سعيدة بابنتها وصديقاتها، وأخيراً حان وقت إطفاء الشموع، وأدخلت الكعكة المكونة من ثلاثة طوابق مزينة بالزهور الوردية اللون، وعليها شموع من اللون نفسه، وأطفأت الأنوار، وغنت الفتيات معا: سنة حلوة يا جميل.. وأطفأت أوراد الشموع وهي تلهث من فرط انفعالها وفرحتها وغالية ملتصقة بها لتظهر في الصور، وتساعدها في تقطيع الكعكة، وفي البوفيه قامت بمساعدة الأم في بعض الترتيبات، كل ذلك لتكسب ودها وإعجابها، إنها حماة المستقبل، والأم تطري عليها وعلى أخلاقها فتزداد غالية سعادة ولمعانا وأملا.

وانتهت الحفلة في الحادية عشرة مساء.. ووقف نواف بالقرب من بوابة البيت بجوار سيارته، ومعه أحد أصدقائه، سيظل واقفا ليرى غالية وهي خارجة، وليتسلى مع صديقه بالتعليق على صديقات أخته، فهذه بطة سمينة وهي طويلة كالزرافة، وهذه تنظر إلينا خلسة وهي تحاول التظاهر بالحشمة والأخلاق و... وفجأة سكت نواف عن الكلام وهو ينظر بدهشة نحو الباب، يا إلهي من هذه الفتاة! كانت تهاني تخرج في هذه اللحظة من بيتهم وبصحبتها فجر.. وبهر نواف بتهاني.. إنه يعرف فجر.. يعرف أنها ابنة عم غالية فهو يراها تركب معها في السيارة في المدرسة، لكنه لا يعرف تهاني.. لم يرها من قبل، ما أجملها،

لم ير فتاة في جمالها من قبل، وهي متزنة، لم تنظر إليه سوى نظرة واحدة وصدت عنه قبل أن يلتقي بعينيها، يا الله من هذه الحورية.. وخفق قلبه بعنف، وصديقه صامت أيضاً وما إن ركبت الفتاتان معا بصحبة والدة فجر، حتى قال صديقه: هل رأيت ما رأيته أنا! من هي تلك الفتاة؟!

وبعد برهة خرجت غالية وهمس له صديقه ثانية: تلك صاحبتك أليس كذلك؟

والتفت نواف نحوها وقد ظهرت في عينيه نظرة عابثة وهو يتفحصها، لقد فقد احترامه لها منذ زمن، هذا إن احترمها يوما، إن تلك الفتاة طوع بنانه وهي بنظره فاسدة مدللة، إنها لا تعني له شيئا، خروج وقبلات وكلام جميل، وغزل صريح، إنها صديقة للتسلية، ربما تحبه هي، لكنه لم يحبها يوما، وها هي تنظر إليه بجرأة وسعادة وابتسم يجاملها، وعقله يفكر بتهاني..

■■ 28 ■■

نواف ونهاني

منذ تلك الليلة ونواف لم يكف عن التفكير بتهاني، وسأل أوراد عنها، وعرفت أوراد أنه يعني تهاني بسؤاله من وصفه لها، وأخبرته كل ما تعرفه عنها، وطلب منها نواف أن تخبرها أنه معجب بها، ويريد محادثتها، لقد جن أخوها، ورفضت أوراد، لا تستطيع أن تفعل ذلك، لا تعرف كيف تقول ذلك لتهاني، لا تجرؤ ولا تتخيل كيف يطلب منها أخوها طلبا كهذا، وأصبح نواف يدقق النظر ليبحث عن تهاني في المدرسة وأخيرا لمحها، لمحها تخرج مسرعة وتمشي على رجليها إلى بيتها، عرف أنها لا تقف مع البنات في نهاية الدوام فبيتها قريب من المدرسة، ولحق بها نواف وعرف مكان بيتها ثم عاد إلى أخته التي تأخر عليها يومها.

كيف يصل إلى هذه الفتاة، وغالية لاتزال تلقي بنفسها عليه، لم يعد يتلهف إلى لقائها، أصبحت هي التي تطلب لقاءه، ولم يعد يهتم إن اتصلت به أم لا، أصبح أكثر برودا معها، وبدا أكثر جفاء في حديثه، لم يعد يمتدحها ولم يعد يمطرها بكلامه الجميل وغزله، بل لم يعد يطيل النظر إليها وهي خارجة من المدرسة كما كان يفعل، لقد تغير كثيرا، وشعرت هي بتغيره عليها، واحتارت ماذا تفعل أكثر لإرضائه، وصارحته بما تحس به وأنكر أنه تغير عليها ثم غضب منها وأقفل الخط في وجهها، وبقيت هي تتصل به طوال الليل تحاول إرضاءه واستعطافه بدموعها.. ياه لقد ذاقت طعم الذل وهي الفتاة المدللة التي لم تعرف الذل يوما، تشعر بكرامتها تذوب وتذوب أمام هذا الشاب الذي استغلها، لكنها لا

تستطيع التوقف عن الاندفاع نحوه، إنها كالمخدرة، لقد اعتادت عليه في حياتها، لا تتخيل نفسها تعيش بدونه، لا تستطيع العودة إلى نفسها وحياتها قبله ولا تعرف كيف تسترد اهتمامه، إنها تسأله إن كان يحبها فيجيبها بنعم، كلمة يقولها بلا إحساس أو اهتمام، لكنه يتمادى في تعذيبها وراءه.. يتمادى في جرحها وتجاهلها، هل هو حقا يحبها؟ إنها لا تعرف وتخاف أن تعرف.

وجاء يوم وكانت والدة غالية خارجة إلى السوق مع السائق، وغالية في المدرسة، وفي الطريق قال السائق للأم: سيدتي.. أريد أن أكلمك في موضوع. قالت الأم: خير.. ماذا هناك؟

إن هذا السائق كفرد من العائلة، مضى عليه في خدمتهم خمسة عشر عاما، وهو مخلص أمين ويعتبر غالية كابنته، فقد عرفها منذ كانت طفلة، وأخبرها السائق عن ألمه، أخبرها أن غالية تقابل شابا ما، وأن هذا الشاب يأتي لرؤيتها في المدرسة كل أحد وثلاثاء، وأنه لمحها تركب معه سيارته بعد أن يقوم بإيصالها إلى أحد المجمعات التجارية، أخبرها كل ما يعرفه، وقال لها إنه يخبرها لخوفه على غالية ولحبه لها، وبكى وهو يقول للأم إنه يحبها كابنته، يخاف عليها أن تضيع، وأنه عانى كثيرا حتى استطاع أن يتجرأ ويخبر الأم بهذا الموضوع اليوم، واستحلفها أن لا تخبره غالية أنه من أخبرها، والأم مصدومة تكاد لا تعي ما يخبرها به السائق، هذه هي ابنتها! معقول ابنتها التي أحبتها ووثقت بها تفعل كل هذا؟. تخون ثقتها وثقة أبيها! يا إلهي.. وأخيرا أخبرها السائق أن هذا الشاب هو أخو أوراد صديقتها في المدرسة!

ودارت الدنيا بالأم المسكينة وانهمرت دموعها حزنا وكمدا.

29

الأم تتدخل

جلست أوراد ساهمة إلى جوار غالية في الكافتيريا، ولاحظت غالية وجومها، وسألتها عما يقلقها، وبعد إلحاح قالت أوراد: بصراحة لا أعرف إن كان يجدر بي إخبارك أم لا.. إنه أمر يتعلق بأخي نواف.

وخفق قلب غالية بين ضلوعها: ما به؟

وألحت على أوراد أن تخبرها وتنهدت وهي تقول: إنه معجب بفتاة ما، ويريدني أن أتوسط بينه وبينها وأنا لا أستطيع أن أفعل ذلك، لا أجرؤ على أمر كهذا، وهو غاضب مني، يقول: إنني ضعيفة وبلا فائدة، يكاد لا يكلمني وكلما حاولت استرضاءه عاد يلح عليّ في هذا الموضوع.

وبرقت عينا غالية وقلبها يكاد يتوقف، وقالت وهي تحاول أن تضبط نبرة صوتها: ومن هي هذه الفتاة؟

وتنهدت أوراد وقالت بكمد: إنها تهاني، منذ رآها وهو لا يكف عن التفكير بها، لقد جن بها.

ودارت الدنيا بغالية.. لا تعرف كيف انقضى عليها ذلك النهار، وظلت واجمة طوال طريق العودة وفجر تراقبها بحزن وألم.

وعادت غالية من المدرسة والنار تتقد في صدرها.. هكذا الأمر إذن.. إنه يتلاعب بها، من يظن نفسه هذا المغرور، لقد

خدعها، يسعى وراء فتاة أخرى ويذيقها هي الذل والهوان، ستواجهه، ستخبره بما عرفته، يجب أن يبرر لها موقفه، تريد أن تعرف مكانتها لديه، يجب أن تضع النقاط على الحروف.

ودخلت غالية غرفتها فتفاجأت بأمها جالسة على سريرها، وقالت الأم: أخيراً عدت، اجلسي أريدك في أمر هام.

وجلست غالية أمام أمها التي قالت: أريد منك أن تخبريني بكل شيء، أريد أن أعرف الآن وبالتفصيل ما علاقتك بشقيق أوراد صديقتك؟ وبلا كذب لقد عرفت كل شيء ولا مجال أمامك للإنكار.

وصعقت غالية.. لم تتصور أن أمها عرفت بسرها معقول! من أخبرها، من فعل بها ذلك! لا بد أنها فجر، تلك الخائنة.. صديقة تهاني المخلصة.. خاطفة الرجال!

وقالت غالية: لا بد أنها فجر من أخبرتك أليس كذلك؟

واتسعت عينا الأم وقالت: فجر؟ هل تعرف بالأمر؟ تعرف وتتستر عليك؟. لا ليست فجر وأقسم على ذلك، وليس المهم من أخبرني، أريدك أن تصارحيني.. ألست أمك؟ ألست أقرب الناس إليك؟ إن لم تبوحي لي بسرك فمن سيدلك على الطريق الصحيح؟ هيا يا غالية صارحيني يا ابنتي وثقي أن ما ستقولينه سيبقى سراً بيني وبينك.. أنا وأنت فقط.

وفجأة انفجرت غالية بالبكاء.. وحكت لأمها، صارحتها بكل علاقتها بنواف، أخبرتها كل شيء، وشعرت وهي تحكي إلى أمها أنها تتحدث إلى نفسها، تحاسب نفسها وكلما حكت أكثر شعرت

براحة أكثر، شعرت أن اعترافها لأمها يغسل خطاياها ويحررها من ذنبها، وانتهت غالية من اعترافها .. وانتهت دموعها .. ونكست رأسها وهي تنتظر ما ستقوله أمها.

وصمتت الأم.. صمتت طويلاً.. ثم قالت:

إذن في الوقت الذي كنا أنا وأبوك بحاجة إلى دعائك وتضرعك كنت أنت تعبثين بسمعتنا وشرفنا مع ذلك الشاب بلا أدنى إحساس بالمسؤولية، كنت تخاطرين بصورتنا أمام عائلة عمك بلا أدنى اعتبار لما سيحدث لو أنهم اكتشفوا فعلتك.

وصرخت غالية وهي تجلس باكية عند قدمي أمها: لا يا أمي لا تقولي ذلك، كنت أموت ألف مرة وأنا أفكر بصحة أبي.

وقاطعتها الأم بصرامة: أي ابنة أنت، كيف استطعت خيانة ثقتنا بك لهذا الحد! أقسم أنني لولا خوفي على أبيك وقلبه المريض، لما أخفيت الأمر عنه، ليته يعرف ماذا فعلت ابنته التي لم يقصر في حقها يوما .. ياه كم هي صدمتي بك كبيرة، كبيرة جداً يا غالية، كبيرة وموجعة.. هيا، لنضع النقاط على الحروف والآن.. اتصلي بنواف أمامي وأخبريه أن أمك عرفت بالأمر وسترين كم كنت مخطئة في حقنا وحق نفسك قبلنا، هيا.

غالية: الآن!

الأم: أجل، الآن.. وأمامي لأنها ستكون آخر مرة، لم تناقش غالية أمها، وأمسكت هاتفها النقال واتصلت، والهاتف يرن، وقلبها يكاد يفوقه رنينا وصراخاً، وأجاب نواف بصوت لاه كسول: ألو..

هتفت غالية والدموع تنبثق من عينيها: نواف.. الحقني يا نواف.. وأجهشت بالبكاء.

وقال نواف بصوت غريب: ماذا حدث؟ تكلمي؟

وقالت غالية بصوت يقطعه نشيجها: أمي.. لقد اكتشفت علاقتنا، عرفت كل شيء، كل التفاصيل.. شخص ما أخبرها واضطررت للاعتراف لها.

وصمت نواف برهة بدت كالسنين، ثم قال بصوت جاف: حسنا، وماذا بعد؟

وصرخت غالية: ماذا تقصد؟ أقول لك أمي عرفت، تصرف أرجوك لا تخذلني في موقف كهذا.. ألا تحبني؟

فقال بصوت بارد: اسمعي يا غالية.. مازلت طالبا.. وأمامي وقت طويل حتى أتخرج.. لا أستطيع أن أفعل شيئا.

وقاطعته مستعطفة: هل تتخلى عني؟

فقال كلمته الأخيرة القاتلة: ماذا أفعل لك؟ ما دامت أمك عرفت، من الأفضل أن ننسى كل شيء.. لا أستطيع أن أساعدك، وبصراحة أنا لا أفكر بالزواج، لا أريد.. وأرجوك حلي مشكلتك بعيدا عني.. ومن الآن لا تتصلي بي مجددا.

وصرخت غالية كالذبيحة: أيها المجرم.. خدعتني واستغللت ضعفي وحبي لك.. وها أنت تجري وراء تهاني أيضا أيها الخائن.

وقاطعها صارخا: احفظي أدبك معي.. ولا شأن لك بما

أفعله، ومن الآن لا أريد أن أسمع صوتك مفهوم؟ وأقفل الهاتف في وجهها، وأمها واقفة تسمع حديثها والحزن مرتسم على محياها.. وسقطت غالية على الأرض، سقطت في عالم جديد.. عالم اليأس والندم.

■■ 30 ■■

فجر تشرق من جديد

جلست فجر إلى جوار سرير غالية وهي تنظر إليها بجزع، بدت شاحبة اللون، كأنها فتاة أخرى، إنها محمومة وتكاد لا تقوى على شيء، وقد وجدت في ضعفها هروباً من واقعها المرير.

مضت ثلاثة أيام وهي متغيبة عن المدرسة وفوجئت فجر بالسائق يأتي لأخذها وحده، وعندما اتصلت لتسأل عن غالية عاتبتها زوجة عمها لعدم إخبارها بعلاقة غالية بنواف، وشرحت لها فجر كم عانت من الحيرة وهي ترى غالية تتعلق بذلك الشاب، وكم تغيرت غالية عليها بعد ذلك، كانت تبكي وهي تحادث زوجة عمها وتعرف ما تعانيه، لم تعرف من أخبرها لكنها عرفت بما فعله نواف وكيف ظهر على حقيقته بكل خسة ودناءة شأنه شأن أي شاب يتسلى بالفتيات الضعيفات أمثال غالية، وفتحت غالية عينيها لتجد فجر إلى جوارها، ورمشت مرارا كأنها تتأكد أنها ليست في حلم، وقالت بصوت ضعيف فجر.. أهذه أنت؟

وردت فجر والدموع تتجمع في عينيها: نعم حبيبتي، أنا هنا إلى جوارك.

ونظرت غالية نحو سقف الغرفة وقالت بضعف: لقد تخلى عني، لم أكن أعني له شيئا، خدعني وغرر بي، لم أعد أرغب بالحياة.

وقاطعتها فجر بغضب: إياك أن تقولي هذا الكلام، إن كان

ذلك الشاب لا يحبك، فهناك الكثير من الناس يحبونك ويتألمون لأجلك، إنه لا يستحق ما تشعرين به.

غالية: أنا حزينة لأجل نفسي، وليس لأجله، آه يا فجر، لقد أحببته بصدق، لا أصدق أنه لم يحبني يوما.

ودخلت الأم الغرفة وتفقدت غالية بصمت.. لم تعد تبادلها الحديث كالسابق، تسألها عن حالها وتطمئن على صحتها، لكن الغضب لا يزال يسكن قلبها ويطل من عينيها، وغالية ترد عليها بإحراج ولا تعرف كيف تسترضيها، وتحمد الله أن أباها لم يعرف شيئا، يعرف أنها متوعكة لكنه لا يعرف أنها محطمة القلب، كسيرة الفؤاد، وأنها خانت ثقته عندما فعلت ما فعلته.

وانسحبت الأم، وبقيت الفتاتان معا، وقبل أن تخرج فجر، أمسكت غالية بمعصمها واستحلفتها أن لا تتركها في أزمتها، وتعانقت الفتاتان والدموع تنهمر من عينيهما، وفجر تردد من بين دموعها:

لن أتخلى عنك أبداً... مهما حصل.

■■31■■

نواف يحاول

رن جرس الهاتف في منزل تهاني التي قامت متثاقلة لترد: آلو؟

وجاءها على الخط صوت شاب يقول: ألو... مرحبا أحمد موجود؟

فقالت تهاني: الرقم خاطئ! وأقفلت الخط! وما هي إلا دقيقة واحدة حتى عاد الجرس يرن من جديد، فإذا هو الصوت نفسه يهمس لها: لو سمحت رغبت بإخبارك شيئا..

ردت تهاني: من حضرتك؟

فعاد يقول: هل أنت تهاني؟

تعجبت تهاني وقالت: نعم، من أنت؟

فانطلق نواف يقول: ياه، أخيرا سمعت صوتك، منذ أيام وأنا أحاول أن أسمع صوتك، بصراحة وباختصار أنا شاب معجب بك منذ رأيتك وصورتك لا تفارقني.

وقالت تهاني بحذر: أين رأيتني؟

ورد نواف كاذبا: بجوار المدرسة، مدرستك، أرجوك أعطني فرصة لأثبت لك حسن نواياي.

وقاطعته تهاني بحزم: اسمع يا هذا، لست من هذا النوع وأرجو أن لا تعاود الاتصال بهذا الرقم من جديد، وإياك أن

تزعجني ثانية.. وألقت سماعة الهاتف بغضب، وبعد دقيقتين، عاد الجرس يرن من جديد، وأجابت غاضبة: آلو؟

وجاءها صوت نواف ثانية يقول بتوسل: أرجوك اسمعيني لن تخسري شيئا إن سمعت ما أريد قوله لك.

وصرخت تهاني: ماذا تريد مني؟

نواف: إذا أخبرتك أنك أجمل فتاة وقعت عليها عيناي وأنني أحببتك منذ رأيتك و...

وقاطعته تهاني وهي تكاد تصرخ: سأقفل السماعة وأقسم لك إن أزعجتني ثانية، سأخبر أبي ليراقب الخط وبعدها سيعرف كيف يوقفك عند حدك هل تفهم!

وأقفلت الخط بوجهه! وبعد فترة عاد الهاتف يدق من جديد فانتفضت تهاني وجرت إلى أمها، اقتحمت غرفتها وهي تقول: أمي لدي ما أخبرك به، وحكت لأمها كل ما حدث، صارحتها لم تخف عنها شيئا بل لجأت إليها لتحميها من الخطأ، إن لها مبادئ لن تحيد عنها مهما حدث وظهر الغضب في عيني الأم وقامت لترد على الهاتف الذي لم ينقطع عن الرنين وردت الأم: آلو؟ ولم يرد نواف بقي صامتا فقالت الأم بحزم: قسما بالله إن أزعجبت ابنتي فسنعرف كيف نتصرف معك أيا كنت، رجال بلا حياء، لو كانت لك أخت هل ترضى لها ما تفعله أنت ببنات الناس؟

وأقفلت الأم الخط وقالت لتهاني: إن استمر بالاتصال سأخبر والدك، لا تنزعجي حبيبتي، كم أنا فخورة بك.. حفظك الله يا قرة عيني..

■■32■■

أوراد نحاول

تقدمت أوراد بخطوات مرتبكة نحو تهاني الجالسة في الكافتيريا مع فجر لتسأل عن غالية لم تأت إلى المدرسة بعد ولم ترد على اتصالاتها أيضا، لكن فجر طمأنتها أنها متوعكة وستأتي إلى المدرسة الأسبوع القادم، كان اليوم خميس، آخر يوم في هذا الأسبوع وقالت أوراد بخجل: تهاني أريدك في موضوع خاص إذا سمحت.

واستغربت تهاني، وكذلك فجر! وقامت فجر مبتسمة من سذاجة أوراد التي تعرف حق المعرفة أنها لم تعتمد إحراجها، وقالت فجر: سأذهب لمدرسة اللغة العربية لأناقشها بموضوع الدرس، بالإذن، وذهبت فجر وجلست أوراد ووجهها محمر من فرط انفعالها.. وأخيرا استجمعت شجاعتها وقالت: بصراحة يا تهاني لا أعرف كيف أفاتحك بهذا الموضوع، إنه موضوع حساس وأخشى أن تغضبي مني، لكن الضغط عليّ لا يطاق، وأنا مضطرة لأن أخبرك بالأمر.

ولم تفهم تهاني شيئا، وقالت بحنان: ما الأمر؟ وتشجعت أوراد وانطلقت تقول: بصراحة إنه أمر يتعلق بأخي الوحيد نواف، لقد رآك منذ مدة ومن يومها وهو لا يكف عن الإلحاح عليّ بأن أكلمك بشأنه.. إنه معجب بك لأقصى حد، وظهر الاهتمام على وجه تهاني وقالت: أين رآني؟

فقالت أوراد: رآك وأنت خارجة من بيتنا يوم حفلة عيد ميلادي ثم رآك خارج المدرسة.

تهاني: حسنا، وماذا يريد مني بالضبط؟

أوراد: يريد التعرف بك!

تهاني: يريد العبث إذن؟ يتعرف بي ثم ماذا؟ محادثات ولهو وتسلية أليس كذلك!

وظهرت الحيرة على وجه أوراد ولم تعرف ماذا تقول!

فعادت تهاني تسألها: هل حاول الاتصال بي على المنزل؟

وقالت أوراد ببلاهة: ماذا؟ كيف؟

تهاني: لا أهمية لذلك، أبلغيه ما سأقوله، رسالتي له هي إن كان هو يقبل عليك أنت أخته التعرف على شاب من الشارع ومصاحبته عندها سأفكر في عرضه.

وانتهى حديث الفتاتين والاضطراب يصبغ وجه أوراد التي ما إن عادت إلى البيت والتقت نواف حتى أخبرته برد تهاني ورسالتها إليه، وجن جنونه، ماذا تريد هذه الفتاة، أو بالأخص ماذا يريد هو من هذه الفتاة؟ إنها تدفعه للجنون، يشعر أنه يريدها بأي ثمن، أعجبته كثيرا، وزاده صدها إعجابا وجنونا، إنه لا يستطيع أن يبعدها عن تفكيره كيف يجتذبها إليه؟ كم هي عنيدة وصعبة المنال، وأخذ نواف يدور في غرفته كالمجنون وأخيرا لمعت برأسه فكرة جديدة، وذهب إلى أوراد ليخبرها برسالته الجديدة إلى تهاني، وفي اليوم التالي وكان يوم العطلة

الأسبوعية، اتصلت أوراد بتهاني في منزلها.. إنها المرة الأولى التي تتصل بها في المنزل وقد زودها نواف بالرقم بنفسه، لا بد أنه حاول مكالمتها قبلا كما ألمحت تهاني إليها في حديثها السابق، وأجابتها تهاني والدهشة واضحة في نبرات صوتها، وبعد سلام قصير دخلت أوراد في الموضوع مباشرة وقالت: لقد طلب أخي أن أوصل إليك رسالته الأخيرة.. يقول لك إنه على استعداد للتقدم لخطبتك إن كنت موافقة، وهو جاء كل الجدية في هذا الأمر ويسألك رأيك... وسكتت تهاني لبرهة ثم قالت: لا أنا غير موافقة، أليس أخوك طالبا؟ ثم إنني لا أريد الزواج قبل أن أتخرج من الجامعة وعندما أتزوج سأختار رجلا ناضجا يكبرني بسنوات عدة، أخوك لايزال غير ناضج وشخصيته لا تعجبني ولا أرى فيه فارس أحلامي، أخبريه أن يبحث عن عروس غيري هذا إن كان حقا يبحث عن عروس!

■■ 33 ■■

غالية وأوراد

وجاء يوم الأحد، وعادت غالية إلى المدرسة، والألم مرتسم على وجهها، مازالت ذكريات الليلة الماضية مرتسمة في مخيلتها كما لو أنها شريط سينمائي لا يبرح خيالها، وأخذت تحكي لفجر في الطريق إلى المدرسة.

لقد دخلت عليها أمها البارحة وأخبرتها أنها لاتزال غاضبة عليها كل الغضب وفرضت عليها قيودا غريبة على غالية ونمط حياتها لقد أخذت منها هاتفها النقال، وقررت حرمانها من مصروفها الباذخ الذي اعتادت الحصول عليه، بل إنها أخذت منها بطاقة البنك، وأخبرتها أنها لن تخرج من البيت بعد الآن إلا بصحبتها - أي بصحبة أمها - وليس مسموح لها زيارة أي صديقة لها مهما كانت المناسبة، وستذهب إلى المدرسة مع السائق كما اعتادت وسترافقها الخادمة صباحا ونظرت غالية شذرا إلى الخادمة الجالسة بجوار السائق، ثم أكملت تحكي لفجر بقية الأوامر الجديدة التي حلت عليها نتيجة فعلتها، ستأتي أمها لأخذهما من المدرسة بعد الظهر، والأمر الذي أحزن غالية كثيرا أنه لم يعد مسموحا لها ارتداء الملابس الضيقة أو وضع المساحيق عند الخروج، وقامت أمها بأخذ الهاتف الموضوع في حجرة غالية وأخبرتها أنها إن أرادت التحدث في الهاتف فإن ذلك سيكون في الصالة وأمام ناظريها، وأوضحت أمها هذه التعليمات بصراحة وحزم، وأكدت لغالية أنها لن تتساهل معها إن خالفت

تعليماتها أو حاولت تخطي حدودها الجديدة، ووصلت الفتاتان إلى المدرسة والزميلات يسلمن على غالية ويسألنها عن صحتها وحالها بعد غيابها الأسبوع الماضي.. وفي الكافتيريا تقدمت تهاني تسلم على غالية، يا إلهي إن رؤية تهاني تزعجها إلى أقصى حد، تشعرها بالغيرة والألم، كأنها سكين في قلبها وكلما حاولت انتزاعها زادتها ألما ونزفا، وردت سلام تهاني وسؤالها بصوت خافت بارد وهي تتحاشى النظر إليها، وشعرت بنفسها ضئيلة أمامها بل شعرت أنها قبيحة دميمة وأن تهاني جميلة بهية الأمر الذي أحبطها كليا.. وفجأة رفعت رأسها لتجد أوراد واقفة أمامها والفرحة تلمع على وجهها وصاحت أوراد بانفعال: الحمد لله على السلامة الآن نورت المدرسة، اشتقت إليك وتبدل حال غالية تسلل إليها شعور غريب بالتشفي والانتقام ورفعت رأسها بكبرياء وقالت بتعال: شكرا وأشاحت بوجهها عن أوراد، وبقيت فجر صامتة وهي ترقب ما يجري أمامها، وجلست أوراد بجوار غالية كأنها لم تلاحظ صدها، وقالت: اتصلت بك مرارا بلا فائدة، قلقت عليك، ونظرت إليها غالية ثانية باحتقار وقالت: حقا؟ اتصلت بي؟ يا إلهي اتصلت بي الملكة أوراد ولم أعرف، كم حظي سيء.

وانكمش وجه أوراد وهي تسمع رنة السخرية في صوت غالية! إنها لا تعرف لم هي غاضبة منها ولم تعاملها بهذه القسوة، هل أغضبتها في شيء! وارتبكت.. وانقبض قلبها، وفجر لاتزال صامتة إلا أنها لم تصمت طويلا فما إن اختلت بغالية حتى عاتبتها طويلا على تصرفاتها أخبرتها أولا أنها يجب ألا

تتحامل على تهاني صحيح أنها تتفهم ما تشعر به، لكن لا ذنب لها إن لاحقها شاب عابث لم يحترم مشاعر غالية وحبها، ثم انطلقت تلومها على موقفها مع أوراد، صحيح أن نواف شقيقها لكنها لا تعلم بعلاقته بها وليس لها أي ذنب فيما تعرضت له غالية على يديه، ثم إنها تحب غالية ولطالما أكبرتها واعتبرتها قدوة لها، فليس من العدل أن تتحمل وزر أخيها، لكن غالية قالت إنها تذكرها بأخيها كلما رأتها تخيلته أمامها، لا تستطيع تجاهل حقيقة أن هذه الفتاة هي أخته، قطعة منه، وهي تكره كل ما يتعلق بنواف ولا تريد أي شيء يذكرها به أو يربطها به سواء من قريب أو بعيد، ثم أنها لا تستطيع التواصل مع أوراد بعد الآن، قد تتخطى شعورها نحو تهاني، لكنها لا تظن نفسها قادرة على التعامل مع أوراد أبداً.. وقد عانت أوراد عانت حقا.. وهي ترى حقد غالية وتعمدها الابتعاد عنها، لقد حاولت أن تسألها لكن غالية لا تبالي بها ولا تعطيها أسبابا ولو حتى أسبابا كاذبة لتريحها عن سر تغيرها، تركتها تحتار وحدها، وفكرت أوراد أن غالية غاضبة منها لأنها لم تقم بزيارتها في مرضها وحاولت الاعتذار من غالية على ذلك لكن بلا فائدة، وقامت أوراد بالاتصال بها مرارا في المنزل، تريد شيئا يريحها ويهدىء مشاعرها وظنونها لكن المؤلم في الأمر أن والدة غالية أيضا تجيبها ببرود وجفاء واضح لم تفهم له سببا ولم تعرف معنى لكل هذا، وبدت أوراد منكسرة أكثر من أي وقت مضى، إنها تدفع ثمن غلطة لم ترتكبها ولا تعرف كنهها، وأصبحت تكره المدرسة كلها، لم تعد تطيق الذهاب إلى المدرسة والامتحانات على الأبواب

إن الدراسة على وشك الانتهاء، وأوراد تدخل المدرسة بقلب مقبوض وعيناها ومشاعرها تستجديان عن غالية، لعلها تعاملها بلطف هذا اليوم، لكن غالية تقسو عليها وتتجاهل وجودها بل إنها في إحدى المرات طلبت منها أن لا تجلس معهن في الكافتيريا وأمرتها بأن تبحث لها عن شلة أخرى ويومها بكت أوراد، انهمرت دموعها أمام الفتيات وحاولت فجر تهدئتها وبقيت غالية تنظر إليها بتشف ثم تركتها تبكي ومضت في طريقها بلا مبالاة، ونحلت أوراد إن القلق يأكلها ويفري عظامها تحت وطأة كل هذه الضغوط المؤلمة، وعندما جاءت عطلة الامتحانات كانت سعيدة بانتهاء الدوام، فلم تعد تطيق حياتها في المدرسة، وستعمل على الالتحاق بكلية مختلفة عن غالية بعد التخرج، لا تريد الاجتماع بها في ظروف أخرى، أصبحت كالكابوس في حياتها لقد نغصت عليها صفاء أيامها وحولت دنياها إلى جحيم لا يطاق..

غالية تتغير

جلست غالية أمام والدتها صامتة.. إن لديها كلاما تود قوله، كلاما كثيرا يعتمل في صدرها وتريد البوح به لأمها، وشعرت الأم بما تريده ابنتها الوحيدة ونظرت إليها بانتظار سماعها.

وأخيراً قالت غالية: أمي.. أرجوك، أريد أن نبدأ معا صفحة جديدة، لقد أخطأت وأنا أعترف بخطئي وأعرف سوء ما فعلته، لكنني لا أطيق الحياة وأنت غاضبة مني، صدقيني يا أمي، لا أريد عفوك لأحصل على المال أو الحرية من جديد، لا أريد أيا منهما، أريد رضاك عني وثقتك بي، أريد أن أعود ابنتك الحبيبة التي كنت تفخرين بها، أريد أن أنسى الماضي وأن أبدأ من جديد.

وصمتت الأم قليلا ثم قالت: لا أريدك أن تنسي الماضي.. أريدك أن تتعلمي منه أولا، ثم تغيري من نفسك وبعدها تبدئين حياة جديدة بمبادئ قوية لا تحيدين عنها، لا تظنين أنني سأظل غاضبة منك إلى الأبد.. فأنت ابنتي وقرة عيني ووحيدتي، لكنني شعرت في لحظة أنني لم أربك كما يجب، ربما لم تكن غلطتك وحدك، وجدت أنني اكتفيت بإعطائك كل ما تريدين ولم أقم بزرع القيم في نفسك فكبرت لتصبحي فتاة مدللة لا يهمها إلا ما تريده هي. والآن ما دمت تريدين البدء من جديد، فلك ذلك، سنبدأ معا من جديد، لكن عديني أنك لن تخفي عني أي شيء،

من الآن وصاعدا سأكون أمك وصديقتك وموضع سرك، أريدك فتاة قوية ذات هدف واضح في الحياة، لا أريد لأي كان أن يغرر بك أو يخدعك، أريدك شامخة ومتميزة، والأهم من ذلك أريد أن تقوي إيمانك وتهتمي أكثر بدينك، إنه ثروتك الحقيقية، تمسكي به كي لا تضيعي أو تضلي طريقك في أحد الأيام، صدقيني يا غالية «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم».

وصمتت غالية.. وأخذت تفكر.. يجب أن تتغير.. نعم ستتغير وستنجح، ستتغير من الداخل، وستبدأ من جديد.. وبدا التصميم واضحا على وجهها.

الاختلاف

إنه أمر محير، الاختلاف بين الأشخاص، كيف يصبح شخصا ما متدينا بينما نرى شخصا آخر منحلا ضائعا، كيف نجد إنسان خلوقا مطمئنا، وآخر طاغية عاصفا، لمَ نرى أشخاصا سعداء هادئين وآخرين تعساء مضطربين، هل هي التربية؟ هل هي الظروف؟ هل هو الحظ؟ قد يتواجد شخصان في ظرف مشابه لكننا نجد كل منهما يتصرف على نحو مختلف، لماذا!

من هو المسؤول عن ما نحن عليه من حال؟

هكذا دارت الأسئلة في ذهن غالية، لقد عرفت الإجابة أخيرا، إن الإنسان هو المسؤول عن اختيار مصيره، نعم إننا نصنع مصائرنا بأيدينا، كل ما نفعله أو نكونه هو رهن إرادتنا.

واليوم اختارت غالية أن تكون لديها الإرادة، ستتغلب على محنتها وستتخطى ألمها وستبدأ من جديد.

وبدأت الامتحانات وفي اليوم الأول التقت أوراد، وبدت أوراد مرتبكة وحاولت عدم النظر نحوها، لكن غالية تقدمت منها وقالت بود: مرحبا أوراد كيف كان امتحانك اليوم؟

وردت أوراد كأنها خائفة: جيد، لا بأس به.

لقد قررت غالية أن تغير معاملتها لها، لقد أخطأت في حقها، ما ذنبها هي في جرم أخيها؟ لطالما أخلصت أوراد لها، لن تعود

إلى صداقتها القوية كالسابق لكنها ستحترمها عندما تلتقي بها، ستعاملها بلطف، ولن تهينها أو تصغّر من شأنها.

وابتسمت غالية وقالت لها: عن إذنك إذن، أراك على خير وتركت أوراد واقفة وقلبها يخفق في صدرها بعنف!

وفي اليوم التالي التقت تهاني، لطالما غارت من تهاني، لقد كرهت جمالها وحاولت مرارا إهانتها والتقليل من شأنها، لكنها الآن لا تجد مشكلة في الاعتراف بجمال تهاني، نعم إنها رائعة فاتنة.. ما المشكلة إن كانت كذلك وابتسمت في وجهها وهي تسلم عليها ووقفت معها لأول مرة بلا ضغينة أو غيرة بل أصرت على توصيلها إلى المنزل مادامتا أنهتا الاختبار في الوقت نفسه، وشعرت غالية كم كانت تصرفاتها مجحفة في حق الآخرين..

لقد آذت الكثيرين دون أن تقصد، حتى فجر، لقد تنكرت لها في وقت ما، لكنها الآن فتاة أخرى.. وهي سعيدة، وبدأت الطمأنينة تسكن قلبها من جديد.

النهاية

وقفت فجر أمام المرآة وصديقاتها حولها، وأختها سارة معهن، والفتيات يتحدثن في وقت واحد والكل سعيد، إن اليوم هو يوم عقد قران فجر، لقد تقدم لها أحد أقربائها، وهو شاب رائع يُعد الدكتوراه في الخارج، وستسافر فجر معه لاستكمال دراستها في الخارج بعد حصولها على بعثة لدراسة الهندسة كما أرادت وحلمت دوما، وها هي اليوم بين صديقات عمرها يلتففن حولها في أجمل مناسبة وستسافر بعد أسبوع مع زوجها، وبدت فجر جميلة يشع الهدوء والطيبة من حولها، والفرح يزغرد على وجهها، وجاءت أمها وزوجة عمها أم غالية فقد حان وقت نزولها، فعريسها سيصل قريبا.

وخرجت فجر وهي تمشي بحياء لتقابل ضيوفها، وصديقاتها خلفها والسعادة تطل من وجوههن، وغالية وراءها تعدل ذيل ثوبها من وقت لآخر، وبقدر فرحة غالية لأجلها، بقدر ما تشعر بالحزن لسفرها، ستشتاق إليها، ستشتاق إلى القلب الكبير والأذن الصاغية والصدر الحنون.. إن فجر هي أختها التي لم تلدها أمها وسيصعب عليها فراقها لكن لا بأس، إنه مستقبلها وستتواصل معها دائماً حتى يلتم الشمل من جديد.

فجر

سافرت فجر مع زوجها لاستكمال دراستها، وقد أجلت الإنجاب لحين تخرجها وعودتها إلى الكويت، ولم تنقطع عن صديقاتها طوال فترة سفرها.. خاصة غالية ابنة عمها وأختها التي تحبها كل الحب.. وهي تدرس بجد واجتهاد لتحقق أحلامها وترضي طموحها الذي أرادته دوما أكثر من أي شيء آخر.

غالية

دخلت غالية جامعة خاصة، لم يؤهلها معدلها لدخول جامعة الكويت، لكنها سعيدة في الجامعة وأصبحت شخصية لامعة في حياتها الجديدة وتتصدر الأنشطة الجامعية في تميز ونجاح، وفي عامها الدراسي الثالث خطبها زميل لها كان قد تخرج للتو، خطبها عندما لمس حسن أخلاقها وتزوجها في عام التخرج.

تهاني

دخلت تهاني كلية الحقوق، وكانت طالبة متميزة، وأخيرا تخرجت وأصبحت محامية تحت التدريب ورغم أن طلبات الزواج لا تكف عنها، إلا أنها لا تزال ترفض الزواج، ستتزوج يوما بعد أن تحقق ذاتها، ومع الوقت تغيرت أحوالها فقد استقلت ماديا

عن أهلها وافتتحت مشغلا رائعا لتصميم الملابس وتركت إدارته بالكامل لأمها التي أصبحت مديرة للمشغل وتعمل تحت إمرتها ثلاث خياطات محترفات ليوفين طلبات الزبائن التي لا تنتهي.

أوراد

التحقت أوراد بكلية العلوم الإدارية كما تمنت وبقيت كما هي، هادئة، منطوية على نفسها، وقد قل تواصلها مع صديقاتها مع مرور الوقت، أصبحت تراهن صدفة أو عندما تعود فجر من الخارج في زيارة حيث تقوم بدعوتهن معا، وتزوجت بعد تخرجها من رجل يكبرها بكثير لكنه مناسب لها وقد احتواها برعايته وحنانه وشخصيته القوية.

نواف

لم يفلح نواف في دراسته، لم يستطع إكمال دراسته في الكويت أيضا، وعمل مع والده الذي زادت خيبته في ابنه الوحيد بعد أن لمس مدى استهتاره، وبقي يلاحق البنات حتى بعد أن تزوج من ابنة خالته التي أتعسها بمغامراته النسائية وعلاقاته التي لا تنتهي.

(تمت)

جمان

الجمان هو اللؤلؤ... والجمان حب يصاغ من الفضة على شكل اللؤلؤ، والجمان نسيج من جلد مطرز بخرز ملون تتوشح به المرأة، وفي الجمان زينة وجمال وحلية تبهر النساء والرجال.

إهداء

إلى كل امرأة عاشت القيود، إلينا جميعا

علياء الكاظمي

■■1■■

الطفولة والصِبا

لا أعرف لمَ يجب عليّ أن أبدأ من طفولتي.. يقال إن مرحلة الطفولة هي التي تحدد شخصية الإنسان.. أنا لا أظن ذلك!

أعتقد أن مرحلة الشباب هي التي تحدد شخصياتنا، فهي العمر الذي نتعرض فيه إلى ضغوط الحياة ومشكلاتها، فأغلب الأطفال لا هم لهم.. إنها نظريتي الخاصة.

لكنني مضطرة للبدء من الطفولة، من أي عمر؟ لا يهم لكنني كنت طفلة جميلة كالدمية... لطالما قرصت النساء وجنتيّ وأنا أسير ملتصقة بأمي... ولطالما كنت نجمة الحفلات المدرسية، ودائما تضعني مدرساتي في مواجهة الجمهور على المسرح المدرسي.

أذكر إحدى المدرسات وهي تناديني في وقت الفسحة وتطلب مني أن أغلق عينيّ وأفتحهما عدة مرات... لتتأمل طول أهدابي، وكنت طفلة المنزل المدللة، إنني البنت الصغرى، لدي أخت تكبرني بثلاثة أعوام، اسمها رزان.. لم تكن في مثل جمالي... إنها نحيفة جداً... شعرها فاحم السواد... لكنها تحبني وتفخر بي أمام صديقاتها وعندما يقلن لها أختك أجمل منك كانت ترد ببساطة: أدري!

ولدي أخ يصغرني بعام، لطيف الشكل لكنه أيضا ليس في جمالي أنا... اسمه فواز، والويل له إن ضربني أو مسني بسوء،

فوالدي لا يسمح لأحد بإيذائي، والويل والثبور لكل من يغضب أميرة المنزل... إنه لقبي... لقبي الذي يعكس وضعي في البيت.

إن في بالي حادثة أريد ذكرها هنا... بما أنني في تلك الفترة كنت من أجمل الأطفال فقد ظهرت في إحدى المجلات في صفحة العصافير، وتم تكبير صورتي إلى حجم غير عادي، لمَ لا وأنا أجمل من كل الأطفال من حولي، وأذكر بعدها أن إحدى شركات الإنتاج التلفزيوني اتصلت بوالدي وحاولت إقناعه بشتىالطرق كي أظهر في أحد المسلسلات الاجتماعية... كابنة لبطلة المسلسل، ورفض والدي رفضا باتا، ليس لأنه يخاف دخولي المجال الفني، إنما لأنه يخاف عليّ من الحسد، يكفي ما سمعه من تعليقات عن صورتي المنشورة في المجلة، لقد أخذني إلى أحد الشيوخ ليقرأ عليّ آيات وتعاويذ تمنع الحسد والعين، ولسنين طويلة ظلت والدتي تتباهى بتلك الحادثة أنه تم طلبي لأمثل على شاشة التلفزيون.

ومرت الأيام وكبرت قليلا، أصبحت في الثانية عشرة من عمري، بدأت أميل إلى الصبا... في ذلك العمر تعرضت إلى الكثير من المضايقات.. مضايقات الرجال! كنت لا أزال طفلة... أفكر في اللعب والدمى... لكن الرجال يفترسونني بنظراتهم وصبية الحي يكتبون لي رسائل تفيض بالشوق والهيام... والسذاجة!

وكنت أخبر أمي عن كل ما أتعرض له، وخافت عليّ كل الخوف... وأخذت تنبهني، أخبرتني أشياء مخيفة عن الرجال

وحذرتني من محادثتهم أو تصديقهم... إياك الركوب مع أحد في السيارة حتى وإن كان يعرفك... إياك السماح لأي كان بلمسك... إياك أخذ هاتف أحد ما... إياك... إياك.

وكنت امتلئ خوفا... لمَ كل ذلك؟.. وبدأت أقف أمام المرآة طويلا... لم أكن أدرك في تلك السن الصغيرة أن جسدي بدأ يتغير وأنني سبقت عمري بأنوثة متفتحة وجمال رباني يخلب الأباب ببراءته وطهره.

وفي الرابعة عشرة من عمري عرفت قيمة نفسي! كنت أقف أمام مرآتي بالساعات أتأمل قسمات وجهي... عيناي عسليتان واسعتان مشروطتان.. أهدابي طويلة.. طويلة جدا وكثيفة.. أنفي صغير دقيق مرفوع الطرف.. وشفتاي ممتلئتان مكتنزتان وصغيرتان، كحبة ناضجة من حبات الكرز الصيفي اللذيذ.. إنني بيضاء كالنور.. وبشرتي صافية لا يشوبها شيء.. وتنزلق عيناي لأتأمل خطوط جسدي، إنني متوسطة الطول.. نحيفة القد.. جسدي متناسق جميل طري.. وشعري بني فاتح يشبه لون عيني وهو طويل وأملس تماما ينسدل إلى أسفل كتفي بنعومة ورقة، إنني جميلة.. فاتنة.. لقد اقتنعت بنفسي.. وأحببت صورتي المنعكسة على المرآة.. ما أجملني.. والكل يتمنى إشارة مني، العيون تلاحقني أينما حللت.. ووالدتي لاتزال تخاف عليّ، إنها تكاد لا تفارقني ولا تسمح لي بزيارة صديقاتي أبدا.. فقط أزور ابنة خالتي هدى.. وهدى هي صديقة عمري.. تصغرين بعام واحد وهي تفهمني تماما، وتعشق أخي فواز.. تحبه منذ الصغر، وعلى ما يبدو أنه يبادلها الشعور نفسه فهو دائما يسأل عنها

ويهتم بأخبارها.

وفي تلك الفترة خطبت أختي رزان... خطبها محمد أخو صديقتها المقربة... إنها في السابعة عشرة من عمرها وخطيبها في السابعة والعشرين.. يكبرها بعشر سنوات كاملة... إنه طبيب ومن أسرة محترمة ميسورة الحال... وهو وسيم وفارق العمر في صالحها كما تقول أمي... سيدللها بلا شك... وكانت رزان سعيدة، تكاد تطير من الفرح، إنه كالحلم بالنسبة لها، وتتعجل كتب القران... لا أعرف لمَ هي مستعجلة هكذا... ووالدتي أيضا فرحة... لكنني لمَ أفرح... كنت حزينة لأن أختي ستتركنا... لطالما أحببت رزان... إنها رائعة، إنها ملاك... لطالما دللتني وأحببتني بدورها... أذكر نفسي وأنا أندس في سريرها وهي تستعد للنوم، فتأتي لتجدني مختبئة تحت الغطاء فتصرخ فزعة وتنقض عليّ تدغدغني حتى نقع معا على الأرض وصراخنا وضحكاتنا تشق سكون الليل... أذكر كم هي دافئة وحنونة وتخبرني كم أنا جميلة، لم تكن تغار مني أبدا كانت سعيدة بي، وفخورة بي، كأنني ابنتها، قطعة منها... وفي ليلة عقد قرانها... انسحبت إلى غرفتها واندسست في سريرها كعادتي عندما أداعبها بين حين وآخر... ولكنها عندما شدت الغطاء هذه المرة تفاجأت بدموعي على وجنتي... تهطل كالأمطار الغزيرة، وجزعت رزان... ماذا بك؟ فأخبرتها: لا أتخيل البيت من دونك وأجهشت بالبكاء، فضمتني إلى صدرها وأخذت تطمئنني أنها ستزورنا دائما ولن نفترق أبدا ثم بكت معي.. ونمت على صدرها.

وفي المساء التالي أقمنا حفلا في منزلنا احتفاء بزواج رزان...

كان حفلا باذخا... جميلا... لم يكن والدي واسع الثراء... إنه موظف حكومي... مجرد رئيس قسم في إحدى الوزارات... وهو كسول إلى أبعد الحدود، بالكاد يخرج من المنزل مساء، لكنه ورث عن والده عمارتين في موقع استراتيجي في البلد تدران علينا دخلا جيدا... ووالدتي تدرس الرياضيات في إحدى المدارس الثانوية... مدرستها بعيدة عن المنزل، وقد وعدها زوج رزان أن يبحث لها عن واسطة لتنتقل إلى المدرسة القريبة من منزلنا والتي أدرس أنا فيها.

وازدحم الحفل بزميلات والدتي في العمل، وبدا المكان بالكاد يتسع إلى عدد المدعوين من العائلتين والأصدقاء... إن منزل محمد أكبر وأفخم من منزلنا، لكن التقاليد تنص على أن يقام حفل عقد القران في منزل أهل العروس... ولأن رزان لا تريد عرسا فقد دفع أهل العريس نصف قيمة تكاليف هذه الحفلة... مما جعلها فخمة رغم كونها حفلة منزلية.

وبدت رزان رائعة في ثوبها الوردي وطرحتها الوردية... لا أعرف لمَ اختارت هذا الثوب... أرادته ورديا... كأحلامها ربما... إنها مليحة، ليست بارعة الجمال، لكنها تدخل القلب وتبدو طيبة وهادئة وسط كل الصخب حولها.

وزف العريس إليها... لم أرتح له منذ رأيته... إنه وسيم لكنه يبدو مغرورا متكبرا... ووقفت أختي له ليطبع قبلة تقليدية على جبينها... وانقلبت شفتاي عندما وقفت له! لم لا ينحن حضرته ليقبل عروسه... وكرهته!... لا أعلم هل كرهته لكبره وعجرفته، أم لأنه أخذ أختي مني... لكني لم أحبه أبدا.

وكما وعدتني رزان... إنها لم تتخلف عن زيارتنا يوما... تزورنا يوميا في وقت عمل زوجها في المستشفى... لم افتقدها كثيرا... فهي دائما في بيتنا... افتقدت فقط اختبائي في سريرها في الليل... هذا فقط!

ومضى عام على زواج أختي... وانتقلت والدتي لتصبح مدرسة في مدرستي الثانوية... فقد سعى زوج رزان إلى نقلها كما وعد، شعور جميل أن أدرس في مدرسة أمي تعمل فيها، إنه امتياز خطير... فأمي توصي المدرسات عليّ، وتتابع مشاكلي الدراسية عن قرب... وجميع المدرسات يعاملنني معاملة خاصة لأجل والدتي، والطالبات يُكبرنني ويتوددن إليّ.

وفي تلك السنة التحقت رزان بكلية التربية الأساسية لدراسة الرياضيات... كأمي! لا أعرف كيف يطيق المرء أن يقضي حياته مع مادة الرياضيات الصعبة المزعجة... لم أحبها أبدا... ولم أمل إليها يوما.

وفي تلك المرحلة وأنا في الخامسة عشرة من عمري تقدم لي أول عريس... أمه مدرسة مع أمي في قسم الرياضيات... رأتني وفتنت بجمالي، وخطبتني لابنها... لقد تخرج للتو من أمريكا ويحمل شهادة الهندسة وله الكثير من المميزات لكنني رفضت وبحدة.. ولم يضغط عليّ والدي... كلاهما يعلم أنني رائعة الجمال... لا خوف عليّ من العنوسة...!

ولا مانع من الانتظار كما أنني لا أزال صغيرة جداً على الزواج.

وقد حدث أمر مهم في تلك الفترة... لقد أصبحت خالة... أنجبت رزان ابنتها البكر وفرحنا جميعا بالطفلة الجديدة، وأسمتها مريم على اسم والدة زوجها، إنها جميلة وبريئة إلى أقصى حد، وقد أحببتها من كل قلبي، كنت أقضي الساعات وأنا أحملها بين ذراعي، كنت فرحة بها، كأنها دمية جديدة، ولطالما نهرتني والدتي عن حملها بهذا القدر، ستتعود على ذلك وستزعج أمها! لكنني لم أكترث، من الصعب أن أتركها بل إنني كنت بالكاد أذاكر دروسي في تلك الفترة... وعند انتهاء فترة النفاس المقررة ودعتنا رزان إلى منزل زوجها، لم يزرها محمد منذ ولدت سوى أربع مرات! كنت أرى أختي تذوب حزنا وشوقا إليه، لقد أمطرته باتصالاتها لكنه يبدو جافا معها! يبدو لا يحبها! وبالكاد يحمل ابنته! وأعدت أختي نفسها خير إعداد لهذه العودة، لقد امتنعت عن الطعام في فترة النفاس، كانت بالكاد تأكل شيئا، لدرجة أنها عجزت عن إرضاع ابنتها المسكينة... ولجأت إلى الحليب الصناعي رغم نصائح الجميع لها بأهمية الرضاعة الطبيعية لها ولطفلتها! لكن رزان لا تفكر إلا بزوجها... لقد عادت أنحف من السابق، وقصت شعرها وصبغته باللون الأشقر الداكن، واشترت لها جهازا جديدا كالعروس وعملت حماما مغربيا خاصا... إنها تريد أن تكون مميزة، عروسا حقيقية عندما تعود إلى زوجها، وكانت نتيجة كل هذه الاستعدادات أن رزان عادت إلينا بعد شهر واحد فقط من عودتها إلى بيتها.... عادت إلينا حامل من جديد!

عادت وقد عذبها الوحم فعجزت عن تحمل رائحة زوجها

وبيتها ولم تعد تقوى على العناية بابنتها... ولم ألمها لأنها لم تطق زوجها! كنت سعيدة وأنا أسمعها تقول ذلك!

وعدت أنشغل بمريم من جديد... بلعبتي المفضلة... لطالما أخذت صورها إلى المدرسة وتباهيت بها أمام زميلاتي... إلى أن جاء يوم ليس كمثله يوم، في ذلك اليوم تعطلت سيارة والدتي ونحن عائدتان من المدرسة... كان الوقت ظهرا والشمس شديدة الحرارة، إنه صيف الكويت الذي لا يرحم، وأثناء توقفنا وقفت بجوارنا سيارة رياضية فاخرة، وترجل منها شاب.. مَنْ هذا الشاب؟ إنه حبي الأول! والأخير!

2

مكتبة المراهقة
t.me/t_pdf

كنت في السادسة عشرة من عمري وقتها، وانخلع قلبي لرؤية هشام... إنه رائع، طويل القامة عيناه سوداوان عميقتان مليئتان بالأسرار والغموض، وابتسامته لاهية، عابثة، وشعره كثيف... كثيف جدا... وتمنيت وقتها لو استطعت تمرير أصابعي بين خصلات شعره الداكن.

تقدم منا بشهامة وإذا بوالدتي تسلم عليه بحرارة، يا إلهي إنها تعرفه! من هذا؟

وعرض علينا أن يقوم بتوصيلنا فقبلت والدتي شاكرة، وهمست أسأل أمي قبل أن تركب معه عن هويته فضحكت بصوت مسموع وهي تقول غير مبالية بإحراجي: ابنتي جمان تسأل من أنت؟ معذروة أن لا تعرفك، سامح الله من كان السبب!

والتفتت إليّ قائلة: إنه ابن خالك عبدالله، ابنه من زوجته الثانية!

يا إلهي... إنه ابن خالي! كان خالي عبدالله قد تزوج ابنة عمه في سن صغيرة تبعا لاختيار جدي له، وأنجب منها أربع بنات، ثم تزوج خالي بامرأة أخرى في السر، يقال إنها مطلقة بلا أولاد، لكنها ثرية جدا، وعندما عرف جدي بالأمر ثارت ثائرته لأجل ابنة أخيه فطرد خالي من حياته وقاطعه بعنف ومنعه من دخول منزل العائلة... وانتقلت زوجة خالي الأولى مع بناتها للعيش مع

جدي وهجرت خالي رغم أنه لم يطلقها، ورفض خالي تطليق زوجته الثانية خاصة بعد أن أنجبت له الولد الذي طالما حلم به... هشام.

وكنت أعرف أن أمي تزور أخيها خلسة فهو يسكن في نفس منطقتنا، لكننا لم نتعرف على زوجته وابنه لكيلا نخالف تعليمات جدي، إن خالي هو أخوها الوحيد ولطالما أحبته من كل قلبها.

وها هو هشام أمامي بلحمه وشحمه وقلبي يدق الطبول وأنا أرى رقبته من الخلف وشعره يلمع كتاج فوق رأسه الجميل... والتقت عيوننا مرارا خلال مرآة السيارة لقد جلست خلفه تماما... ووالدتي في المقعد الأمامي... إن صوته جميل عميق... ياه ليتنا سكنا في منطقة بعيدة ليطول الطريق!

هل أعجبت هشام؟ للمرة الأولى أشك في أنني قد أعجب شابا... وأنا التي طالما تهافت الجميع عليها... ووصلنا إلى البيت، أكاد لا أذكر الأحاديث التي تبادلها مع والدتي، لقد شغلت وقتها بأفكاري... أكاد لا أعرف عنه شيئا.

ودخلنا المنزل واندفعت أسأل والدتي عنه والفضول يملأ عيني، وردت والدتي والشك يطل من عينيها، لمَ تسألين عنه بكل هذا الحماس؟ وخفت، وادعيت اللامبالاة وانسحبت بأسئلتي وخجلي إلى غرفتي والانفعال يطغى عليّ.

كل ما حصلت عليه من معلومات وقتها أنه في التاسعة عشرة، يكبرني بثلاث سنوات، وذلك عندما سألها والدي عن عمر هشام وهي تحكي له أنه من قام بتوصيلنا.

ومضت أيام كثيرة وأنا أفكر فيه، أكاد أحلم به حتي في يقظتي... إنه الحب بكل سطوته واندفاعه في عمري الصغير.

ولجأت إلى هدى ابنة خالتي... أحكي لها عن هذا الحب الذي اجتاحني... وأخبرها عن وسامة هشام... صوته... شعره... قامته... وأخبرتني هدى أن والدتها حدثتها مرة عن والدة هشام... إنها امرأة جميلة فاتنة أحبها خالي وفتن بها، وتحمل لأجلها مقاطعة العائلة ورغم أن خالي هو الابن الوحيد لجدي... إلا أن جدي لم يسامحه حتى الآن وأمعن في معاقبته رغم محاولات أمي المستمرة لإصلاح الوضع.

ومرت الأيام... وابتعد طيف هشام عني... لقد بدا بعيدا... صعب المنال... لا مجال للقائه أو التعرف عليه، ومع الوقت قل تفكيري به، وانشغلت عنه بأمور حياتي.

وولدت رزان للمرة الثانية وأنجبت بنتا أيضا، أسمتها مرام... أرادت اسما يقارب اسم ابنتها البكر مريم، وكما في ولادتها الأولى، تفنن زوجها في إهمالها، بل إنه لم يحضر لرؤية ابنته الجديدة والتي ولدت صباحا إلا في المساء، لم يقبل رزان بل اكتفى بقول مبروك ببرود مستفز ولم يكلف نفسه حتى بإحضار ورود لها أو حتى علبة شكولاته! بدا كالغريب يا إلهي كم هو متكبر... كم أكرهه، لو كنت مكان أختي لما تحملته أبدا... من يظن نفسه هذا المغرور... وخرجت أختي من المستشفى لتقيم في بيتنا فترة ما بعد الولادة... ومر أسبوعان على ولادتها... وفي أحد الأيام وكان يوم خميس دخلت رزان غرفتي... كانت التاسعة صباحا... وكنت أرقد في سريري... وتفاجأت بها وقد

ارتدت ثياب الخروج... وسألتها بدهشة: إلى أين ستذهبين؟ فقالت: أحتاج بعض الأغراض من شقتي... رددت عليها: ولمَ لا يحضرها محمد؟ فقالت: إنه مشغول ولديه خفارة في المستشفى من البارحة وسيعود ظهرا، لم أنم طوال الليل، أريد إحضار بعض الثياب والأغراض الآن... أحتاج إلى الخروج... هل تأتين معي؟ أشفقت عليها ونهضت لأبدل ثيابي وأنا أفكر بحالها إنها تشعر باكتئاب ما بعد الولادة، كيف لا وزوجها يكاد لا يسأل عنها... وقبل أن نخرج سألتها: هل تناولت فطورك؟ فردت: أكلت ثلاث تمرات... فقلت لها بغضب: ستقتلين نفسك... إنك بحاجة إلى الغذاء فقد أنجبت طفلتين خلال فترة وجيزة، فردت بخنوع: لكن محمد لا يريدني سمينة. فقلت بحدة: فليذهب هو وما يريده إلى الجحيم... المهم صحتك... ولم ترد، فعدت أقول: إذا كنت تريدنني أن أذهب معك دعينا نتناول إفطارنا في الخارج... أليست أمي مع الطفلتين؟ إذن لا داعي للقلق هيا... وانقادت لي رزان... وتناولنا إفطارا جميلا في أحد المطاعم الفاخرة على البحر، وجعلتها تأكل كثيرا... كنت ألح عليها وأدللها كالأطفال حتى تغذي نفسها.. أريدها أن تفكر في نفسها وصحتها بدل أن تصوم الدهر إرضاء لزوجها الذي لا يستحقها... وعندما انتهينا توجهنا إلى شقتها وقد امتلأت عينا رزان بالسعادة والحماس، فقد أفادها الخروج كثيرا... إن شقتها في منطقة مجاورة لمنطقة سكننا... ووصلنا هناك في الحادية عشرة والنصف ظهرا... وصعدنا وفتحت رزان الباب بمفاتيحها، بدت الصالة أمامنا وقد عمتها الفوضى بشكل فظيع... وتوجهت رزان إلى غرفة نومها... وبقيت انتظرها في الصالة وأنا أتأمل صورة لزفافها، كم يبدو

زوجها بغيضا... وفجأة سمعت صرخة أختي! وهرعت أجري لأدخل وراءها... ودخلت... دخلت لأرى وأنا في السابعة عشرة من عمري صورة حية للخيانة الزوجية... كانت رزان واقفة عند باب الغرفة بجوار مفتاح الإضاءة الذي أدارته للتو وقد هربت الدماء من وجهها ووضعت يدها على فمها وعيناها جاحظتان تنظران ناحية سريرها... ونظرت أمامي، وياليتني لم أنظر، رأيت محمد زوجها وهو عاري الصدر جالس وبجواره امرأة تغطي جسدها بملاءة السرير والخوف يطل من عينيها، امرأة لم أستطع أن أتبين ملامحها من شدة الصدمة، وقام محمد واتجه ناحيتنا وشدنا إلى الخارج وأغلق الباب على عشيقته، ثم التفت إلى رزان وحاول الاقتراب منها وهو يقول: أرجوك دعيني أشرح لك، وانهمرت دموع رزان وانتفضت وركضت خارج الشقة وقبل أن أتبعها نظرت إلى زوجها باحتقار وقلت له: يا لك من حقير، تفعل ذلك في بيت زوجتك وابنتيك... وجريت وراء أختي، وركبت بجوارها في السيارة وقلت لها بحزم دعيني أقود، إنني لا أحمل رخصة قيادة وقتها لكنني أعرف قيادة السيارة فقد كان والدي يسمح لي بإخراج سيارته من الكراج أنا وأخي فواز، لكن رزان قادت السيارة ودموعها لا تكف وخفت، خفت أن نتسبب بحادث لا سمح الله وأختي تقود وهي في هذه الحالة المزرية.. لكن لحسن الحظ وصلنا إلى المنزل سالمتين واندفعت أختي إلى الداخل دون أن نناقش الأمر، كان والداي يجلسان مع الطفلتين واندفعت رزان باكية وهي تجري إلى غرفتها، وصدم والداي ودخلت أنا وراءها منكسة الرأس وصاحت أمي ماذا حدث؟ فانهرت على المقعد ورويت لهما كل ما حدث!

■■3■■

فترة صعبة

تسارعت الأحداث بعد الذي حدث لرزان، فقد جاء زوجها إلى والدي معتذرا يطلب السماح معللا ما حدث بأنها نزوة عابرة، وأنه تعرض للفتنة بسبب انشغال أختي عنه بالحمل والإنجاب، وأخذ يقسم ويعد أنه لن يكرر فعلته، لا أشك أبداً بأن والدي وبخه بأعنف ما يمكن، لكن الغريب أنه بدا متسامحا معه وهو ينقل ما حدث لأختي، والأغرب أن رزان نفسها لم تصر على الطلاق بل إنها حتى لم تطلبه!

كنت متعجبة من صمتها وبكائها، وصرخت في وجهها: لا تقولي إنك ستعودين إليه؟ رجل يخونك في بداية زواجكما وعلى فراشك وفي بيت الزوجية، ولا يعاملك معاملة طيبة من الأساس، بالله عليك كيف ترضين بالعودة إليه!

وردت رزان: وابنتاي؟ ما ذنبهما؟ مازالتا صغيرتين!

وصرخت ثانية: وكرامتك؟ لست بحاجة إليه، كيف تطيقين العيش معه بعدما رأيته بالجرم المشهود بأم عينيك؟

وكانت والدتي تتدخل بيننا وتقول لي: لا تزعجي أختك، اتركيها تقرر وحدها.

إنهم جميعا لا يذكرون الطلاق! لا يريدونه ولا يرونه حلا! لا أعرف لماذا يميلون جميعا إلى الصفح عن ذلك الرجل الأناني!

كنت ثائرة أكاد أنفجر وأنا أرى أختي تهدأ يوما بعد يوم، وأراها تعبث بهاتفها النقال وهي تقرأ رسائله... لمَ لا تطرده من حياتها! وبعد شهر واحد وافقت أختي على لقائه في وجود أبي... وأنا أكاد أنفجر من الغيظ، واشترطت عليه أن يغير شقتهما، لقد كرهت تلك الشقة التي استبيحت حرمتها، تريد مسكنا جديدا وبداية جديدة، واستجاب زوجها لطلبها وأرسل لها أزهارا في اليوم التالي! ما أبسط ثمن الخيانة، شقة جديدة وبعض الزهور! كنت وقتها ألومها على عودتها إليه وأرى أنها مخطئة لكن ليس بيدي شيء! فقد عادت رغما عني بالتأكيد!

ومرت الأيام وتخرجت من الثانوية... كان معدلي عاليا... واخترت كلية العلوم الإدارية... أريد دراسة التسويق... أحب هذا المجال، وتم قبولي وبدأت استعد لدخول الجامعة... كنت سعيدة جدا وبدأت أطوف مع والدتي في المحال التجارية لأجهز نفسي لدوام الجامعة، إن كلية العلوم الإدارية هي مسرح للموضة، أريد أن أكون أنيقة ولافتة للنظر، ووالدتي سعيدة بي، وتمني نفسها بعريس لائق يراني في الجامعة، فلم تمنعني من شراء ما يحلو لي رغم الفواتير الباهظة التي دفعها أبي... في الحقيقة دفعها عن طيب خاطر، كيف لا وأنا أميرة البيت كما يناديني، وسمحت لي والدتي أخيرا بتقويم حاجبي، بدوت أجمل، وبرز جمال عيني بشكل كبير، وفي يومي الجامعي الأول استيقظت في السادسة صباحا رغم أن أول محاضراتي تبدأ في التاسعة، واستحممت وقضيت وقتا طويلا وأنا أجفف شعري الذي بدا أملسا تماما، ولامعا جدا، ثم قضيت ساعة أخرى وأنا أضع مكياجي، وضعت

مكياجا رائعا، شفتاي باللون الزهري الغامق، والظل فوق عيني باللون البني الداكن، هل بالغت؟ لا أعرف حقا! لكني بدوت جميلة كما أردت أن أبدو في هذا اليوم المميز، واتصلت بهدى ابنة خالتي، إنها لاتزال في الثانوية، ودوامها يبدأ بعدي بأسبوع فاتفقت معها أن ترافقني إلى الجامعة في يومي الأول، وركبت مع السائق بعد أن التقيت أخي في ردهة المنزل وصرخ غاضبا وهو يراني بكل هذه الزينة: هل ستذهبين إلى عرس أم إلى الجامعة؟ ولم أرد عليه.. تجاهلته تماما وخرجت وهو يكاد ينفجر غيظا... لا يستطيع إزعاجي، فوالدي دائما في صفي ضده، ووصلت إلى منزل خالتي وخرجت هدى ترتدي ثياب العيد الفائت وضحكت وأنا أراها تكاد تقفز من الفرحة، ودخلت السيارة وهي تهتف: تبدين رائعة! إنها لم تتبرج، تبرجت في السيارة، لم تكن خالتي تسمح لها، وضحكنا كثيرا ونحن نتخيل الحياة الجامعية، وهدى تدعو من قلبها أن يتم قبولها معي في العام القادم، وهي تمني نفسها أن يرتفع معدلها هذه السنة لتتمكن من دخول الجامعة، ووصلنا... كانت الساعة التاسعة إلا ربع تماما... بقي ربع ساعة فقط على موعد المحاضرة، ومنذ دخلنا تقدمت منا فتاة مبتسمة وهي تقول: أهلا بكما.. هل أنتما طالبات مستجدات؟ رددت عليها: نعم، فقالت: أنا من قائمة جامعية مميزة وهي بلا شك الأفضل وسنقوم بإرشادك ومساعدتك في أيامك الأولى، وإن احتجت إلى شيء لا تترددي بالاتصال بي... ما اسمك؟ قلت لها: جمان... فقالت: تعالي أرشدك إلى القاعة وأنا أعرف ما تريده هذه الفتاة، تريدنا انتخاب قائمتها التي تمثلها، لقد سمعت

أنهن بعد انتهاء الانتخابات لا يكلفن أنفسهن السلام حتى! وفعلا رافقتنا إلى القاعة التي تفاجأنا بكونها شبه خالية! وصدمت والتفت إلى الفتاة والسؤال واضح في عيني! فضحكت وقالت: نحن في العلوم الإدارية غالبا لا يبدأ التزامنا بالمحاضرات في الأسبوع الأول ستجدين الطلبة هنا للتعارف واللقاء، لا أظنك ستحضرين أية محاضرات اليوم.

هكذا الحال إذن! وفرحت هدى بما سمعت وقضينا الوقت نتسكع.. تجولنا في ممرات الكلية وتناولنا إفطارنا في الكافتيريا، والتقيت الكثير من صديقاتي أيام الدراسة ومن مراحل مختلفة وتبادلنا الحديث والتعليقات، ومر الوقت سريعا، وكانت الساعة الواحدة ظهرا عندما قررنا العودة إلى البيت، واتجهنا إلى مدخل الكلية بعد أن اتصلت بالسائق ليوافينا إلى هناك... في ذلك المكان رأيت شابا يدخل الكلية في مواجهتنا تماما.. وخفق قلبي بعنف، إنه هشام، ابن خالي الذي التقيت به مع أمي منذ عامين، خالي الذي قاطعته العائلة بعد زواجه من والدة هشام، وانخلع قلبي وارتبكت، وعرفني هشام، نظر إليّ كأنه التقى بي بالأمس، ياه ما أجمله، هل يدرس معي في الكلية نفسها! يا فرحتي ما أجملها من صدفة، وابتسمت له، وهمست إلى هدى بصوت مبحوح بعد أن ركبنا السيارة هل رأيت ذلك الشاب؟ إنه هشام ابن خالي عبدالله! وبهرت هدى به، لقد لفت نظرها طوله ووسامته وثيابه الغالية، ولم نتوقف عن الحديث عنه وهدى تضحك وهي تراني بكل هذه السعادة.

ووصلنا إلى البيت، ولم نخبر أحدا أننا التقينا بهشام.. لم

أخبر أمي أنه يدرس معي في الكلية نفسها، أظنه في السنة الأخيرة فهو يكبرني بثلاث سنوات وأخيرا جمعنا القدر في مكان واحد.

وفي اليوم التالي لم أره في الجامعة.. ولم ألتق به طوال الأسبوع الأول، وخابت آمالي، يبدو أنه لا يدرس معي، ربما جاء لزيارة أحد أصدقائه هنا، وانكمش قلبي، وجاء الأسبوع الثاني وبدأت الدراسة الجدية في الكلية... كنت ألاحظ تعلق عيون الشباب بي، ونظرات البنات الثاقبة لي، كنت أجمل فتاة في الكلية بلا شك، والكثيرات يتوددن إلي ويسألنني عن لون أحمر الشفاه الذي استخدمه أو المحل الذي ابتعت منه قميصي، وأشياء كهذه، وأخريات كن يجاهرن بالغيرة مني، فيتعمدن تجاهلي ورمقي بنظرات غيورة حارقة، ووجدت نفسي أصادق فتاة لطيفة تصادف وجودها معي في أغلب الفصول، اسمها منار، أصبحنا نلتقي صباحا ونجلس متجاورتين في المحاضرات ونتناول إفطارنا معا، وشعرت بالراحة معها فهي طيبة خلوقة وهادئة رزينة فارتحت إلى صحبتها.

وفي نهاية الأسبوع الثاني وأنا في طريقي إلى حضور محاضرتي الأخيرة لذلك اليوم، سمعت صوتا يناديني: جمان؟ التفت لأجد نفسي في مواجهة هشام... وانخلع قلبي وأنا أراه... وذهلت... بدوت حمقاء! وابتسم في وجهي وقال: أظنك تذكرينني؟ فأجبت باندفاع: نعم، كيف حالك؟ رد هو: بخير، أنت مستجدة صحيح؟ فقلت: نعم، هل تدرس هنا؟ فجاء الجواب الذي أثلج صدري: نعم، باق لي عام ونصف على التخرج.

وجمعنا القدر... وسرى حبه في دمي، أصبحت أكثر اهتماما بنفسي وبزينتي وتعودت على لقائه يوميا، إنه الهواء الذي أتنفسه، أنتظره يوميا بجوار قاعات محاضراتي التي حفظها وعرفها عن ظهر قلب، يطل عليّ بشبابه ووسامته، أكاد أطير من الفرح عندما أراه، وأكاد أسمع دقات قلبي وأنا في مواجهته، وساعدني هشام في كثير من الأمور، أمور تخص المواد والجامعة، إنه يبدو مسؤولا عني، وأنا سعيدة بوجوده بقربي، إنه يلتهمني بعينيه... هل يحبني؟ لا أدري! لكنه بلا شك يهتم لأمري، هل أعجبته؟ يبدو ذلك واضحا لا أشك بأنني أعجبه، وزادني الحب تألقا وجمالا.. وانتهى الفصل الدراسي الأول وساعدني هشام على اختيار محاضراتي القادمة وأخذ يرشح لي الأساتذة الجيدين لأدرس في فصولهم وفي يوم انتهاء الدراسة... همس لي قبل أن يغادر: سأشتاق إليك، انتبهي لنفسك.

وكدت أبكي.. إنها همسة شوق.. أول همسة عاطفية منه، وعدت إلى البيت حزينة لأفاجأ بأمي والفرحة تلمع على وجهها! تساءلت: خيرا؟ وردت أمي: تقدم لك عريس رائع! فرددت ببرود: وما الجديد؟ لن أتزوج إلا بعد أن أنهي دراستي.. إن سيل الخطاب يكاد لا ينقطع عني وأنا أرفضهم جميعا.. فقالت أمي: هذا العريس مختلف يا جمان.. إن الزواج فرصة يا ابنتي.. إنه فرصتك فهو من عائلة عريقة ووسيم وثري ويحمل شهادة عليا في الهندسة ويعمل في شركة مشهورة، إنه رائع! وشعرت بالخطر.. إن من تقدموا إليّ في السابق لم يملكوا كل هذه الصفات المشجعة للقبول، لكنني الآن مرتبطة بهشام، قلبي وروحي له.. ترى ألا

تعلم أمي أنه يدرس معي في الكلية نفسها؟! أم أنها غافلة عن ذلك؟ أنا أعلم أنها لا تزال تزور أخاها والد هشام خلسة من فترة إلى أخرى لكنهالا تتحدث عنهم أبدا ولو بالصدفة.

وصرخت غاضبة: قلت لا أريد الزواج.

وصخت أمي: أقول لك عريس مناسب إنه لقطة! هل أنت حمقاء؟ لا تضيعيه من يدك!

■■4■■

أنا أحبك

دخل والدي غرفتي وأنا مندسة في سريري، واقترب مني بهدوء وجلس على طرف السرير ومد يده يربت على ظهري، وسألني بصوت هادئ: لم ترفضين الزواج؟

استويت جالسة وعيناي محمرتان من البكاء وانطلقت أقول: مازلت صغيرة، مازلت في سنتي الدراسية الأولى يا أبي، لا أريد الزواج الآن، لا رغبة لدي، أرجوك لا تضغط عليّ. إن أمي تكاد تقتلني.

فأجاب والدي بهدوء: لكنه شاب ممتاز لا عيب فيه، وليس لديه مانع أن تكملي دراستك.

وفجأة رميت بنفسي على صدر أبي وأجهشت بالبكاء وقلت من بين دموعي: لا أريده.. لا أريد الزواج، أريد أن أركز على دراستي، فلينتظرني إلى أن أتخرج إذن، لا أريد الارتباط بأحد أبدا.

وتعجب أبي وقال: هل توافقين على الخطبة إذا تأجل الزواج لما بعد التخرج؟

فعدت أقول: لا يا أبي، أرجوك افهمني لا أريد الارتباط برجل الآن ولم الاستعجال؟ مازلت في الثامنة عشرة.

وعدت أبكي من جديد، وضعف أبي أمام دموعي.

إنه لا يحتمل رؤيتي باكية حزينة، فأعلن رفضه للعريس اللقطة، وخاصمتني والدتي، حاولت مراضاتها، لكنها غاضبة ثائرة متحسرة على العريس الذي تراه لا يعوض، وتركتها لتهدأ وحدها، وشعرت بالرضا.. ترى هل سأحكي لهشام عما حدث؟ لا لن أفعل لا أريد أن أبدو كمن تريد إثارة غيرته لدفعه لخطبتها، إنها حيلة مكشوفة.. لا أريد ذلك.. إن كان سيخطبني يوما فأريد أن ينبع ذلك منه.. أريده أن يتقدم لي من نفسه عندما يتمناني بقربه إلى الأبد.. ترى هل ستوافق عائلتي؟ إنه ابن خالي في النهاية حتى لو قاطعوا أباه إلى الأبد يظل فردا من العائلة ثم إن أمي تحب أخاها كثيرا ومازالت تزوره بين فترة وأخرى، لا أظنها تمانع إن خطبني هشام، واطمأن قلبي..

ومرت الأيام وحبي يزداد اشتعالا.. إنني أحبه بكل جوارحي بكل مشاعري بكل ذرة إحساس في قلبي، أحبه أكثر من نفسي، لم أحب أحدا بهذا القدر، ولا أحد يعرف بسري سوى هدى ابنة خالتي و زميلتي منار وكلتاهما تباركان حبي الطاهر الذي لم يتعدَ حدود الأخلاق، فكل ما بيني وبين هشام هو حديثنا في الجامعة، أمام الناس جميعا، والكل يعرف أنه ابن خالي، لا أحد يجرؤ على الكلام عني، وفي أحد الأيام لمحت هشام يقف بانتظاري بقرب قاعة محاضرتي الأولى كعادته كل صباح، لكنه لم يكن وحده! كانت بجواره فتاة جميلة، طويلة شقراء تكاد تلتهمه بعينيها، أنا أعرف هذه الفتاة، إنها أكبر مني، أظنها من عمر هشام لابد أنها زميلته، واشتعلت النار في صدري، لم تقف بجواره هكذا حتى تكاد تلتصق به؟! ولم تنظر إليه بجرأة وتضحك بغنج ودلال؟ ماذا يقول لها؟!

اقتربت منهما وتجاهلت هشام ودخلت إلى القاعة دون أن أسلم عليه، هل رآني؟ لا أظن! لقد شغلته تلك الشقراء عن ملاحظتي، وجاء دكتور المادة ليبدأ الدرس.. لا بد أن هشام قد رحل، ربما ظن أنني متغيبة، وجلست فوق مقعدي كأنني أجلس على الجمر، لم أسمع شيئا من المحاضرة، شعرت بالغيرة تكاد تقتلني وتمنيت لو استطعت نشب أظافري في وجه تلك الدخيلة الشقراء، ومرت الدقائق كساعات وانتهت المحاضرة ولم ينته ضيق صدري وخرجت من القاعة وتوجهت إلى محاضرتي التالية، ولمحت هشام واقفا ينتظرني وكنت أعرف أن لديه محاضرة في هذا الوقت أيضا ولم أعره انتباها بل تخطيته ومشيت فإذا به يهتف باسمي: جمان.. مابك؟ والتفت نحوه بحدة: ماذا تريد؟ فتفاجأ بجفائي وقال: انتظرتك صباحا ولم أرك، ألم تحضري محاضرتك الأولى؟ فعدت أقول بتهكم: أشكرك على انتظاري، كنت تنتظرني لدرجة أنك لم تلاحظني وأنا أمر أمام عينيك، ونعم الانتظار، على العموم لا ألومك فقد كنت مشغولا وقتها!

وجزع هشام وقال: صدقيني لم أرك تمرين؟

فعدت أصرخ في وجهه والغيرة تنهش قلبي: وكيف تراني وأنت غارق في حديثك مع تلك الشقراء البغيضة؟

وابتسم هشام برضا، وقال بمكر: هذا ما أغضبك إذن.. فقلت بحدة: لا يهمني ما تفعل ولم أغضب منك، ما دخلي أنا بما تفعله أو تقوله مع الأخريات.

فاقترب مني وهمس بكلمات مازالت منقوشة في روحي وقلبي:

يا مجنونة.. ليس بقلبي غيرك.. جمان أنا أحبك.. وسأكون لك وحدك دائما وإلى الأبد.

وتلونت أيامي بحب هشام، لا أذكر كيف رددت على اعترافه بحبي، أذكر دموعي وغيرتي، حبي ولهفتي.. وأصبح هو الهواء الذي أتنفسه.. أصبحت أعيش لألقاه وأتفوق لأرضيه وأخاف على نفسي لأجله.. إنه حياتي ونبضي، وقد أعطاه الحب حقوقا عليّ، لا تلبسي ملابس ضيقة، لا تخرجي وحدك مساء، لا تحادثي فلانة، لا تضعي لونا صارخا على شفتيك، أصبح في حياتي الكثير من الممنوعات والكثير من النواهي وكل شيء أفعله عن طيب خاطر لأجل هشام ولأجل عيني هشام، وكدت أجن لبعده عني، لقد تعودت عليه، كيف سأحرم من رؤيته، لقد تخرج في الفصل الدراسي الصيفي، كنت قد تعديت التاسعة عشرة من عمري بشهور، ومازال أمامي عامان ونصف العام حتى أتخرج من الجامعة، كيف سأعتاد على الجامعة من دونه؟ واستمر هشام يأتي إلى الجامعة للقائي إلى أن أخبرني أنه سيبدأ العمل الأسبوع التالي في إحدى الشركات المالية الشهيرة ووجمت.. ومد هشام يده وضغط على يدي، وقال بصوت دافئ: جمان.. قريبا سآتيك خاطبا. وقفز قلبي بين ضلوعي وقلت: هشام هل فاتحت والدتك بالأمر؟ فهز رأسه: نعم صارحتها منذ فترة. وتساءلت: ألم تعارض؟ فابتسم وقال: في البداية عارضت، لكنها تحب والدتك فهي الوحيدة التي لم تقاطع أبي بعد زواجه منها، وعندما وجدتني متيما بك وافقت وسأفاتح أبي بالموضوع بعد أن أستقر في عملي.

وسكت أنا.. هل ستوافق أمي.. وجدي وخالاتي؟! ما موقف عائلتي؟!.. هل سيوافقون على زواجي من ابن المرأة التي قاطع لأجلها خالي أهله ولم يكترث لغضب جدي بل وهجر زوجته الأولى وتركها معلقة مع بناتها الأربع طوال تلك السنين؟!..

ولاحظ هشام وجومي فقال: أعرف ما تفكرين فيه، أنت خائفة من رفض العائلة..

واقترب مني ورفع وجهي إليه ونظر مباشرة في عيني وقال: جمان.. هل ستحاربين لأجلي؟ هل أنت مستعدة للتمسك بي في كل الظروف؟!

وقلت وعيناي معلقتان بعينيه: نعم، سأفعل، سأكون لك، أعدك، لن أكون لغيرك أبدا، لكن لدي طلب منك، انتظر إلى أن أنتهي من دراستي وأتخرج.. لا أريد أن يؤثر شيء على دراستي بعدها سنحارب الدنيا لأجل حبنا.

فأجاب بهدوء: لك ذلك.

■■5■■

بعد التخرج

أصبحت ألتقي هشام في بعض المطاعم البعيدة.. في كبائن خاصة بعيدا عن عيون الناس، لم يتجاوز في حبه مسك يدي، إنني حبيبته التي يخاف عليها أكثر من نفسه، وفي بعض المرات كان يمر ليراني في الجامعة، وكنت أخرج لأراه متعللة بمحاضرات المعيد الإضافية.. ومرت أيام طويلة، وتخرجت من الجامعة.. أصبحت في الثانية والعشرين من عمري.. مضت أربع سنوات على حبي.. واقترب يوم المواجهة وبدوت أكثر صمودا وثباتا واستعدادا للدفاع عن هذا الحب..

وأقامت والدتي عشاء فاخرا على شرف تخرجي، كانت سعيدة جدا فقد رفضت عشرات الخطّاب أثناء دراستي الجامعية، وهي تمني نفسها الآن بموافقتي على الزواج، وبعد العشاء اجتمعت العائلة في جلسة رائعة، وهدى ابنة خالتي - التي تخرجت من المعهد التجاري للتو لأن نسبتها في الثانوية لم تدخلها الجامعة معي كما كانت تتمنى - جالسة مقابل أخي فواز، إنه يدرس في كلية الهندسة ولا يكف عن تبادل النظرات مع هدى، وأختي رزان جالسة بجوار ابنتيها وبطنها منفوخ أمامها.. إنها حامل للمرة الثالثة، ولم يبقَ سوى القليل لولادتها.. وزوجها البغيض جالس بجوار أبي، مازلت أكرهه، لم أنس قط خيانته لها ولم أنس رؤيته بنفسي في وضع الخيانة وفي بيت أختي، لا أعرف لمَ تنجب منه؟ ثانية؟ ربما تريد أن تربطه بها.. لا أستطيع تصور أنها تحبه!

وسألتني خالتي الكبيرة: أين تريدين العمل؟ هل فكرت في مكان ما؟ وبما أنني كنت متفوقة فقد أردت العمل في مكان مرموق وفكرت في العمل في بنك أو شركة استثمارية ضخمة، لم أقرر ذلك بعد، وذلك ما أخبرت به خالتي.

وانتهت السهرة الجميلة وصعدت إلى غرفتي وأقفلت الباب بالمفتاح.. أمسكت هاتفي النقال واتصلت بهشام.. جاءني صوته نائما فهمست له: أحبك وقبّلت سماعة الهاتف وأغلقت الخط، وبقيت أفكر، ماذا تخبيء لي الأيام المقبلة ولأول مرة شعرت بالخوف يجتاح قلبي.. قلبي الذي ينبض بحب هشام.

■■6■■

المواجهة

جلست مقابل هشام في أحد المطاعم في كابينة خاصة، كان التوتر باديا على وجهي الشاحب، كنا نناقش موضوع خطبتنا وكل منا يقترح الطريقة الملائمة لطرح هذا الموضوع على الأهل، اقترح هشام أن أصارح والدتي بعلاقتنا وحبنا، ولم أؤيده في هذا الرأي، لا أملك الجرأة على ذلك، اقترحت عليه أن يطلب والده يدي رسميا منها فهو أخوها وبإمكانه التأثير عليها، وأخيرا اقتنع هشام بما أريد، أن يخطبني مباشرة كان بمثابة وضعهم أمام الأمر الواقع، ووعدني أنه سيصارح والده الليلة، وخفت.. امتلأت رعبا، لم أرَ خالي من قبل، فجدي قد قاطعه قبل أن أولد، رأيت صورا قديمة له فقط، ترى هل سيقبل بي عروسا لابنه الوحيد؟!

وعدت إلى البيت ساهمة، كنت قد قضيت الصباح وأنا أتجول لأقدم أوراقي في البنوك للعمل وقدمت أيضاً في شركة استثمارية معروفة، وقابلت هشام في وقت مبكر من الظهيرة كي لا أضطر إلى إخبار أمي أنني تناولت غدائي خارجا.. كانت الساعة الثانية ظهرا عندما وصلت، جلست إلى المائدة وأكلت القليل بحجة أنني متعبة ثم انسحبت إلى غرفتي وفي السابعة مساء اتصل بي هشام وقال: أبشري.. لقد وافق أبي، سيتحدث مع والدتك غدا، إنها ستزورنا في الغد وسيفاتحها بموضوعنا.

وقفز قلبي من الخوف.. لقد تفاجأ خالي بالأمر، لم يكن يعرف أن هشام يعرفني من الأساس وأنه زميلي في الجامعة ولم يتخيل أنه أحبني ويريد الزواج بي، ولأن علاقته جيدة مع أمي فقد تقبل الأمر بشكل جيد، ورأى أن زواجنا سيفرض هشام على عائلته التي قاطعته لزواجه من أم هشام، إنه يريد أن يتحداهم جميعا ويقتحم حياتهم من جديد، شاؤوا أم أبوا هشام ابنه وسيتزوج من العائلة، وأما والدة هشام فقد كانت حائرة، لا تعرف هل تقف في صف ابنها أم في صف كرامتها.. إنها تكره عائلة أمي بلا شك، وتكره ظلم جدي لها، وتحيزه لابنة أخيه زوجة خالي الأولى وأم بناته التي لاتزال على ذمته، لكن حبها لابنها كبير يفوق كل شيء، إنه وحيدها، ومادامت سعادته معي، فلن تقف في طريقه، وقد احترمت موقفها، إنها امرأة واقعية وقوية.

ولم أنم ليلتها، وبعد المغرب رأيت والدتي تتأهب للخروج، سألتها بارتباك: إلى أين؟ فردت بلهجة عادية: سأزور خالك اليوم، ثم أردفت: لن أتأخر.. وخرجت.. لكنها تأخرت بل تأخرت كثيرا، وقلبي يدق بلا رحمة، وأتصل بهشام فلا يجيب، أبعث إليه برسالة على الهاتف فلا يرد، وأكاد أجن، ماذا حدث؟ وأخيرا عادت أمي، واقتحمت غرفتي وقالت: لم أتصور يوما أنك تخونين ثقتي بك.

وفتحت فمي لأغلقه حالا وهي تشير إليّ صارخة: لا أريد أن أسمع منك أي كلمة.. لم تجدي سوى هشام لتحبيه.. تعرفين أنه وأمه منبوذان من العائلة، لن يوافق جدك ولا خالاتك، وستتعرض للمشاكل بسبب هذا الزواج، وأمه السبب في القطيعة بين خالك

وجدك، لمَ تقحمين نفسك في كل ذلك؟ هل جننت؟ لقد خدعتني يا جمان.. رفضت كل الذين تقدموا لك لأجله وأنتِ تتحججين بالدراسة لتغطي على نفسك استهتارك واندفاعك!

وشعرت بالظلم والغضب وأنا أسمع اتهامات أمي لي وانهرت باكية، لم أجرم.. لقد أحببت حبا شريفا طاهرا، وحبيبي يريدني ولن يتخلى عني أو يفرط بي، وأنا لا أجد سببا يدعوني للتضحية بحبي، وإذا كان جدي متحجر القلب ليقاطع ابنه الوحيد كل تلك الأعوام فأنا لا ذنب لي إذا كان القدر قد جمعني بابن خالي وكتب على قلبي حبه.. وقلت الكثير وقتها أخبرتها أنني لن أتزوج غيره أبدا وسأتحدى الجميع لأجله ولتذهب العائلة إلى الجحيم، لن أسمح لأحد أن يتدخل في حياتي.. وخرجت أمي غاضبة وصفقت الباب بعنف.. وبقيت أنا أبكي وفي منتصف الليل دخل عليّ أبي.. إنني أقرب إليه مني إلى أمي.. أشعر به يحبني أكثر ويتعاطف معي بشكل أكبر كما أنه يفهمني أكثر من أمي، لطالما كان ملاذي.. ونظر إلي نظرة حزينة وهو يقول: لم أكن أريدك أن تقحمي نفسك في صراع مع عائلة أمك.. الأمر أعمق مما تظنين!

تنهدت من بين دموعي: أعرف يا أبي، وأقسم لك أنني لم أفعل ما أخجل منه، لقد أحببته حبا عفيفا ولا أريد أكثر من أن يتوج حبنا بالزواج ثم إنه لا ذنب له بكل ما حدث بين أبيه وجدي.

ربت أبي على خدي وهو يمسح دموعي، وقال بحنان: اسمعي يا ابنتي، لم أرفض لك طلبا أبدا، وأنا أثق بك كثيرا، لكنها معركة طويلة وقاسية قد لا تتحملين خوضها، لا أعرف عمق حبك لابن

خالك هذا، لكن أنتما فقط من يحدد إن كنتما تستطيعان الصمود أم لا!.. لست أبا قاسيا وصحيح أنني لا أوافق على ما فعلت كليا، لكنني لاأريد لومك.. كنت أتمنى لو أنك صارحتني من البداية، تعرفين كم أنا منفتح معك ولو أنك فعلت فلربما تغير الوضع.

ونكست رأسي أمام أبي، لم أفكر يوما بمصارحته كيف أفعل؟! ماذا أقول له؟ كيف أجرؤ؟!

وانسحب أبي من غرفتي فقمت واتصلت بهشام.. ورد عليّ أخيرا.. كان صوته حزينا وقد عرف بمجرد أن سمع نبرة صوتي ما أمر به من صراع وألم، وأخبرني أن والده فاتح أمي بالأمر أمامه شخصيا وفي حضوره، دون وجود والدته التي آثرت الانسحاب في وقت حرج كهذا وقد أخبرها خالي مباشرة أن هشام يريد الزواج بي وأنه كان يدرس معي في الجامعة وأخبرها أننا متفقان على الزواج الأمر الذي أطار صواب أمي!

لم تتوقع ذلك أبدا.. وأخبرني هشام أن أمي قالت لأخيها: لن أجد أفضل من هشام لجمان لكنك أعلم بالظروف، ستعارض العائلة هذا الزواج كما عارضت زواجك بأم هشام وأنا لا أقوى على موقف كهذا!

وناقشها خالي كثيرا وانتهى الأمر برغبة والدتي في التفكير بالأمر وبدت وهي خارجة من بيتهم كهاربة مذعورة.. وساد الصمت بيننا بعدما قاله لي.. وظل بيننا سؤال متردد حائر.. وأخيرا تجرأت أنا وقطعت الصمت بالوعد: هشام أنا معك حتى النهاية، لن أكون لغيرك.. ولن أتخلى عنك مهما كان الثمن.

■ ■ 7 ■ ■

الصراع

عرفت العائلة بموضوع زواجي من هشام وثار جدي وهدد وتوعد، وغضبت خالاتي ولمنني، وبدا للجميع أنهم يملكون حق التدخل في حياتي واختياري لشريك عمري، لا أعرف من أعطاهم الحق في ذلك! ووقفت أنا في وجه الجميع، أناقش وأكابر، بدوت حازمة وصلبة، تركت الخوف ورائي وبقي في قلبي التحدي.. والمناقشات لا تنتهي وأمي تخاصمني حينا، وتكلمني حينا.. أحيانا بالصراخ والتهديد وأحيانا باللين والاقناع وأحيانا بالتوسل والرجاء، ولم يجد شيء معي.. وفي هذه الظروف.. جاءت ولادة رزان لابنتها الثالثة، بدت أختي منكسرة بإنجابها لبنت للمرة الثالثة، كانت تتمنى لو أنها أنجبت ولدا، علها تكسب حب زوجها واهتمامه، وبدا زوجها باردا في المستشفى وأما خالاتي فقد تجاهلنني تماما عندما أتين لزيارتها وزادني تجاهلهن عنادا، فليتجاهلني الجميع إن أرادوا.. لا يهمني ذلك المهم ألا أتجاهل أنا مشاعري وحقي في السعادة، ولولا حبي لأختي ورغبتها في وجودي إلى جوارها لما كنت جالسة معهم، وغادر الجميع ظهرا وبقيت مع رزان وهي تتناول غداءها، وقالت لي بحنان: كيف حالك؟ رددت بيأس لا أظهره لسواها: كما ترين.. يعاملني الجميع كما لو كنت مجرمة..

فابتسمت بحنان: تحبينه؟

تنهدت وقلت بحرقة: أكثر من أي شخص في الدنيا.

فقالت بصوت قوي لم أعهده منها: إذن تمسكي به، إن الحب الحقيقي يستحق أن نحارب لأجله.. مادام هو أيضا يحبك.

وسكتت رزان.. وسألتها أنا هذه المرة: تحبين محمد؟

وردت بسرعة: أحبه.. لكنه لا يحبني.. لقد اختارني لأنه رأى في المرأة المحبة التي ستصبر عليه وستبقى في ظله مهما فعل بها.. استغل حبي وضعفي وصغر سني.. لن يتغير أبدا..

رددت باندفاع: ولمَ تبقين معه؟

ردت بهدوء: لدي منه ثلاث بنات وإذا تركته سأكون مطلقة في الخامسة والعشرين وأم لصغيرات ثلاث، من سيقبل بي؟ من سيتحمل وضعي؟.. ستتشرد بناتي وتحرمن من أبيهن وأحمل لقب مطلقة، أنا الخاسرة الوحيدة.

فقلت لها: لكنك خسرت كرامتك ونفسك!

فقالت: لا تعطينا الحياة كل شيء.. يكفيني أن أربي بناتي بهدوء.. وقد يتغير محمد في النهاية ويتعقل ويقدر ما تحملته لأجله..

وصمت.. لم أكن مقتنعة بمنطقها.. أن أبني حياتي كلها على مجرد احتمال!

■■■8■■■

القدر صديقي

لا أعرف إن كان ما سأقوله لائقا.. لكنه كان حلا.. لقد توفي جدي.. ولأكون صادقة مع نفسي أعترف بأنني لم أحزن كثيرا لوفاته، عندما عرفت بالخبر صدمت وتألمت لكنني وجدت نفسي أفكر بهشام، أظن زواجي به أصبح ممكنا في غياب جدي الأبدي عن حياتنا، وطوال أيام العزاء وجدت خالاتي أكثر لطفا معي، ربما أحسسن بأن زواجي من هشام بات قريبا.. ودخل خالي عبدالله عليهن بعد سنين.. واستقبلنه بالأحضان والدموع، وبكى هو أيضا معهن، الوحيدة التي شعرت بالخذلان هي زوجة خالي الأولى أم بناته، وتقدمت ابنة خالي البكر من أبيها، لم تره منذ قاطعه جدي وارتمت على صدره باكية، وفجأة فعلت أخواتها الثلاث الشيء نفسه، وفي تلك اللحظة نادى خالي شخصا يقف وراء الباب الرئيسي.. تعال لتعزي عماتك وأخواتك.. فدخل هشام علينا.. وانهمرت دموعي وأنا أراه في بيت العائلة.. إنه حلم.. إنه أمامي وفي قلبي.. وقبّلته خالاتي واحتضنه، لقد أسرهن بوسامته، كدت أصرخ هذا الذي تلومنني في حبه، اشهدوا على روعته.. وعرفه والده بأخواته البنات وصافحهن محرجا، اثنتان منهما متزوجتان.. وسادت روح جديدة في العائلة.. روح الصفح والغفران.

■■9■■

زواجي

كلما نظرت إلى نفسي في المرآة يومها، زاد انبهاري بجمالي في ثوب زفافي السكري اللون، بدوت جميلة، فاتنة، لم أكن أعرف أنني جميلة لهذا الحد، كان ثوبي ذا أكمام طويلة من الدانتيل الشفاف المشغول وتنتشر ورود جميلة صغيرة حول فتحة الصدر ثم يضيق ليبرز خصري النحيف وقدي الممشوق.. ثم تنتشر الورود الصغيرة على باقي الثوب الواسع الأطراف الذي بدا منفوشا فوق «الجيبون» الذي ارتديته في الأسفل، ورفعت شعري بالكامل إلى الأعلى وثبتت الطرحة بتاج ماسي رائع كان جزءا من الشبكة الفخمة التي اختارها لي هشام بنفسه، وخلال بريق الماس الذي يحيط بي بدت عيناي الواسعتان كعيني دمية جميلة وقد بدتا ساحرتين وسط وجهي الرقيق وأنفي المرفوع الطرف، واخترت أن أصبغ شفتي باللون الزهري الفاتح، كانت والدتي تفضل اللون الأحمر الصارخ لأنه الأنسب لي كعروس، لكنني أعرف أن هشام لا يحب الألوان الصارخة بل طالما منعني من استخدامها..

وجلست هدى بجواري ضاحكة وهي تقول: كفاك من المرآة.. ألم تشبعي من رؤية نفسك؟

وابتسمت لها: عقبالك يا هدى..

وتورد وجه هدى وقالت: لم يبق سوى عام واحد على تخرج

فواز أخيك وبعدها سأصبح ابنة خالتك وصديقة عمرك وزوجة أخيك.

وقلت من كل قلبي: إن شاء الله..

كان قد مر عام كامل على وفاة جدي.. وتقبل الجميل زواجي من هشام، وحضرت أخواته العرس، الوحيدة التي لم تحضر هي زوجة خالي الأولى أم أخواته البنات..

ونزلت إلى المدعوين.. كنت رائعة، إنني أرى انبهارهم في عيونهم، وتخيلت نفسي في عيني هشام.. ومشيت إلى الكوشة وأغنية هب السعد الشعبية تصدح في أرجاء القاعة وجلست في الكوشة كالملكة المتوجة والتاج يلمع فوق رأسي.. وبعد أن هدأت والتقطت أنفاسي بدأت أرى الجميع وألاحظهم.. بدت أمي رائعة بثوبها الفضي اللامع وقد ارتدت أجمل مجوهراتها وأثمنها وبدت والدة هشام رائعة الجمال وهي التي أثبتت للجميع أنها فرد من العائلة الآن فقد كان زواجي من ابنها مدخلا لها إلى العائلة التي نبذتها وقاطعتها طويلا.. ولمحت رزان أختي وقد بدت لي نحيفة جدا بثوبها البني، لم أحب لونه الداكن يبدو أنها تخلت عن لونها الوردي المفضل والذي اختارته لونا لثوب زفافها، وارتدت ابنتاها مريم ومرام ثوبين متشابهين وبدتا كالتوأمين وابتسمت لهما ابتسامة كبيرة، كم أحبهما.. أما ابنتها الجديدة التي أكملت عامها الأول وتعدته ببضعة شهور فقد أحضرتها رزان وقت التقاط الصور العائلية ثم أعادتها إلى غرفة في الفندق كانت قد حجزتها لنفسها لهذا اليوم.. ومر الوقت سريعا، وصديقاتي يرقصن ويباركن لي.. ومنار زميلتي في الجامعة أهدتني أغنية

خاصة رقصت عليها وحدها.. وأخيرا جاء وقت دخول العريس.. وزف إليّ هشام.. ها هو حلمي يتحقق أخيرا وأنا في الثالثة والعشرين من عمري أصبحت زوجة لمن أحب، وبهر الجميع بوسامته، كنا حقا نليق ببعضنا البعض، كأن الله تعالى خلق كل منا للآخر، بدونا منسجمين متناسقين، نكاد نبلغ حد الكمال، والجميع مبهور بنا معا.. وقبّل هشام رأسي، ثم ابتسم ولم يتمالك نفسه فانحنى وقبّل وجنتي أيضا وضحك المعازيم وثارت التعليقات الهامسة.. وجلس هشام بجواري.. والسعادة ترقص على وجهه، ورقصت له رقصة خاصة.. وقبل قيامنا لقطع كعكة العرس المكونة من سبع طبقات حملني هشام بين ذراعيه وأنزلني من الكوشة.. وثارت الهمسات والضحكات من جديد، وصعدنا أنا وهشام إلى الجناح المخصص لنا، واسترجعنا ذكريات العرس كنا نتحدث عن دخول هشام ووالده وكيف هرعت خالاتي وأمي إليه لتقبيله وأخذ الصور معه، وكذلك فعلت أخوات هشام تجاه أبيهن وأخيهن لقد بدون وكأنهن على وفاق تام وروابط متماسكة وليس كمن قاطعنه سنوات طوال، وترحمت على جدي وأيامه! سامحه الله! وأخيرا التقى شمل المحبين، أخيرا أنا وحبيبي زوجين، لقد بدأت حياتنا الزوجية كأجمل ما تكون وبكل الحب قضينا ليلة زفافنا..

■■10■■

شهر العسل وما بعده

في اليوم التالي لزفافنا اجتمعت العائلة لإيصالنا إلى المطار حيث سنسافر لقضاء شهر العسل، اخترنا، هشام وأنا، أن نسافر إلى بلد لم يره كلانا كي نحتفظ بذكريات خالصة لشهر العسل ولنحظى بإثارة زيارة مكان ما لأول مرة، اخترنا السفر إلى أستراليا.. رغم المسافة البعيدة إلا أننا سمعنا الكثير عنها وعن جمالها وقررنا قضاء أسبوع عند عودتنا من استراليا في دبي بل وفي برج العرب تحديدا، حيث سنستمتع بالرفاهية والترف هناك، كان شهرا رائعا، إنه حقا شهر عسل، كنا فرحين، لا أظن أنني عرفت السعادة يوما كما عرفتها في تلك الرحلة، أكاد لفرط سعادتي أظن نفسي في حلم، وهشام لا يكف عن تدليلي، أنا زوجته وحبيبته، أنام في حضنه وأصحو على قبلاته ولمساته الحانية التي لا تكف عني، نسير متعانقين وذراعه تحيط بظهري، كانت أصابعه لا تفارق أصابعي ورأسي دائما على كتفه، كم أحبه، لقد زاد حبي له بعد الزواج عشرات الأضعاف، وقضينا أجمل أوقات حياتنا في تلك الأيام القصيرة، لقد مرت بسرعة خاطفة لنجد أنفسنا وقد عدنا إلى الكويت ثانية، لم أشتق لها بعد، ورغم أنني كنت حزينة على انتهاء شهر العسل إلا أنني عندما وصلت إلى الكويت شعرت بقلبي يخفق طربا بالعودة، وكانت عائلتي مجتمعة لاستقبالنا في المطار ووالدة هشام واقفة بجوار أمي وانهالت القبلات علينا والكل سعيد ويسألنا عن رحلتنا، ونحن نجيب

بكلمات لا تكاد تشفي فضولهم، واحتضنني أبي طويلا، شعرت به يرغب في إدخالي بين ضلوعه، وقبلته كثيرا، أكثر مما قبلت أمي، وأخي فواز يقبلني بلا تحفظ، يبدو أنني أوحشته، وركبنا مع أبي وجلس هشام في المقعد الأمامي بجواره وجلست أنا في الخلف أتوسط أمي وأمه، شعرت أنني محاصرة هنا، وانطلق والدي نحو منزل خالي والد هشام، كنا سنعيش مع والديه في المنزل نفسه، لكنني وافقت بعد أن رأيت المكان، فقد كان المنزل مصمما بحيث أضمن لنفسي خصوصيتي، إن لي مدخلا منفصلا من خارج المنزل ومدخلا آخر متصلا بالمنزل من الداخل والذي قررت أن أحكم إغلاقه كي أشعر بالخصوصية متى أردت ثم إن هشام وحيد والديه، والمنزل كبير جدا فما المانع من بقائنا مع والديه، وقبل الزفاف أثثنا شقتنا الخاصة في البيت بأثاث فاخر بمرافقة والدتي أحيانا أو والدته في أحيان أخرى، لم نكن نستطيع الخروج معا قبل الزواج، هكذا عاداتنا، كان أثاثي غاليا جميلا ينم عن ذوق وتناسق واخترت غرفة نومي بعناية ودقة فبدت كجناح ملكي في أحد الفنادق، إن لي ذوقا جميلا في انتقاء الأثاث والألوان.

كنا قد وصلنا يوم الخميس وكان على هشام أن يبدأ عمله يوم السبت في الشركة المالية التي يعمل بها وأن أعود أنا أيضا إلى عملي في البنك يوم الأحد بعده.

كنت قد عملت منذ عام في أحد البنوك وفي الفرع الذي يقع في منطقتنا نفسها وكنت سعيدة جدا في عملي، فقد أحببت جو العمل، إنه مثير للحماس وجميع زملائي يحترمونني كما أنني

موظفة متميزة، والكثير من العملاء يصرون على الانتظار لحين أستطيع خدمتهم شخصيا، ومديري يقدرني جدا وفي الفرع كنت أحس أنني في بيتي الثاني، وقد دعوت جميع زميلاتي إلى عرسي وجئن جميعا، كنا نعمل بروح الأسرة الواحدة، وقبل الزواج جاءتني عروض عديدة للزواج من خلال العمل، فتاة تريد أن تخطبني لأخيها، عميلة تعجب بي لابنها، زميل يراني فتاة أحلامه، وكنت بالطبع أرفض، فقلبي لهشام وحده، وكان عليّ العمل عصرا يومين في الأسبوع، وقد ترك لي مديري الخيار في اختيار هذين اليومين، فاخترت الأحد والثلاثاء فهما في وسط الأسبوع حيث تقل ارتباطاتي الاجتماعية.

وعدت إلى العمل يوم الأحد الذي تلى عودتي من شهر العسل، واستقبلني الجميع بحفاوة والكل يهتف كم اشتاقوا إليّ، وكيف أن الجميع افتقد وجودي حتى العملاء يسألون عني، وفرحت بهذا الاستقبال الحميم، وبدأت زميلاتي يعلقن على حفلة زفافي وامتدحن طلتي كثيرا، كنت رائعة، كنت كالملكة، وأسعدني رأيهن جدا، وعدت من العمل قَبل زوجي بساعة، كنا سنتناول الغداء مع والديه بعد عودته، هكذا كان نظام البيت وكان ذلك يريحني على الأقل لن أقلق بشأن المطبخ والطعام، إن ذلك من مزايا السكن مع أهل زوجي.

وغيرت ملابسي وخففت زينتي ونزلت إلى الصالة الرئيسية لأنتظر عودة هشام وأجالس والدته، إنها قوية الشخصية، وتبدو دائما في أتم زينتها فهي أنيقة ومرتبة، وخالي يحبها، يكاد لا يفارقها، يعود من العمل فيحكي لها كل ما يحدث معه، لا عجب

أنه استغنى بها عن عائلته وأبيه، وعاد خالي من عمله وقبّل رأس زوجته وصعد ليبدل ثيابه، وسألت نفسي هل سيفعل هشام الشيء نفسه؟ لقد قبّلته أنا عندما عاد بالأمس، يجب أن أعوّده إذن، وابتسمت بشقاوة بيني وبين نفسي، وأخيرا عاد هشام وتقدم يقبّل رأس أمه، وابتسم في وجهي ابتسامة كبيرة وقال: كيف حالك؟ لا أعرف إن كانت الغيرة تملكتني وقتها، لكنني لم أجرؤ على إخبار هشام بأنني أريده أن يقبّل رأسي مساواة بأمه! لا لن أفعل ذلك، يكفيني ما يغمرني به من الحب وحدنا، لا أريده أن يقبلني أمام أحد، وبعد الغداء صعدنا إلى شقتنا وخلد هشام إلى النوم فقررت أن آخذ حماماً لأستعد للخروج إلى دوامي المسائي، وارتديت ملابسي وتسللت على أطراف أصابعي فإذا بهشام ينادي عليّ، هرعت إليه وقلت ضاحكة: صح النوم يا كسول، ورد متعجبا، إلى أين أنت ذاهبة؟ فقلت: ما بك حبيبي، إن اليوم الأحد.. لدي دوام عصر في الفرع لقد أخبرتك سابقا، وقطب هشام جبينه ولم أرتح للأمر، إنه يعرف مدى حبي لعملي واندماجي فيه فلِم يشعرني بعدم الراحة لمجرد أنني ذاهبة لدوام العصر؟ لكن الأمر لم ينته عند هذا الحد.

■■■ 11 ■■■

اتركي عملك!

لم يترك هشام أي مناسبة تمر إلا وهو يبدي استياءه من دوامي المسائي، بل إنه بدأ يفرض عليّ واجبات من شأنها تعطيلي عن الذهاب إلى العمل، مثلا يطلب مني مرافقته إلى مكان ما، أو لزيارة واجب لأحد من الأهل أو يطلب مني عمل نوع من الحلويات ليأخذه إلى أصدقائه في الديوانية التي يرتادها يوم الثلاثاء بالذات ويطلب أنواعا تتطلب جهدا ووقتا، ثم لجأ إلى حيلة أخرى أكثر صبيانية.. بدأ يتمارض أيام الأحد والثلاثاء فإما أنه يحس بحمى أو بمغص أو بصداع، وكنت أحاول احتواء تلك المواقف السخيفة التي يضعني فيها، لكنه كالطفل العنيد لا يهدأ ولا يكف، وفي أحد الأيام فاجأني بزيارتي في العمل في الفترة المسائية، لم يعجبني الأمر، شعرت به يتلصص عليّ وكنت وقتها أقوم بمعاملة مهمة لأحد العملاء المهمين، واقترب مني متجاهلا العميل واستاء العميل من مقاطعته لنا فهو لا يعلم أنه زوجي، ثم إن المكان للعمل وليس للزيارات الشخصية، وابتسمت لهشام بلطف وطلبت منه الانتظار لبرهة، وبدا كمن أهين وتغير وجهه وامتقع لونه، وجلس متأففا ينظر إلى ساعته وبمجرد انتهائي توجهت إليه وقمت بتعريفه على زملائي وعلى مديري أيضا، وعندما عدت إلى المنزل وبّخني على تصرفي وحاولت إفهامه أنه لا يحق لي فرضه على عملاء البنك بصفته زوجي، كما لا يجوز له مقاطعتي أثناء العمل والدخول عرضا في

شؤون الآخرين، ثم تحول نقده إلى طريقة كلامي مع زملائي من الشبان وكيف أنني تعاملت معهم ببساطة شديدة وبلا تكلف، وقد كنت كثيرة الضحك والمرح أكثر مما يجب، وفجأة أخبرني أنني أكثر التبرج وأنا ذاهبة إلى العمل.

وانفجرت في وجهه وواجهته بتصرفاته اللامعقولة تجاه عملي وزاده غضبي عنادا فقال: اسمعي يا جمان، أنا غير مرتاح لعملك في ذلك البنك وأطلب منك ترك العمل، هذا ما أريده منك! وكدت أجن لِمَ أترك عملي الذي أحبه؟ لا توجد أسباب مقنعة لأفعل ذلك، وكان ذلك أول شجار بيني وبين هشام.

ولأول مرة ننام متخاصمين، وفي الأيام التالية حول هشام حياتي إلى جحيم، لقد استخدم ضدي كل الأساليب الممكنة لدفعي إلى الرضوخ لأمره بترك عملي في البنك، خاصمني وتجاهلني وهجرني ثم فجأة غيّر خطته، فصالحني واشترى لي هدية وعاد يدللني بإفراط ثم طلب مني ترك العمل برقة وبكلام معسول عن حبه لي وغيرته عليّ وأنه لا يحتمل وجودي في مجتمع منفتح كمجتمع البنك وكلام كثير لم أقتنع به.

ولاحظ مديري في العمل وجومي وحزني، كان مديري صديقا للجميع والكل يثق به ونحن نعتبره كأخ كبير لنا. وكنت أناقشه في بعض أمور العمل عندما سألني بشكل مباشر ما الأمر جمان؟ تبدين متعبة.. اجلسي.. وجلست وفتحت قلبي له، واستمع لي بصدر رحب، كان الوقت صباحا والعمل خفيفا مما أتاح لي الوقت لأحكي له عن ما أعانيه، وسكت مديري ثم اقترح عليّ أمرا.. لماذا لا تطلبين النقل إلى فرع البنك الرئيسي؟ قال إنني

بذلك أتخلص من دوام العصر ووعدني أنه سوف يتوسط لي.. وفرحت.. وجدتها فكرة جيدة.. وعدت إلى البيت وطلبت من الخادمة أن تحضر الغداء إلى شقتي بحجة أنني متعبة.

وأعددت المائدة بنفسي ونسقتها بشكل جميل، وارتديت قميصا حريريا جميلا سماوي اللون يضيق على جسدي فيبرز تناسقه ورفعت شعري للأعلى وتزينت بعناية، أريد أن أؤثر على هشام، لقد وجدت الحل للمشكلة، وعاد هشام وصعد ليتغدى معي، أخبرته أمه أنني متعبة ولم أنزل للغداء معهم، وبهر عندما رآني، وتناولنا الغداء، وبعد الغداء أخبرته بالحل الذي اقترحه مديري، ولم أخبره أنها فكرة مديري بل أخبرته الفكرة فحسب، وصمت هشام، ووجهه عابس، ثم قال: اسمعي يا جمان، لقد كنت واضحا معك أريدك أن تتركي العمل في البنك بشكل نهائي، اعملي في مكان كله نساء سأساعدك على ذلك، أريد أن أحافظ عليك.

وصرخت: ألا تثق بي؟

وصرخ هو بدوره: أثق بك، لكنني لا أثق بالرجال، إنهم ذئاب يكادون يفترسون البنات، فكيف وأنت بكل هذا الجمال!

وضاقت بي الدنيا.. لمن ألجأ.. لمن أشكي.. ولجأت إلى هدى ابنة خالتي.. وبمجرد أن بدأت بالكلام انهمرت دموعي، كنت أعاني من الغيظ والقهر، وقلت كل ما لدي، وقالت هدى: اسمعيني يا جمان.. هشام يحبك كثيرا وهو يغار عليك وهذا من حقه، ومادام العمل في البنك لا يعجبه فأظن أنه من الواجب

عَليك ترك العمل.

وصرخت: لكن عملي يعجبني وأنا سعيدة فيه.

وعادت تقول بهدوء: أيهما أهم البنك أم زوجك؟ لا تخسري زوجك وراحتك من أجل العمل، لا تعانديه وصدقيني سيقدّر تضحيتك لأجله للأبد.

وسكتّ.. وضحيت بعملي في البنك لأجل هشام لكنه لم يقدّر تضحيتي للأبد كما قالت لي هدى!

■■12■■

العمل في الحكومة مقبرة المواهب

رغم كل التدليل الذي غمرني به هشام بعد استقالتي إلا أنني لم أكن سعيدة، كنت أشعر بالقهر لأنني تخليت عن وظيفتي التي أحبها، وكنت أشعر بالغضب منه بداخلي فقد أجبرني بأسلوب همجي على الاستقالة.

وسجلت اسمي في ديوان الخدمة المدني ليتم ترشيحي للعمل في جهة حكومية.. ولم أنتظر طويلا، فقد تم ترشيحي للعمل في إحدى الوزارات بعد ثلاثة أشهر من استقالتي، ثلاثة أشهر قضيتها في التسكع في الأسواق والنوم وزيارة أمي وأختي رزان وحضور الاستقبالات والأعراس مع أم هشام، وذهبت لأرى مكاني في الوزارة التي رشحت للعمل لديها، إنها وزارة معروفة سمعتها طيبة والقسم الذي سأعمل به هو قسم مختص بالتقارير حيث سأقوم بعمل تقارير وإحصائيات تخص نشاط الوزارة، القسم مكون من ثلاث بنات وشابين ومديرتي امرأة أيضا، بدت متبرجة على نحو لافت، كأنها مدعوة إلى أحد الأعراس! ولم أرتح لها.. شعرت أنها أقل من مستواي! لم أكن أبدا متكبرة لكن ذلك ما شعرت به، والبنات الثلاث بدون لطيفات وقتها والتهمتني أعين الشباب التهاما وبالغوا في الترحيب بي، واستلمت عملي بعدها بثلاثة أسابيع، إن العمل في الحكومة يختلف كليا عن العمل في القطاع الخاص، إنني أحضر إلى الدوام في السابعة والنصف فأجلس مع زميلاتي البنات لنطلب إفطارا من الكافتيريا،

ونتناول إفطارنا في ساعة كاملة تتحدث بها البنات عن حياتهن الخاصة.. الأولى اسمها نوال متزوجة من رجل بخيل ولديها منه أربع بنات وهي التي تصرف على البيت، والثانية واسمها كريمة وهي الأصغر سنا بيننا مطلقة ولديها ولد وحيد تعيش لأجله ولا تتحدث إلا عنه، والثالثة واسمها مريم متزوجة من خمسة أعوام ولديها مشكلة في الإنجاب، لقد أخبروني عن خصوصياتهن ببساطة وانفتاح كأنهن يعرفنني من زمن، وفي العاشرة تأتي مديرتنا إلى العمل، إن منزلها قريب من الوزارة فتأتي صباحا لتثبت حضورها ثم تعود للنوم والتبرج وتأتي بعدها إلى الدوام، وبمجرد حضورها تتجه كل فتاة إلى مكتبها بعد أن يسلمن عليها ويمتدحن شكلها وأناقتها، وبعدها يأتي دور الإنترنت للدخول إلى المنتديات والماسنجر ومطالعة الحقائب والساعات وآخر الأخبار وفضائح المشاهير، وما لفت نظري أن الرجال الذين يعملون معي هم كالنساء تماما، يتحدثون عن زوجاتهم وأبنائهم وخصوصياتهم بل ويثيرون الفتنة والقيل والقال بين الموظفات، وفي الحادية عشرة تجد بعض الموظفين يشربون القهوة مع بعض الموظفات فيدور حديث هامس بينهما لا أعرف إن كان يخص العمل أم يخص أمورا أخرى، وبما أنني جميلة وجديدة فقد حاول الكثير من الرجال. التقرب مني، لكنني كنت دائما حازمة فيما يتعلق بالجنس الآخر ومع الوقت بدأوا يتجاهلونني ويتهمونني بثقل الدم والعجرفة، وكانت الساعة الأخيرة من الدوام هي الأشد قسوة، إن دقائقها لا تمر وكنت أتصل بأمي وأحادثها طويلا عل الفرج يأتي وينتهي هذا الدوام المهدر للوقت، لا أعرف

أي عقلية متحجرة يملكها هشام ليخرجني من جو العمل المنتج المثمر والذي حققت به ذاتي وخبرتي إلى هذا الجو الموبوء بالكسل والنميمة.

ومرت الأيام وفي تلك الفترة خطب أخي فواز ابنة خالتي هدى، وفرح الجميع بهذه الخطبة، إنهما متحابان منذ الصغر ويليقان ببعضهما كثيرا، وأنا أعرف أخي، إنه متفتح العقل ومتفهم ستسعد معه زوجته بالتأكيد، وانشغلت مع هدى باختيار جهازها، إنها صديقة عمري، وستكون زوجة أخي، وستسكن في بيتا، إن البيت كبير وأنا ورزان متزوجتان، وأمي وأبي يرحبان بإقامة ابنهما الوحيد معهما، لكن البيت سيحتاج لإجراء بعض التعديلات لضمان خصوصية وراحة العروسين وكان ضمن التعديلات أن يتم إدخال غرفتي وغرفة رزان ضمن شقة فواز وهدى وسينتقل والداي إلى الطابق الأرضي وستكون هناك غرفة للضيوف أيضاً في الطابق الأرضي أي إن الطابق العلوي بالكامل سيكون لأخي، ولم يعجبني الأمر، لكنني لم أظهر ذلك، شعرت بأنني طردت من منزل عائلتي وإلى الأبد، لن يكون لي غرفة في منزل أبي، لكنني سأضحي لأجل فواز وهدى، لقد ازدادت تضحياتي في الفترة الأخيرة!

■■13■■

أنا حامل

لا أعرف متى بدأت أشعر بأعراض الحمل، كان قد مر عام على زواجي، وبدأت أشعر تدريجيا بأعراض جديدة عليّ.. غثيان في الصباح، خمول ورغبة في النوم، دوار وألم في البطن، وشككت بالأمر، وراجعت الطبيب الذي بشرّني بالخبر السعيد بعد أن أجرى لي اختبارا للحمل، وفرحت.. فرحت من كل قلبي، بل كدت أطير من الفرح وكنت متفاجئة.. إنني أعرف أنني سأحمل يوما لكنني لم أتخيل الأمر يحدث سريعا! رغم مرور عام على زواجي فقد اعتبرت الأمر سريعا! لا أعرف لماذا؟ واتصلت بأمي أبشرها كنت أعرف أنها قلقة بشأن الحمل فقد لمحت لي بالأمر مرارا وفرحت أمي واطمأن قلبها، وزغردت في سماعة الهاتف وضحكت أنا لفرحتها، و وصلت البيت.. كنت قد استأذنت من الدوام لأذهب لإجراء الفحص، فعدت مبكرة وغيّرت ملابسي.. لم أتصل بهشام، أردت أن أبلغه الخبر وجها لوجه، أريد رؤية وجهه عندما يعرف، ونزلت لأجلس مع أم هشام ولم أخبرها، سأخبرها لاحقا.. ووصل خالي وبعده هشام وتقدما يقبلان رأس الأم، وبعد الغداء صعدنا إلى شقتنا، وجلس هشام على الأريكة أمام التلفاز، وجلست على ركبتيه ودفنت وجهي في صدره وقلت بصوت هامس لدي خبر لك، فهمس في أذني ضاحكا وهو يقلد همسي: خير؟ فقلت: أنا حامل.. وسمعت دقات قلبه تتسارع وأحاطني بذراعيه بقوة وانهال عليّ تقبيلا.

■■ 14 ■■

فترة الحمل

لقد عانيت الكثير من الوحم، كان الوحم قاسيا وصرت بالكاد أستطيع أن آكل شيئا وأصبحت حساسة تجاه الروائح العطرية، لا أطيق عطري ولا أطيق عطر هشام، كنت متعبة ومنزعجة لكل هذه التغيرات التي تقتحم حياتي، وبالكاد تمكنت من حضور حفل زفاف أخي فواز وهدى، بدوت شاحبة ولم أستطع الوقوف على قدمي طويلاً من شدة الإعياء، وكرهت ضعفي ووهني، لم أعتد على ذلك، ووالدتي قلقة علي وطلبت مني البقاء في بيتها لبعض الوقت، لكنني لم أرد ترك بيتي وانقطعت عن العمل بالإجازات المرضية واتصلت بي زميلاتي ما عدا مريم، ربما غارت مني لكوني حاملا، ولم أفكر بهذا الاحتمال إلا عندما داومت ذات يوم لأفاجأ بتجاهلها لي وبرودها تجاهي! وذلك بعد أن كانت ترتاح إلي وتحكي لي عن تفاصيل علاجها كي تتمكن من الإنجاب! ودعوت الله أن يرزقها ويفرحها بالذرية فقد أشفقت عليها بحق.

ومرت الأيام وتحسنت أحوالي وبدأت أسترد عافيتي، وازدادت شهيتي للطعام وكنت متضايقة وأنا أرى جسدي ينتفخ ويتغير، لقد اختفى خصري النحيل بل أصبحت بلا خصر تماما وكل ملابسي ضاقت علي، أصبحت أميل إلى السمنة بعد أن كنت مضرب المثل في الرشاقة، وشعرت بأن هشام قد ابتعد عني، إنه لا يرافقني إلى مواعيد الطبيب، أمي هي التي تفعل وهو يتحجج

دائما بالانشغال، كان قد ابتدأ مشروعا لاستيراد الشوكولاته وقد افتتح محلا راقيا في إحدى المناطق التجارية، وأصبح بالكاد يجالسني، وفي الشهر السادس عرفت جنس الجنين، إنه ولد، وطارت والدتي من الفرحة، إنه أول حفيد ذكر لها، فقد أنجبت رزان ثلاث بنات، ولم أخبر هشام بجنس المولود أردت معاقبته على إهماله لي، لو كان مهتما لأتى معي إلى الطبيب ليعرف جنس المولود، لقد بدا كلانا بعيدا عن الآخر، وكنت ألومه على كل هذا التباعد، إنه لا يقدّر ما أمر به وحاجتي إلى حبه وتعاطفه وحنانه وأنا أمر بكل هذه التغيرات الجسدية والنفسية.

ومرت الأيام الأخيرة للحمل ببطء شديد، بالكاد وصلت إلى شهري التاسع الذي بدوت فيه كالكرة المنفوخة وانتظرت الولادة على أحر من الجمر.

■■15■■

وأصبحت أماً

جاءني المخاض في منتصف الليل، كنت قد حاولت المشي في المساء نفسه حيث اصطحبتني والدتي لنمشي على البحر كي تسهل علي عملية الولادة، ورغم الثقل الذي كنت أحس به إلا أنني ضغطت على نفسي لأواصل المشي، مشيت ساعة كاملة بدت لي كالمعجزة وأنا أحمل هذا البطن الضخم والقدمين المتورمتين، وفعلا بدأت آلام الطلق في منتصف الليل، بدأت أحس بها متباعدة ثم ما لبثت خلال ساعة أن أصبحت أكثر حدة، وأيقظت هشام الذي كان فزعا واتصلت على والدتي لنمر عليها في طريقي إلى المستشفى، لقد اخترت الولادة في مستشفى فخم لأنني أريد عمل استقبالا للولادة في المستشفى كما أصبحت الموضة بين السيدات مؤخرا، وأدخلت إلى غرفة الولادة وأمي وهشام معي، كان خائفا علي، شعرت بحبه يعود جارفا فجأة رغم كل التباعد الذي نشأ بيننا في فترة الحمل، جلس بجواري والقلق يفترسه وهو يراني أعاني وأبكي من الخوف والألم، ويضغط على يدي مشجعا من وقت إلى آخر، ويقبّل رأسي وأمي تقرأ علي أدعية وآيات لتسهيل الولادة، ومر الوقت والألم يزداد وبدأوا بإعطائي كماماً ليخفف عني الألم، ولم أستجب له، لم أشعر بالخدر أبدا، أظنني عجزت عن استنشاقه بالشكل السليم، ولم أستفد منه شيئا.

وجاء وقت الولادة، وخرجت أمي وخرج معها هشام، يا إلهي

لم أكن أتصور أن للإنسان القدرة على تحمل كل هذا القدر من الألم دون أن يموت حقا إنها لخروج الروح من الروح.

و ولدت.. وسمعت صراخ صغيري، وشعرت به، وقد وضعه الطبيب على صدري حتى أراه، ولم أحس بشيء بعدها.

كان ولدي جميلا.. رائعا كالبدر، جمع بين ملامحي وملامح هشام، أخذ مني عينيّ وأنفي وشعر وفم هشام، بدا صغيرا وهادئا كالملاك، وأمطرني هشام بحبه في المستشفى، أرسل لي زهورا رائعة، وفي كل زيارة لي يقبل رأسي ويدي، وكان هشام - هو من اختار اسم المولود.. اسماه عزيز وبدوت كالأميرة والزهور تحيط بي وأنا جالسة على مفرش فاخر التطريز كلفني الكثير، وزارني الكثير من الأهل والكثير من الصديقات وبنات خالي أخوات هشام من زوجة أبيه الأولى، وكذلك صديقاتي في العمل ما عدا مريم، وانتهى الاستقبال وانتقلت إلى منزل أمي كما تقضي التقاليد لأقضي فترة النفاس في بيت أهلي، ولم ينقطع هشام عني أبدا، عاد حبه قويا لي بعد أن أنجبت له عزيز، وشعرت به كما كنت أفعل أيام الجامعة، لقد عاد ذلك الشوق والحب في أرق صوره إنه يزورني يوميا إما على الغداء أو العشاء إذا لم يكن لدينا ضيوف من العائلة، وبدت رزان منكسرة أيام ولادتي، لم أعرف ما بها، هل لأنها تتمنى ولدا أم لأن زوجها لم يكن يزورها أيام الولادة إلا نادرا؟ لم أكن أشك أنها فرحة لأجلي، لطالما أحبتني وأخلصت لي، لكنها تغبطني بلا شك، إننا في النهاية بشر!

وانقضت فترة النفاس وعدت إلى بيتي، وأقامت والدة هشام

عشاء فاخرا على شرف عودتي مع مولودي عزيز حفيدها الأول، ودخلت العائلة لأول مرة إلى منزل خالي عبدالله، أتى الجميع ما عدا أخوات هشام لابد أن أمهن عارضت مجيئهن إلى منزل المرأة التي سلبتها زوجها وحياتها.

وكان هشام سعيدا بعودتي وسعيدا بطفله ويقضي وقتا طويلا في حمله ومداعبته و وفر لي مربية خاصة له، تنام مع خدم المنزل في الطابق السفلي، وأناديها عندما أحتاج إليها، ومضت الأيام وعزيز شغلي الشاغل، كنت متفرغة له تماما، وقد أخذت إجازة أمومة من العمل، إنها ميزة العمل الحكومي، فعندما يتغيب الموظف لا يحس بغيابه أحد، كيف نحس بغيابه إذا كان أساسا بلا عمل ولا إنتاجية! لا أظن ذلك ينطبق على كل الوظائف الحكومية، لكنني أتحدث عن وظيفتي أنا! وظيفة البطالة المقنعة.

وفي تلك الفترة اشتركت في أحد الأندية الرياضية الشهيرة المرموقة، أريد أن أعود كما كنت قبل الحمل، لابد من ممارسة الريجيم والرياضة، لا أحتاج الكثير كما كنت أتوقع، لكنني أريد رشاقتي الكاملة، إن ملابسي بالكاد تتسع لي ولا أريد شراء ملابس جديدة كي لا أستسلم لمقاسي الجديد! وفي النادي تعرضت لأول صدمة تهز ثقتي بهشام!

■ ■ 16 ■ ■

الغيرة والشك

كنت قد اعتدت على الذهاب إلى النادي في الحادية عشرة صباحا كل يوم ما عدا العطلة الأسبوعية بسبب وجود هشام في البيت، وأعود إلى المنزل في الواحدة والنصف لأستحم وأبدّل ملابسي وأنتظر عودة هشام لنتغدى مع والديه كما اعتدنا، ولاحظت سيدة جميلة تأتي إلى النادي في الموعد نفسه الذي أتواجد به يوميا ومع الوقت بدأنا نتبادل التحية والابتسام بحكم لقائنا اليومي، ثم صدف أننا جلسنا على دراجتين متقاربتين للتدريب، فبدأنا نتحدث، كان حديثنا عاما عن الجو والنادي والرياضة، ثم تطورت علاقتنا سريعا، ثم أصبحنا نمارس برنامجنا الرياضي معاً، فنجري معا أو نسبح معا أو نستخدم آلات رياضية متقاربة والحديث بيننا لا ينتهي، عرفت أنها مطلقة ولديها ابن عمره ثلاث سنوات، وأنها في إجازة من العمل لمدة شهر نتيجة شعورها بالإرهاق وأن اشتراكها في النادي مدته شهر واحد، وقد بقي لها أسبوع واحد فقط، وأخبرتها أنني ولدت من فترة قصيرة ولهذا أرتاد النادي لأستعيد على رشاقتي، كنت قد وصلت إلى وزني المثالي وبدا جسدي متماسكا ومتناسقا، ومع الحديث لا أعرف كيف ذكرت اسم هشام أمامها فجفلت وتوقفت عن الجري وفغرت فمها دهشة وقالت: أنت زوجة هشام عبدالله الذي يعمل في الشركة المالية؟ يا إلهي أنا أعمل هناك، أعرفه جيدا، لم أتخيلك بهذا الجمال!

وضحكت وقلت: لماذا؟

فقالت مترددة: لأنه يقيم صداقات كثيرة مع الموظفات وهو كثير الضحك والمرح، لقد أعطاني طبعه انطباعا أن زوجته غير جميلة!

وصعقت! أنا أعرف أن هشام مرح ولطيف مع الآخرين لكن يبدو كلام عبير أن الأمر أكثر من ذلك! وسألتها: عبير هل تقصدين أنه يغازل النساء؟

فقالت: بصراحة لا أعرف ماذا أقول لك، لكن دائما تجدين فتاة تشرب القهوة في مكتبه، إنه محبوب ومحط إعجاب الكثيرات، وهو لا يصدهن ولا يتمادى معهن، إن فهمت ما أقصد.

وجن جنوني.. وعدت إلى المنزل والنار تحرقني، وحاولت جاهدة أن أبدو هادئة على العشاء، ضغطت على أعصابي بشكل كبير وما أن عدنا إلى شقتنا حتى سألت هشام: هل تعرف موظفة اسمها عبير؟

وقال بلهجة طبيعية: أجل ما بها؟ فانطلقت أطلق كل غضبي في وجهه، واجهته بكل ما قالته لي وصرخت وأنا أقول: لهذا طلبت مني ترك البنك، لأن كل من يرى الناس بعين طبعه، تظنني مثلك.

واندفع نحوي هشام وأمسك بكتفي بقسوة وهزني بعنف وقال: لا تجرؤي على إهانتي لا أسمح لك بمخاطبتي هكذا.

وانبثقت الدموع من عيني وقلت: تريد ضربي؟ أنا التي لا

أسمح لك بالتقليل من قيمتي.

وشدني هشام وأجلسني على السرير ووضع عينيه بعيني مباشرة وقال: اسمعي يا جمان، إن تلك المرأة تريد هدم الثقة بيننا، إنها امرأة حقيرة، وهي تلاحقني منذ مدة، وأنا أصدها وأعرض عنها وكل ما قالته لك غير صحيح، أقسم لك أنها كاذبة، تعرفين كم أنا مشغول في العمل، إننا في شركة خاصة ولا يسمح لنا بإضاعة وقت العمل في الأحاديث والعلاقات والكلام الفارغ، ثم إن هناك أمرا آخر.. وصمت هشام، فقلت بانكسار: ما هو؟ فتنهد وقال: أنا أحبك أنتِ إنك زوجتي وأم ابني ولا يمكن أن أنظر لامرأة غيرك.

وخجلت من نفسي ورميت نفسي على صدره أبكي وضمني إليه وقبلني.. وقال: كنت أظنك أعقل من ذلك.. ألا تثقين بي؟!

ولم أرد.. تمنيت أن أقتل تلك الأفعى التي نفثت سمها في عقلي وقلبي.. وهدأت وقتها لكن الشك والغيرة لم يهدآ في صدري، أصبحت أتصل على هشام وهو في العمل، إنه يبدو دائما مشغولا ومتعجلا، لكنه بدا صبورا معي، لم ينهرني وأنا أزعجه، وكلما خرج وعاد أصبحت أفتش ثيابه وأشم رائحتها بل ذهبت إلى أبعد من ذلك أصبحت أعبث بهاتفه النقال.. أشعر أنني أتصرف كامرأة أخرى، ولجأت إلى هدى لأخبرها بمعاناتي، واستمعت إلي بهدوء ثم وبختني على تصرفاتي ونهتني عن البحث وراء زوجي وأخبرتني أن ما أفعله سيدمر علاقتي بهشام ونصحتني بأن أعود إلى العمل، قالت إنني يجب أن أخرج من هذه الدائرة التي تحيط بي، إن عزيز الآن في شهره السادس

ويمكنني الاعتماد على أم هشام في العناية به أو على الأقل مراقبة المربية أثناء وجودي في العمل، إن الفراغ سبب مشكلتي كما أنني انقطعت عن الذهاب إلى النادي لأنني كرهت المكان، وعلى كل حال كان اشتراكي مضمونا فقد طلبت توقيفه لا أكثر، قالت لي هدي كلمة لن أنساها: اشغلي نفسك.. فالعقل إن لم تشغليه بالإيجاب شغلك بالسلب.

كنت قد عدت إلى العمل، صحيح أن عملي لا أهمية له، لكنني تسليت بالعودة إلى زميلاتي والانشغال بالحديث معهن، إن العمل أخرجني من الحالة النفسية السيئة التي عانيتها، وفي أحد الأيام حدث أمر غير حياتي.. رن هاتفي النقال فإذا برقم غريب علي فلم أرد، وبعد عشر دقائق عاد الهاتف إلى الرنين فإذا بصوت رجل يتحدث إليّ.. قال إنه يعرفني جيدا، وإنه يعرف أنني زوجة وأم ورغم ذلك يحبني ويريد صداقتي وكلام فارغ كثير.. فقطعت الاتصال غاضبة وأنا أقول له ألا يتصل من جديد.. لكنه لا يكف عن الاتصال ولا ييأس ثم أخذ يبعث لي رسائل نصية على الهاتف يبثني فيها شوقه وافتتانه بي! واحترت ماذا أفعل هل أغير رقم هاتفي! وتساءلت إن كان يجب عليّ إخبار هشام بالأمر، وفعلا قمت بإخباره وثار هشام غاضبا وحاول معرفة اسم صاحب الخط فإذا هو باسم شاب يعمل معي لكن في قسم آخر، وهو غير متزوج ويصغرني سنا، وطلبت من هشام عدم التشاجر معه، لا أريد فضائح في مكان عملي ورجوته أن يحاول حل الموضوع معه بطريقة ودية، لكن هشام تمكن من الحصول على عنوانه وذهب إلى بيته وتهجم عليه وضربه أمام والديه اللذين فزعا وهدده إن لم يرتدع أنه سيشتكي عليه في مخفر الشرطة، إن رسائله في هاتفي ولن يستطيع الإنكار واعتذر والد الشاب إلى هشام ورجاه أن يغلق الموضوع ولا داعي للفضائح، ولم يعجبني ما فعل هشام.. أغضبني حلّه العنيف للموضوع

وصرخ في وجهي: كيف تريدينني أن أتصرف؟ أتصل به وأقول له أرجوك أتوسل إليك لا تعاكس زوجتي؟

لا فائدة من النقاش مع رجل مثل هشام صدقوني، وفي اليوم التالي علمت أن الشاب قدم استقالته، ولا أحد يعرف السبب وأخبرت هشام الذي أعجبه الخبر وبعد أسبوع من هذه الحادثة دخل علي هشام وبيد علبة صغيرة وفاجأني بخاتم جميل من الماس، إنها هدية ثمينة وعندما سألته عن المناسبة قال: بلا مناسبة فقط لأنني أحبك، وفرحت ولبست الخاتم وأنا سعيدة وبعد العشاء قال لي: جمان أريد أن أحدثك في موضوع، وانقبض قلبي وتوجست شرا لا أعرف لماذا وقلت بحذر: خير؟

فقال: كما تعلمين أنا أحبك كل الحب وأغار عليك من عيون الناس، فأنت جميلة حبيبتي ولأنني أريد صونك والمحافظة عليك فإنني أطلب منك ارتداء الحجاب؟

وثارت زوبعة جديدة في حياتي.

18

الحجاب

أنا أعلم أن الحجاب فرض.. وأعلم أنه واجب علي كامرأة مسلمة لكن أن يفرض عليّ هشام ارتداءه لمجرد أن معجبا لاحقني فذلك فوق طاقتي!

إن عائلتي بشكل عام عائلة معتدلة، ليست متدينة متزمتة وليست متحررة منفتحة ووالدتي لم تتحجب إلا بعد أن ذهبت إلى الحج وهي في الأربعين من عمرها ورزان أختي غير محجبة وبنات خالاتي غير محجبات، وكذلك والدة هشام نفسها! وبصراحة أنا لا أريد الحجاب الآن.. ربما بعد أن أكبر في السن، ربما بعد أن أذهب إلى الحج لكنني حقا لا أرغب في ارتدائه، وقلت كل هذا الكلام لهشام وكالعادة تمسك برأيه كالطفل العنيد، وعاد إلى طريقته التي أكرهها، إنه يذكرني بأفعاله عندما أرادني أن استقيل من عملي في البنك لقد كرر التصرفات نفسها، فمرة يلاطفني ويدللني ويحاول ترغيبي في ارتداء الحجاب.. ومرة يهددني ويصرخ في وجهي ويتوعدني بأنه سيحبسني في البيت بلا عمل وسيحرمني من الخروج إذا لم أتحجب، ومرة يهجرني في الفراش لأنصاع لأوامره وتفاقمت الأزمة بيننا ولأول مرة لجأت إلى أمه، أخبرتها بأن هشام يريدني أن أتحجب!

وصدمت أمه بل ضحكت ثم تفاجأت عندما نقلت لها جدية المشكلة ووجمت ثم وعدتني بالتدخل بيننا وقالت لا حق له أن

يجبرك، إنه قرار شخصي لا يجوز له فرض الحجاب عليك.

واستبشرت خيرا.. فأنا أعلم مدى تأثيرها عليه وفي الليلة نفسها دخل علي هشام كالثور الهائج وهو يصرخ ويتوعد ويقول: تسلطين أمي عليّ، لماذا لا تريدين أن تتحجبي؟ تريدين عرض نفسك وزينتك على الرجال، أنا أولى بذلك، لا أريد لأحد أن ينظر إليك واسمعي قراري أنا أخيرك إما حياتنا معا أو الحجاب.

■■19■■

في بيت أهلي

كان والدي جالسين على مائدة العشاء عندما دخلت أحمل عزيز والمربية تجر حقائبنا، ووجمت أمي، هبت واقفة وهي تسأل: ماذا حدث؟

وانهمرت دموعي.. لطالما كنت امرأة قوية لم أعتد على البكاء والدموع لكن هشام علمني طعمها ومذاقها حتى اعتدت عليه، وقام والدي واتجه نحوي وربت على كتفي وهو يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، اهدئي يا ابنتي، اجلسي أولا ثم تحدثي، وجلست وعزيز يخفي وجهه في صدري كأنه يحس بما نمر به، ودموعي لا تتوقف وأخبرت والدي بما جرى بيني وبين هشام... وأخبرتهم أنني خرجت من البيت على مرأى منه ولم يحاول حتى منعي.. وعدت أبكي وأنتحب من جديد وحاول والداي تهدئتي.. ولمحت في عيونهما التعاطف، ولم يوجها لي اللوم ولم يعلقا على الأمر، وقد أراحني أنني شعرت بهما في صفي، إنني بحاجة إلى من أتكيء عليه، أريد الدعم في أزمتي لا أعرف ما كنت سأعانيه إن أيدا هشام في موقفه وصلفه... ونقلت حقائبي إلى غرفة الضيوف، لم أحزن على غرفتي قدر هذا اليوم، تمنيت لو أنها لاتزال موجودة على حالها.. وتنهدت واحتضنت عزيز ونمت... نمت كأنه أغمي علي... كان الضغط رهيبا والإرهاق النفسي قد هدني، وجاء الصباح ودخلت علي أمي وقالت: اسمعي يا جمان إياك والاتصال بهشام.. دعيه هو من يتصل، وعندما يفعل

أخبريه أن يأتي هنا للتفاهم معك ووضع النقاط على الحروف.. لم أكن أحب أن تخرجي من بيتك لكن مادمت فعلت وأنا لا ألومك على كل حال تمسكي بكرامتك حتى يقوم هو بالبحث عنك. ولم أذهب إلى العمل في ذلك اليوم أخذت يوما طارئا، وبقيت أتحدث مع أمي وعرفت رزان بما حدث، أخبرتها أمي على الهاتف فجاءت إلينا.. وضمتني إلى صدرها بحنان وقالت: كل ما يحدث بسبب الحسد! ولم أقتنع بمنطقها، إن كل ما يحدث هو بسبب أنانية هشام بلا شك، وعلم فواز بالأمر، تفاجأ لرؤيتي على مائدة الإفطار، وكذلك هدى فقد نزلا معا ليفطرا مع أمي كعادتهما كل يوم، كانت هدى حامل في شهرها السابع ولا تزال تذهب إلي عملها، وحكت أمي لهما سبب المشكلة باختصار فقال فواز: الرجل معه حق إنه يغار على زوجته ويريد لها الستر، تحجبي وعودي إلى بيتك، واغتظت من رده وقلت: لا يحق له غصبي على الحجاب.

فقال فواز بهدوء: ستعتادين عليه لقد أعطيت الموضوع أكبر من حجمه ثم إنه زوج صالح، إذا كانت المشكلة هي الحجاب فارتديه وأنهي المشكلة، إنه مجرد قطعة قماش ولن تلتصق برأسك طوال الوقت!

يا له من منطق ولم تعلق هدى بشيء... وقبل أن يخرجا معا حيث أن أخي يوصلها في طريقه، همست في أذني: اهدئي الآن ولنا حديث وحدنا لاحقا..، وقبلتني.. كم أحبها.. صديقة عمري وبر الأمان وأشعرتني كلماتها بأن كل شيء على ما يرام، لطالما وثقت بهدى، واستيقظ عزيز وجلست أناوله إفطاره... إن عيد

ميلاده الأول سيأتي بعد أربعة أيام، كنت أتمنى لو احتفلت به لكن الظروف الآن لا تسمح بذلك.

ولم يتصل هشام طوال فترة الصباح، وبعد الغداء لم يتسنى لي الوقت لمجالسة هدى.. فقد كانت متعبة وخلدت للراحة ومر اليوم بلا أحداث، وفي الصباح التالي لم أجد في نفسي ميلا للذهاب إلى العمل، شعرت أنني حزينة وضعيفة.. لا أقوى على مواجهة زميلاتي.. ولا أريد اطلاعهن على خصوصياتي فتغيبت أيضا واتصلت بكريمة لتقدم لي إجازة لبقية الأسبوع، وفي الساعة الحادية عشرة دخلت علينا والدة هشام ودق قلبي.. تخيلتها وقد أرسلها هشام لتخبرني كم هو نادم.. وسلمت عليها باحترام، لطالما كانت علاقتي بها جيدة، وجلست أمي معها بعد أن رحبت بها بحرارة، وقالت: جمان اسمعي.. لقد أخطأت بخروجك من المنزل بغض النظر عن ما قاله هشام، ما كان يجب عليك ترك البيت. لِمَ لم تنتقلي إلى غرفة أخرى أو على الأقل أتيت لي؟

فقلت: لقد خيرني بين الحجاب وبينه، لقد باعني بسهولة وجرحني.. لقد طردني، فعادت تقول: لو رأيت حاله لصعب عليك، لم يذق النوم منذ تركته ولا يكاد يأكل شيئا، إنه يحبك، ولا يصدق أنك تركت البيت، أنت تعرفين كم هو عنيد وفي الوقت نفسه قلبه طيب.. هيا يا جمان عودي معي.

وهنا تدخلت أمي في الحديث لأول مرة: لا يا أم هشام يجب عليه مراضاتها.. لقد لمتها على تركها للمنزل لكنها إن عادت الآن فسيقل قدرها لدى هشام، عليه أن يأتي هو إليها.

واستمرت المناقشة وأخيرا استأذنت أم هشام بالخروج وهي تؤكد حب هشام لي ومر أسبوع كامل لم أعرف به شيئا عن هشام، كل ما فعله أنه أرسل هدية كبيرة إلى عزيز يوم ميلاده الأول، هذا ما استطاع فعله، يا له من عنيد.. لقد كسر هشام شيئا في داخلي عندما تجاهلني، شعرت أنني لا قيمة لي عنده، لقد آلمني هجره لي على هذا النحو، وهدى تحاول إقناعي بالعودة إليه وارتداء الحجاب إنها تقول ما يقوله فواز، الأمر بالنسبة إلي لم يعد ارتداء الحجاب فحسب إنما كرامتي التي داسها هشام، لِم يجب عليّ دائما أن أقدم التنازلات كي تستمر حياتنا الزوجية؟! أنا وحدي التي أتنازل في كل مشكلة يفتعلها، أنا فقط التي تضحي لأجله، لقد كرهت هذا الوضع.. وفي اليوم الثامن جاء خالي بنفسه إلينا، وطلب أن ينفرد بي وحدثني عن حب هشام لي ووصف لي حاله بغيابي وأخبرني أنه لا يستطيع الاستغناء عني.. وقال لي: يا ابنتي المرأة العاقلة هي التي تحافظ على زوجها وبيتها. لا تهدمي حياتك بيدك كوني ذكية يا جمان.

فقلت له: لكن يا خالي أنا دائما التي تتنازل لأجله.

فقال: في الحب لا يوجد طرف يتنازل.. كلاكما واحد وكلما ضحيت لأجله ملكت قلبه وحبه، لقد تنازلت أنا عن عائلتي بأكملها لأجل المرأة التي أحببت، لم أطالبها أن تفعل مثلي ولم أطالبها بأي مقابل، لكنني ملكت قلبها وتقديرها واحترامها للأبد.. إنها تعرف قيمة ما أفعله لأجلها.. وصدقيني هشام سيقدر ما تفعلينه لأجله ولو بعد حين.. غدا سأجبره على القدوم معي بشرط أن نأتي لأخذك إلى المنزل.. ما رأيك؟

وسكت.. وانهمرت دموعي.. وقبل خالي رأسي وهو يقول: إنه والد طفلك وحبيبك واعتبريه طفلك أيضا. تحمليه فهو يحبك كل الحب.

وفرحت أمي عندما عرفت أنني سأعود، وفي اليوم التالي جهزت حقائبي وجلست في غرفتي أنتظر قدوم خالي مع هشام، وكما وعد خالي.. جاء هشام معه، استقبله أبي وعاتبه.. أخبره أنني أميرة هذا المنزل وأنه لا يسمح له بإيلامي وصمت هشام وجلس محرجا.. وجاءت أمي إليه وعاتبته أيضا، بدا في وضع لا يحسد عليه وأخي فواز لم يرد التدخل في الأمر، فلم يكن موجودا، وحمدت الله لذلك، لم أكن أريده أن يقويه عليّ ويؤيده.

وأخيرا دخلت إلى صالة الاستقبال وأنا أحمل عزيز.. وهب هشام واقفا لي... وكنت أرتدي الحجاب..

العودة

مكتبة
t.me/t_pdf

لا أنكر أن هشام دللني في تلك الأيام التي تلت عودتي إلى البيت وأنا محجبة دلالا لم أحظ به من قبل.. ولا أنكر أنه أصبح يبحث عن رضائي ولا يرفض لي طلبا.. لقد أغدق عليّ بالمال والهدايا والدعوات بشكل مفرط، بل وأصبح يقبل رأسي أمام والديه كلما عاد إلى المنزل من العمل كما يقبل رأس أمه، لكنني رغم كل ذلك لم أكن سعيدة، ولم أكن راضية، لقد ارتديت الحجاب كما أراد، وبصراحة لم يكن الحجاب سبب تعاستي فقد بدا جميلا عليّ، لكن ما أتعسني هو شعوري أنني تنازلت كثيرا لأجل هشام وأنه نبذني بتلك الطريقة القاسية عندما لم أمتثل لأوامره، كنت أخشى عواقب هذه التضحيات التي قدمتها له على حساب قناعاتي، أخاف أن يطالبني بالمزيد.. وكان هناك شعور جديد يزحف عليّ.. شعور مرعب وهو أن حبي لهشام قل عن السابق!

ومرت الأيام بهدوء وأنجبت هدى ولدا جميلا اسمته محمد، وانشغلنا بالحدث السعيد لفترة من الوقت.. وفاتحني هشام برغبته في أن يصبح أبا للمرة الثانية، وعارضته قائلة إن عزيز لايزال صغيرا في رأيي ومازال يحتاج إلى عناية خاصة واهتمام كبير من جانبي، ثم لماذا الاستعجال؟ لكن هشام يلح وخفت أن تحدث بيننا مشكلة جديدة كالعادة فوافقت لأوفر على نفسي عناء تحمل تصرفاته المعتادة في حال أراد شيئا.

وحملت بعدها بشهرين.. وأتعبني الحمل هذه المرة، كنت لا أكاد آكل شيئا من شدة الوحم، وهزلت وأدخلت إلى المستشفى مرارا للحصول على المغذيات وانقطعت عن العمل، بل عن الدنيا كلها، حتى عزيز لم أعد قادرة على حمله أو متابعته أو العناية به.. وهشام يحاول التخفيف عني، وأنا لا أطيق رؤيته ولا أطيق رائحته! ربما كان رفضي لأسلوبه هو ما انعكس عليّ في تلك الفترة وجعلني أرفضه بالكامل، وتحمل هو رفضي وصدي له وأمي تخبره أن الأمور ستعود طبيعية بعد الشهر الرابع، كنت أود لو مكثت عند أمي لكنني ما أردت هجر بيتي كأنني لو خرجت منه فلن أعود له أبدا.. لا أعرف لمَ خطر لي ذلك!

ومرت الأيام بطيئة رتيبة وتحسنت حالي وأنا في الشهر الخامس وفي تلك الفترة حدث أمر هزني.. كان أمرا يخص أختي رزان، اتصلت بي في أحد الأيام وفي صوتها حزن كبير، وعندما سألتها لم تخبرني ما بها وقلقت عليها، ولم يكن من عادتي أن أزورها في منزلها فأنا لا أطيق رؤية زوجها لكنني شعرت بشيء يجبرني على الانطلاق إليها، وفعلا ركبت سيارتي واتجهت إلى منزلها ووصلت سريعا وترددت. هل من الصواب أن أقحم نفسي في خصوصياتها؟ وكدت أرجع، لكنني لم أشاهد سيارة زوجها، إذن فهي وحدها وشجعني ذلك ونزلت وطرقت جرس الباب فأدخلتني الخادمة وجلست أنتظر على أعصابي في صالة الاستقبال.. وبعد برهة بدت لي طويلة جاءت رزان.. وصدمت لمظهرها، بدا وجهها كوجه المهرج، كدمات زرقاء تحيط بعينها اليمنى وآثار أصابع حمراء انطبعت على خدها

الأيسر ويدها مربوطة برباط ضاغط، بدت كمن تعرض لحادث! وصعقت وأنا أسألها: ماذا حدث؟

وصمتت رزان.. ثم أجهشت بالبكاء.. واقتربت منها أضمها وأهدىء من روعها.. وشعرت بها تذوب بين ذراعي، إنها ترتعش وحكت لي.. لقد تفاجأت بزوجها يحضر نفسه للسفر، واكتشفت صدفة أنه مسافر مع امرأة ما، سمعته يحادثها بالصدفة ويتواعد معها على اللقاء في المطار!

وواجهته فأخبرها بوقاحة أنها مجرد زميلة في العمل وأنهما يخططان لحضور مؤتمر طبي، لكنه يناديها بحبيبتي ويهمس لها بما لا يليق، واحتد النقاش وتفاجأت به ينهال عليها ضربا، اعترفت أنها لم تكن المرة الأولى التي يمد فيها يده عليها، لقد صفعها من قبل أثناء شجارهما، لكن هذه المرة تمادى في ضربه لها ولم يرحمها، وفوق كل ذلك تركها في عذابها وسافر في الصباح وكأنه لم يفعل شيئا!

وها هي رزان أمامي في أسوأ حالاتها!

وشعرت بدمي يغلي في عروقي ورزان تطلب مني عدم إخبار والديّ بما حدث! وصرخت في وجهها: هل جننت؟ يجب أن تخبري أهلك، لا تجعلي ذلك الجبان يحس أنك بلا سند، يجب أن تتركي هذا المنزل، ارحمي نفسك منه، أين ذهبت كرامتك؟ يجب على أبي وأخي أن يوقفاه عند حده.

وجزعت رزان وهي تقول: لا أريد تصعيد الأمور أخاف أن يطلقني.

وعدت أصرخ: ليفعل، الطلاق أهون من الذل والمهانة.

وردت علي بضعف وخنوع: لا أريد الطلاق، سأخاصمه وأهجره لكنني لا أريد الخروج من بيتي وتشريد بناتي.. جمان عديني أنك لن تخبري أحد أرجوك! وصمت.. ورزان تتوسل إليّ ألا أبوح لأمي وأبي بما يجري معها، وجلبت مصحفا لأقسم عليه بذلك.. وأقسمت لها وأنا غير مقتنعة، إنها مخطئة في حق نفسها وفي حق كرامتها، وساد الصمت بيننا وفجأة قالت رزان: أنا حامل من جديد، ونظرت إليها كأنني أود صفعها: هل جننت؟

ماذا تجنين من إنجاب أولاد منه؟ لم تقيدين نفسك برجل لا يحترمك؟

فقلت: أريد ولداً.. ربما تغيرت معاملته معي.

ورددت بسخرية: والله لو أنجبت عشرة أولاد فلن تتغير معاملته لك، إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، تغيري أنت، صوني كرامتك وحافظي على أعصابك وقلبك... ماذا تجنين من الصبر عليه؟!

وعاد زوجها من سفره ثم انقطعت عن دخول منزلها، وعرفت أنه عاد كمن لم يفعل شيئا، ولم يعتذر لها إنما حادثها كأن شيئا لم يكن وفعلت هي مثله!

لم تناقشه، ولم تخاصمه أو تهجره، لم تفعل أي شيء... هناك شيء لا أفهمه في علاقة أختي بزوجها!

■■21■■

جمانة

ومرت أيام الحمل الثقيلة وولدت أخيرا، وأنجبت بنتا، بنتا جميلة رائعة، نسخة مصغرة مني، وأحببتها بكل مشاعري وإحساسي، شعرت بها قطعة مني، صحيح أنني بلا شك أحببت عزيزا، لكن حب ابنتي تملكني بقوة منذ رأيتها.. هل لأنها نسختي الصغيرة؟ لا أعرف حقا، لكنني لا أبالغ إن قلت إنني عشقتها...

وأصريت أن أسميها جمانة.. إن كنت أنا اللؤلؤ فهي حبة من اللؤلؤ، جزء مني.. لؤلؤتي...

كان عزيز قد أكمل السنتين لتوه، والغريب أنه لم يكن يغار من جمانة، إنه لا يعترض عندما أحملها وأدللها بل يكاد لا يحس بوجودها، كأنها لعبة جديدة لا تهمه وانشغلت بجمانة كثيرا، وبعد أن مرت ستة شهور، وانتهت إجازة الوضع والأمومة، أخذت ستة شهور أخرى بلا راتب على حسابي الخاص، لم أكن مستعدة بعد لترك جمانة، ما أجملها، إنني عندما أقول ما أجملها كأنني أقوي ما أجملني، وعندما أقول أحبها، كأنني أقول أحبني، وقد ولدت رزان وأنجبت ولدا.. أخيرا جاء الولد، إن جمانة تكبره بثلاثة أشهر فقط، وفرحنا جميعا بالولد.. فرحنا لأجل رزان، ولمعرفتنا بمدى رغبتها في إنجابه، وفرح زوجها، لقد أقام الولائم بمناسبة ابنه الجديد وأسماه حامد، ولأول مرة أراه يقبل رزان في المستشفى ويحمل لها زهورا، هل حقا غيره وصول ولي عهده!

لازلت أشك وإن كنت أتمنى ذلك من كل قلبي إكراما لأختي الصابرة.

ومرت أيام هادئة جميلة، كنت أشعر أن جمانة هي وجه الخير والسعد، وفي يوم عيد زواجي دعاني هشام إلى العشاء في مطعم فاخر في أحد الفنادق الفخمة، كان قد مضى وقت طويل منذ خرجت معه لوحدنا، فقررت الاستعداد لهذه الدعوة بشكل خاص، اشتريت ثوبا رائعا غاليا من الحرير يلتف على جسدي كأنه يضمه، كان لونه جميل.. بلون المشمش.. وفوقه قميص مفتوح من الحرير من القماش نفسه وينتثر على القميص كريستال لامع مبهر منثور بطريقة راقية تظهر مدى أناقة الثوب وتميزه، واشتريت حجابا أو شيلة كما يسمونها في الخليج فاتحة اللون يمتزج بها اللون المشمشي مع السكريّ بتماوج متناغم رائع، وفي تلك الليلة تزينت بعناية وصبغت شفتي الجميلتين بالمشمشي اللامع.

وأخيرا بدوت كما أردت.. إن الثوب يلائمني تماما وقد انعكس لون الوشاح الذي يحيط برأسي على لون بشرتي فبدوت متألقة تماماً وظهرت عيناي فاتحتين جدا وخرجت إلى هشام وكان يقرأ الجريدة في الصالة في انتظاري، وبهرت عيناه، لقد تفاجأ بي، لم يرني منذ مدة بكل هذا الجمال، بدوت أنيقة، رشيقة راقية، إن هذا الثوب يهتف بجمالي، وهب واقفا وتأبط ذراعي لنخرج إلى السيارة، وفي كل لحظة يعود ليلتفت إليّ كأنه يريد التأكد مما يراه، وفرحت، وزادني الفرح تألقا، ووصلنا إلى المطعم والجميع ينظر نحونا، بدونا حقا كثنائي رائع جميل كلانا يليق بالآخر وكأنه

خلق للآخر، وجلسنا في جو رومانسي وأمامنا شمعة مضاءة على المائدة، وتحدثنا كثيرا أثناء العشاء وعينا هشام تلتهمني التهاما، لقد قلنا كلاما كثيرا ليلتها، وعدنا نتذكر الأيام الجميلة، ذكريات الجامعة وذكريات حبنا، مواقف مضت لكنها تعيش في قلوبنا، كانت أجمل سهرة قضيناها معا منذ زواجنا، لم أكن أعرف أنه بعد هذه السهرة الساحرة سأواجه الزوبعة التي اقتلعتني من جذوري..

■■22■■

بلا ألوان

حدث ذلك بعد ثلاثة أيام فقط من عيد زواجنا ورغم الأثر الإيجابي الذي تركته تلك السهرة في أنفسنا إلا أن ما طلبه هشام مني فاق كل أثر.

جاء إليّ يومها وقال في لهجة جادة: جمان.. أريدك في موضوع هام.

وتوجست شرا، أصبحت أحس ببصيرتي بقدوم المشاكل من نبرة صوت هشام وقلت: خير؟

فقال: تعلمين كم أحبك حبيبتي.. وكم أهتم بكل ما يتعلق بك...

وصمت هشام وقلبي مقبوض وحواسي كلها متيقظة متحفزة إنه مقدمته المعتادة للزوابع التي يثيرها في حياتنا! وكما توقعت عاد يقول: هل تذكرين يوم خرجنا معا في يوم عيد زواجنا، كنت رائعة الجمال، أجمل مما اعتدت أن أراك شعرت وقتها كم أنا محظوظ بك وشعرت أنني لا أريد لأي كان أن يرى كل هذا الجمال الذي أملكه بصراحة يا جمان أريد منك عدم ارتداء الشيلات الملونة من جديد، إنها ملفتة جدا وتبدو مبهرة عليك، كما لا أريدك أن تتبرجي خارج البيت.

وشعرت بالثورة تخالجني وسحبت نفسا عميقا ولأول مرة

خاطبت هشام بصوت جديد عليّ وعليه.. قلت له بالكلمة: اسمع يا هشام، لقد ارتديت الحجاب بناء على رغبتك.. ولن أسمح لك بالتقليل من احترامي وأن تفرض عليّ قيودا جديدة.. أنا أعرف ماذا أرتدي وأعتقد أنني محتشمة في لباسي والألوان التي اختارها هادئة ولطيفة وغير ملفتة، كما أنني لا أكثر التبرج إلا وأنا معك.. وأرجوك يا هشام لنغلق هذا الموضوع الآن.. وصمت قليلا ثم أردفت أقول بصوت يحمل تحذيراً: وهذا رأيي النهائي..

وسكت هشام وقطب جبينه، لم يعجبه ردي وقمت واقفة وأنا أقول بهدوء وحزم: سأذهب لأنام.. تصبح على خير.

وفجأة صرخ هشام: من حقي التدخل في لباسك.. وقلت بهدوء: لقد أوضحت وجهة نظري لن أتشح بالسواد لأجل إرضائك وأظنني شرحت لك موقفي.

وتركته واندسست في سريري، يا للهول، إلى أين ستصل به أنانيته، هذا الرجل المدلل الذي يريد خنقي.. ولم يغمض لي جفن، وعندما جاء ورائي تظاهرت أنني أغط في النوم، لكن الغضب كان يحرقني.. وأخيرا جاء الصباح.. ولم أقوَ على النهوض من السرير، الصداع يكاد يقتلني، أحس برأسي ثقيلا، ونهض هشام ودخل ليستحم كعادته كل صباح، وأنا مستلقية مغمضة العينين وارتدى ثيابه وقبل أن يخرج، انحنى عليّ وهمس: هل أنت نائمة؟ وفتحت عيني وقلت: لا.. فانحنى يقبلني برقة وهو يقول: أنا خارج.. أحبك، لكن رقته لم تخدعني.. فقد خبرته وعرفته وازداد انقباض قلبي.

■■ 23 ■■

عذاب كبير

لم يفتح هشام ذلك الموضوع ثانية منذ تلك الليلة، ومضت أيام هادئة قليلة، إلى أن كان يوم كنت قد اتفقت فيه على لقاء صديقاتي من الجامعة، منار وثلاث صديقات أخريات فقد اعتدنا على العشاء معا خارجا من وقت لآخر، وقد تباعدت مرات لقائنا لانشغال كل منا في حياتها الخاصة، وقد اخترت المطعم بنفسي هذه المرة ونسقت مع الصديقات واتفقنا على اللقاء هناك في السابعة والنصف، ولم يكن من عادتي استئذان هشام قبل أن أخرج بفترة، كنت أعلمه فقط بخروجي ومكان تواجدي في حينها، كأن اتصل به وأخبره أنني ذاهبة إلى السوق أو إلى أي مكان آخر، لا يحتاج الأمر للتخطيط أو لإذن خاص منه، هكذا عودني، وارتديت ملابسي وكنت قد ذكرت أمام هشام أنني سأخرج مع صديقاتي أثناء الغداء، وخرجت لأطمئن على عزيز وجمانة ولأعطي المربية التعليمات بشأن عشائهما، وخرجت إلى الصالة لأفاجأ بهشام جالس أمامي كالتمثال! لم أعرف أنه في البيت لقد خرج عصرا إلى النادي الرياضي ولم أره بعدها.. فقلت: أنت هنا؟ لم أعرف أنك عدت.

فقال بهدوء: إلى أي مطعم ستذهبون؟

فقلت له اسم المطعم.

فقال: حسنا، لكنني أفضل أن تبدلي هذا الحجاب.. ارتدي

واحدا أسود اللون! كنت أرتدي حينها حجابا جميلا فاتح اللون يميل لونه إلى الأصفر الفاتح الهادئ، وكان يناسب قميصي تماما.

فقلت بهدوء: سبق وناقشنا هذا الموضوع.

فقال هشام بحدة: لن تخرجي مع صديقاتك وأنت بهذا الشكل، ارتدي حجابا أسود أو إبقي في البيت.

ونظرت إلى ساعتي إنها السابعة والربع، سأتأخر إن بقيت أناقشه أكثر.

فقلت وأنا أمشي باتجاه باب الخروج: آسفة يا هشام، لكنني لن أغيره.

وفجأة انقض هشم ليسحبني من ذراعي بعنف ويرمي بي على الأريكة وهو يصرخ، لن تخرجي به، وسحب الحجاب الذي ارتديه وقام بتمزيقه! هكذا ببساطة تعدى هشام عليّ فقد احترامه لي، أصبح همجيا ووحشيا، وصرخت والدموع تنهمر من عينيّ: ما هذا، في أي عصر نحن،كيف تجرؤ، هل جننت؟ وارتفع صراخنا لدرجة أن عزيز بدأ يبكي وهو يناديني: ماما.. ماما، واتجهت إلى غرفة الأطفال وأنا أقول: لن أسامحك يا هشام.. أقسم أنني لن أنسى ما فعلت..

ولم أذهب إلى صديقاتي..

وخاصمت هشام، مر أسبوع كامل وأنا أرفض الحديث إليه، بل تعمدت أن أنام في غرفة الأطفال، لا أريد أن أسامحه بسهولة..

لن أسمح لأحد بإلغاء شخصيتي وكرامتي إلى هذا الحد.

وشعرت بنفسي كأنني في سجن، وانتهت إجازتي الاستثنائية، لقد أكملت جمانة عامها الأول في ذلك الوقت العصيب، وفي يوم عودتي إلى العمل، كنت مازلت متخاصمة مع هشام، كان ذلك بعد أسبوع من المشاجرة كما ذكرت.. ونهضت باكرا لأذهب إلى العمل، وكنت سعيدة، أريد أن أهرب من هذا البيت.. هذا السجن وهذا السجّان.. وتفاجأ هشام بي أدخل الغرفة عليه صباحا وأبدأ باستبدال ملابسي، ارتديت قميصا صارخ اللون شيلة بيضاء، مرصعة بالكريستال اللامع فقط لأغيظه وتبرجت أمامه وتجاهلته وخرجت إلى العمل، وفرحت بلقاء زميلاتي، حتى أنني عانقتهن جميعا، وسلمت على مديرتي ونظرت إليها مليا.. لاتزال متبرجة، حجابها يظهر نصف شعرها من الأمام وعدساتها اللاصقة تبرق في عينيها وأحمر الشفاه الذي تضعه صارخا لا يصلح للصباح، وابتسمت في داخلي بحزن، ياللفرق بيني وبينها وهشام يتهمني بالتبرج، ليته يرى مديرتي ليحمد الله على حالي.. إن زوجها يحبها يثق بها ولا يعلق قط على ما ترتديه!

والحدث الذي أفرحني ذلك النهار كان خبر حمل مريم زميلتي التي مضى على زواجها حتى اليوم ثماني سنوات دون أن تنجب.. حملت أخيرا وفرحت لأجلها رغم أنها قاطعتني منذ أنجبت، لكنني لم أحقد عليها وتفهمت وضعها وفرحت لها من كل قلبي.. بدت مريم سعيدة وهي تتدلل بحملها وتشتكي من الوحم.. وجميعنا فرح لها.. نعاملها كطفلة صغيرة تتعلم المشي..

ومضى يومي في العمل ولأول مرة كرهت انتهاء الدوام، شعرت أنني لا أريد العودة إلى البيت... وعدت لأتفاجأ بسيارة هشام تقف في مكانها أمام البيت!

كنت قد اتصلت لأطمئن على الأطفال ولم أعرف إن كان قد ذهب إلى العمل أم لا، يبدو أنه لم يذهب إلى الدوام! وسألت الخادمة عندما دخلت فقالت إنه لم يذهب! وبدت الخادمة كأنها تريد قول شيء لي.. بدت مترددة تنظر إليّ لكنها لم تقل شيئا.. ودخلت لأجد هشام مستلقيا يقرأ كتابا.. وتجاهلته واتجهت لأبدل ثيابي وفتحت الدولاب لأعيد تعليق ملابس الصباح فيه، وفتحت الدرج الكبير الخاص بحجاباتي لأضع شيلتي البيضاء به، فصعقت.. إن الدرج فارغ.. فارغ تماما.. أين حجاباتي؟

واتجهت نحو هشام وقلت والشرر يتطاير من عيني: أين حجاباتي؟

فرد علي ببرود: لقد تخلصت منها.. تركت لك هذه فقط!

وأشار إلى طاولة الزينة لأرى عليها شيلاتي السوداء اللون كحظي موضوعة هناك... وصرخت في وجه هشام: من سمح لك بذلك؟

فقال: الشرع.. العادات.. التقاليد.. حقي عليك.

وتشاجرنا وصراخنا يعلو ويعلو..

وفي العصر ارتديت ملابسي لأخرج.. سأشتري شيلات ملونة، لن أستسلم له، وسأقفل عليها حتى وإن اضطررت لوضعها في

خزنة المجوهرات.

واستوقفني هشام: إلى أين؟

فصرخت: لا شأن لك بي.

فجذبني من ذراعي: كيف لا شأن لي؟

فصرخت: ماذا جرى لك.. أنت مجنون.. اتركني فوراً..

أنا أكرهك أكرهك أيها الأناني العنيد...

وفجأة رفع هشام كفه وصفعني.. بكل قوته.. بكل غضبه... و وقعت على الأرض عند قدميه..

■■24■■

كرامتي وأبي

كنت جالسة مع أبي في مكتبه الخاص في بيتنا عندما سألني: هل أنت واثقة أن هذا ما تريدين؟

ألن تندمي؟

وقلت بحزم: نعم.. متأكدة..

طيلة الأيام الماضية لم تفارقني صورة معينة.. صورة أختي رزان والكدمات تزين وجهها.. لا أريد أن أرى نفسي هكذا.. وما دمت قد حصلت على الصفعة الأولى فإنها لن تكون الأخيرة، مضى شهر على ذلك اليوم الأسود.. ومنذ تركت المنزل في ذلك اليوم مع أطفالي وهشام وأمه وأبوه، لا يكفون عن محاولة مصالحتي، رفضت أن أرى هشام وأخذت إجازة من العمل كي لا يحاول رؤيتي هناك، وأغلقت هاتفي النقال ورفضت رؤية خالي وزوجته.. كلما أتى أحد منهم أغلقت الباب على نفسي بالمفتاح وتركتهم في الخارج ينادونني دون مجيب... واليوم فقط أبلغت والدي بقراري النهائي.. أريد الطلاق.. لا أريد هشام، حقا لم أعد أريده.. لم أعد أطيق العيش معه.. ولم يكن هذا قراري الوحيد بل لقد قررت أن أعيش وحدي.. أريد بيتا خاصا بي.. مملكة بي وحدي أنا وطفليّ إن عزيز الآن في الثالثة وجمانة في عامها الأول، ولدي خادمتي.. لا يوجد متسع لنا في منزل أبي، لا أريد العيش في غرفة الضيوف إلى الأبد، أريد أن أحس بقيمتي

وذاتي، وكياني المستقل و وافق أبي... مازلت أميرته بل سيقوم هو بدفع الإيجار.. راتبي لا يسمح لي بدفع الإيجار، لن يكفيني، ،إنه مجرد راتب حكومي بلا حوافز مالية، راتب لا يكاد يغطي نفقاتي الخاصة في هذا الزمن..

واشترط والدي أن نجد طابقا من منزل في نفس منطقتنا.. لم يسمح لي بالمكوث في عمارة.. كل ذلك خططنا له أنا وأبي قبل حصولي على الطلاق بل بدأنا بالبحث فعلا.. كنت واثقة من قراري، لن أتراجع..

وقام والدي بإبلاغ أمي وأخي برغبتي، بكت أمي، وأخذت تحاول أن تغير رأيي، لكنني لا أريد، لقد اتخذت قراري، أخبرتني لو أن كل امرأة طلبت الطلاق لأن زوجها ضربها في لحظة غضب لما ظلت امرأة متزوجة على ذمة زوجها، لكنني لست أي امرأة، لا أريد أن أكون مثل رزان لا أريد أن يأتي عليّ يوم أتحمل فيه الضرب كجزء من حياتي، لا أطيق حياة العبودية التي يفرضها عليّ هشام، وكما حاولت أمي معي حاول أخي فواز وأخذ يخوفني من المستقبل بلا رجل، سيتزوج هشام بعدك وسينجب أبناء آخرين وسيكون أبناؤك أبناء زوجته المطلقة، لن يكون لهم قيمة في حياته، سيحرمون من أبيهم في سن صغيرة وسيلومونني على تركي أبيهم يوما ما، وصرخت في وجهه: لن أحتاج إليه، والمال ليس كل شيء تريدني أن أتحمل أنانيته وغروره لأجل أولادي؟ ماذا عني أنا، ماذا عن سعادتي وراحة بالي وكرامتي؟ غدا يكبر أولادي وسيتفهمون موقفي، لا لن أضحي لأجل أحد، أنا أحب أولادي كل الحب لكنني لن أربيهم تربية صحيحة وأنا في هذه

الحال، مشاكل وضغوط ومشاجرات وأخيرا الضرب، لا لن أنحدر إلى هذا المستوى، وقام فواز بتسليط هدى عليّ، تحاول إقناعي بالعدول عن الطلاق ومع الوقت بدأت أنفر من هدى، إنها بلا شخصية، تردد فقط ما يقوله فواز، ترى هل تتوافق معه لهذه الدرجة؟ أم أنها ألغت شخصيتها و رأيها الخاص من أجله؟ لا أعلم حقا لكنها لم تعد مقربة مني كما في السابق بل وفقدت ثقتي فيها، لقد أصبحت فواز على شكل امرأة!

وأخيرا اجتمع والدي مع خالي وهشام وأبلغهم بطلبي للطلاق.. وصعق هشام لم يتوقع أن تصل الأمور إلى هذا الحد، كاد يجن، وألحّ على والدي أن يراني ووافقت على الاجتماع به، إكراما لخاطر أبي الذي توسلني أن أفعل ذلك، وقبلت، مهما كان سيظل والد أبنائي، ويجب أن أحتفظ بعلاقة ودية معه كي نتفاهم على الأولاد، كما أنني يجب أن أواجهه، لن أظل هاربة منه إلى الأبد، والحقيقة أنني لم أكن أهرب بل كنت غير مستعدة لتلك المواجهة، ومادمت اتخذت قراري أظنني بت مستعدة تماما.. وجاء هشام وحده وجلس ينتظرني في صالة الاستقبال.. ودخلت عليه وحدي.. ياه كم تغير في عيني، بدا أكثر نحافة وأكثر قلقا، كم هو شاحب و وسيم، وعيناه بدتا واسعتين أكثر من قبل، ونظر نحوي بحنان وعتاب.. وابتسمت له ابتسامة حزينة، مضى شهر منذ التقينا.. ومددت يدي أصافحه، بدت يده خشنة لي، تلك اليد التي صفعتني، كم كانت تلك الصفعة مؤلمة، ليس فقط جسديا، بل عاطفيا، لقد حطمتني.. ساد صمت بيننا.. وأخيرا قال هشام: لا أعرف كيف أعتذر لك عما بدر مني، جمان لقد

أخطأت يوم ضربتك، أرجوك عزيزتي سامحيني، ولن أفعل ذلك ثانية أبدا، أعدك، أستحلفك بحق كل ما بيننا من حب وعشرة، سامحيني.. إن الله غفور رحيم.

وسكت برهة.. ثم رفعت عيني إليه وقلت بهدوء: اسمع يا هشام.. لا أنكر أنني أحببتك أكثر من روحي، أحببتك بكل جوارحي وكنت مستعدة لإرضائك بكل ما تريد، لكنني اكتشفت بعد زواجنا أنك أناني، تريد فرض شخصيتك عليّ وفي سبيل إرغامي كي أمتثل لأوامرك، تماديت في الضغط عليّ، آذيتني كثيرا.. لقد شعرت أنني أكاد أختنق.. لقد تماديت كثيرا، لم أتخيل يوما أنك ستضربني! قلت جملتي الأخيرة تلك فإذا بالدموع تملأ عيني رغما عني.

وهب هشام واقفا وتقدم مني ومدّ يده واحتضن يديّ وهو يقول: لم أكن في وعيي يا جمان.. صدقيني أنا أحبك كثيرا وأغار عليك كثيرا ولم أقصد إيذاءك.. ألا تعطيني فرصة أخرى؟

25
الطلاق

ونظرت إليه.. طويلا.. وتذكرت حبي له، مازلت أحمل له بعض الحب، لكنني لا أريد العودة إليه، حقا لم أشعر بالرغبة في أن أعيش معه.

وقلت: إكراما لكل ما بيننا دعنا ننفصل، سنكره بعضنا إن بقينا معا، صدقني..

وفجأة غضب هشام وقال بحدة: ماذا تريدنني أن أفعل لأسترضيك، لقد أخطأت واعترفت بذلك ومضى وقت طويل وأنا أحاول مراضاتك.. إلى ماذا ترمين؟

إنه لا يستوعب أنني حقا أريد الطلاق، فقلت بهدوء: طلقني يا هشام.. هذا ما أريد..

فقال: حسنا ما دمت تريدين ذلك.. سأفعل لأجلك يا جمان، لكنك ستندمين عاجلا أم آجلا.. ولم أرد عليه ثم قلت بصوت أكثر رقة: أريد أن يبقى الأولاد معي، تستطيع رؤيتهم متى تشاء.

فقال بسخرية: لو كان أولادك يهمونك ما كنت طلبت الطلاق.. على العموم لن أناقشك أكثر، وقام ليخرج وفجأة ناديته: هشام.. فالتفت لي متسائلا فدنوت منه وعانقته بحنان وقبلته على خده وقلت: صدقني هذا سيكون الأفضل لكلينا.. ولم يرد علي وتركني وخرج وبعد أيام حصلت على الطلاق.

لا أعلم لماذا بكيت كثيرا يومها... بكيت من كل قلبي وبكل دموعي.. إن الطلاق يرمز للفشل.. سواء كانت المرأة ترغب به أم لا لكن بمجرد حصولها على لقب المطلقة فإنها تشعر بالفشل، وبكت أمي وأختي أيضا وحزن أبي كثيرا لدرجة أنه لم يبرح غرفته لأيام، ودخل علي أخي فواز وانقبض قلبي.. لا أطيق عتابه ونصائحه، ليس الآن، لكنه فاجأني بأن ضمني إليه وقال بحنان: جمان مهما اختلفنا في الرأي تظلين أختي الحبيبة وأظل أخاك ورجلك، من الآن تستطيعين الاعتماد عليّ في كل ما تريدين، مازلت أرى أن طلاقك خطأ، لكنك أدرى بمصلحتك، وبكيت.. لم أكن أحب أن أبكي أمامه لا أريده أن يفسر بكائي على أنني نادمة فأنا لست بنادمة.. لكنه ربت على كتفي وقال: أعلم أن منزلنا ضيق عليك وأنك تريدين العيش وحدك، لم أكن موافقا أبدا.. لكنني وجدت الحل.. هل تعرفين أحمد جارنا؟ صاحب المنزل المجاور لنا؟ إنه صديقي وهو يسكن في شقته الخاصة في منزل أهله بقربنا، ولقد اشترى بيتا جديدا سينتقل إليه هو وزوجته وأولاده، لم يكن أهله يريدون تأجير شقته لكنني أقنعته بذلك كي تبقي لصيقة بنا، ما رأيك؟

وابتسمت لقد وجدت الحل ووافقت فرحة، وأضاف فواز: سيكون الإيجار مناسبا وقد شرحت لهم ظروفك ورغبتك في الاستقلال في بيت يخصك، ثم إنك تسكنين في المنزل الملاصق لمنزلنا، لن يتجرأ أحد على انتقادك.

وفعلا بعد شهر واحد بدأت باختيار الأثاث الجديد، كان الطابق مكونا من ثلاث غرف واسعة وثلاثة حمامات وصالة

للمعيشة وأخرى منفصلة على يمين المدخل للضيوف مع حمام للضيوف.. بدا المكان واسعا ومريحا، والمطبخ جميل مرتب وبدأت بصباغة الشقة... صبغت غرفتي باللون المشمشي الذي أحبه، وصنعت دواليب ضخمة لتكفي حاجياتي.. وصبغت غرفة عزيز بالأخضر الفاتح واخترت له غرفة أطفال مميزة، أما غرفة جمانة فلأنها ماتزال صغيرة فقد قررت وضع سريرها في غرفتي والاكتفاء بوضع ألعابها وملابسها في غرفتها إلى أن تكبر قليلا، لم أخبر عزيز عن انفصالي عن أبيه، لا يزال صغيرا، وكان فرحا بالمنزل الجديد، لكنه دائما يسألني أين بابا؟ في البداية كنت أخبره أنه في العمل أو أنه مشغول لكنه لا يكف عن سؤالي أين غرفته الجديدة أين ملابسه.. فأخبرته: بابا يريد أن يعيش في بيتنا القديم، لا يريد السكن هنا، وتستطيع أن تزوره ساعة تشاء.. وسكت عزيز ثم اغرورقت عيناه بالدموع وقال: لكنني أريده أن يسكن معنا في منزلنا الجديد.. فضممته إلى صدري وأخبرته: سيأتي ليزورنا وربما سيسكن معنا بعد ذلك!

اضطررت إلى قول ذلك له، لقد صعب عليّ!

واشتريت غرفة نوم غالية لي، جميلة مذهبة وقد اخترت سريرا كبيرا، سريرا لشخصين، لقد اعتدت النوم على سرير كبير ومضى شهران آخران وبعد العدة، انتقلت أنا وأطفالي وخادمتي إلى شقتي الجديدة وطوال فترة العدة لم أعرف شيئا عن هشام لكنه يحول إلى حسابي كل شهر مبلغا محترما من المال وكنت بحاجة إلى هذا المال، صحيح أن والدي تكفل بدفع الإيجار لي لكنني لم أتعود بعد على إدارة ميزانية أسرتي

الصغيرة التي أصبحت مسؤولة عنها بعد طلاقي.. ومع الوقت أحسست أن عليّ وضع خطة مالية شهرية كي لا نشعر بالنقص أو العوز في حياتنا الجديدة، وها أنا ذا في الثامنة والعشرين من عمري أحمل لقب مطلقة ولدي ابن في الثالثة وابنة في عامها الأول وأعيش في شقة مستقلة في بيت مجاور لبيت أهلي، إنه وضعي الجديد.

■■26■■

حياتي الجديدة

كنت أصحو صباحا وأوقظ عزيز ليذهب إلى المدرسة، إنه في حضانة خاصة أجنبية، وأعتدت أن أوصله في طريقي، نذهب أولا إلى عملي لإثبات حضوري ثم ننطلق إلى مدرسته، وقبل أن أخرج أوصي الخادمة أن تطبخ لنا الغداء باكرا، حيث تكون جمانة نائمة، وتستيقظ ابنتي في العاشرة والنصف فتبدل الخادمة ملابسها وتكون انتهت من الطهي، وتذهب بها إلى والدتي وعندما أعود من العمل آخذ عزيز في طريق عودتي رغم انتهاء دوامه قبل ذلك لكنني كنت أدفع له رسوما إضافية ليبقى ساعة إضافية في فصل خاص مع مجموعة أخرى من الأطفال ثم أتجه إلى منزل والدتي فآخذ جمانة والخادمة ونعود إلى البيت واعتدت الغداء عندهم ثلاثة أيام في الأسبوع الجمعة، الأحد، الثلاثاء والخميس نقضيه خارجا وباقي الأيام تطبخ لنا الخادمة، وفي الأيام التي لا نأكل في منزلي تقوم الخادمة بواجبات التنظيف وما إلى ذلك صباحا.. ومع الوقت بدأت حياتي تستقر وفي كل جمعة كان هشام يأتي لاصطحاب الأطفال بعد الغداء، ويعيدهم إلى المنزل في الثامنة، لم يتصل بي ليرتب الأمر معي بل اتفق على ذلك مع أخي فواز، وارتحت أنه لم يتصل بي، لقد وفر على كلينا الحرج في تعاملنا معا بعد الطلاق.

أشد ما كان يضايقني هو أنني اضطر إلى إرسال خادمتي مع جمانة، إنها ما تزال صغيرة وشقية وتحتاج إلى المتابعة، وكانت

الخادمة تنقل لي تفاصيل ما يحدث خلال خروجهم أو زيارتهم لمنزل خالي.. ما كان يضايقني هو شعوري بالتجسس، لم أكن أحب أن أعطي الخادمة دورا مهما في نقل ما يدور بين أولادي وأبيهم، ومع الوقت منعتها من الحديث عن هذا الموضوع، وعندما تحكي لي أي أمر حدث معهم لم أكن أعيرها اهتماما.

ومرت ستة شهور على طلاقي وفي أحد الأيام اتصلت بي منار زميلة الدراسة وصديقتي، لقد سمعت بطلاقي وصدمت ودعوتها لزيارتي، لم أحك لها التفاصيل ولم أخبرها أن هشام ضربني، لم أحب أن أتحدث عن والد أبنائي أو عن خصوصياتي.. قلت لها إننا مررنا بمشاكل جعلت حياتنا معا مستحيلة ولم نتفق معا.. وحزنت منار، لقد شهدت على قصة حبنا أيام الجامعة وآلمها أن الأمر انتهي بيننا على هذا النحو. ثم سألتني عن عملي فأخبرتها أنني لا أحبه ولا أجد نفسي فيه، فاقترحت علي اقتراحا غير مجرى حياتي..

■■27■■

عمل جديد

كان والد منار يمتلك شركة عريقة لبيع الالكترونيات.. ومنار نفسها تعمل معه في الإدارة المالية، كان الدوام من الثامنة صباحا حتى الثالثة ويوم الخميس إلى الواحدة ظهرا وأخبرتني منار أنهم بحاجة إلى توظيف كويتيين في الشركة تبعا لقانون دعم العمالة الوطنية واقترحت علي أن أعمل معهم كان الراتب مغرياً، كما أنني سأحصل على علاوة اجتماعية من الحكومة زيادة على راتبي الذي أتقاضاه من الشركة، وزينت منار الفكرة لي وبدأت أقتنع، سيكون الأمر رائعا أن أعمل مع منار في مكان واحد، وسأجني المال والخبرة، وشعرت بالحماس يجري في عروقي.. كم اشتقت إلى العمل المنتج، وفي اليوم التالي رافقتها إلى الشركة، إنها رائعة، كخلية النحل، الكل مشغول، والكل يعمل، لا أحاديث تافهة ولا ولائم إفطار لا معنى لها وقابلت والد منار السيد عبدالرحمن مدير وصاحب الشركة، ورحب بي وعرض علي وظيفة جميلة وراتبا مغريا في قسم التسويق، أخيرا سأعمل بما يناسب تخصصي الذي طالما أحببته.. وفعلا بعد أسبوع من تلك الزيارة قدمت استقالتي من عملي الحكومي.. وحزنت مديرتي وكذلك زميلاتي، إن مريم لم تكن موجودة، لقد أنجبت ولدا وهي في إجازة الأمومة حاليا، لم أرها لأودعها وأرسلت لها تحياتي مع زميلاتي، وخرجت من مبنى عملي وأنا أشعر أنني خرجت من قفص كبير مظلم، أخيرا سأهتم بحياتي

العملية، وواجهتني مشكلة جديدة، كيف أقل عزيز من مدرسته في نهاية الدوام؟ سأتأخر عليه كثيرا، لقد بدأت السنة الدراسية الجديدة للتو وأكمل عزيز الرابعة من عمره وجمانة في الثانية من عمرها.. وتكفلت والدتي بإحضاره يوميا وأحيانا كان والدي يفعل ذلك وارتحت وانهمكت في عملي الجديد، وعاد إليّ طموحي ونشاطي، كنت أعمل بكد محاولة نفض الغبار المتراكم على عقلي بعد عملي بوظيفة حكومية، واندفعت أنهل من الخبرات التي حولي، تعلمت الكثير وعرفت الكثير وأنجزت الكثير أيضا، ومديري سعيد بي، إنه رجل محترم والسيد عبدالرحمن فخور بي وبعطائي وبالتفاني الذي أبديه في عملي، وخلال ستة شهور زاد راتبي، وتم إعطائي منصب مشرفة قسم التسويق، وزادت أعبائي الوظيفية وكنت أهلا لها لقد كنت مبدعة.

وفي أحد الأيام وكان يوم جمعة ذهب أولادي مع هشام كعادتهم، جلسنا أنا ورزان نتحادث ففاجأتني بسؤال غريب: جمان هل ستخلعين الحجاب؟

وفوجئت وقلت: لم تسألين هذا السؤال؟

فقالت: كنت رافضة لارتدائه، وبما أنك تحررت من هشام، بل وعملت في القطاع الخاص كما كنت تريدين.. فكرت أنك قد تخلعين الحجاب.

وابتسمت.. وقلت لها: اسمعي يا رزان.. صحيح أنني في البداية لم أكن أرغب في أن أتحجب وصحيح أنني تحجبت بعد ذلك من أجل هشام.. لكنني الآن اعتدت على الحجاب ولا أتخيل

نفسي أخلعه، كما أنه فرض علينا ولن أغضب ربي بمعصيته بعد أن كتب لي الهداية والستر، أشعر أنني لو خرجت من غيره فكأنني خرجت عارية بلا ملابس.

وفهمت رزان كلامي وابتسمت: لقد تغيرت كثيرا تبدين قوية، لم تعودي تلك الأميرة المدللة.

فهززت رأسي وقلت: لقد مررت بالكثير وأصبحت أعرف ما أريد.. واخترت لنفسي الحياة التي أريدها تماما.

وسكتت رزان.. كنت أعرف أن زوجها مايزال عابثا مستهترا، لطالما ظنت أنها بإنجابها الولد ستسيطر على زوجها وسوف تكسب وده لكنها كانت مخطئة ولم يتغير شيء في حياتها، صحيح أنها تخلصت من هاجس إنجاب الولد لكن حياتها الخاصة لم تتغير.. وأسفت لحالها.. بيني وبين نفسي!

■■ 28 ■■

عريس جديد

كنت عائدة من العمل يوم الخميس وقد خططت لاصطحاب أطفالي لأحد المجمعات التجارية للغداء ودخلت منزل عائلتي وأسرعت جمانة ترمي نفسها بأحضاني وأنا أشبعها تقبيلا، ثم انحنيت أقبل عزيز، لم يكن من عادته تقبيلي، يبدو لي كرجل ذي شخصية شرقية يرفض أن يغدق عواطفه على أحد بعكس جمانة طفلتي التي لا تكف عن الالتصاق بي، وجاءت أمي مهللة وجهها ينطق بالبشر، وقالت: ها قد وصلت أخيرا أريدك في موضوع مهم، فقلت: إننا ننوي الغداء في الخارج، ألا تأتين معنا؟ فقالت: تغدو معنا ثم اذهبوا.. وسألت عزيز إن كان يمانع، إنه الرجل هنا، فوافق على أن أذهب بهم إلى حديقة الألعاب عصرا بدلا من المجمع التجاري للغداء، ووافقت.. وجلسنا نتغدى أنا وأمي وأبي وأطفالي، وسألت: كيف حال فواز وهدى؟ فقالت أمي: منذ أنجبت محمد وهي تتغدى في شقتها، تطهو مساء لليوم التالي، لا أعرف لم تصر على الانفراد بمطبخها! فقط تتعطف علينا بتناول الإفطار معنا.

لم يعجب ذلك أمي، لكنني نصحتها بعدم التدخل، دعيهما وشأنهما، يكفي أنهما يتغديان معنا يوم الجمعة يوم زيارتنا العائلية جميعا ثم إن هدى لا تترك ابنها عند أمي أثناء ذهابها إلى العمل كما أفعل أنا مع ابنتي، وكما كنت أترك عزيز وجمانة سابقا عند أم هشام قبل طلاقي، بل تخرجه معها في الصباح

الباكر مهما كانت حالة الجو إلى منزل أمها أي خالتي، وكان ذلك يضايق والدتي، يشعرها أن هدى لا تثق بها ولا بتربيتها واهتمامها بطفلها، وقد تحدثت في الأمر مع أخي فواز، الذي شعر بالإحراج وأخبر أمي أن تلك رغبة هدى وأنها لا تود الإثقال على أمي بمسؤولية محمد، ويكفيها حاليا جمانة ابنتي، ولم تقتنع أمي ورغم أن هدى لطيفة معنا جميعا وتجاملنا كثيرا إلا أننا لم نعد نعجب بها وبتصرفاتها بعد أن أصبحت زوجة لفواز.. حتى أنا، رغم صداقتي القوية بها سابقا أصبحت علاقتي بها رسمية وعادية، لم نعد كسابق عهدنا وغدت منار صديقتي المقربة الآن..

انتهى الغداء وجلست مع أمي وحدنا وأخيرا قالت: لقد تقدم لك عريس اليوم، رجل رائع في الأربعين من عمره، ثري جدا ووسيم، توفيت زوجته منذ عشر سنوات وظل مخلصا لها كل تلك المدة ولديه ابن عمره خمسة عشر عاما، إنه رائع ولم يرغب في الزواج إلا بعد أن رآك.

وتفاجأت: أين رآني؟

فقالت أمي: في الشركة.. في عملك كان آتيا ليزور مديرك ورآك صدفة وجن بك يا ابنتي لقد اتصلت أخته بي، ولا تعرفين كم امتدحت أخلاقه، ما رأيك؟

فقالت بهدوء: أمي أنا لا أفكر في الزواج أبدا ولا أريده.

فقالت أمي بلهفة: لماذا يا ابنتي؟ مازلت شابة وجميلة، ضعي كل الشروط التي تريحك وإن وافق على مطالبك فما المانع؟

فعدت أقول: لا أريد رجلا في حياتي، أنا مرتاحة هكذا، لا قيود، لا التزامات، أفعل ما أشاء وأربي أولادي بلا ضغوط ووضعي المالي أكثر من ممتاز، ونفسيتي مستقرة، لم أجازف بكل ذلك؟

وقالت أمي: غدا يكبر أبناؤك وينشغلون عنك، لن يدوموا لك، ابني لك حياة خاصة.

فعدت أقول: ياه يا أمي.. من يدري ما يحدث للإنسان، أتزوج وأقضي حياتي في قيود تثقل عليّ لأجل أمور قد تحدث بعد عشرات السنين، لا تخافي عندما يكبر عزيز ويتزوج سأسكن معه، وضحكت كأنني ألقي نكتة، ولم تكف أمي عن الإلحاح عليّ، ولم أغير موقفي، حقا لا أريد الزواج ووالدتي لا تريد إيصال رفضي للعريس، إنها تتحجج وتعطيهم أعذارا للانتظار وذات يوم فوجئت برجل يقتحم مكتبي في الشركة، بدا مهذبا، وبعد أن حياني عرف عن نفسه قائلا: سيدة جمان اسمي فؤاد عبداللطيف وسبق أن رأيتك صدفة هنا في الشركة واسمحي لي على جرأتي في أن أقدم نفسي لك لكنني وجدتها الطريقة الوحيدة لأعرفك بنفسي.

يا إلهي إنه العريس بشحمه ولحمه، وانقبض قلبي واحمرت وجنتاي، وقلت بصوت مرتبك: يا أستاذ فؤاد سبق أن أخبرت والدتي أنني أرفض الزواج، ليس منك تحديدا فأنت لا عيب فيك بل على العكس، لكنني أرفض المبدأ ككل، لستُ مستعدة للزواج الآن.. ويبدو أن والدتي لم تبلغ أختك رفضي آملة أن أغير رأيي وصدم فؤاد لصراحتي وقال: أنا حقا آسف، لكن أحببت أن

أخبرك أنك دخلت قلبي منذ رأيتك وقد كنت عازفا عن الزواج، وأنا أحترم رأيك وإن كنت أتمنى لو أعدت النظر في الموضوع وللعلم سأوفر لك كل ما تريدين وبشروطك أنت وفوجئت بلباقته، يبدو محترما لأبعد الحدود فقلت: أشكرك كثيرا وأقدر موقفك.. واعذرني فلدي اجتماع بعد خمس دقائق وأنا أرجوك أن تبحث عن غيري، لا داعي لتضييع وقتك. بدوت فظة هذه المرة لكنني حقا لا أريد الزواج فرأيت أن أصده تماما كي لا يتعلق بآمال واهية، ومد يده يصافحني وقال وابتسامة كبيرة على شفتيه: ومع ذلك لن أفقد الأمل.. مع السلامة، وخرج، واغتظت منه، لم هذا الإلحاح، لقد أثارتني ثقته بنفسه، وذهبت إلى الاجتماع وبالكاد استطعت طرد فؤاد من خيالي، وعندما أبلغت أمي بما حدث، ثارت ثائرتها، واتهمتني بالجحود وبرفس النعمة، وأنني سأندم ولم أهتم بكلامها.. مادمت غير راغبة في تجربة حظي من جديد فلماذا أترك الرجل معلقا؟ هكذا كنت أفكر وأنا في سريري.. وفجأة دق جرس الهاتف، إنها الحادية عشرة مساء من يتصل بهذا الوقت ورفعت السماعة بخوف وترقب: آلو؟

يا إلهي.. هذا الصوت أعرفه.. وخفق قلبي إنه هشام.

■■ 29 ■■

هشام من جديد

وساد صمت قصير بعد أن عرفت صوته، وقال: مساء الخير يا جمان، كيف حالك؟

فقلت: بخير الحمد لله، كيف حالك أنت؟

فقال: مازلت حيا.. هل كنت نائمة؟

رددت وقلبي يخفق: لا..

وساد صمت آخر.. ثم قال: لقد سمعت أمرا جعلني أتصل بك شخصيا لأتأكد منه، ثم انطلقت كلماته كالمدفع: هل حقا تنوين الزواج؟

وصعقت.. وقلت: من أخبرك بهذا؟

فرد: إذن الخبر صحيح؟

فعدت أقول له: من أخبرك بهذا أرجوك؟

وانطلق هشام بحدة: أخبرتني إحدى أخواتي من أبي، التقيتها صدفة فتطوعت بإخباري أنك ستتزوجين قريبا.

وصرخت: من أعطاها تلك المعلومات؟

فعاد هشام يصرخ: هدى زوجة أخيك أخبرتها، اسمعي يا جمان، لا يهمني أمر زواجك لكنني أردت أن أكون واضحا فيما يخص أولادي، لن أسمح لرجل غريب بتربيتهم، وأنا أنذرك إن تزوجت فسأضطر إلى أخذ الأولاد منك.

يا إلهي، إنه لم يتغير.. مازال كما هو هذا الأناني المدلل ووجدت في داخلي رغبة خبيثة لأعذبه قليلا فقلت ببرود: ليس من حقك أخذ الأولاد مني حتى إن تزوجت، أستطيع تركهم عند أمي.

فصرخ هشام بأعلى صوته: سأقطع النفقة الشهرية.

فقاطعته: لا تهددني يا هشام وإن كنت لا تعرف فأنا أعمل بوظيفة تدر عليّ دخلا قويا لذا وفر إنذاراتك لنفسك ولن أسمح لك بتهديدي وإزعاجي، ولا حق ك بالتدخل في حياتي الخاصة والتي لم تعد من شأنك.

وجن هشام وقال صارخا: كيف لم تعودي من شأني؟ مازلت أم أولادي ألا تفهمين؟

وفي لحظة ما قررت أن أكون أكثر تعقلا، لمَ أحاربه وأغيظه في حين أنني لا أريد الزواج.

فقلت بهدوء: على العموم يا هشام أحب أن أخبرك أنني لا أنوي الزواج، لقد كرهتني به بما فيه الكفاية، مجرد عريس تقدم لي وقد أبلغته رفضي وطردته تماما.. ولا داعي لكل هذه المهاترات الآن.

وسكت هشام، بدا كالنار التي سكب فوقها دلو من الماء.. وقال بصوت خجول: أحقا ما تقولين؟

تنهدت: أقسم لك أنني لا أنوي الزواج بعدك هل ارتحت الآن؟

وأخيرا نطق باعتذار: أنا آسف يا جمان لم أقصد التشاجر معك لقد.. وقاطعته: أرجو أن ننهي هذه المكالمة الآن، فأنا متعبة جدا وأريد أن أخلد للنوم، تصبح على خير، ولم أنتظر رده، أقفلت الخط وفصلت الهاتف، لا أريد أن أسمع كلمة منه، إنه كما هو لم يتغير، لقد تذكرت صراخه وأوامره أيام زواجنا، وحمدا لله أنه لم يعد زوجي!

كان اليوم التالي هو يوم الجمعة، وكنت قد قضيت الليل ساهرة، لم يغمض لي جفن، وفي العاشرة صباحا ارتديت ثيابي وخرجت إلى منزل والدي واتجهت مباشرة إلى شقة فواز وقرعت الجرس وفتح لي أخي واندهش لرؤيتي ودخلت عليه كالعاصفة الهوجاء وأنا أكاد أصرخ: أين هدى؟ وجاءت هدى وصرخت في وجهها: هل فقدت عقلك؟ أليس لهذا المنزل حرمة؟ كيف تنقلين أخبارنا وأسرارنا إلى الأسرة؟ من قال لك أنني سأتزوج؟ وارتبكت هدى وقالت: أمك قالت لي إن عريسا تقدم لك.. وصرخت من جديد: هناك فرق أن يتقدم لي عريس وأن أنوي الزواج والتفت إلى أخي الذي كان واجما وأخبرته بما حدث بيني وبين هشام وانهمرت دموعي وأنا استرجع كلامه وأخبر أخي عن ما قاله لي، وتجهم وجه فواز وأخذ يقول: هدى أخطأت أرجوك اهدئي يا جمان، وقلت بحدة: لا أريد شيئا من أحد، اتركوني بسلام، أريد العيش في هدوء ولن أسمح لأي كان أن يتدخل في حياتي. وخرجت بعد أن صفقت الباب. وأخبر فواز أمي بما حدث وهرعت إليّ معتذرة نادمة، لم تقصد الأذى ولم تعرف أن هدى ستبوح بالأمر، وبقيت غاضبة، لم أذهب إلى الغداء في منزلنا وأمي تتصل بي وتعتذر

لأنها أخبرت هدى بأمر العريس، وتشاجر فواز مع هدى ووبخها كثيرا.. ومضت أربعة أيام، وفي إحدى الأمسيات قرع الجرس في بيتي وقمت لأفتح بنفسي وفوجئت بهدى أمامي.. وصدمت ودخلت وهي تقول: جمان.. جئت أعتذر منك أنا مخطئة ولم أقصد التسبب لك في المشاكل، وبكت هدى قائلة: ماذا حدث يا جمان؟ لم أصبحت علاقتنا على هذا النحو؟

ورق قلبي.. وربت على كتفها وقلت: لم أعد غاضبة يكفيني مجيئك، وربما بالغت بردة فعلي.. وعرفت من هدى أن فواز يرفض التحدث معها نهائيا.. وقمت معها إلى شقتها وصالحتها على أخي وعادت المياه إلى مجاريها.

مع صديقاتي

تحسنت علاقتي بهدى نسبيا، وقبل أن أخرج من بيتها تلك الأمسية قالت لي كلمات ظلت تتردد في أذني: جمان إن هشام لايزال يحبك، أخته تقول إنه كاد يجن عندما علم بخبر زواجك ورددت على هدى: كان الأولى بها عدم نفث سمومها في حياة أخيها.. لكن كلمات هدى أثرت بي.. هل حقا ثورة هشام اندلعت بسبب الغيرة والحب أم الأنانية والتسلط؟

وأخبرت منار بما جرى معي، إني أثق برأيها فهي هادئة رزينة، لطالما أحببت نظرتها للأمور، كانت منار متزوجة بابن عمها الذي يكبرها بعشر سنوات وأنجبت منه ولدين، وهما متفاهمان جدا، زوجها متحرر متفهم يؤمن بحرية المرأة وبحقها في تكوين كيانها وذاتها من خلال نفسها وليس من خلاله، إنه نموذج نادر للأزواج في أيامنا هذه، واستمعت منار إليّ بصبر وقالت: أظن هشام مازال يحبك وأن الغيرة دفعته للاتصال بك، المسكين لقد جن من فكرة زواجك، ولم أعرف ما أقول لها، مازلت أظن أن أنانيته هي السبب، على كل ماذا يهمني إن كان يحبني أم لا، لقد خرج من حياتي وانتهى الأمر، لقد مضى أكثر من عام على طلاقنا، ومرت أيام أخرى متشابهة.. وفي أحد الأيام قررنا أنا وصديقات الجامعة السابقات الخروج لتناول العشاء معا، ياه مر وقت طويل منذ التقينا، وتذكرت وأنا أرتدي ثيابي تلك المشاجرة التي سبقت طلاقي من هشام، كنت يومها سأخرج لملاقاة هؤلاء الصديقات.. وابتسمت بحزن، لم يعد هناك ما يمنعني من فعل

ما أريد، وارتديت بنطلونا بنيا داكنا، وارتديت فوقه قميصا طويلا وحزاما يتدلى أسفل خصري ويظهر تناسق جسدي، كان القميص بلون البرتقال، وبدا جميلا جدا عليّ، وتزينت بعناية وارتديت شيلة بنية غالية، أردت أن أكون جميلة، فصديقاتي لم يرينني من مدة باستثناء منار، وخرجت إلى المطعم الذي اتفقنا على العشاء فيه، والتم شملنا حول مائدة مستديرة رائعة، كان كل شيء حولنا جميلا، استرجعنا الذكريات وتحدثت كل منا عن آخر تطورات حياتها وضحكنا كثيرا، وقبل خروجنا بوقت قصير، تفاجأت بهشام يدخل المطعم مع امرأة.. رأيته لحظة دخوله، لم أره أبدا منذ طلاقنا، لقد تغير قليلا، بدا أكثر نحافة، وشعره الكثيف بدا أطول قليلا من قبل وقد ترك لحية صغيرة مربعة على ذقنه، بدا وسيما جدا وقد ارتدى ملابس تبدو غالية الثمن، وأثناء مروره بجوار طاولتنا لمحني فتوقف فجأة وقد أخذته المفاجأة وارتبك هشام ثم بدا كمن حسم أمره وقرر السلام عليّ... فاقترب مني قليلا ومد يده يصافحني، لا أعرف لم وقفت كي أسلم عليه، وصافحته وشعرت بيدي باردة كالثلج مقارنة بيده الدافئة، وقال: كيف حالك يا جمان؟ منذ متى لم أرك؟

وقلت: بخير الحمد لله.. واستأذن عائدا إلى رفيقته، وقبل أن نخرج التفت إليه ووقعت عيناي على المرأة التي معه، يا إلهي أنا أعرف تلك المرأة، إنها عبير زميلته المطلقة التي تعمل معه والتي كانت تجري وراءه، تلك المرأة التي صادفتها في النادي الرياضي الذي ارتدته بعد ولادتي لعزيز، المرأة التي حاولت هدم بيتي وتدمير ثقتي بهشام وقتها، إنه معها الآن وانقبض قلبي!

■■31■■

حيرتي

وعدت ليلتها وأنا أشعر بالاختناق، ولم أستطع النوم، لم يغمض لي جفن، حاولت طرد هشام من تفكيري فلم أستطع، ماذا يهمني إن أقام علاقة مع تلك المرأة بالذات أو مع غيرها، كنت أقول لنفسي إن سر هذا الضيق هو موقفي من تلك المرأة بالذات، لكنني متضايقة بل أكاد أختنق تُرى هل علاقته معها جدية، هل وعدها بالزواج، إلى أي مدى وصل بعلاقته بها، واسترسلت بالأفكار كأنني أجلد نفسي وتحولت الأفكار إلى خيالات.. وتماديت في خيالي.. تخيلتها بين أحضانه، يقبلها، ويضمها إليه، واندلعت النار في قلبي ونهضت لآخذ حماما في الرابعة فجرا، وثورتي على نفسي لا تهدأ، لمَ أسمح لنفسي بالتفكير فيه، ما دخلي أنا في حياته التي انسحبت منها بإرادتي، هل صور لي غروري أنه سيبقى طوال عمره على ذكراي، ولن يعرف امرأة بعدي! ولن يتزوج أخرى؟! هل أنا ساذجة إلى هذا الحد، أم مجرد غبية ومغرورة، تُرى هل يحبها؟ وتلويت على فراشي، إن فكرة أنه يحبها هي الأقسى، ما معنى ما أنا فيه!..

وجاء الصباح وبصمات الأرق واضحة تحت عينيّ، بدوت كالشبح لدرجة أن عزيز سألني في الطريق إلى المدرسة: ماما هل أنت مريضة؟ تبدين مريضة جدا، وربت على يده وأنا أقود السيارة لأطمئنه: لا يا حبيبي، لست مريضة أبدا... وأوصلته إلى المدرسة ثم انطلقت إلى العمل، ووصلت منار بعدي بنصف

ساعة ودخلت عليّ المكتب وبمجرد أن رأتني قالت: كنت أعرف ما ستمرين به البارحة...

وقلت: ماذا تقصدين؟ والتقت عيوننا ونكست عينيّ لم أقوى علي مجادلتها والمكابرة على ما مررت به ومدت يدها تربت على يدي وقالت بحنان: شعرت بالغيرة؟ وانتفضت قائلة: لم أغار؟ أنا من طلبت الطلاق وأنا التي هجرته...

وفجأة انهمرت دموعي وقلت: أنا لا أفهم نفسي.. لم أستطع النوم البارحة لا أعرف ماذا دهاني..

وانهرت أمام منار، بحت لها بما شعرت به، وبالأفكار التي اجتاحتني، كلمتها كأنني أكلم نفسي. . وانتهى حديثي ولم تنته حيرتي.. لكنني شعرت ببعض الراحة، كأن حملا ثقيلا قد انزاح عن صدري عندما أفضيت لها بما يجول في خاطري.. وسكتت منار قليلا كأنها تختار الكلمات التي تقولها لي: اسمعي يا جمان.. إن في داخل كلّ منا حبا للتملك، لقد ملكت هشاما من قبل وملكت مشاعره وحياته، وعندما كرهت حياتك معه وقررت الانفصال عنه لم تفكري أنه عاجلا أم آجلا سيجد امرأة تعوضه عنك وعندما رأيته البارحة مع امرأة أخرى، صدمت وشعرت بالغيرة وصحا حب التملك لديك، إنه في نظرك ملك لَك وحدك حتى وإن بعدت عنه وأنهيت علاقتك به، لكن ذلك غير منطقي.. وإذا أردت رأيي الشخصي.. أنت لا تزالين تحبينه، تكرهين أسلوبه وتصرفاته، لكن قلبك يحبه أهذا صحيح؟

ورددت: لا أظن أنني مازلت أحبه لقد طلبت الطلاق منه

واخترت الخروج من حياته لو كنت أحبه لما تركته.

فقالت: إذن واجهي الواقع، واعترفي بحقه في العثور على غيرك من النساء، وتأقلمي مع مشاعرك حيال ذلك، تخطي الأمر وستقدرين مادمت حقا لا تحبينه.

وأراحني كلام منار، وشعرت بقوة جديدة، وانغمست في العمل ذلك اليوم وأنهيت تقريرا مهما يومها، وضعت كل تركيزي في عملي، وعدت إلى المنزل مباشرة لم أذهب لأرى أمي عندما مررت لأخذ عزيز وجمانة بعد العمل، خفت أن تلاحظ تغييرا في وجهي المرهق فتضغط عليّ في الأسئلة، خفت أن تقرأ أفكاري، اتصلت من السيارة ليخرج الأولاد إليّ، وذهبت مباشرة إلى البيت وبعد الغداء نبهت على الخادمة بعدم إزعاجي وعدم إيقاظي مهما حدث، ونمت كالميتة، وحلمت حلما غريبا، حلمت بنفسي ألبس ثوب زفاف وأبدو جميلة فاتنة، وزف إليّ العريس فإذا هو فؤاد! وفجأة أخذت أبكي وأبكي حتى تبلل ثوبي بالدموع، بدوت كمن خرج من تحت المطر، وفجأة ظهر هشام وجريت نحوه لكنه أوقفني بإشارة من يده وتركني حائرة مبللة واتجه نحو عروس أخرى وأدارت تلك العروس وجهها لأجدها عبير، وصحوت فزعة، ونظرت إلى ساعتي، لم أنم سوى ساعة واحدة، وفجأة انتابني شعور أنني وحيدة ومسكينة، مسكينة جدا وانهمرت دموعي من جديد...

عاصفة

مكتبة
t.me/t_pdf

ومرت أيام أخرى، وهدأت نفسي تدريجيا وساعدني العمل كثيرا على عدم التفكير في حيرتي ومشاعري المتناقضة، إلى أن أتى يوم جمعة، جاء هشام ليأخذ عزيز وجمانة للخروج معه عصرا كما هي عادته كل أسبوع، وكانت خادمتي يومها مريضة، وتركت جمانة تذهب وحدها معه، إنها الآن في الثانية والنصف من عمرها، سيستطيع هشام تدبير نفسه معها، وفي الثامنة والنصف عاد الأطفال، ولاحظت وجوم عزيز، كان يعود من نزهته سعيدا عادة، إنه يحب أباه كثيرا، ورغم أنه عاد هذه المرة محملا بالهدايا إلا أنه بدا حزينا، وسألته برقة قبل أن يخلد إلي النوم بعد عودتنا إلى منزلنا: حبيبي هل هناك ما يزعجك؟ أخبرني أنا ماما حبيبة قلبك صحيح؟ وبكى عزيز! انهمرت دموعه وأخفى وجهه في وسادته، وجزعت وعدت أسأله وأنا أعبث بخصلات شعره الناعم الكث - لقد ورث شعر أبيه تماما - وأخيرا أخبرني عزيز: لم يأت بابا لأخذنا وحده اليوم، كانت معه امرأة قال إن اسمها ماما عبير، لا أريد ماما غيرك...

واشتعلت النار في داخلي وأخبرني عزيز عن تفاصيل أخرى، لقد كانت تلك الأفعى معهم طوال الوقت وأخذهم هشام جميعا إلى الملاهي ثم إلى أحد محلات الألعاب وانكمش عزيز منها ورفض تقربها منه، وطوال الوقت وهو يريد العودة إلى البيت، حتى جمانة رغم صغر سنها لم تتقبل تلك المرأة، وثارت ثائرتي

كيف يجرؤ على فرض تلك الأفعى على حياة أولادي؟ لا يحق له مفاجأتهم بامرأة غريبة دون تمهيد، وحاولت تهدئة عزيز ووعدته أنني سأتفق مع بابا على عدم اصطحابها معهم في النزهة القادمة، وقبل أن أخرج سألني عزيز: لماذا لا تأتين أنت معنا يا ماما؟

ولم أعرف ماذا أقول له وانسحبت بعد أن وعدته أننا سنناقش الأمر لاحقا..

ودون وعي مني رفعت سماعة الهاتف واتصلت بهشام وبمجرد أن ردّ على الهاتف انطلقت أقول: مساء الخير يا هشام.. أنا جمان.

وقال بصوت هادئ: مساء النور، كيف حالك؟ فاندفعت كلماتي: اسمع يا هشام لقد اتصلت بك لأجل موضوع مهم بالنسبة لي ولأولادي وأرجو أن تستمع لكل ما سأقوله.. أنا لا أنكر أنك حر في حياتك تستطيع فعل ما تشاء بها وليس لي الحق في التدخل بخصوصياتك لكن أن يصل الأمر أن تجبر أولادي على مجالسة امرأة أخرى وبلا مقدمات بل وتطلق عليها اسم ماما أيضا فذلك لن أقبله أبدا، لا أحد في هذا العالم له الحق في سرقة لقبي أنا، أنا أمهم أنا فقط، هل تفهم؟ وليتك تعرف حالة عزيز منذ عاد من لقاء تلك المرأة الأفعى..

وقاطعني هشام: لا داعي لأن تشتميها فهي لم تفعل لك شيئا.

وصرخت: حقا؟ يبدو أنك نسيت مكائدها على العموم هنيئا

لك ولها، أليس هذا ما أرادته دوما، لقد خلا لها الجو.

فقال بلهجة مستفزة: أنت من تركت مكانك وأخليت لها الجو، ماذا تتوقعين مني ياجمان؟ لقد هان عليك كل ما بيننا، وعبير وقفت معي في أزمتي وتحملتني كثيرا وأحب أن أخبرك أنني أفكر جديا في الزواج بها، فالأفضل إذن أن يعتاد الأولاد عليها من الآن، قد أكون أخطأت وتسرعت بتقديمها إليهم فجأة وبلا مقدمات كما تقولين لكن ذلك كان سيحدث عاجلا أم آجلا.. ألو جمان.. ألو.. وقلت بصوت حاولت قدر الإمكان أن أضبط نبراته: مازلت معك...

فقال في حنان: جمان... أتبكين؟

ولم أستطيع أن أرد عليه.. غلبتني دموعي فألقيت السماعة في وجهه، وانكفأت أبكي بحرقة، سيتزوجها إذن، تلك الأفعى الدنيئة، كم أكرهها، يا إلهي ستكون زوجة أب لأولادي وسيضطرون للتعامل معها، وعاد جرس الهاتف للرنين.. رن طويلا.. رن كثيرا، ولم أجب، وشعرت بألم شديد في خاصرتي، ألم فظيع... إنني أتلوى من الألم وانبطحت على الأرض صارخة، ألم يمزق أحشائي، ماذا يحدث لي، ومددت يديورددت على الهاتف إنه هشام وصرخت: الحقني يا هشام.. أشعر أنني أموت.. ولم أشعر بشيء بعدها.

الزائدة الدودية

أفقت لأجد نفسي في المستشفى وأمي ورزان وهدى حولي والقلق يطل من عيونهن، وقلت بصوت ضعيف: ماذا حدث لي؟ فقالت أمي: الحمدلله على السلامة.. لقد خضعت للجراحة قبل ساعات.. وتم استئصال الزائدة الدودية..

ولم أقوَ على الكلام، واقتربت مني هدى وهمست: هل تعرفين من أخبرنا أنك في خطر؟ إنه هشام أيقظ فواز في منتصف الليل وأخبره أنه اتصل بك لأمر هام فوجدك تتألمين، كاد يموت من الخوف عليك، أتى بنفسه ونقلك مع فواز إلى المستشفى وبقي حتى انتهت العملية على خير.. وسألت هدى وكأنني لم أسمع ما قالت: وأين أولادي؟ فردت رزان هذه المرة: أوصل هشام عزيز إلى المدرسة وجمانة في بيتي الآن.. أظن الوقت حان لإدخالها إلى الحضانة قريبا.

وابتسمت لم يكن الوقت مناسبا لمناقشة أمر كهذا لكنها تعمدت قول ذلك، ربما أحست رزان بجرحي فيما يتعلق بهشام فأرادت تغيير الموضوع.. وفي اليوم التالي تحسنت أحوالي كثيرا.. واستعدت لوني بعض الشيء وجاءت منار لزيارتي.. كم تمنيت لو استطعت أن أحكي لها.. وفي الظهر، تركني الجميع لأنام قليلا وبقيت وحدي، وفتح باب غرفتي ليدخل عزيز، واندفع نحوي يقبلني ويضمني وأنا أقبله وأداعبه، ورفعت رأسي لأجد هشام أمامي وقال بهدوء وعيناه تبتسمان: هل أدخل؟ أصرّ عزيز أن اصطحبه إليك بعد المدرسة فأبلغت أمك بذلك وجئت معه...

وابتسمت بخجل وأنا أغطي شعري: تفضل... أشكرك على ما فعلته...

وابتسم بحنان وقال: كدت تقتلينني من الخوف عليك.. كيف تشعرين؟ ودار بيننا حديث وديّ، ترى كيف كنت أبدو؟، ليتني كحلت عيني، على الأقل، ثم إنني أرتدي بيجاما قطنية، يا إلهي لست في أحسن أحوالي، وأحسست أنني بشعة، وأخيرا استأذن هشام بالرحيل، وأخذ عزيز معه، سيوصله إلى منزل أمي، وخرج هشام من غرفتي...

وخرجت أنا من المستشفى في اليوم التالي كنت قد قررت أخذ إجازة من العمل، شعرت بنفسي منهكة للغاية، وقررت أخذ الأطفال والخادمة والسفر إلى دبي، لم نسافر منذ مدة طويلة، أريد تغييرا بل أحتاج تغييرا، وقمت بترتيب الحجوزات اللازمة واعترض فواز على سفري لوحدي فقد مضى أسبوع على خروجي من المستشفى، لكنني بخير وقد استعدت عافيتي ثم إنني لست صغيرة وولست مسافرة وحدي فمعي أطفالي وخادمتي، واتصلت بهشام لأطلب منه جوازات سفر الأولاد، وأخبرته أننا سنسافر فقط لعطلة نهاية الأسبوع ولم يعارض بل بعث لي الجوازات في اليوم نفسه مع مبلغ مالي كبير بالدرهم الإماراتي... وكتب على الظرف مصروف للأولاد، وابتسمت فرحة، إنه لا يتخلى عن مسؤوليته، لم أكن بحاجة إلى المال لكنها بادرة طيبة ولفتة كريمة منه، تُرى هل سيبقى الحال على ما هو عليه إن تزوج من عبير؟ وانقبض قلبي، وطردت تلك الخواطر عن نفسي بسرعة، لا أريد أن أجهد نفسي فأنا بحاجة إلى الراحة، وهذه الرحلة سأعوض بها تعبي وشقائي في الأيام الماضية.

■■ 34 ■■

في دبي

سكنا في فندق شاطئ الجميرا، بدا كل ما حولي رائعا وحجزت غرفتين تطلان على البحر، عزيز والخادمة في غرفة وأنا وجمانة في غرفة ملاصقة إلا أن عزيز أصر على النوم معي فبقيت الخادمة تنام وحدها، كنت مغتاظة منها، ولولا حاجتي إليها لما اضطررت لحجز غرفة كاملة لها، وحال وصولنا أراد الأطفال النزول للسباحة ووقفت أحدق من خلال الزجاج إلى الخارج، ما أجمل البحر، أمامي حائط كامل من الزجاج المطل على البحر، والغرفة رائعة مريحة، وارتدى أطفالي ملابس السباحة وحملنا بعض الأغراض الخاصة بالمسبح والتي جلبناها معنا، ونزلنا إلى حوض السباحة، وقضينا وقتا رائعا، وبعد أن انتهينا توجهنا إلى الغرفة الثانية، بدا الطفلين متعبين فطلبنا العشاء في غرفتنا وشاهدا قناة الأطفال ثم خلدا إلى النوم، لم أكن متعبة، لازال الوقت مبكرا على النوم إنها الثامنة مساء، وفكرت هل أنزل؟ هل أخرج للتسوق؟ وفي النهاية تابعت فيلما على التلفاز، ثم وقفت أنظر باتجاه برج العرب وتذكرت شهر عسلي مع هشام فهربت ونمت!

وقضينا اليوم التالي بشكل رائع، اصطحبت الأطفال للتزحلق على الجليد، لازالا صغيرين لكنهما بُهرا بالمكان، ثم تغدينا ودخلنا إلى السينما واشتريت لهما ألعابا جديدة، وأخيرا اصطحبتهما إلى مدينة للألعاب والملاهي، وقضيا وقتا جميلا وبعد أن تعشينا في أحد المطاعم ناما في طريق العودة، في سيارة

الأجرة، وفي اليوم الأخير وهو يوم عودتنا صحونا باكرا وسبح الأطفال في حمام السباحة وتركت الخادمة توضب أغراضنا وحقائبنا، واصطحبت الأطفال إلى مجمع تجاري جديد رائع وبعد تناولنا الغداء اضطررنا للعودة فيجب علينا الذهاب إلى المطار، وحزن الأطفال لانتهاء رحلتنا السريعة، وفي المطار اشتريت لهما الكثير من الألعاب والتذكارات واشتريت لعبة لابن فواز ولعبا لأطفال رزان، وجلسنا في الطائرة، وأخذت أسترجع ذكريات اليومين الماضيين، لقد قضينا وقتا رائعا لكنني ولأول مرة منذ طلاقي أحس بالوحدة في الليل، كان الأطفال ينامون في وقت مبكر فأبقى وحدي، وددت لو كان معي شخص يشاركني الخروج للعشاء أو للسينما، أحسست بالوحدة وأنا أجلس في الفندق ليلا أشاهد التلفزيون في حين المرح والصخب ينتظرني خارجا، وذكريات شهر العسل تقتحم تفكيري كلما رأيت برج العرب الذي سبق وقضيت فيه أسبوعا مع هشام بعد عودتنا من استراليا، إن تلك الذكريات تؤلمني كثيرا.

وتنهدت.. لكنني أفضل حالا بكثير مما كنت عليه قبل سفري، على الأقل ضحكت من قلبي وأنا ألهو مع طفليّ العزيزين، كم أحبهما، كانا يتناولان وجبة الطعام في الطائرة، وانحنيت أقبّل كل منهما بحب وإخلاص.

■■ 35 ■■

عودة جديدة

عدنا مساء وذهبنا مباشرة إلى شقتي، وأتت أمي لرؤيتي في بيتي حالما وصلنا، كان عليّ إعداد الطفلين للنوم، فغدا يوم دراسي لعزيز، وجمانة متعبة أيضا، ونام الاثنان بمجرد أن وضعتهما في سريرهما، وجلست مع أمي التي قالت: تبدين رائعة، بشرتك نضرة متوردة.

ضحكت قائلة: بل محتقنة لطول ما جلست على المسبح تحت الشمس.

وقدمت لأمي شيلة سوداء جميلة غالية الثمن، إن دبي تشتهر ببيع هذه النوعية الممتازة من الشيلات.

وتكلمنا عن رزان وفواز قليلا، وأخيرا قالت أمي: لقد زرت خالك عبدالله اليوم - كانت أمي قد انقطعت عن زيارته في بيته منذ طلاقي - ثم أردفت: ورأيت هشام وسأل عن الأولاد.. وعنك؟

فقلت: ماذا قال؟

فقالت أمي: سألني عن صحتك بعد العملية وعن موعد عودتكم من السفر.

وخاب أملي، ماذا توقعت منه؟ إنني متناقضة لا أعرف ماذا أريد بالضبط.. وبعد أن ذهبت أمي بقيت وحدي أحاول مواجهة

نفسي فأنا لا أريد قيود الزواج، لكنني أريد هشام عازبا لا يتزوج بعدي، أريده نادما على ما فعله معي، أريد أولادي معي ولا أقبل لهم التعامل مع زوجة أب.. ثم قفز سؤال إلى رأسي..

هل أريد العودة إلى هشام؟ وأزعجني هذا السؤال، وأخذت أتذكر ماضينا معا، لم أكن سعيدة، كان يخنقني، هل لازلت أحبه؟ أظنني أحبه، لكنني لا أحتمله، هل هذا ممكن.. وفجأة خطرت لي فكرة مريعة، هل يريد هو الآن أن يعود إليّ؟ ربما سيرفضني ويحطم كبريائي، ربما توقف عن حبي منذ زمن! ربما أصبح يحب عبير، لكن لهفته عندما زارني وأنا في المستشفى، نبرة صوته وعينيه، مازالت كلها تشهد بحبي، هل هذا حقيقي أم أنني أعيش في وهم؟ وشعرت برأسي يكاد ينفجر، ليتني أستطيع أن أعرف في أي طريق أسير، لا شك أنني مجنونة، لقد تركته بمحض إرادتي وبنيت حياة جديدة بعيدا عنه، لقد سبق واخترت طريقي لكنني أنانية لطالما اتهمت هشام بالأنانية، لكنني أسوأ منه بل أسوأ بكثير.. لقد تركته وهدمت بيتي بيدي وحرمت أبنائي من قربه دون بذل محاولات كافية لإنقاذ زواجي، وها أنا اليوم ألوم نفسي وبدا لي ما بنيته في فترة طلاقي تافها، ماذا يعني المال أو الدخل الجيد أو المنصب في العمل مادمت مهتزة من الداخل، لقد أخذني الغرور وتصورت أن مشاعري في يدي وها أنا الآن أحترق غيرة وحيرة، وأجهشت في بكاء مرير...

36

حفلة تخرج عزيز

انتهى العام الدراسي.. مرّ سريعا، وأقامت مدرسة عزيز حفلا لتخرج الصغار وانتقالهم إلى مرحلة دراسية جديدة، كنت قد سجلت جمانة في نفس مدرسة عزيز، حيث ستكمل الثالثة من عمرها قريبا.. ستكون في صف الحضانة لاحقا.. وأحضر عزيز بطاقات حفل التخرج ووقف يبكي.. إن كل الأطفال سيحضرون بصحبة آبائهم وأمهاتهم إلا هو، إنه يريد حضوري أنا وهشام معا، حاولت إفهامه أن ذلك غير ممكن وخيرته بيني وبين أبيه، حاولت إقناعه أن نحضر أنا وجدته أي أمي، لكنه لم يتوقف عن البكاء وغافلني عزيز واتصل بأبيه باكيا، لم يكن مقتنعا لمَ لا يستطع والداه الحضور معا وأصر على عدم الذهاب إلى الحفل، واتصل بي هشام تلك الليلة، لم أسمع صوته منذ فترة طويلة، منذ رأيته في المستشفى، وهو من أخبرني أن عزيز اتصل به، وقال هشام: أظننا نستطيع حضور الحفل معا لأجله، سأمر غدا لأخذ بطاقتي ونلتقي في المدرسة ساعة الحفل، لا أريد له أن يحزن، ما رأيك؟ لنفعل ذلك من أجله... ووافقت، والفرحة تدغدغ أعصابي، هل أنا فرحة لأجل عزيز، أم لأنني سأرى هشام وأجلس بجواره؟ وفي اليوم التالي صحوت باكرا، واندسست بجوار عزيز في فراشه ألاطفه وأدعبه، أمطرته بالقبلات وهمست بأذنه: لديّ مفاجأة.. أنا وبابا سنأتي معا لحفلة المدرسة... وقفز عزيز فرحا وعانقني وهو يضحك وذهبت إلى العمل وأنا منشرحة

الصدر ولم أخبر منار بما جرى معي...

لم أخبر حتى أمي... وجاء يوم الحفلة، كان يوم ثلاثاء.. وقررت أن أتحدى نفسي.. يجب أن أكون واثقة وقوية والأهم من ذلك.. فاتنة.. وارتديت تنورة بيضاء مطرزة الأطراف بدرجات اللون الأزرق.. وارتديت بلوزة من التريكو سماوية اللون وتحتها قميص بنفس اللون اشتريته معها، وانتعلت صندلا سماويا ذا كعب عال جدا، وطليت أظافري بلون وردي فاتح، وارتديت شيلة بيضاء من الدانتيل، ووضعت ظلا سماويا فاتحا فوق عينيّ وخطاً من الكحل الباهت وبدت رموشي كثيفة وعيناي متسعتين، إن هذا اللون يناسبني تماما وطليت شفتيّ باللون الزهري الباهت، بدوت جميلة جدا، أجمل من المعتاد، وحملت حقيبة بيضاء غالية الثمن واتجهت إلى غرفة عزيز، كان جاهزا منذ مدة طويلة لفرط حماسه، وكان يجب عليّ أخذه مبكرا إلى المدرسة استعدادا للحفلة، وتركت جمانة والخادمة عند أمي، وانطلقنا كانت الحفلة ستبدأ في السادسة، والساعة الآن الخامسة والربع، لازال الوقت مبكرا، ووصلنا إلى المدرسة بعد عشرة دقائق، وذهب عزيز إلى صفه واتجهت نحو مسرح المدرسة، وحجزت مكانين في الصف الثاني مقابل المسرح، بدا المسرح جميلا مزينا بألوان جميلة، ونظرت إلى ساعتي، إنها الخامسة والنصف.. وبعثت رسالة من هاتفي إلى هشام لأخبره بمكان جلوسي.. ولم يرد عليّ، وقلقت ترى هل نسي وعده؟

لم أتصل لأذكره، هل قرر عدم الحضور؟ وانقبض قلبي، ماذا سيكون موقف عزيز إن خذله والده؟ سيتأثر كثيرا، واغتظت

وبدوت عصبية.. ومرت الدقائق طويلة، وجاءت بعض الأمهات اللواتي أعرفهن، كل بصحبة زوجها، أنا فقط التي أجلس وحدي بجوار مقعد خال، وحاولت تجاذب أطراف الحديث معهن، لكنني منفعلة، يكاد يغمى عليّ وقلبي لا يكف عن الخفقان.. وبدأت الحفلة، عُزف النشيد الوطني، ووقفنا احتراما، والتفت ناحية الباب، إنه مغلق، ولا أثر لهشام، وشعرت بالدموع تتجمع في عينيّ... وضغطت على أعصابي، يجب أن أتمالك نفسي، وجلسنا نستمع لطفلة جميلة تتلو آيات من القرآن الكريم كافتتاح للحفل، ثم تقدمت ناظرة المدرسة لإلقاء كلمتها الخاصة، ونظرت إلى ساعتي إنها السادسة والربع، لن يأتي إذن... واستسلمت وخيبة أملي تملأ قلبي وروحي.. وبدأت فقرة لأحد الصفوف... إن الفقرة التالية سيشارك بها عزيز، المسكين سيحزن كثيرا عندما لا يجد أباه... وفجأة جلس شخص بجواري والتفت فزعة، لم ألاحظ اقترابه مني وأنا غارقة في أفكاري... وكان هو هشام وهمس: آسف على التأخير، هل ظهر عزيز؟ وأجبته بهمس: لا.. فقرته التالية، ونظرت إليه، إنه يرتدي الدشداشة والغترة ويبدو حليق الوجه، وعطره يخترق أنفاسي وشعرت برغبة أن ألقي بنفسي فوق كتفه وأبكي كل حيرتي لأستريح، ونظرت إلى يديه وأصابعه، إنها يد الرجل الوحيد الذي أحببته والذي تخليت عنه، وبدأت فقرة صف عزيز، وظهر عزيز يتلفت على المسرح وأشرنا له معا ورآنا وضحك ضحكة كبيرة، ورق قلبي، إنه رائع، كم أنا فخورة به، كانت فقرة تمثيلية يقوم بها عزيز بدور بائع متجول، بدا مضحكا خفيف الظل، وبعد أن انتهى صفقنا له كثيرا، وجاءت

فقرات أخرى لطيفة، وقال لي هشام: كم هو مميز، ونظرت إليه وابتسمت والتقت عيوننا، وقال: تذكرين كم كان صغيرا... أحس أنه كبر بسرعة، وقلت: إنه نسخة منك... وابتسمت بحزن، وقال هشام: اللون الأزرق يليق بك، وقطع حديثنا صوت أغنية جماعية تجتمع فيها فصول الأطفال المشاركين في الحفلة، وأخيرا جاء وقت توزيع الشهادات، حيث يتسلم كل طفل الشهادة ثم يقف على المسرح لحين الانتهاء من الجميع، وجاء دور عزيز، وصفقنا له مشجعين.. واستلم شهادته، لا أعرف لم دمعت عيناي وانهمرت دموعي بصمت وأنا أحاول أن أبتسم، ورآني هشام وقال بإشفاق: هل تبكين؟ وقلت: أرجو أن يبلغنا الله بيوم تخرجه من الجامعة وابتسم قائلا: آمين.. كم أحب عزيز، فقلت: إنني أحسده.. كم هو محظوظ.

ورد هشام بدهشة: لماذا؟

وأخيرا نطقت بكلمة حاسمة: لأنه لايزال يحتفظ بحبك الذي خسرته أنا! وبكيت... وهمس هشام: جمان... لا تقولي ذلك، والتفت نحوه بكل جسمي وأنا أقول من بين دموعي بصوت هامس: قُل لي أنه لم يفت الأوان بعد.. قُل لي أنه لم يفت أوان عيشي بقربك...؟

ونظر إليّ طويلا.. ومد يده وربت على يدي وقال: لا.. لم يفت الأوان بعد..

37

النهاية

هل تعرفون ما معنى أن تملك بيتا مع أسرة تخصك؟ أن تكون سيدا في مملكتك الخاصة.. أن تعيش مع أشخاص يحبونك وتحبهم وتكون مستعدا لفعل أي شيء لإسعادهم؟ لقد عرفت معنى ذلك مؤخرا... الآن أنا في الخامسة والثلاثين من عمري، لقد تركت العمل نهائيا وتفرغت لمنزلي.. كيف لا وقد أنجبت توأما جميلا، بنتا وولدا، أسميت ابنتي الجديدة منار تيمنا باسم صديقة عمري المخلصة، وابني الثاني عبدالله على اسم خالي والد هشام.

إن حياتي رائعة مستقرة وأعيش كل لحظاتي منهمكة في بناء أسرتي، ورعاية أبنائي، والأهم رعاية طفلي وحبيبي وصديقي زوجي هشام.

إنني سعيدة، هادئة، مطمئنة، أعرف قيمة مالديّ من نعم، ولن أفرط فيها أبدا... فلا شيء يعوض عيش أطفالي بين والديهم، ولا شيء يعوض عيشي إلى جانب الرجل الذي أحبه.

(وتمت)

جمان.. حبات اللؤلؤ الأبيض.

مكتبة
t.me/t_pdf

telegram @t_pdf

نلتقى مع الكاتبة في عملها الثاني بمجموعة قصصية مميزة مليئة بالمشاعر الصادقة والعواطف الجياشة ،

في البداية جاءت رواية «حنين وأشواق» التي تعكس الارتباط الوثيق في علاقة إنسانية من أسمى العلاقات الإنسانية وهي الأخوة ثم رواية «عندما تعود الأفراح» وهي قصة رومانسية رائعة تحكي عن حب كبير يتعرض لتحديات عاصفة ،

وبعدها سنتعرف على رواية «الضرير» وهي التي حققت نجاحا كبيرا في مجلة اليقظة وتنقلنا الصفحات إلى «قصة غالية» وهي قصة أربع صديقات مراهقات تمر كل منهن بتجربة مختلفة مليئة بالعبر والقيم وقد تم تحويلها لفيلم سينمائي ،

وأخيرا نختم العمل برواية «جمان» وهي التي سمى الكتاب باسمها وهي رواية تعكس نفسية المرأة التي أحاطت بها القيود فتمردت عليها.. ثم اختارت أن تعود إليها بمحض إرادتها .

ISBN: 978-99966-81-60-8

9 789996 681608

منشورات
ذات السلاسل
الكويت

الناشر: ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع

E-mail: ths@thatalsalasil.com.kw
Web site:www.thatalsalasil.com.kw

الكويت - ص.ب: 12041 الشامية 71651
تلفون: 22466266/55 (965+)
فاكس: 22438304 (965+)

@THATALSALASIL
@THATALSALASIL
thatalsalasilbookstore